شؤون فلسطينية

٤٩

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥

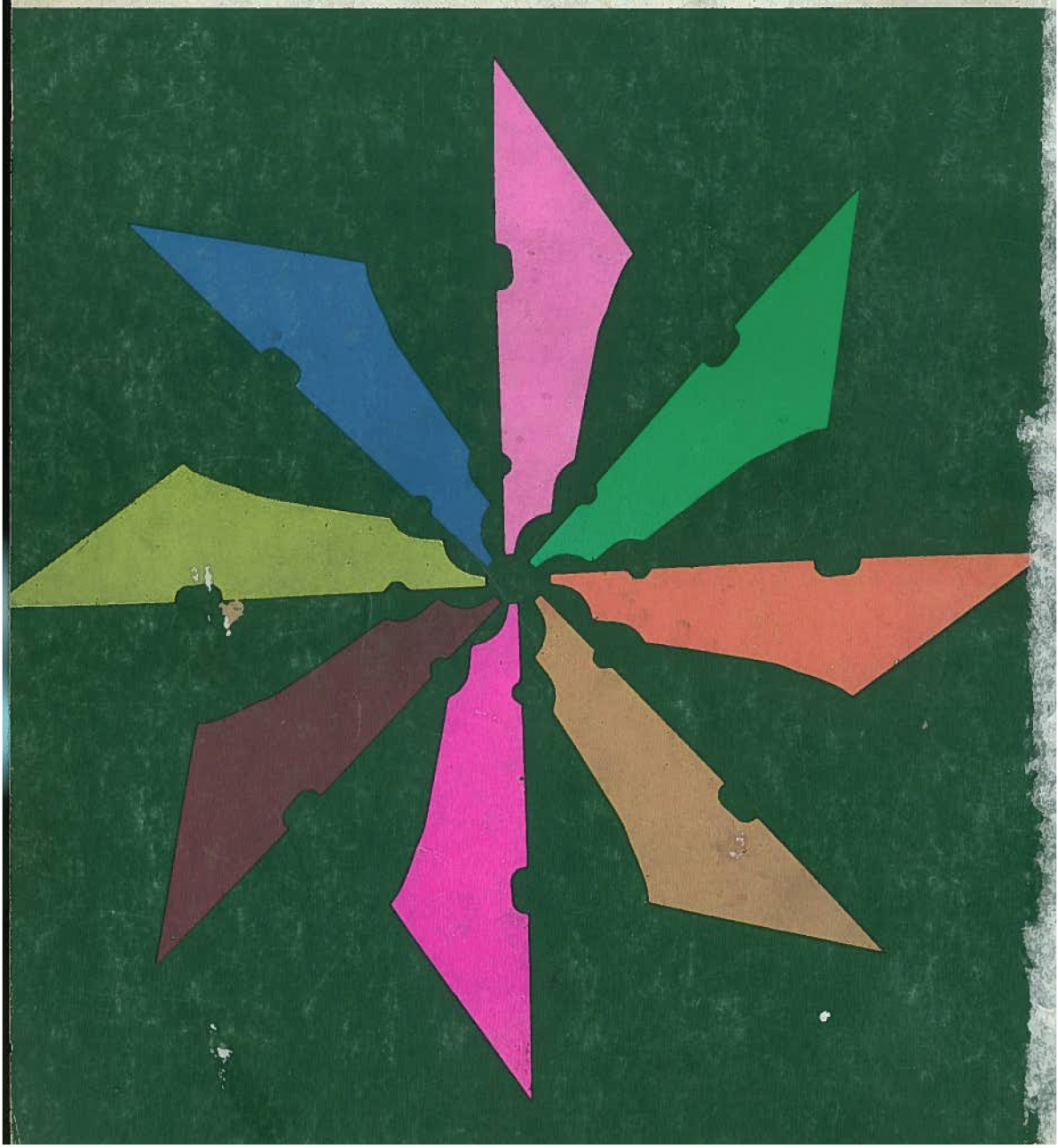

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤٩ — ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، محمود درويش .

٨ **فلسطين في القمة الافريقية** ، نبيل الرملاوي .

١٧ **اسرائيل والامم المتحدة : عضوية مشروطة** ، ج.هـ. جانسن .

٢٢ **محاولة اولى في اطروحة : شرق الاردن الفلسطينية** ، عصام سخنيني .

٢٨ **الاوبيك وسياسة المجابهة النفطية** ، رهف بدوي .

٣٦ **اسرائيل والاحتكارات النفطية** ، الدكتور سلمان رشيد سلمان .

٤٦ **دور القرى الامامية العربية في مواجهتنا مع العدو الاسرائيلي** ، العميد الركن محمد الشاعر .

٧٣ **هجرة المهندسين العرب والمعركة** ، الدكتور الياس زين .

٩٦ **النمو الحضري في فلسطين** ، الدكتور عبدالله ابو عياش .

١٠٨ **الارض في الحكاية الشعبية الفلسطينية** ، خليل السواحري .

١٢٠ **الشعب ــ البطل في التاريخ بين « أم سعد » غسان كنفاني و « عجوز » افنان القاسم** ، الدكتور فيصل دراج .

١٢٩ **ثقافة** ، الياس خوري .

١٤١ **مراجعات** : المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا ، الدكتورة خيرية قاسمية . نصوص للثورة الفلسطينية ١٩٦٨ — ١٩٧٤ ، سلمى حداد . تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧—١٩١٨ ، عبد العال الباقوري. ثيودور هرتزل ، فارس المنصوري . موعظة الجمل ، اميرة الزين .

١٦٠ **تقارير** : (١) التربية القومية في المدارس اليهودية في اسرائيل ، يوسف حمدان . (٢) هل بدأت تتحقق نبوءة توينبي في عودة الاسرائيليين الى « المهجر » ، محمد أحمد رمضان. (٣) المستشرقون ومعاهد الاستشراق في اسرائيل ، حمدان بدر . (٤) النزاع العربي — الاسرائيلي في كتب العلوم الاجتماعية للمدارس الثانوية في الولايات المتحدة، د. اياد القزاز. (٥) الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة ، محمود شقير .

٢٠٣ **رسائل من العالم** : (١) النظام الجديد في البرتغال والصراع العربي — الاسرائيلي ، عبد المنعم عباس . (٢) اسرائيل والحركة الانفصالية في نيجيريا ، نازلي معوض أحمد .

٢١٠ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي . (٤) اسرائيليات ، يوسف حمدان وحنه شاهين ومكرم يونس وسمير جريس . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، الرائد الطيار حسين عويضة . وملحق : الاعتداء على صور في ضوء الاختيارات اللبنانية ، ناشي طه . (٦) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو من ٧/١٥ — ١٩٧٥/٨/١٥ ، غازي خورشيد .

شكوى الجندي الفصيح

محمود درويش

جَلَسَ الجنديُّ في الرمل . وقالْ :
وطني يبدأُ مني ، وأراهْ
ماشياً في دودة القزّ - وفي الخبزِ
أراهْ
يرفعُ الماء عن الماء ليسقي برتقالهْ
وأراهْ
يوقظُ الآلةَ في الفجرِ . ويصطاد السَمَكْ .
وطني ليس غزالهْ
وطني يبدأ منّي ، وأراه
يتجلّى في يدي نهر سنابلْ
ولهذا .. سأقاتلْ
وأقاتل .

* * *

ومَشَى الجنديُّ في النـار وقالْ :
وطـني يبـدأ منّي
فاختصرني يا دمي تتّسِـعِ الأرضُ وروحي .
ومشى الجنديُّ في عُرْسِ الجروحِ
واشتَعَلْ
واكتَمَلْ
مثلَ قرصٍ من ضياء وعسلْ .
وطني ليس بعيـداً كالهْ
وطني يبـدأ منّي ، وأراه
جسداً تحـت القنابـلْ
ولهـذا .. سأواصلْ
وأُقاتـلْ .

* * *

جَلَسَ الجنديُّ في السجن ، وصاح :
في تمـام الإنفجارْ
وعلى باب النهـــار
أفرغوني من دم النهر ،
ومن واجب ترويض الرياح .
أخذوا مني سلاحي وسؤالي عن جنود الاحتلالْ
وأعادوني الى وقت الرمال .
وانتهى دَوْري ..
تساءلتُ : هل المسرح يحتاج الى ألفي شهيدْ
والى عشرة آلاف جريح ونشيد ؟
ضربوني . سحبوني من بياض الرمل . ثم اعتقلوني
مَدْخَلُ السجن شجرْ

ونياشينُ على الأغصان والجدرانِ ..
مَدْح وخطوطٌ وصُوَرْ.

وتساءلتُ : مَنِ القاضي ؟
أجابوني : الوطن .
قلتُ : مَنْ !!
قالوا بصوت واحد : نحن الوطن !.
وأضاف الضابطُ الأوّلُ والسوط المائـه :
إنّ للجنديِّ مسؤوليّتَينِ
المـوتَ
والصمتَ
فقلتُ : إنني مُتّهَمٌ بالرغبة في خوض القتال
فأجاب الضابط الأوّل والسوطُ المائـه :
إنتهكتَ الصمت في هـذا السؤال
فلتتم في السجن بين الأوبئه
وسندعوك ، إذا شئنا ، الى دور جديد
ولهـذا .. لا تقاتلْ
لا تقاتـل

* * *

جَلَسَ الجنديُّ في السجن ، وغنّى :
جئتُ من عائلة الطـين
ومن آيـة « آمين »
على أكتاف « كان »
كان لي حُلْمٌ ، وأُمٌّ ، كان لي كيس ذُرَهْ
جئتُ من أيِّ مكانْ
من وعود امرأة مُنْكَسِرَهْ

جئتُ من فتحة ثوبٍ أدخلتْ روحي الى أوّلِ رُكنْبه
عَلّمتني العادةَ السريّة الأولى
وأشكالَ الدخانْ
جئتُ من أيِّ مكان
جئتُ من لحيـة شيـخٍ ..
جئتُ من إيقـاع خطبه
عن دخول الريف في عهـد الصناعات الخفيفه
وعن التحرير والتطوير والفتـح المبـينْ
جئتُ من عائـلة الطين
ومن آيـة آمـين
على صوت قذيفـه
جئتُ كي أحمي الوطنْ
تحت رايات الخليفـه
وانتهى دوري . تساءلتُ :
هل المسرح يحتاج الى ألفي شهيـدْ ؟
والى عشرة آلاف جريح ؟
وانتهى دوري لـكي أختار دوري من جديد
فلقد شاهدتهم
كيف يرمون شرايين الوطن
في تجاعيد الأناشيد وفي قصر الخلافـة
وطني ليس خرافـه
وطني يبـدأ مني ، وأراهْ
شارعاً بـين السلاسلْ
ولهذا .. سأواصل
وأقاتـل
وأقاتـل ..

فلسطين في القمة الافريقية

نبيل الرملاوي

قبل أن تبدأ منظمة التحرير الفلسطينية حملتها السياسية من أجل طرد اسرائيل من الامم المتحدة كانت تدرك كل الادراك ردود الفعل المختلفة المتوقعة لهذه الحملة سواء من العدو الاسرائيلي او من الدول الرأسمالية الاستعمارية الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية ، بل كانت على يقين من ان هذه الحملة سوف تفرز المواقف العربية وتوضح حقيقتها ، لانها لا تحتمل المواربة والخداع السياسي ، وانما تفرض على الاطراف المعنية اعلان مواقفها بكل صراحة ووضوح . واذا كان ذلك هو هدف من أهداف منظمة التحرير الفلسطينية لحملتها السياسية تلك ، فان الهدف الاساسي بالاضافة الى اخراج اسرائيل من دائرة الشرعية الدولية ، هو افشال المخططات الامريكية الصهيونية التي تجري الآن من أجل انهاء الصراع مع العدو الصهيوني بما سمي بالحلول السلمية وما تنطوي عليه من أخطار جسيمة ومصيرية تستهدف الثورة الفلسطينية أساسا والامة العربية ومستقبلها بشكل عام .

وهذا أمر منطقي بالنسبة للثورة الفلسطينية التي تدرك الآن بأن خيارات ثلاثة امام الامة العربية في تعاملها مع العدو الصهيوني ، وهي :

١ ــ انهاء الصراع مع العدو .

٢ ــ تجميد الصراع مع العدو .

٣ ــ استمرار اشعال الصراع مع العدو من أجل تحقيق الاهداف الوطنية والقومية بالتحرير الكامل .

فاذا كانت هناك أطراف عربية تعمل من أجل تجميد او انهاء الصراع مع العدو فان ذلك لا يتطابق مع منطق الثورة الفلسطينية ولا مع طبيعتها ولا مع أهدافها .

فقضية فلسطين التي حمل شعبها السلاح وباشر قتال العدو منذ سنوات من أجلها ، ما زالت قائمة وسيظل هذا الشعب يحمل سلاحه ويقاتل حتى يحقق أهدافه الوطنية ، وان أية محاولة لتجميد الصراع او انهاء الصراع مع العدو من أي جانب كان لا يعني الشعب الفلسطيني منها شيئا اللهم الا زيادة جبهات الاعداء وضرورة مضاعفة وتصعيد كفاحه كما ونوعا .

وكان من الطبيعي أن تبدأ المنظمة عملها من أجل انجاح هذا الهدف على المستوى العربي ثم الاسلامي ثم الافريقي ثم عدم الانحياز لتصل بالتالي الى الجمعية العامة للامم المتحدة .

على الصعيد العربي

انطلقت المنظمة ، في تحركها السياسي باتجاه طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، من نص ومضمون قرارات مؤتمر القمة العربي السابع التي جاءت تحت البند الاول باسم (الهدف المرحلي للامة العربية) والبند الثاني باسم (الاسس التي يقوم عليها العمل العربي المشترك) والبند الثالث من الفقرات العاملة والبند الرابع فقرة (١) باسم (في مجال المنظمات والمحافل الدولية) .

فقد جاء في الفقرة الثالثة من البند الاول من القرارات ما يلي :

(الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفق مـــا تقرره منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني) .

وجاء في الفقرة الثالثة من البند الثاني ما يلي :

(عدم قبول اي محاولة لتحقيق اي تسويات سياسية جزئية انطلاقا مـــن قومية القضية ووحدتها) .

وجاء في الفقرة الثالثة من البند الثالث ما يلي :

(دعم منظمة التحرير الفلسطينية في ممارسة مسؤولياتها على الصعيدين القومي والدولي في اطار الالتزام العربي) .

كما جاء في الفقرة أ وب من البند الرابع ما يلي :

(الاستفادة من الامم المتحدة ومؤسساتها لكشف اسرائيل ، واستصدار المزيد من القرارات بشأن قضيتي فلسطـــين والشرق الاوسط التي مـــن شأنها عزل اسرائيل سياسيا واعلاميا لدى الراي العام العالمي ، ومحاولة الحصول على اجراءات اكثر فاعلية لكشف مناورات اسرائيل ورفضها تنفيذ قرارات المنظمات الدولية وابراز ذلك أمام الراي العام العالمي وتحميلها مسؤولية اعاقـــة الجهود باتجاه اقامـــة السلام العادل) .

ب ـــ (تعزيز التعاون مع مجموعة عدم الانحياز ، والعمل على تنفيذ قرارات مؤتمر القمة الرابع لعدم الانحياز ، وطرح موضوع تطبيق عقوبات الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة ، على اسرائيل ، والمطالبة بطردها من الامم المتحدة ، وذلك في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي سيعقد في صيف عـــام ١٩٧٥ ، تمهيدا لطرح الموضوع أمام الدورة الثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة) .

وبناء على هذه النصوص الصريحة فقد أرسلت الدائرة السياسية للمنظمة مذكرة الى الامين العام لجامعة الدول العربية في أواخر شهر يونيو (حزيران) الماضي تبلغه فيها ان المنظمة عازمة على الالتزام بقرارات مؤتمر القمة العربي السابع فيما يتعلق بالعمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة وذلك بطرح الموضوع على كل من مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية والقمة الافريقية ووزراء خارجية دول عدم الانحياز . كما طلبت المنظمة اشعار الدول العربية الشقيقة الاعضاء بذلك لمساندة ودعم المنظمة في هذا التوجه التزاما بمقررات القمة العربية وتصعيدا للنضال السياسي ضد العدو الصهيوني على المستوى الدولي ، غير ان الدائرة السياسية للمنظمة لم تتسلم نسخة من تعميم الامانة العامة لجامعة الدول العربية على الدول الاعضاء بهذا الخصوص حتى الآن .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية السادس بجدة

حمل الوفد الفلسطيني الى المؤتمر الوزاري السادس للدول الاسلامية بجدة مشروع قرار خاص بقضية فلسطين تضمن المطالبة بتنفيذ قرارات المؤتمرات الاسلامية السابقة بخصوص قضية فلسطين ، كما تضمن فقرة نهائية في الديباجة تقول (واذ يعتبر أن الابقاء على عضوية اسرائيل في منظمة الامم المتحدة أمر يتنافى مع مبادىء وميثاق الامم المتحدة وتشجيع للتمرد على قراراتها وتواطؤ مع الانظمة العنصرية التوسعية العدوانية) .

وفقرة عاملة أخرى تقول (يقرر دعوة الدول الاعضاء للعمل في المحافل والمنظمة الدولية على طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، ويطلب من الدول الاعضاء تكليف ممثليها في الامم المتحدة بالعمل على انجاح هذا القرار) ، كما تضمنت كلمة الاخ ابو لطف رئيس الوفد تعليلا سياسيا وقانونيا لهاتين الفقرتين واعلانا بمطالبة المنظمة بالعمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة. ومن ناحية أخرى كان الوفد السوري قد تقدم بمشروع قرار خاص بقضية الشرق الاوسط تضمن فقرة عاملة طالبت الدول الاعضاء بالعمل على حرمان اسرائيل من عضوية الامم المتحدة وذلك بالعمل على الغاء قرار الجمعية العامة رقم (٢٧٣) (دورة ٣) بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٤٩ المتعلقة بقبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة وذلك بسبب انتهاكاتها للشرعين الاساسيين اللذين بني عليهما ذلك القرار وهما :

١ ــ تعهدها دون تحفظ بالالتزامات الواردة في ميثاق الامم المتحدة واحترام هذه الالتزامات منذ اليوم الاول الذي تصبح فيه عضوا في الامم المتحدة .

٢ ــ تعهدها بتطبيق القرار رقم (١٨١) (دورة ٢) بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ والقرار رقم ١٩٤ (دورة ٣) بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ المتعلق بوجوب السماح بعودة اللاجئين الى وطنهم .

وقد اعتبر مشروع القرار الفلسطيني على درجة اكبر من القوة والشمول بالنسبة للمشروع السوري لسبب أساسي وهو ، ان أية محاولة لالغاء قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الذي قضى بقبول اسرائيل عضوا في هيئة الامم المتحدة يتطلب اجراءات مسبقة من بينها توصية من مجلس الامن بالالغاء ، ذلك لان قرار القبول المعني والمقصود بالالغاء قد صدر بناء على توصية مسبقة من مجلس الامن نفسه ، في حين قرار طرد اسرائيل من الامم المتحدة لا يحتاج في كل الحالات الى توصية من مجلس الامن بناء على المادة الثامنة عشرة من الميثاق . وبناء على احكام المواد التي أجازت للجمعية العامة اتخاذ قرار الفصل بحق اية دولة تمعن في انتهاك مبادىء الميثاق ...

ومع ذلك فقد وافق المؤتمر بالاجماع على المشروعين ، المشروع الفلسطيني باعتباره قرارا خاصا بقضية فلسطين والمشروع السوري الذي تبنته مصر في النهاية واصبح قرارا خاصا بقضية الشرق الاوسط . ومع صدور هذين القرارين عن المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول الاسلامية والذي ضم اثنين واربعين دولة أصبحت قضية طرد اسرائيل من الامم المتحدة محط انظار الرأي العام العالمي في المؤتمرات الدولية . كما أصبحت على درجة كبيرة من اهتمام الدوائر السياسية العالمية . وبدأت دول العالم تشكل لجان عمل في وزارات خارجيتها للبحث في موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة وانعكاساته على ضوء تهديدات الولايات المتحدة الامريكية بايقاف التزاماتها ازاء الهيئة الدولية والانسحاب منها في حالة نجاح الجمعية العامة للامم المتحدة في طرد

اسرائيل من بين أعضائها . ومن ناحية أخرى بدأ العالم يتطلع الى مؤتمر كمبالا للقمة الافريقية وما سيخرج عنه في هذا المجال ، في حين أسرعت الولايات المتحدة الامريكية تتصل بالعديد من الدول لحثها على معارضة اي قرار يمكن أن يصدر بهذا الشأن في المؤتمر الافريقي بالاضافة الى تصعيد حملتها العامة ضد الاتجاه الذي بدأ يتبلور حول هذا الموضوع .

المؤتمر الثاني عشر لمنظمة الوحدة الافريقية ــ كمبالا

كما هو معروف وجهت الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في أعمال مؤتمري وزراء الخارجية الخامس والعشرين والقمة الثاني عشر لمنظمة الوحدة الافريقية اللذين عقدا في مدينة كمبالا عاصمة أوغندا . وقد عقد المجلس الوزاري قبل عشرة أيام من بدء انعقاد مؤتمر القمة ليبحث في القضايا التي ستعرض على مؤتمر الرؤساء . وكما فعل الوفد الفلسطيني في مؤتمر جدة حمل الى مؤتمر كمبالا مشروع قراره الذي تضمن نفس النصوص التي ثبتت في قرار جدة الى حد ما وفي نفس الوقت تقدم الوفد المصري بنفس المشروع السوري الذي تقرر في جدة ليكون مشروع قرار الشرق الاوسط . ولقد بدأت الضجة في المؤتمر حول هذا الاتجاه منذ افتتاحه بالكلمة التي توجه من خلالها الرئيس الاوغندي عيدي أمين وطالب بطرد اسرائيل من الامم المتحدة نظرا لصلفها وانتهاكها لمبادىء ميثاق الامم المتحدة وتمردها على قراراتها وعدم التزامها بالارادة الدولية .

ونظرا لاهمية القضايا الافريقية على جدول أعمال مجلس الوزراء فقد كان ترتيب مشروع القرار الفلسطيني يحمل رقم ٩ ومشروع القرار المصري يحمل رقم ١٠ ، وبعد الفراغ من أهم القضايا الافريقية انتقل مجلس الوزراء لبحث مشروع القرار الفلسطيني . فتصدت السنغال ثم زائير ، ثم نيجيريا الى الفقرة الحادية عشرة في المشروع وهي التي تنص على طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، فعبرت زائير عن موقفها ازاء هذا الاتجاه الذي اعتبرته من الاهمية بمكان بحيث يجب أن يبحث على ضوء الوحدة الافريقية ، ومن هذه الزاوية أعلنت زائير رفضها للفقرة (١١) ، ثم تحدث مندوب السنغال الذي عبر عن مخاوفه من الفشل في هذا الموضوع الذي يعود الامر فيه الى مجلس الامن ، ولهذا أعلن عن تحفظه على الفقرة المذكورة . وبعدهما تحدث ممثل نيجيريا (قبل الانقلاب) الذي أعلن عن ان افريقيا تسير باتجاه تحمل مسؤولية تحرير فلسطين ، وهذا امر لا تضطلع به افريقيا ، وعارض الفقرة (١١) . غير ان كلا من الجزائر وليبيا وغينيا وبوروندي قد تحدثوا لصالح القرار وطالبوا المؤتمر بالموافقة عليه كما جاء اليهم ولكن وزير خارجية اوغندا الذي كان يترأس الجلسة قد أعلن ان مشروع القرار الحالي لم يعرض على لجنة الصياغة ، ولهذا طلب احالته الى لجنة الصياغة على ان يتم البحث فيه الى جانب مشروع القرار المصري على ضوء تعديلات لجنة الصياغة عليه ووافق المجلس على ذلك .

العمل داخل لجنة الصياغة

تكونت لجنة الصياغة من خمس عشرة دولة الى جانب ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، وبدأ نقاش مشروع القرار الفلسطيني في الساعة الحادية عشرة ليلا حتى الثالثة صباحا ، تولى خلالها ممثل المنظمة تبديد المخاوف التي برزت في المؤتمر من احتمال الفشل ووضح الجوانب السياسية والقانونية والاجرائية السليمة التي يمكن ان تشكلها الجمعية العامة للامم المتحدة في طردها لاسرائيل من عضويتها ، وكانت

النتيجة ان وافقت اربع عشرة دولة على النص الاساسي للفقرة العاملة (١١) من مشروع القرار امام ممثل السنغال الذي اعلن في النهاية انه لا يملك التعليمات التي تخوله بالموافقة على هذه الفقرة ولهذا لم يستطع الموافقة . وهنا برزت الدرجة الكبيرة من الاهتمام الافريقي في موضوع الاجماع على القرارات . وأصبح كل ممثل يتحدث عن ضرورة الاجماع مما حمل الوفد الجزائري على الاتصال بممثل المنظمة للاتفاق على تعديل بسيط لعله يستقطب ممثل السنغال وجاء التعديل كما يلي : (يوجه نداء الى الدول الاعضاء لكي تفوض ممثليها في الامم المتحدة لاتخاذ الاجراءات الملائمة التي تؤدي الى طرد اسرائيل من المنظمة الدولية ووكالاتها المتخصصة حين تعرض مسألة فلسطين على الجمعية العامة خلال دورتها الـ ٣٠ ، وان يتم ذلك بالتعاون مع دول عدم الانحياز والدول الصديقة الاخرى) . غير ان هذا التعديل الذي وافقت عليه المنظمة من أجل أن ينال الاجماع الافريقي لم يحظ بموافقة السنغال الدولة الوحيدة في لجنة الصياغة التي أعلنت تحفظها عليه مما حمل رئيس الجلسة على انهاء الموضوع واعتبار التعديل مقبولا من لجنة الصياغة مع تسجيل تحفظ السنغال على الفقرة (١١) ورفع مشروع القرار الى مجلس الوزراء لبحثه تمهيدا لرفعه الى مؤتمر القمة . وكان مجلس الوزراء في انتظار انتهاء لجنة الصياغة من أعمالها حيث كان قد أنهى جميع القرارات الاخرى . وعندما بدأ النقاش حول المشروع المعدل والذي أصبح يسمى بمشروع قرار فلسطين مقدما من لجنة الصياغة ، تحدث كل من ممثل تونس ، توجو ، الجزائر ، غينيا ، الصومال ، ليبيا ، السودان ، بوروندي ، موريشيوس ، المغرب ، جزر القمر ، جزر الرأس الاخضر ، غينيا بيساو ، المؤتمر القومي الافريقي ، مالي ، الى جانب القرار وتأييده بشدة ، كما تحدث كل من ممثلي السنغال ، نيجيريا ، زائير ، غانا ، ليبريا ، ضد القرار وعلى وجه التحديد ضد الفقرة العاملة رقم (١١) ، كما تحدث من ناحية ثالثة كل من ممثلي سيراليون ، الكمرون ، فولتا العليا ، بالعموميات وانتهوا الى التهرب من تحديد موقف واضح ازاء القرار . ومن هنا بدأت اتجاهات تركز على ضرورة الوحدة الافريقية ، وضرورة العمل على ايجاد صيغة يتفق عليها الجميع . ثم بدأت بعض الاصوات التي كانت صامتة عندما كان النقاش محتدا ، بدأت تتحدث عن موقفها الذي لن يكون الا مع الاجماع ، وأخذ النقاش يطول حول الصيغ والتعديلات التي لم يفز أي منها بالاجماع . واثناء هذه الجلسة بالذات وفي هذا الجو المحتد وصلت الى قاعة المؤتمر أوراق وكالات الانباء التي تقول أن الرئيس السادات صرح بالخرطوم انه لا يحبذ طرد اسرائيل من الامم المتحدة . وقد تلقف هذا الخبر كل الذين اعترضوا على الفقرة (١١) من المشروع الفلسطيني ليعلنوا ، واحداً بعد الآخر أن مصر الدولة الافريقية المعنية والمعتدى عليها قد أعلنت على لسان رئيسها اليوم انها لا تحبذ طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، فهل يعقل ان تقوم زائير مثلا او السنغال في هذه الحالة بطرد اسرائيل من المنظمة الدولية . وحقيقة الامر ، كان تصريح الرئيس السادات سلاحا جديدا وقويا أضيف الى مواقع المتحفظين على فقرة طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، الامر الذي عقد أمور البحث في مجلس الوزراء أكثر فأكثر مما حمل رئيس الجلسة على الاقتراح برفع مشروع القرار كما تقدمت به لجنة الصياغة الى مؤتمر الرؤساء للنظر فيه مع الاحاطة بكل ما جرى من نقاش حوله . ونظرا لقناعة المجلس بعدم الوصول الى حل وافق على اقتراح الرئيس ، علما بأن قرارات منظمة الوحدة الافريقية تؤخذ عادة بالاجماع ولو كان ذلك على حساب القرار نفسه ، ومن تقاليد المنظمة ألا يجري تصويت على أي أمر من أمور بحثها حرصا من الدول الاعضاء على وحدة افريقيا وعدم تعريض المنظمة الى أي انقسام . وقد استغل هذا الوضع عدد من

الدول مثل زائير وغانا لتعلن كلما احتد النقاش بضرورة بحث موضوع طرد اسرائيل في ضوء وحدة افريقيا وعدم انقسام المنظمة وذلك بأسلوب فهم منه تهديد منظمة الوحدة الافريقية بأخطار الانقسام اذا ما اتخذ قرار الطرد بأصوات الاغلبية الواضحة التي أيدت مشروع القرار الفلسطيني .

مؤتمر القمة ومشروع القرار الفلسطيني

كان لكلمة الاخ ابو عمار رئيس اللجنة التنفيذية في اليوم التالي لافتتاح مؤتمر القمة أكبر الاثر على بلورة الموقف الايجابي نحو المشروع الفلسطيني، وقد عزز ذلك اتصالاته بالرؤساء وما قام به الاخ ابو لطف من لقاءات مع وزراء خارجية الدول الافريقية ، وكان على المؤتمر أن يفرغ بسرعة من كلمات الرؤساء لعقد جلساته المغلقة للبحث في مشاريع القرارات التي رفعها له مجلس الوزراء . ففي يوم ٧٥/٧/٣٠ عقد المؤتمر أولى جلساته المغلقة لهذا الغرض ، ولم يصل الى بحث المشروع الخاص بقضية فلسطين الا الساعة الثامنة مساء من ذلك اليوم . ولقد بدأ نقاش المشروع بنفس الاسلوب الذي انتهى اليه مجلس الوزراء ، فتحدث كل من ممثلي غينيا ، النيجر ، داهومي ، الصومال ، غينيا بيساو ، غامبيا ، الكونغو الشعبية ، الجزائر ، رواندا ، جزر القمر ، ليبيا ، موريتانيا ، بوروندي ، الى جانب مشروع القرار ، بينما تحدث كل من ممثلي السنغال ، غانا ، سيراليون ، توجو (تبنت موقف الرئيس السادات) ، ساحل العاج ، كينيا ، في حين غيرت نيجيريا موقفها بعد الانقلاب الذي وقع هناك في ٧٥/٧/٢٩ وأطاح بالرئيس السابق يعقوب جوون ، وأعلنت انها لن تبدي رأيها في هذا القرار ما دام ممثلها لم يتلق تعليمات من قادة بلاده الجدد ، كما تبنت بعض الدول الاخرى موقفا انطلق من موقف بلاده المتكامل مع الاجماع الافريقي ورفضه تأييد ما لا يحظى بالاجماع . وبذلك وقع مؤتمر الرؤساء بنفس الموقف الصعب الذي وقع به مؤتمر وزراء الخارجية ، مما حمل المؤتمر على تشكيل لجنة مصغرة من كل من زائير ، غانا ، الجزائر ، موريتانيا ، منظمة التحرير الفلسطينية ، في محاولة للتوصل الى صيغة يمكن أن تحظى بالاجماع . وعلى الفور اجتمعت هذه اللجنة ولكنها وبعد ساعتين من العمل المستمر لم تصل الى صيغة موحدة متفق عليها . اذ أعلن ممثل غانا ، أن بلاده لن توافق على أي نص يذكر بوضوح (طرد اسرائيل من الامم المتحدة)، وكذلك زائير بينما أصر ممثل منظمة التحرير الفلسطينية على موقفه المنسجم مع نص المشروع المطروح على الرؤساء . وعادت اللجنة لتنقل عدم اتفاقها الى الرؤساء مما فتح باب التعديلات على الفقرة العاملة رقم (١١) في المشروع وقد أوشك الصباح على البزوغ من تلك الليلة . فاقترحت غانا تعديلا اقتص جوهر المشروع الاصلي ولكنه رفض ثم اقترحت ساحل العاج تعديلا آخر ولكن الجزائر أدخلت تعديلا على تعديل ساحل العاج أعادت فيه ذلك الجوهر ، ثم تدخلت ليبيا فعززت من تعديل الجزائر ، واختتم نقاش طويل حول هذه التعديلات كاد أن يصل الى طريق مسدود لولا تدخل الاخ ابو عمار فأدخل تعديلا على هذه التعديلات معلنا حرصه على وحدة افريقيا وحرصه على وقوف افريقيا الى جانب قضية فلسطين ، فقوبل هذا التعديل بتصفيق حاد ، وأعلن الرئيس عيدي امين رئيس الجلسة قبول المؤتمر للنص النهائي الذي أدخل عليه الاخ ابو عمار تعديله الاخير ، غير ان اسراع زائير في اعلان تحفظها على هذا القرار قد فسح المجال للسنغال لكي تعلن تحفظها أيضا على هذا القرار بعد أن أعلنت موافقتها عليه ، وذلك بحجة انه لم يحظ بالاجماع ، وتبع السنغال في هذا الموقف كل من غانا ، سيراليون ، ليبريا ، والغريب ان ساحل العاج صاحبة التعديل الاصلي بعد أن تأكدت من موقف زائير والسنغال وغانا وليبريا طلبت سحب تعديلها والابقاء على

النص الاصلي للبحث من جديد وذلك في محاولة منها لتعقيد الامور بعد أن شعرت بقبول المؤتمر له مع التعديلات عليه . ولكن ذلك كان متأخرا ، فقد أعلن الرئيس عيدي أمين ان القرار قد تم قبوله من المؤتمر وانتهى الامر ، واثر ذلك أعلنت ساحل العاج عن تحفظها عليه بحجة انه لم يحظ بالاجماع الافريقي . ومن الواضح ان مؤتمر القمة الافريقي قد واجه حالة مماثلة لما واجهه مؤتمر وزراء الخارجية ، اذ أنه بينما كان يعيش البحث المضني في هذا الموضوع وصلت اوراق الانباء ان كيسنجر قد خرج من قاعة اجتماعات الاربعة الغربيين الكبار في هلسنكي وأعلن أن الاربعة الكبار يعارضون طرد اسرائيل في الامم المتحدة ثم عاد ثانية الى اجتماعه معهم . وكان وقع هذا على المؤتمر ، تماما كما كان وقع تصريح الرئيس السادات على مؤتمر وزراء الخارجية وان كان بصورة خفية . وقبل أن ينهي مؤتمر الرؤساء جلسته في الساعة السابعة والربع صباحا كان قد أعلن انه قبل مشروع القرار الفلسطيني على الشكل التالي :

ان مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية المنعقد في دورته العادية الخامسة والعشرين في كمبالا عاصمة اوغندا في الفترة ما بين ١٨ — ٢٥ يوليو ٧٥ . اذ يذكر بالقرار الصادر عن اجتماع المجلس في دورته الرابعة والعشرين التي عقدت في اديس ابابا في الفترة ما بين ١٣ — ٢١ فبراير ٧٥ والاعلان المنبثق عنها خاصا بفلسطين والشرق الاوسط منطلقا من احكام ومبادىء ميثاق منظمة الوحدة الافريقية وميثاق الامم المتحدة ، ومسجلا بالتقدير والاعتزاز والتضحيات البطولية التي قدمها الشعب الفلسطيني في مواجهة المعتدي الصهيوني من أجل تحرير فلسطين ، وبعد أن بحثت تطورات قضية فلسطين والموقف الخطير الناجم من استمرار اسرائيل في احتلالها للاراضي العربية واغتصابها لحقوق الشعب الفلسطيني ورفضها لقرارات الامم المتحدة والمتعلقة بهذا الخصوص وعدم الالتزام بها وخصوصا قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٣٢٣٦ في دورتها التاسعة والعشرين وتنكرها لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية في فلسطين ، وعودته الى وطنه وممتلكاته وحقه في تقرير مصيره بنفسه دون تدخل خارجي وممارسة سلطاته وسيادته الوطنية على أرضه واستمرار اغتصابها لاراضي فلسطين وتشريد شعبها .

واذ يعتبر ان قضية فلسطين هي القضية الاساسية وجوهر الصراع مع العدو الصهيوني ، واذ يعتبر ان هذا الموقف يشكل انتهاكا صارخا لميثاق الامم المتحدة وخرقا لقراراتها والاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وان استمراره يهدد السلام والامن الدوليين ، واذ يعتبر ان الانظمة العنصرية في كل من فلسطين المحتلة وتلك التي في زمبابوي وجنوب افريقيا متسامية حيث تكوينها الاستعماري العنصري ، ومرتبطة ارتباطا عضويا في سياستها الرامية لقتل حرية وكرامة الانسان . ومؤكدا من جديد شرعية كفاح شعب فلسطين من اجل استرداده حقوقه الوطنية الكاملة واذ يعتبر أن مساندة الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية للشعب الفلسطيني الشقيق في نضاله من اجل استعادة حقوقه الوطنية الثابتة في فلسطين وتقرير مصيره بنفسه هو واجب يحتمه التضامن الافريقي العربي ، واذ يعرب على يقينه ان الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي والادبي الذي تقدمه بعض الدول لاسرائيل وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية ، يمكنها من مواصلة تنفيذ سياستها العدوانية ، وترسيخ اغتصابها لفلسطين واحتلالها للاراضي العربية ، واذ يعتبر ان الابقاء على عضوية اسرائيل في منظمة الامم المتحدة أمر يتنافى مع مبادىء وميثاق الامم المتحدة وتشجيع التمرد على قراراتها . وتوافق مع الانظمة العنصرية التوسعية العدوانية :

أولا : يقرر ما يلي :

١ ــ يؤكد من جديد المساندة الكاملة والفعالة للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع لاسترجاع حقوقه الوطنية في فلسطين بما فيها حقه في العودة الى وطنه فلسطين وممتلكاته . وحقه في تقرير مصيره ودون تدخل خارجي . ممارسة حقه في السيادة على أرضه . اقامة سلطته الوطنية المستقلة .

ب ــ العمل في كافة المجالات لتجسيد الاعتراف بهذه الحقوق والالتزام بها كما تتعهد الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية باتخاذ كافة الاجراءات المناسبة من اجل تحقيق ذلك .

ج ــ العمل بين لجنة التحرير في منظمة الوحدة الافريقية ومنظمة التحرير الفلسطينية على وضع استراتيجية لتحرير فلسطين باعتبار قضية فلسطين قضية افريقية .

ثانيا : يطالب جميع الدول بمساندة الشعب الفلسطيني بكافة الوسائل في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني والعنصري لاستعادة حقوقه الوطنية كاملة ، ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق تشكل شرطا أساسيا لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

ثالثا : يطالب الامم المتحدة بالعمل على تطبيق قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين رقم ٣٢٣٦ .

رابعا : يؤكد مجددا ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ونضاله المشروع .

خامسا : يطالب الدول الاعضاء بتنفيذ كل قرارات المؤتمرات الافريقية في القمة ومجلس وزراء الخارجية الافريقيين السابق حول قضية فلسطين ووضعها موضع التطبيق في اسرع وقت .

سادسا : يؤكد من جديد انه من الضروري انجاح منظمة التحرير الفلسطينية في كفاحها لارساء الدولة المقبلة للشعب الفلسطيني وأن تعطى كافة الفرص لتأمين الاتصالات الدائمة مع حكومات الدول الاعضاء ، ويمكن أن يكون ذلك بشكل تمثيل المنظمة في عواصمها .

سابعا : يدين انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة ورفضها تطبيق اتفاقيات جنيف منذ عام ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب ، وسياستها الصهيونية في الاراضي المحتلة والتي تستهدف محو طابعها الذاتي والثقافي ويعتبر ان مثل هذه الاعمال والممارسات جرائم حرب وتحد للانسانية جمعاء .

ثامنا : يعتبر ان جميع التدابير التي اتخذتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة لتغيير معالمها البشرية والجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بما في ذلك التدابير التي استهدفت تهويد مدينة القدس الشريفة لاغية وباطلة ولا يمكن الاعتراف بها او بنتائجها .

تاسعا : يدين جميع الدول التي تقدم الدعم العسكري والاقتصادي والبشري لاسرائيل ويطالبها بالكف عن ذلك في الحال .

عاشرا : يطالب كافة الدول التي لم تقطع بعد علاقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية مع اسرائيل بأن تفعل ذلك .

الحادي عشر : يطلب من كل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية ان تتخذ الاجراءات الاكثر ملاءمة لتعزيز الضغوط الممارسة على اسرائيل في منظمة الامم المتحدة وفي الوكالات الاخرى بما في ذلك امكانية حرمانها تبعا لذلك من صفة العضوية في هذه المنظمات .

الثاني عشر : يقرر ادراج بند قضية فلسطين في جدول اعمـــال الدورة السادسة والعشرين العادية القادمة .

الثالث عشر : يطلب من الامين العام تقديم تقرير عن تطورات قضية فلسطين في الدورة القادمة .

وبالرغم من التعديل على الفقرة العاملة رقم (١١) من المشروع الاصلي ، الا ان القرار والتعديل الجديد قد حافظا على روح النص الاصلي وقبلته افريقيا بحماس وكان ذلك نصرا وتأييدا لانزال اقصى العقوبات ضد اسرائيل بما في ذلك امكانية حرمانها من العضوية في الامم المتحدة . وهذا ما كان الوفد الفلسطيني يريده في القرار وان تغيرت النصوص .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

ميزان القوى العربي ــ الاسرائيلي

١٩٧٤ ــ ١٩٧٥

الرائد الطيار حسين عويضة

سعر النسخة ٨ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي .

اطلب نسختك من قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

اسرائيل والأمم المتحدة : عضوية مشروطة

ج. هـ. جانسن

سيحاول العرب في الدورة القادمة للجمعية العامة طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، والحجة العربية لهذا الموقف ذات حدين : الحد الاول والاكثر عمومية هو ان اسرائيل تستحق الطرد لانها فشلت دوما وبثبات بتنفيذ مقررات الامم المتحدة العديدة ، وهذه النقطة توصف « بالعمومية » لان كثيرا من الدول الاعضاء تجدوا قرارات الامم المتحدة بدرجة اقل من اسرائيل . والحد الثاني للحجة العربية والاكثر اقناعا هو ان اسرائيل يتوجب عليها اكثر من اية دولة اخرى مراعاة قرارات الامم المتحدة لان الجمعية العامة وافقت على عضوية اسرائيل بناء على فهم محدد وهو الوعد الـذي قطعته بتنفيـذ قرارين مهمين جدا حول الشرق الاوسط يتعلقـان بالقـدس وحقوق الفلسطينيين . وهكذا فان الحجة العربية لا تقول فقط ان « اسرائيل تستحق الطرد لتحديها قرارات الامم المتحدة » بل ايضا « بما ان اسرائيل دخلت عضوية الامم المتحدة بشرط الوفاء بوعودها بتنفيذ قرارين محددين من قرارات الامم المتحدة فانها تستحق الطرد لانهـا تحدت هذه القرارات والكثير غيرها » .

وفيما يلي الطريقة التي فرضت بها الجمعية العامة الشروط على عضوية اسرائيل .

عضوية اسرائيل في هيئة الامم المتحدة فريدة في بابها . هذه حقيقة تنفيها اسرائيل بغضب . فاسرائيل هي الدولة الوحيدة بين دول العالم قاطبة التي خلقتها الامم المتحدة لسوء الحظ ، وهي كذلك الدولة الوحيدة التي كان قبولها في الامم المتحدة مشروطـا بشروط . وبناء عليه ، واذا لم تنفذ هذه الشروط — وهي لم تنفـذ — يصبح امـرا سليما ، بل وواجبا ضروريا ، ان تقوم الامم المتحدة بتعليق أو بانهاء عضوية اسرائيل فيهـا .

واذا ما رجع المرء الى محاضر مناقشات الامم المتحدة في اواخر العام ١٩٤٧ وأوائل العام ١٩٤٨ ، بشأن قبول عضوية اسرائيل ، فانه يكتشف الامور المعهودة نفسها : الضغط ، الاكاذيب ، وانصاف الاكاذيب ، والحملة الاعلامية ، وهي الظواهـر التي واكبت الاقتراع في الامم المتحدة من اجل خلق دولة اسرائيل .

وبنكران جميل نادر تكره اسرائيل ان تعترف بأنها خلقت بواسطة الامم المتحـدة لان هذا الاعتراف يعني انها ليست مثل غيرها من الدول ولانه يعني ايضا انها ملزمـة الزاما خاصا بطاعة قرارات المنظمة التي خلقتها . ولكن الفقرة التاسعة من اعـلان الاستقلال في اسرائيل توضح أن قرار التسليم الصادر عن الامم المتحدة هو الـذي أسبغ على الشعب اليهودي وضع الدولة . واشار ممثل اسرائيل في الامم المتحدة في خطابه الذي القاه في اعقاب قبول اسرائيل عضوا في الامـم المتحـدة الى « الصلة العضوية بين اسرائيل والامم المتحدة » .

ولقد استلزم الامر من صديقي اسرائيل انـذاك ، الولايـات المتحدة والاتحـاد

السوفياتي ، ستة اشهر ، حتى تمكنا من تمرير القرار : والحقيقة ان محاولتهم الاولى اخفقت . والواقع ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كانا الصوتين الوحيدين اللذين ارتفعا في جلسة مجلس الامن في الثاني من ديسمبر ١٩٤٨ ، دفاعا عن قبول عضوية اسرائيل . أما باقي اعضاء مجلس الامن فقد كان في تقديرهم جميعا ان قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة سابق لاوانه ، وذلك لان مستقبل فلسطين كان لا يزال على بساط البحث . وحتى في هذه المرحلة المبكرة للغاية ارتفع صوت كندا بملاحظة تحذيرية : ان قبول اسرائيل « يجب ويتحتم ان يكون مرتبطا بصورة وثيقة » باستعداد اسرائيل لتنفيذ توصيات الجمعية العامة .

وحسب الاصول المرعية الاجراء ، أحال مجلس الامن طلب القبول الى لجنة قبول الاعضاء الجدد . وبعد خمسه ايام أعلنت اللجنه انها لم تتمكن من حيازه المعلومات الضرورية التي تخولها اتخاذ قرار والبت في المسألة .

وعند استئناف مناقشة طلب العضوية في الخامس عشر من ديسمبر ، ارتأت فرنسا ان في وسع لجنة القبول اعادة النظر في المسألة ، لان الجمعية العامة كانت في هذه الاثناء قد اصدرت القرار الحاسم الرقم ١٩٤ (٣) ، وان قرار الجمعية العامة هذا لم يكتف بانشاء لجنة التوفيق بغية احلال السلام في فلسطين ، بل ان الفقرة الثانية منه أعطت الفلسطينيين كذلك الحق في العودة الى ديارهم او التعويض عليهم .

وبعدئذ ، قرر مجلس الامن ، خروجا على الاجراءات المعتادة ، التصويت على القبول . وكانت النتيجه اخفاق هذا الاقتراع في توفير الاصوات السبعة المطلوبة لتمرير القرار .

وكانت الدول التي أعطت أصواتها لصالح القبول : الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي ، واوكرانيا السوفياتية ، والارجنتين ، وكولومبيا . وكانت الدول الممتنعة بلجيكا ، وكندا ، وفرنسا ، والمملكة المتحدة ، والصين . وصوتت سوريا ضد القبول .

وتقدمت اسرائيل بطلب اخر لقبول عضويتها في فبراير ١٩٤٩ عندما كان جدول الاعمال خفيفا ، وذلك لاعطاء طلبها الاولوية في البحث . وفي هذه المرة كانت عقول كثيرة قد تغيرت او غيرت خلال الشهرين المنصرمين . فلقد أصبح المندوب الفرنسي الان مدافعا عن القبول الفوري ، وهكذا كان مندوب المملكة المتحدة .

وبقيت الصين مصرة على ضرورة التقيد بالاجراءات الاصولية ، اي احالة المسألة ثانية الى لجنة القبول . أما النرويج فوافقت .

ومرة أخرى وضع مجلس الامن الاجراءات النظامية جانبا ، فناقش المسألة في اليوم التالي مباشرة ، أي في الرابع من مارس .

وطلب مندوب المملكة المتحدة ايضاحات بشأن موقف اسرائيل حيال بعض قرارات الامم المتحدة ، وخاصة ما يتعلق بتصريحات « ممثلين رسميين لاسرائيل » أوضحوا فيها ان اسرائيل « لن تلقي بالا » لقرارات الامم المتحدة بخصوص القدس . كما ان المندوب رغب في ان يعرف ما اذا كانت اسرائيل تعترف « بالالتزام الناشيء عن القرار ١٩٤ (٣) » فيما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين « الذين لا يزالون يموتون بالمئات والذين قد يظلون على هذا الحال » .

وعند الاقتراع كانت هناك تسعة أصوات مع قبول عضوية اسرائيل ، ولم يكن بينها غير اربعة أعضاء دائمين في مجلس الامن ، لان المملكة المتحدة امتنعت عن

التصويت . وعلى الفور سارعت كل من الارجنتين ومصر الى ملاحظة ان هذا الاقتراع لا يتمشى والمادة ٢٧ ، الفقرة الثالثة ، من ميثاق هيئة الامم المتحـــدة ، التي تؤكـــد وجوب توفر التاييد الايجابي من جانب جميع الدول الدائمة العضوية الخمس لطلبات قبول العضوية .

ولقد اعترض الاتحاد السوفياتي على هذا التفسير ، فوقف مندوب المملكة المتحدة ليوضح ان امتناع بلاده لا يصل الى حد النقض (الفيتو) .

وحينما شاءت الجمعية العامة مناقشة المسألة ، اتخذت اللجنة الخاصة التابعـــة للامم المتحدة قرارها غير الاعتيادي بدعوة ممثل اسرائيل لتوضيح موقف حكومته من قرارات الجمعية العامة بشأن القدس واللاجئين . ان هذا الامر ، اي اخضاع الدولة طالبة العضوية ، لمثل هذا الامتحان ، امر فريد لم يحدث قبل ذلك ولا حدث من بعد .

وان « توضيحات » ابا ايبن لم توضح شيئا ، ولم تعط اي تعهد بشأن أية مسألة .

وفي القدس ألقى أبا ايبن باللائمة على الدول العربية ومؤسسات الامم المتحدة لعدم التزامها بالوضعية الدولية للجمعية العامة . أما بشأن المستقبل فانه لم يعد بأكثر من « نظام دولي للقدس يجب ان يقتصر اهتمامه على ادارة وحمايـــة الاماكن المقدسة » و « ضمانات ... لحماية الاماكن المقدسة في فلسطين وحرية الوصول اليها » .

أما بشأن قضية اللاجئين فلقد قرأ بيانا رسميا يلقي تبعة هذه المشكلة على عاتـــق الدول العربية ، ومن جهة ثانية اعلن ان المشكلة لا يمكن حلها « الا في اطار تسويـــة نهائية تخلق اوضاعا من التعاون بين اسرائيل وجاراتها » .

أما قضايا الحدود ، فلقد أكد ابا ايبن ان هذه المسألة متصلة بقضية اللاجئـــين ، مما يعني وجوب ارجاء طرح هاتين المشكلتين الى ما شاء الله .

واخيرا وعند اغتيال الكونت برنادوت ، عبر أبا ايبن عن « أسف عظيم » ، لكنـــه لم يقدم أية معلومات حول اعتقال الجناة .

والان ، وبعد حوالي ٣٠ عاما ، لا يزال موقف اسرائيل ازاء جميع هذه المسائل هو نفسه تقريبا : الاسترسال في العناد والتصلب .

ولقد جرى استجواب لابا ايبن في الاجتماعات الخمسة التالية للجنة الخاصة مـــن قبل ثمانية مندوبين : بلد عربي واحد ، هو لبنان ، طرح أية أسئلة . وكانت أجوبـــة أبا ايبن المشحونة بالتملص والمراوغة تكرارا للمواقف المذكورة آنفا ، بشأن جميـــع القضايا الاساسية .

ومن الطريف بالنسبة لما سيأتي ، ان ابا ايبن ألقى بالطعـــم التالي : فاذا قبلـــت اسرائيل في الجمعية العامة ، فان هذا « سيكـــون اشارة الى زيادة القوة الادبيـــة الالزامية لقراراتها » ، وان اسرائيل على خلاف الدول العربيـــة « لا تقبل النظريـــة القائلة ... ان قرارات الجمعية العامة اختيارية ويمكن اهمالها طوعيا » .

ومنذ ذلك الحين ، أصبحت اسرائيل الداعية الاساسية لهذه النظرية . ثم انه انكر كاذبا ، ان السياسة الاسرائيلية ترمي الى اعادة توطين اللاجئين في اي مكان اخر .

وتقدم لبنان باقتراح يدعو الى ارجاء قبول عضوية اسرائيل ، الى ان تعلن اسرائيل بكل وضوح قبولها بتدويل القدس ، واعادة او تعويض اللاجئين ، الا ان هذا الاقتراح رفض مع انه نال مساندة ١٩ دولة امام ٢٥ دولة عارضته .

وما ان تقدمت الولايات المتحدة واستراليا ودول اخرى بقرار بقبول عضوية اسرائيل ، حتى تقدمت تشيلي بتعديل له ، وذلك بادخال فقرة شرطية كاملة شديدة الاهمية تنص كما يلي : « ان مجلس الامن ، اذ يشير الى قرارات ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ (التقسيم) و ١١ ديسمبر ١٩٤٨ (القرار الرقم ١٩٤ — ٣ — بخصوص حقوق اللاجئين) ، واذ يحيط علما بالايضاحات والشروحات التي قدمها ممثل حكومة اسرائيل امام اللجنة الخاصة بشأن تطبيق القرارات السالفة الذكر ... »

ان هذه الفقرة الشرطية تبين بكل جلاء ان قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة كان مرهونا بموافقتها على تنفيذ قرارات الامم المتحدة .

وخلال النقاش اتفق مندوبو الصين والنرويج وفرنسا ، وحتى جنوب افريقيا ، على أن ايضاحات أبا ايبن لم تكن كافية . وفي المقابل ، لم يكتف الاتحاد السوفياتي بالاعلان عن عزمه على التصويت الايجابي الى جانب القرار بقبول عضوية اسرائيل ، بل أعلن كذلك انه سيصوت ضد التعديل التشيلي « باعتبار ان قبول اسرائيل لا ينبغي ان يكون مشروطا بأية مسألة من المسائل ودار البحث في الجمعية العامة حول قضية فلسطين » .

وبرغم ذلك جرى تبني التعديل التشيلي ، وجرى التصويت بالقبول . ثم ناقشت الجمعية العامة القرار واقرته في الحادي عشر من مايو ١٩٤٩ .

ولقد أكد مندوب السلفادور بصراحة ان ردود اسرائيل « لم تبين عزم الحكومة الاسرائيلية القاطع على تطبيق قرارات الجمعية العامة . ووصفت بلجيكا اجوبة اسرائيل بأنها « تفسيرات غير كافية » .

أما المندوب الامريكي فعلق آماله على تطبيق هذه القرارات على أيدي لجنة التوفيق الدولية ومؤتمر لوزان الذي كان آخذا مجراه . وهناك عدد اخر من المندوبين ، وبينهم مندوب فرنسا ، حذوا حذو المندوب الامريكي في ترك مسألة تجاوب اسرائيل مع قرارات الجمعية العامة ، للجنة التوفيق ومؤتمر لوزان .

ولقد حذر المندوبون العرب مرارا من عبثية هذه الامال . وأعلن مندوبون كثيرون أنهم يشاركون العرب في مخاوفهم ، لكنهم اعلنوا مع ذلك انهم سيقترعون الى جانب قرار القبول .

وخلال المناقشات ، كشف بعض مندوبي دول امريكا اللاتينية التي كانت مهتمة بمصير القدس خاصة لاسباب دينية ، ان اسرائيل اعطت دولهم ، مباشرة او مداورة ، تأكيدات تتجاوز فيما يبدو ايضاحات ابا ايبن أمام اللجنة السياسية الخاصة .

وعلى هذا اعلنت بوليفيا انها « تلقت ضمانات بأن اسرائيل ... سوف تنشيء نظاما دوليا في كل منطقة القدس تحت اشراف هيئة الامم المتحدة » . كما اعلن مندوب بيرو انه سيصوت الى جانب القرار ، لان كولومبيا ايضا — بالاضافة الى بوليفيا — تلقت ضمانات وتأكيدات « بانشاء نظام للادارة الدولية في القدس » .

وبالطبع لا حاجة بنا الى القول ، ان اسرائيل لم تكن مستعدة لا عندئذ ولا في اي وقت لاحق منذ ذلك الحين وحتى الان ، لتدويل كل منطقة القدس . وعند الاقتراع صوتت ٣٧ دولة الى جانب قبول عضوية اسرائيل ، و ١٢ ضد ، وامتنعت تسع دول .

ومع أن الولايات المتحدة كانت تبذل كل ما أوتيت من جهد لقبول اسرائيل ، ولطمأنة الامم المتحدة الى ان اسرائيل ستطبق قرارات الامم المتحدة ، فان الرئيس ترومان ،

ذلك الصديق العظيم لاسرائيل ، أرسل وفدا خاصا الى تل أبيب في نهاية ابريل ليشكو من تصلب اسرائيل في مسألتي القدس واللاجئين .

وكان لدى ترومان ما دعاه الى الشكوى من جديد ، اذ انه بعد قبول اسرائيل في الامم المتحدة بأيام قلائل ، بعث الى اسرائيل بمذكرة شديدة اللهجة تعبر عن خيبة أمله العميقة لان الوفد الاسرائيلي في مؤتمر لوزان لم يقدم اية تنازلات بشأن اللاجئين والحدود ، مما يدل على عدم اكتراث اسرائيل بقرارات الامم المتحدة .

وهكذا ثبت ان الامال التي علقتها الولايات المتحدة خلال مناقشات الامم المتحدة ، على مدى تأثير مؤتمر لوزان ، كانت واهمة ومضللة .

والواقع ان موقف اسرائيل حيال لجنة التوفيق الدولية ومؤتمر لوزان كان استغلالا وقحا . فطالما حومت فوق رأس اسرائيل ظلال من الشك بشأن ضمان عضويتها في الامم المتحدة ، فانها كانت تتظاهر الى حد ما بالتعاون لتقديم بعض التنازلات .

وما أن تم قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة حتى تخلت عن بعض الرياء والتظاهر ، واعلنت رفضها لقرارات الامم المتحدة بخصوص القدس واللاجئين ، سواء في لجنة التوفيق الدولية او في مؤتمر لوزان . لقد عبرت بصراحة في كل من اللجنة والمؤتمر عن موقف سلبي لا تزال تنهجه بعناد واصرار حتى يومنا هذا .

وان هذه الحقيقة تكشف لكل ذي عينين ان اشباه الايضاحات أو الوعود الخاصة التي بذلتها اسرائيل للمندوبين في الامم المتحدة قبل اجراء الاقتراع على عضويتها ، لم تكن صادقة او نزيهة ، بل استهدفت بكل بساطة تأمين الاصوات الضرورية المطلوبة .

ويتبين من هذا بكل جلاء ان اسرائيل لم تلب الشروط ولم تف بالتعهدات التي الزمها بها قرار قبولها ذاته في عضوية الامم المتحدة .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي

حسين ابو النمل

سعر النسخة ٨ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد الجوي

أطلب نسختك من قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ — بيروت

محاولة أولى في اطروحة : شرق الاردن الفلسطينية

عصام سخنيني

في الاساس كانت الارض في القضية الفلسطينية هي محور الصراع . لمن تكون الارض ؟ هذا هو الجوهر . واستطرادا فان الارض في الثورة الفلسطينية المعاصرة هي مسألة النضال ، ذلك ان تحرير الانسان الفلسطيني من لواجم نموه القومي والاجتماعي لا يمكن فصله الا اعتسافا عن معنى تحرير الارض اولا ، وتاريخيا ، عندما نزعت الهوية الفلسطينية عن الارض الفلسطينية في العام ١٩٤٨ انتهك الكيان الوطني للشعب الفلسطيني . وعندما أعيد بناء هذا الكيان بقيام منظمة التحرير الفلسطينية وعزز هذا البناء باعطاء المضمون الثوري له ، بدخول فصائل الثورة في اطار المنظمة ، ظل التعبير عن الكيان تعبيرا مؤسسيا مفرغا من محتوى الارض . غير ان احدى نتائج حرب العام ١٩٧٣ كانت انها أجرت تحولا أساسيا في التفكير الكياني الفلسطيني سمته الاساسية هي ارتداده الى الجذور في هذه المسألة تحديدا ، وقد تمثل ذلك في ارتباط الكيان بالارض وهو ما جرى التعبير عنه « باقامة السلطة الوطنية على الارض الفلسطينية التي يمكن انتزاعها من العدو »

ان هذه الحقيقة ميزت الفعل النضالي الفلسطيني حتى الآن بأنه ثورة زاحفة — ان جاز التعبير — من « الخارج » الى « الداخل » ، من خارج الارض المعنية بالتحرير الى الارض ذاتها . ولان الثورة في الاصل لم تكن ثورة — في — المجتمع وانما ثورة موجهة لتحرير الارض فان ولادتها في « الخارج » ، في المهجر ، لم تكن لتنتقص من ثوريتها . وهي ان كانت عملت جهدا لتثوير « الداخل » على الرغم من الظروف الصعبة التي عاكست هذا التثوير (الكبح الشديد وسيطرة العدو من جانب ، وحالة الاسترخاء الاقتصادية النسبية لجماهير الداخل من جانب آخر) فان الثورة ظلت في حجمها الاساسي خارج الارض المستهدفة بالتحرير ، ولكنها استولدت أساليب قتالية تتناسب مع هذه الحقيقة من جانب وتنسجم مع معنى « الثورة لتحرير الارض » من جانب آخر .

في ضوء هذا كان من الطبيعي أن تشد الثورة قواعد انطلاق لها — عسكرية وسياسية — في الاقطار العربية المجاورة لفلسطين . وبعد هزيمة العام ١٩٦٧ كانت شرق الاردن أكثر الاقطار العربية جذبا في هذه الناحية . ولم يكن ذلك اختيارا ذاتيا أو عرضيا ، وانما كان بالتأكيد محكوما بجملة عوامل موضوعية : ففي شرق الاردن تعيش غالبية الفلسطينيين وهم المعنيون اولا بالثورة وهم مشتلها الخصب . ومن جهة ثانية هي الارض التي تتاخم القطاع الاطول من الوطن الفلسطيني . وثالثا فان الهزيمة الحزيرانية جعلت النظام فيها — بالمقارنة مع القوى العربية الاخرى — أوهى من ان يتصدى للصعود الثوري والممارسات التي استتبعها . وكانت الثورة في بنائها قواعدها في شرق الاردن منسجمة تماما مع معنى الثورة الزاحفة من الخارج الى الداخل والذي

يعني ضمنا ضرورة توفر الارض ذات الظروف المواتية لان تكون مراكز انطلاق لممارسة عملها العسكري .

غير ان الخطأ الذي كاد أن يكون قاتلا ، والذي وقعت فيه الثورة وهي في صدد بناء قاعدة لها في شرق الاردن ، انها اعتقدت بامكانية تعايش سلطتها على هذه القاعدة ، وهي سلطة اصبحت حقيقة واقعة في المناخ الثوري الذي اشاعته من حولها ، الى جانب السلطة الهاشمية . وكان هذا الخطأ — في تقدير تقريري تأريخي — نابعا في الاساس من ان الثورة لم تفطن للوظيفة الكيانية نفسها لشرق الاردن ، بالاضافة الى الاداة اليومية المعبرة عن هذه الوظيفة الكيانية والممثلة في النظام الهاشمي . ودون الحديث باسهاب عن هذه الوظيفة الكيانية فينبغي التذكير هنا بأن شرق الاردن تحولت من واقع جغرافي بصفتها الاراضي الواقعة الى الشرق من نهر الاردن او عبره ، الى وحدة ادارية ثم حقيقة كيانية في مؤتمر استعماري عقـد في القاهرة برئاسة ونستون تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانية ، في العام ١٩٢١ ، ثم في لقاء تشرشل — الامير عبدالله في القدس في العام نفسه ، بهدف واضح ومحدد ، أفهمه الامير علنا ووافق عليه ، هو تمكين بريطانيه من تنفيذ سياستها في فلسطين غربي النهر ، ومـن ذلك التزاماتها نحو الحركة الصهيونية بانشاء « الوطن القومي اليهودي » . وقد تزامنت هذه الوظيفة مع القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها وبرز أكثر معالمها وضوحا في العام ١٩٤٨ عندما طمس الكيان الاردني الوجود الفلسطيني المستقل بضم فلسطين الوسطى (الضفة الغربية اصطلاحا) الى شرق الاردن وتجريد المواطن الفلسطيني من هويته الفلسطينية . وبعد العام ١٩٤٨ مثلت الدولة الاردنية كيـانا حاجزا ذا فعل مزدوج : فعل في داخل الكيان نفسه بقمع جميع الاتجاهات الوطنية التي نشأت بعوامل فلسطينية — فلسطينية بمعنى متجهة نحو فلسطين — خلال الفترة التي امتدت ما بين الحربين الفلسطينيتين ، وفعل من واقع ان الكيان — الدولة كان يحمي اسرائيل من اي ممارسة قتالية تأتي من خارج هذا الكيان ، وعبره . وهنا تنبغي الاشارة الى ان حلول الولايات المتحدة الاميركية محل بريطانيه في الزعامة الاستعمارية في المنطقة لم يغير من طبيعة هذه الوظيفة الكيانية لشرق الاردن لسبب واحد هو ان اسرائيل ظلت تتمتع بمرتبة « المصلحة الاولى » لاميركه كمـا كانت بالنسبة لبريطانيـه ، وبالتالي فان المحافظة على هذا الحاجز الكياني الممثل في المملكة الاردنية الهاشمية والذي يحول دون أن تتحول الاراضي المتاخمة لاسرائيل الى قاعدة انطلاق او معبر نحو المس باسرائيل ، هي مسألة ورثتها الامبريالية الاميركية عن سالفتها البريطانية .

هذه الوظيفة الكيانية لم يدخل تحليلها ضمن الفكر الثوري الفلسطيني ، واقصى ما وصل اليه هذا الفكر هو تحليل دور النظام الهاشمي وموقفه من القضية الفلسطينية دون استبار العلاقة العضوية بين الكيان والنظام وادراك انهما وجهان لعملة واحدة ، بوظيفة محددة رسمت لهما من عشرينات هذا القرن ولم يطرأ عليها تبديل . وكان الشعار الذي رفع في فترة الصعود الثوري في شرق الاردن وهي الفترة التي سبقت مجازر العام ١٩٧٠ ، والذي نص على ان « لا سلطة فوق سلطة المقاومـة » يعني الاعتراف بالسلطة الهاشمية ، واستطرادا امكانية التعايش معها . وذلك يعني ، بموجب ما ذكرنا ، امكان وجود كيانين على أرض واحدة يثبت التحليل انهما متصادمان ومتناقضان تناقضا أساسيا ما دامت وظيفة كل من الكيانين متصادمة مع الاخرى : وظيفة الاول متجهة لنقض المشروع الصهيوني ، ووظيفـة الثاني صممت ورسمت معالمها لتسهم في انجاحه واستمراره . ولكن طرح الشعار في حينه كان خطوة متقدمة نحو تثبيت السلطة الفلسطينية .

كان خطأ التحليل والممارسة المبنية عليه باهظ الثمن دفعت الثورة مقابله تصفية وجودها في شرق الاردن في أيلول ١٩٧٠ . وبجانب هذا الثمن غالي التكاليف فان فقدان الساحة الاردنية تفاعل بنتائجه ومترتباته سلبيا حتى انه يجـوز القول ان كل أزمة ــ هكذا باطلاق وبجزم ــ تعيشها الثورة راهنا مرتبطة وثيقا بفقدان ساحـة شرق الاردن وناتجة عن هذا السبب . وتكفي الاشارة للتدليل علـى ذلك الى الازمـات المتلاحقة التي تعيشها الثورة في لبنان والتي هي في جانب منها نتيجة لاضطرار الثورة الى نقل حجمها الاكبر الى الساحة اللبنانية التي تختلف بتركيبها السكاني والاقتصادي والسياسي عن شرق الاردن ، مما ولد أوضاعا جديدة في لبنان اتخذتها القوى المعادية مبررا لافتعال معاركها مع الثورة . كما تكفي الاشارة كذلك الى ان الاختلاف الذي حدث في الصف الفلسطيني بعد المجلس الوطني الثاني عشر كان في احد جوانبه ــ دون ان نقع في التبسيط ــ متسببا عن فقدان الساحـة الاردنية . فالسلطة الوطنية على الارض الفلسطينية التي سيجلو عنها العدو نظر اليها « الرافضون » على انها شريحة ستظل تحت رحمة المطرقة الاسرائيلية والسندان الهاشمي ، الامر الذي يثير التساؤل عن مدى نجاعة الشعار من وجهة النظر هذه .

ان تمثل الوظيفة الكيانية لشرق الاردن وعلاقتها بالقضيـة الفلسطينية ، واتجاه الثورة ، المحكوم لجملة عوامل موضوعية ذكرناها سابقا ، نحو اتخاذ شرق الاردن القاعدة الاساسية لها ، يطرحان ثلاث مقدمات تشكل صلب التفكير في هذه المسألة :

الاولى : ان الثورة الفلسطينية بحاجة الى قاعدة انطلاق لها ثابتة تحكم سيطرتها عليها في المدى الطويل ما دامت هي تمارس أسلوب حرب الشعب طويلة النفس . وقد أثبتت تجارب الشعوب المعاصرة ان هذه القاعدة ضرورية ضرورة مطلقة لاستمرار الثورة ، أي ثورة ، تستهدف تحرير الارض . من التجارب الايجابية كانت فيتنـام الشمالية هذه القاعدة لضمان انتصار الثورة في الجنوب .

والثانية : ان الدول العربية جميعها لن تكون هذه القاعدة التي تتمتع بالديمومة والثبات والتي تستطيع منها الثورة أن تمارس فعلها النضالي ، لسبب واحد ــ وننظر ايجابيا للموضوع ــ هو ان استراتيجية الثـورة ستصطدم في المدى البعيد حتمـا باستراتيجية الدولة فلكل حساباتها الخاصة بها ، حتى الانظمة الاكثر تقدما في المنطقة والاشد نضالية فهي ان طابقت ما بين استراتيجية الثورة واستراتيجية الدولة فان تكتيكاتها وممارساتها اليومية لا تلتقي دائما مع تكتيكات الثورة وممارساتها اليومية . ولان الدولة شكل من النظام مستقر يتمتع بالقدرة فهي سـتخضع الثورة لتكتيكاتهـا وممارساتها اليومية وليس العكس .

والثالثة : ان تغيير النظام في شرق الاردن او اسقاطه كما هو مطروح كشعار لن يحول شرق الاردن الى هذه القاعدة الثابتة للثورة الا اذا كان هذا الهدف خطوة الى تغيير البنية الكيانية نفسها لشرق الاردن . ان احلال نظام بديل للنظام الهاشمي في شرق الاردن دون اقتحام المسألة الكيانية كما هي هناك لا يعني الا خلق « نظام آخر » في سلسلة الانظمة الراهنة ، ستجد الثورة نفسها بعد أن يمكن جذوره في الارض ، انها باستراتيجيتها من حيث هي ثورة في منطق مختلف معه من حيث هو دولة . وهكذا فان اسقاط النظام كهدف ينبغي ــ لاستمرار الثورة ــ أن يستتبع أيضا الوجه الآخر من العملة : نعني الكيان نفسه . وهذه النظرة الجذرية هي الكفيلة بكبح تعارض منطق الدولة ومنطق الثورة بحيث تكون الثورة هي صاحبة المقدرات في شرق الاردن ، ويتم ذلك بخلق الكيان ــ الثورة وبنائه علـى أسس سكانية واجتماعية وسياسية تضمن

للثورة استمرارها ، وباطار جغرافي يجعل الارض (القاعـــدة ـــ المنطلق) جـــزءا اساسيا منه .

المطروح اذن بوضوح هو الغاء الكيان الاردني من جانب وبناء كيان ـــ ثورة بديل من جانب آخر . غير ان السؤال الذي يثار هنا هو هل يمكن لمثل هذه الاطروحة في تصديها للكيانية الاردنية أن تلغي هذا التراث الذي تطاول لمدة تزيد عن نصف قرن وتقفز من فوقه ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تفترض نظرة واقعية ـــ وان بايجاز ـــ الى نمو الكيانية الاردنية وتطورها :

الكيان الاردني كيان طارىء دخيل على تاريخ المنطقة مبرر وجوده الوحيد كما أسلفنا هو تمكين بريطانيه من تنفيذ سياستها في المنطقة ولم ينفك هذا المبرر عن الاستمرار بتغير الزعامة الاستعمارية . وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي مورست لتكريس الكيانية الاردنية فان اي استعراض لتاريخ شرق الاردن يكشف ان هذه المحاولات كانت تصطدم دائما بحقيقة واحدة هي ان مصالح الجماهير وتطلعاتها في شرق الاردن كانت باستمرار تتجاوز هذه الكيانية الضيقة لانها أدركت منذ البدء انها مصطنعة وبذلك لم تحملها محمل الجد . ومع تأسيس هذا الكيان في العام ١٩٢١ يلاحظ ان الحركة الوطنية العربية التي تمثلت آنذاك بالاستقلاليين الذين لجأوا الى شرق الاردن من دمشق بعد سقوط مملكة فيصل ، اعتبرته قاعدة انطلاق لها لمقارعة الفرنسيين في الشمال . وكان تحالفهم مع عبدالله ـــ قبل ردته عليهم ـــ الذي خدع الحركة الوطنية لدى قدومه من الحجاز بمزاعم التصدي للفرنسيين واستعادة عرش فيصل ، مبنيا على هذا الاساس . كما يلاحظ بعد ذلك ان هموم الحركة الوطنية في شرق الاردن كانت دائما « هموما غير كيانية » ، ودليل ذلك ان جميع الاحزاب والحركات الوطنية التي نشأت هناك كانت باستمرار امتدادات لحركات وأحزاب عربية . ومقابل ذلك فان « الاحزاب » التي أريد لها أن تكون أردنية بحتة دون امتداد عربي كانت دائما ـــ باستثناءات قليلة ـــ أحزابا مرتبطة بالنظام (بالعرش نفسه او بأركان النظام ورموزه) وبالتالي فان مصلحتها تكمن في تكريس الكيانية . اما الاستثناءات الوطنية القليلة في هذا السياق فلم يكتب لهـــا الحياة وكانت طارئة على مسار تاريخ شرق الاردن (نشير هنـــا كأمثلة الى حزب الشباب الذي قاده الدكتور ابو غنيمه من دمشق والحزب الوطني الاشتراكي) .

ما نريد استنتاجه هنا هو ان الانتمائية الكيانية الاردنية ظلت عائمة على السطح ولم تصبح من تراث الجماهير المتأصل في وجدانها الوطني لفترة طويلة من تاريخ شرق الاردن وان كانت في السنوات الاخيرة قد اتخذت لهـــا شكلا مَرَضيا . وقد بدأ هذا الشكل مع وصفي التل ومدرسته السياسية المعروفة في هذا الصدد الذي حاول منذ ما قبل العام ١٩٦٧ أن يكرس هذه الكيانية ويعصرنها . الا أن الواقع الديموغرافي لشرق الاردن جعل هذه المحاولات تتجه نحو شق المجتمع الواحد ما بين فلسطيني واردني الامر الذي تعزز مع أيلول ١٩٧٠ . وقد شهدت المرحلة ـــ ما بعد ـــ الايلولية تحولا ظاهرا في الكيانية الاردنية سمته الاساسية اقليمية شرق أردنية غير سوية ضمن المجتمع الواحد . وقد أثرت هذه الظاهرة حتى على بعض الرموز الوطنية في شرق الاردن الذين تحدثوا ، تحت شعار مراجعة مواقفهم السابقة لمجازر أيلول ، عـــن « أخطاء » الفترة السابقة وجعلوا احدهـــا تبعية الحركة الوطنية الاردنيـــة للثورة الفلسطينية . واذا كان هذا التقييم صحيحا ، وهو كذلك ، فلم يكن ذلك نتيجة خطأ الثورة او بذنبها وانما الواقع الموضوعي للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية ـــ التي نميل الى تسميتها الحركة الوطنية في الاردن ـــ هو الذي أفرز تقدم الثورة وأخذها موقعا قياديا دون الحركة الوطنية . وهو دليل آخر ، ونتيجة كذلك ، لعدم

تعمق الانتماء الكياني الاردني لدى الحركة الوطنية التي أصبحت وهي « اردنية » جزءا من الثورة وهي « فلسطينية » . وبالاضافة الى هذه الرموز الوطنية فقد وقعت بعض فصائل الثورة الفلسطينية في هذا الشرك عندما أسست برعايتها « أحزابا أردنية » و« جبهات أردنية » تحت تأثير هذا الشرخ الاقليمي الذي نشأ في شرق الاردن .

ليس من جدل في أن الجماهير في شرق الاردن لها همومها المحلية المتصلة بحياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وان هذه الهموم من ناحية نظرية تكاد ان تكون مغايرة لاهداف الثورة التي حددت بالوطن الفلسطيني . بيد ان الواقع العملي يفترض ان هموم الجماهير في شرق الاردن لا يمكن فصلها عن هموم الثورة لسببين : الاول ان الواقع السكاني في شرق الاردن حيث الغالبية هم من الفلسطينيين يفرض على الثورة أن تعالج مسألتهم السياسية والاجتماعية ما دامت تطرح نفسها ممثلة الفلسطينيين في مختلف تجمعاتهم والمعبرة عن حقوقهم ومصالحهم . وبذلك فان من حق الثورة وواجبها في آن ان تجعل نضالها متلاحما مع نضال الكتلة الفلسطينية الاكثر عددا . والسبب الثاني ان الضرورة العملية التي يفرضها اتجاه الثورة نحو تأمين قاعدة ثابتة لها قادرة من عليها أن تمارس عملها الثوري في فلسطين ، هذه الضرورة تجعل ادخال الشأن الشرق أردني ضمن اهتمامات الثـورة الاستراتيجيـة احد مكونات قدرتها علـى الاستمرار .

ان هذين السببين اللذين ذكرنا يبرران معالجة الثورة للكيانية الاردنية وتصديها لها في شكل جذري خاصة بعد أن أصبح تكريس معنى الكيانية بعد أيلول ١٩٧٠ يتخذ له شكلا مَرَضيا مبنيا على اثارة النزعة الاقليمية مما يعني سيطرة جناح من المجتمع على جناح ، سيطرة الشرق أردنيين على الفلسطينيين . وهذا الاتجاه بجانب الكبت الذي يتعرض له الفلسطينيون في مسألة علاقاتهم بالثورة يعرضهم الى كبت من نوع آخر هو حرمانهم من المشاركة السياسية وتقرير حقوقهم والدفاع عنها ضمن المجتمع الواحد الذي يعيشون فيه . ان الفلسطينيين بعد أن تعرضوا منذ العام ١٩٤٨ لحرمانهم من حمل هويتهم الوطنية المستقلة يتعرضون الآن ، فوق ذلك ، لحرمانهم مـن حقوق المواطنية الكاملة . وذلك بسبب كاف لان يجعل الكيانية في شرق الاردن تطرح من جديد على بساط البحث كاحدى المهمات المركزية للثورة ، في ضوء الحقائق التالية :

أولا انه يجب اعادة تصحيح التاريخ لجهتين : الجهة الاولى ان شرق الاردن أنشئت وحدة ادارية مستقلة ثم كيانا منفصلا قائما بذاته على ارض فلسطين التاريخية التي تمتد من البحر المتوسط حتى بادية الشام . والجهة الثانية ان من اصطلح على تسميتهم « الاردنيين من أصل فلسطيني » هم فلسطينيون أولا طمست هويتهم بمعزل عـن ارادتهم .

ثانيا ان الواقع السكاني في شرق الاردن يجب أن يؤخذ بالاعتبار لدى كل حديث عن مستقبل الكيان فغالبية السكان فلسطينيون (نحو ٨٥ بالمئة من سكان عمان العاصمة فلسطينيون) ومن حقهم ان يسهموا في بناء الكيان على غـير الاسس التي طمست هويتهم الوطنية .

ثالثا ينبغي عدم القفز من فوق ما جرى في شرق الاردن حتى الآن من نمو الاحساس بالكيانية الاردنية للسكان الشرق اردنيين وتكريسها . فهـي ان كانت دوافعها منذ البداية لغير مصلحة القضايا العربية فانه ينبغي الاقرار بأن انحصارها في اللاوعـي الجمعي للجماهير قد بدأ يأخذ أشكالا واعية من التعبير عن نفسها ، أحيانا بتأثيرات تراثية استمرارية ، وأحيانا أخرى بفعل تحريضي تمارسه الطبقات الاكثر ثراء ونفوذا

في المجتمع والمرتبطة مصالحها بالنظام والتي تعتبر هي والنظام ان استمرارها مرهون بالوظيفة التي جرى الحديث عنها .

ورابعا ان وحدة السكان الفلسطينيين والشرق اردنيين أصبحت ذات التحام عضوي ، فوحدة المصالح والمصير المشترك لم يعودا كلاما للمجاملة وانما حقيقة صلبة ان اعتورها بعض ريب بتأثيرات طارئة فهي في المدى البعيد غير قابلة للفصم .

ان هذه الحقائق — المقدمات تقود الى نتيجة واحدة هي أن شرق الاردن بجانب انها وطن الشرق أردنيين هي أيضا وطن الفلسطينيين لا غرق ، وان « شرق الاردن الفلسطينية » هي الكيان البديل الذي يحمل ضمنا جميع الاعتبارات الراهنة والتاريخية (الفلسطينية والشرق اردنية) ولكنه في الوقت نفسه يصوغ هذه الاعتبارات من جديد لتخلتلف في الوظيفة عما انيط بالكيان الاردني حتى الآن .

هل نكون في ذلك قد وقعنا في فخ « الوطن البديل » وما تدعو اليه اسرائيل من ان الاردن هو وطن الفلسطينيين وان بامكانهم اقامة دولتهم على أرضه ؟ ان المنطقين مختلفان لان المنطلقات متناقضة من الاساس . فبينما « الوطن البديل » هو انهاء للقضية الفلسطينية بالتسليم بالوجود الاسرائيلي وبالتنازل الفلسطيني عن جزء من الوطن مقابل « وطن آخر » ، فان الاساس في « شرق الاردن الفلسطينية » هو بناء الوطن — القاعدة ، الذي هو الخطوة ذات التجسيد العملي نحو فلسطين الكبرى ، وهو الذي يمكن الفلسطينيين من اطراف الارض المرشحة للتحرير فـ « يتوسعون » من عليها الى الغرب من النهر . وباقتباس التجارب المعاصرة هو شمال فيتنام بالنسبة لجنوبها . ومن هنا الحديث عن الكيان — الثورة الذي يخضع منطق الدولة لمنطق الثورة وليس العكس، الثورة بخطوطها الاستراتيجية وبممارساتها التكتيكية اليومية . وبذلك فالقصد من الكيان الجديد هو وضعه في المواجهة الصدامية الاولى مع العدو بوعي كامل لدور المجتمع المعسكر وأسس بنيانه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وللشروط المقامة على هذه الاسس التي تضمن استمرار الثورة وعدم تحولها الى مجرد « نظام آخر » في المنطقة . كما ان المقصود من هذا الكيان الجديد — الذي يشترك في بنائه الفلسطينيون والشرق اردنيون — أن يخلق المعادل الموضوعي للتفوق الحضاري الاسرائيلي بأن يكون مركز استقطاب للقدرات الفلسطينية من مختلف أنحاء العالم ، تنتسب اليه هذه القدرات وتسهم في صنع مستقبله الحضاري ، بادراك غير متواضع لقدرات الخلق الحضاري الفلسطيني .

ان « شرق الاردن الفلسطينية » لا تعني نقض الكيان الوطني الفلسطيني كما هو معبر عنه الآن ، فهي جزء منه وتجسيد — بواقع يدخل الارض في مضمونه — لمعناه الذي هو حتى الآن تعبير من خلال المؤسسات عن وجوده . بتعبير آخر أن الكيان الوطني الفلسطيني سيجد في « شرق الاردن الفلسطينية » المحتوى الذي افتقده حتى الآن وهو الارض ، بوعي ان هذه الارض ليست هي خاتمة المطاف والنهاية التي يتوقف عند حدودها الكيان وانما هي الجزء المهد ليصبح الكيان الوطني منطبقا تماما على الارض الفلسطينية جميعا .

الاوبيك وسياسة المجابهة النفطية

رهف بدوي

كجزء من الحملة التي تشنها الدول المستهلكة للبترول على الاوبيك تتداول الاوساط النفطية اخبارا وحكايات حول امكانية انهيار سياسات التسعير التي تسير عليها المنظمة البترولية . ويقول مروجو هذه الاخبار أن انخفاض الطلب على البترول خلال العام ١٩٧٤ والهبوط الذي طرأ منذ فترة قريبة على انتاج دول الاوبيك (الذي كان معدله اليومي في ١٩٧٤ ٣٠،٦ مليون برميل فانخفض الى ٢٦،٤ مليون برميل خلال الربع الاول من السنة الحالية) يشكلان دلائل على أن امال جبهة الدول المستهلكة حول انهيار سياسة الاوبيك التسعيرية ستتحقق .

ولا يتطلب الامر كثيرا من التدقيق لنتبين ان ترويج مثل هذه الافكار لا يستند الى اية اسس اقتصادية وسياسية جدية ، ولا يتعدى كونه جزءا من الحملة الاقتصادية والايديولوجية والسياسية التي ما فتئت الدول المستهلكة تشنها على منظمة الاوبيك . وكما هو معروف تأتي هذه الحملة ضمن اطار سياسة المواجهة التي تتبعها حاليا جبهة الدول المستهلكة بقيادة الولايات المتحدة ، في حين تدعو دول الاوبيك (والدول المنتجة للمواد الخام عموما) كما سنرى ، لاتباع سياسات يكون اساسها التعاون بين الطرفين المعنيين لحل المشكلات الاقتصادية العالمية الكبرى والتي لا تنحصر بالتأكيد بموضوع النفط وحده .

من هنا ضرورة القاء نظرة موضوعية على العوامل الاقتصادية والسياسية المؤثرة في صنع سياسات الاوبيك وفي تضامن اعضائها وفي قدرتها على الوقوف في وجه الحرب المعلنة عليها . وقد برزت القوة الكامنة في التضامن بين دول الاوبيك فيما بينها من ناحية ومع الدول المنتجة للمواد الاولية من ناحية ثانية في فشل المؤتمر التحضيري المنعقد في نيسان ١٩٧٥ في باريس نتيجة الجبهة الصلبة التي واجهت بها دول العالم الثالث محاولات الدول المستهلكة املاء شروط المؤتمر وجدول أعماله . وبما ان هذا التضامن يزعج الدول المستهلكة الصناعية الى اقصى حد ، تقوم اوساطها برسم صورة عن الاوبيك تجعلها لا أكثر ولا اقل من تراست أو كارتيل احتكارية عادية . في حين أن سياسات الاوبيك الرئيسية لا تتبلور الا نتيجة مجموعة من الحلول الوسط والتنازلات المتبادلة وبعد مناقشات مطولة وجدل عميق تأخذ كلها بعين الاعتبار مصالح الدول المستهلكة ، وليس في كل هذا أية سمة من السمات التي تتميز بها المؤسسات الاحتكارية الكلاسيكية واساليب عملها . في الواقع من المآخذ التي يمكن تسجيلها على سياسة الاوبيك هنا مبالغتها في مراعاة مصالح الدول المستهلكة وترضيتها حتى على حساب مصالح الدول المنتجة . كل هذا واضح في الجهود الكبيرة والمستمرة التي تبذلها المنظمة لتحقيق ما تسميه « بالحوار البناء » بين الدول الصناعية ودول العالم الثالث بهدف الوصول الى صفقة شمولية متعددة الاوجه تسهم في حل المشكلات الاقتصادية الرئيسية التي يعاني منها النظام الرأسمالي

العالمي . واضح كذلك ان سياسات التهديد والاستفزاز التي سارت عليها جبهة الدول المستهلكة قد دعمت بالضرورة نزعات التضامن بين دول الاوبيك (والعالم الثالث عموما) وقربت بين الصقور والحمائم داخل المنظمة . في الواقع اخذ معسكر الحمائم الذي تقوده المملكة العربية السعودية (اكثر الدول قوة ونفوذا داخل الاوبيك والداعية الكبرى للاعتدال ولكبح اندفاع الصقور والسياسات التي يقترحونها) يشعر بالاحراج . فهناك دلائل تشير انه حتى المملكة العربية السعودية اخذت تدرس امكانات التخلي تدريجيا عن هذا الدور التقليدي نتيجة تعنت الدول المستهلكة وعدم تجاوبها مع سياسات الاعتدال التي تمكنت السعودية من فرضها حتى الان . وقد ذكرت مصادر سعودية رفيعة انه اذا لم تبد الدول المستهلكة اهتماما جديا في المستقبل القريب باجراء « حوار بناء » مع الدول المنتجة فان السعودية ستعدل سياساتها التقليدية وستماشي بقية الدول الاعضاء في الاوبيك فيما يتعلق برفع أسعار البترول ودعم هذا الاجراء بشيء من الضبط المشترك والمنسق لعمليات الانتاج . وفي حال تفاقم المجابهة بين الطرفين لا يبدو أن السعودية ستتخلى عن شركائها في الأوبيك بل ستتضامن معهم للدفاع عن المصالح المشتركة للدول الاعضاء بكافة الوسائل بما فيها تخفيض الانتاج اذا دعت الحاجة لذلك . خلاصة القول هي أن الاوبيك وليدة الازمات وقد برهنت حتى الان ان الازمات تزيدها قوة وتضامنا بدلا من أن تضعفها مما يكذب الاخبار والاشاعات التي تتداولها وتروجها اوساط الدول المستهلكة حول المنظمة .

من أهم المصادر التي تمد الاوبيك بقوتها ومناعتها طبيعة التوزيع القائم في قدرات أعضائها على الانتاج . فبلدان الاوبيك الكثيفة بالسكان والمحتاجة الى تنفيذ خطط ضخمة للتنمية (ايران ، الجزائر ، العراق ، فنزويلا ، اندونيسيا ، الخ) تفتقر الى الاحتياطي النفطي الكبير مما يمنعها من الدخول في أية مزاحمة في ميدان بيع النفط عن طريق تخفيض الاسعار اذ أن مثل هذا التخفيض يضر بمصالحها الحيوية . ومن ناحية اخرى نجد أن بلدان الاوبيك التي تملك احتياطيا نفطيا ضخما وانتاجا كبيرا (مثلا المملكة العربية السعودية ،الكويت ، ابو ظبي ، ليبيا) قليلة السكان وذات حاجات تنموية محدودة نسبيا مما يعني أيضا انه لا مصلحة لها في خفض الاسعار لبيع المزيد من البترول اذ أن دخلها الحالي يفيض عن حاجاتها . على سبيل المثال لم تتمكن السعودية في ١٩٧٤ من استخدام أكثر من ٤ مليارات دولار في حقول التنمية الداخلية من أصل عائدات نفطها المقدرة بـ ٢٥ مليار دولار . هذا على الرغم من أن المساعدات الخارجية التي تقدمها السعودية تقدر بحوالي ٢ — ٣ مليارات دولار . أي ان السعودية احتفظت بفائض يبلغ حوالي ١٨ مليون دولار في ذلك العام فقط . يضاف الى ذلك ان أي خفض من انتاج البترول السعودي الى حدود ٥،٩ أو ٦ ملايين برميل في اليوم سيكون لصالح السعودية على المدى البعيد . وفي مقابلة مع الصحيفة الامريكية « الواشنطن ستار » قال وزير النفط السعودي ، أحمد زكي اليماني ، انه بامكان بلاده تخفيض انتاجها الى حوالي ٢ او ٣ ملايين برميل في اليوم اذا دعت الحاجة الى ذلك مؤكدا بأن الدول المستهلكة غير قادرة وحدها على تخفيض أسعار النفط لان القرار في هذا الشأن هو بيد الدول المنتجة . نستنتج اذن انه لا مصلحة لاي طرف عربي في الاوبيك بخفض الاسعار وزيادة الانتاج خاصة وأن الضغوط الاقتصادية داخل الدول المنتجة لا تعمل بهذا الاتجاه بل بالاتجاه المعاكس ، من هنا رفض دولة محافظة جدا وفي غاية الاعتدال في سياساتها النفطية مثل السعودية اي املاء لمستوى الاسعار من قبل جبهة الدول المستهلكة بقيادة الولايات المتحدة ومقاومتها لمحاولات تحطيم الاوبيك الاتية من جانب وكالة الطاقة الدولية .

واذا نظرنا الى دولة منتجه كبيرة اخرى هي ايران ، نجد أن انتاجها في ١٩٧٤ وصل الى معدل ٦ ملايين برميل في اليوم في حين ان طاقتها القصوى على الانتاج لا تتعدى ٦،٥ ملايين برميل . ومن المعروف ان الابقاء على هذا المعدل العلني غير ممكن بدون عمليات الدفع بالغاز ، وهي عمليات مرتفعة التكاليف وتحرم ايران من عائدات تصدير الغاز المستخدم على النحو المذكور . لذلك تتمحور استراتيجية ايران النفطية — واستراتيجية فنزويلا ايضا — حول العمل لرفع الدخل المتاتي من كل برميل الى أقصى حد ممكن (وليس مجرد زيادة هذا الدخل فحسب) . ولهذا السبب تأخذ ايران موقفا متشددا جدا داخل الاوبيك حول موضوعات مثل زيادة الاسعار وربطهـا بمعدلات التضخم العالمي .

لا بد من الاشارة هنا الى نقطة تفصيلية لان اوساط الدول المستهلكة تريد أن ترى فيها دليلا على ضعف قائم داخل الاوبيك . معروف ان الجزائر والعراق وليبيا تقـدم حسومات على مبيعاتها البترولية في البحر الابيض المتوسط عن طريق تقديم شروط أفضل للتسليف والدخول في صفقات مقايضة مع دول ثالثة تعود الى بيع البترول في السوق بأسعار مخفضة . فعند تدقيق النظر في هذه الممارسة نجد أنها لا تشكل في الحقيقة نقطة ضعف في جبهة الاوبيك لان الدول المعنية تلجأ الى هذا الاسلوب فـي التعامل احيانا لتفادي اعلان هذه الحسومات بصورة رسمية بحيث لا يجري تدوينها في عقود مبيع البترول الخام . بهذه الطريقة تجعل الدول المذكورة اسعارها قريبـة من أسعار بترول دول الخليج التي انخفضت نوعا ما بسبب الانخفاض الكبير الذي طرأ على نفقات الشحن في ناقلات النفط . بعبارة اخرى عن طريق اجراء حسومات غير رسمية على بعض المبيعات الهامشية تتجنب الدول المعنية الوقوع في فخ تخفيض أسعارها على كافة مبيعاتها النفطية . ومن ناحية اخرى فان اضطرار هذه الدول الى تقديم مثل هذه الحسومات في بعض الاحيان لا بد وان يشكل حافزا لها للعمل على استعادة خسائرها عن طريق الضغط لربط أسعار البترول في أقرب وقت ممكـن بمعدلات التضخم المالي العالمي .

كانت جبهة الدول المستهلكة تزعم دوما أن انخفاض نسب انتاج البترول بالقياس الى طاقة الانتاج الكلية في كل بلد من البلدان المنتجة سوف يؤدي الى خفض الاسعار بصورة مشابهة للانخفاض الذي طرأ على الاسعار في الستينات . هنا لا بد من التدقيق في هذه المقارنة . في الستينات كان انتاج القسم الاكبر من بترول دول الاوبيك خاضعا للشركات الاجنبية صاحبة الامتياز وموظفا في خدمة مصالحها . وكان الهم الاكبـر لهذه الشركات هو استرداد استثماراتها بأسرع وقت ممكن برفع الانتاج حتى لو كان ذلك يعني الحاق الضرر بالحقول . أما اليوم وبعد أن انتقلت سلطة اتخاذ القرار فيما يتعلق بقضايا مثل الاسعار وهامش الارباح العائدة للشركات ومعدلات الانتاج الى حكومات الدول البترولية نفسها فقد توقفت كافة هذه الممارسات الضارة . يضـاف الى ذلك أن الحكومات بحكم كونها المالكة الاولى لوسائل انتاج البترول (أما عن طريق التأميم أو اتفاقيات المشاركة) لا تهتم بعامل الوقت وتأثيره على الاستثمارات والارباح على طريقة الشركات الاستغلالية . في الواقع ترى بعض هذه الحكومات انه علـى الرغم من عدم حاجتها الى اية وسائل اضافية لانتاج البترول في السنوات القليلـة القادمة من المفيد الاستثمار في هذا المجال الان بسبب الارتفاع المتوقع في النفقات نتيجة التضخم النقدي العالمي .

أما فيما يتعلق بمقدرة الاوبيك على مواجهة أي انخفاض في الطلب على البترول (تفرضه الدول المستهلكة) بنجاح ومرونة كبيرة فيتضح من الجدول التالي :

البلد	معدل الانتاج للربع الاول من ١٩٧٤ (بالاف البراميل)	معدل الانتاج للربع الاول من ١٩٧٥ (بالاف البراميل)	نسبة التغيير الطارئة من ١٩٧٤	الطاقة القصوى (بالاف البراميل)	معدل الانتاج لعام ١٩٧٤ نسبة الى الطاقة القصوى	معدل الانتاج للربع الاول بالنسبة للطاقة القصوى
السعودية	٨٤٧٩	٦٠٦٠	—١٦٫٧٣	١١٢٠٠	٧٥٫٧٠	٦٣٫٠٣
ايران	٦٠٢١	٥٦٧٤	—٥٫٧٤	٦٥٠٠	٩٦٫٦٣	٨٧٫٢٩
الكويت	٢٥٤٧	٢١٧٠	—١٤٫٨٠	٣٠٠٠	٨٤٫٩٠	٧٢٫٣٣
العراق	١٨٧٠	٢٠٣٣	+٨٫٧٠	٢٦٠٠	٧١٫٩٢	٧٨٫١٩
دولة الامارات العربية المتحدة	٦٧٩	١١٩٨	—٢٨٫٦٤	٢٢٤٠	٧٤٫٩٥	٥٣٫٤٨
قطر	٥١٩	٤٨١	—٧٫٣٢	٦٥٠	٧٩٫٨٤	٧٤٫٠٠
فنزويلا	٢٩٧٦	٢٦٤٨	—١١٫٠٢	٣٠٠٠	٩٩٫٢٠	٨٨٫٢٦
نيجيريا	٢٢٥٦	١٨٦٤	—١٧٫٣٧	٢٥٠٠	٩٠٫٢٤	٧٤٫٥٦
اندونيسيا	١٣٩٣	١٢٦٥	—٩٫١٨	١٥٠٠	٩٢٫٨٦	٨٤٫٣٣
ليبيا	١٥٢١	٩٦٠	—٣٦٫٨٨	٢٥٠٠	٦٠٫٨٤	٣٨٫٤٠
الجزائر	١٠٠١	٧٣٤	—٢٦٫٦٧	١٠٠٠	١٠٠٫٠٠	٧٣٫٤٠
الغابون	١٧٧	١٩٠	+٧٫٣٤	١٩٠	٩٣٫١٥	١٠٠٫٠٠
الايكوادور	١٧٧	١١٣	—٣٦٫١٥	٢٥٥	٦٩٫٤١	٤٤٫٣١
المجمـــوع	٣٠٦١٦	٢٦٣٩٠	—١٣٫٨٠	٣٧١٣٥	٨٢٫٤٤	٧١٫٠٦

يبين هذا الجدول ان الانخفاض في الانتاج البالغ ٤٫٢ ملايين برميل في اليوم خلال الربع الاول من ١٩٧٥ (بالقياس الى معدل الانتاج للعام ١٩٧٤) قد توزع على النحو التالي : المملكة العربية السعودية ٣٣ بالمائة . دولة الامارات العربية المتحدة ١١٫٤ بالمائة . ليبيا ١٣٫٣ بالمائة . الكويت ٨ بالمائة . أي ان هـذه البلدان الاربعـة التي تتمتع بفائض من الرساميل قد تحملت ٦٥٫٧ بالمائة من النقص في الانتاج في حين ان حصتها من مجمل انتاج دول الاوبيك تبلغ ٤٦٫٤ بالمائة . وفي كل هذا تخفيض كبـير للضغط الذي يمكن ان يتولد على الدول البترولية الكثيفة السكان والتي تنفذ خطط تنموية ضخمة وباهظة التكاليف .

ونلاحظ أيضا من خلال مقـارنة معدل الانتـاج خلال الربع الاول من ١٩٧٥ مـع معدل ١٩٧٤ أن النسبة بين انتاج المملكة العربية السعودية وطاقتها القصوى على

الانتاج قد انخفضت من ٠,٧٥ الى ٠,٦٣ ، ليبيا من ٠,٦٠ الى ٠,٣٨ ، دولة الامارات العربية المتحدة من ٠,٧٥ الى ٠,٥٤ ، الكويت من ٠,٨٥ الى ٠,٧٢ . أما الجزائر فقد كانت نسبة هذا الانخفاض في الفترة المعنية حوالي ٢٥ بالمائة وذلك لاسباب تقنية تتعلق بتدني الضغط في حقول البترول . من ناحية اخرى نجد أن معدل الانخفاض المذكور في البلدان المنتجة الاخرى (اي الكثيفة السكان والمفتقرة الى فائض في الرأسمال) كان ادنى بكثير . انخفضت هذه النسبة على النحو التالي : ايران من ٠,٩٣ الى ٠,٨٧ ، فنزويلا من ٠,٩٩ الى ٠,٨٨ ، نيجيريا من ٠,٩٠ الى ٠,٧٥ ، اندونيسيا من ٠,٩٣ الى ٠,٨٤ . واضح اذن ان الاتجاه العام داخل الاوبيك يميل لصالح البلدان المنتجة التي تحتاج الى كل عائداتها بأسرع وقت وبأعلى مستوى ممكن بسبب ظروفها الاقتصاديه والاجتماعية وخططها التنمويه والتسليحية . وعلى الرغم من أن شهر نيسان الماضي شهد مزيدا من الانخفاض في انتاج كل من السعودية وايران تبين أن هذا الاتجاه قد وصل الى مداه الاقصى . ويتوقع الخبراء بأن يشهد الربعان الثالث والاخير من ١٩٧٥ ازديادا في انتاج دول الاوبيك بحوالي مليونين الى ثلاثة ملايين برميل في اليوم بحيث يبلغ المجموع حوالي ٢٧,٥ الى ٢٨,٥ مليون برميل في اليوم . ويستند هؤلاء الخبراء في توقعاتهم الى العوامل التالية :

(١) التوقعات القائلة بأن الدول المستهلكة ستشهد تحسنا في نشاطها الصناعي خلال الاشهر الباقية من ١٩٧٥ خاصة الولايات المتحدة والمانيا الغربية مما سيؤدي الى ارتفاع الطلب على البترول .

(٢) كان الانخفاض المفاجيء على طلب البترول خلال الاشهر الاربعة الاولى من ١٩٧٥ تمويها أكثر منه حقيقة . اذ اخذت الدول الاعضاء في وكالة الطاقة الدولية تعتمد بصورة واسعة على مخزونات النفط لديها كجزء من تكتيكاتها المتفق عليها لضرب سياسة الاوبيك التسعيرية . اي لجأت الدول المستهلكة الرئيسية الى التخفيف من مشترياتها للبترول الخام في السوق الدولية على أمل كسر أسعار الاوبيك . الا ان هذا التكتيك لم ينجح اذ على الدول المستهلكة ان تعيد تزويد نفسها بالبترول للحفاظ على مخزونها بمستوياته السابقة . وبما أن مفعول قرار الاوبيك بتجميد الاسعار سينتهي في ١ تشرين الاول ١٩٧٥ من المتوقع ان تشتري الدول المستهلكة كميات كبيرة من النفط (من الدول المنتجة طبعا) قبل هذا التاريخ .وحتى لو لم يرتفع الطلب بأكثر من حوالي مليوني برميل في اليوم سيكون لذلك تأثيره الهام لصالح الاوبيك لان في هذا الاشارة الحاسمة الى انعكاس الاتجاه السابق نحو الانخفاض في الطلب .

مع ذلك ، حتى لو لم تشهد الدول المستهلكة تزايدا في نشاطها الصناعي واستمر الانخفاض في الطلب على البترول سيبقى موقف دول الاوبيك في غاية القوة حتى منتصف ثمانينات القرن على أقل تعديل . وكما سيكون باستطاعة المنظمة ان تلجأ الى عدد من الاجراءات الدفاعية والهجومية لحماية مواقعها ومصالحها . على سبيل المثال بامكان الاوبيك الاسراع في تنفيذ مخططاتها لاصلاح نظامها التسعيري والضرائبي وتصفية أية نزاعات للمنافسة بين الدول المنتجة (التي تعمل لصالح بعض انواع البترول الخام على حساب غيره) . كذلك بامكانها اتباع سياسات معينة لحماية البلدان التي يتعرض بترولها لمقاطعة من قبل الدول المستهلكة في محاولة لاستفرادها وضرب أسعارها واخضاعها . بالاضافة الى هذه الخطوات الدفاعية باستطاعة الاوبيك ايضا أخذ زمام المبادرة بزيادة أسعار النفط وربطها اما كليا او جزئيا بمعدلات التضخم وفقا لما تقتضيه ظروف المواجهة مع الدول المستهلكة . واذا دعت الحاجة بامكان الاوبيك

خفض انتاج البترول الى مستوى يقع دون مستوى الطلب العالمي مما سيرفع الاسعار بصورة اوتوماتيكية . بعبارة اخرى تملك الاوبيك القدرة على اتخاذ سلسلة من الاجراءات القوية لمواجهة أي حد مفتعل في الطلب على البترول من جانب الدول المستهلكة .

بالاضافة الى العامل الاقتصادي في قوة الاوبيك ومناعة مواقعها هناك العامل السياسي ايضا الذي يستحق بعض المعالجة . اولا ، نلاحظ ان المملكة العربية السعودية (وهي أكبر الدول المنتجة واهمها) قد مرت بتغييرات سياسية هامة منذ بداية السبعينات . لقد تخلت عن سياساتها الانعزالية القديمة ودخلت بشكل قوي في مجرى الاحداث العربية الكبيرة وشؤون الشرق الاوسط على العموم . ووصل هذا التحول الى ذروته في قرار الملك فيصل باستخدام سلاح النفط لدعم المجهود الحربي العربي خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ . كما ان وزير البترول أحمد زكي اليماني اخذ المبادرة في الوساطة بين العراق وسوريا . وقد تحولت السعودية بذلك الى واحدة من الدول الاربع الكبرى في العالم العربي واصبح لها وزنها الضخم في تسيير شؤون السياسة العربية العليا . ولا شك ان الارتباطات العربية الجديدة للسعودية والتزاماتها تجاه العالم العربي عموما تركت آثارها على سياساتها البترولية . فمع أن السعودية نجحت حتى الان في وضع حد لاتجاه الاوبيك نحو رفع الاسعار وفي تأجيل ربط مستوى الاسعار بمعدل التضخم فانها لم تتمكن من تحقيق أي تخفيض في أسعار البترول بسبب ضغط دول عربية اخرى لا تريد السعودية تدهور العلاقات معها . نلاحظ ثانيا تحسن العلاقات العربية ـ الايرانية (داخل الاوبيك وخارجها) الذي أخذ شكل حل المشكلات العالقة مع العراق بالنسبة للمسألة الكردية وشط العرب وتقرب ايران من مصر ووعدها بمساعدات مالية هامة بالاضافة الى تقربها من العرب عموما عن طريق اطلاق التصريحات المناصرة للجانب العربي في النزاع مع اسرائيل. نتيجة لكل ذلك أصبحت ايران قادرة الان على اخذ زمام المبادرة بقوه اكبر في الدفع داخل الاوبيك باتجاه رفع عائدات البترول الى أقصى حد ممكن . وهناك دول اخرى تدعم ايران في هذا الميدان بقوة مثل الجزائر والعراق وليبيا في محاولة لتخطي النزعات المعتدلة التي تصر عليها السعودية . ثالثا ، هناك عوامل عديدة تفرض على الدول المعنية عدم السكوت على أي انخفاض في عائدات النفط . ومن أهم هذه العوامل الالتزامات المالية المتزايدة للدول العربية المنتجة ازاء الدول العربية الشقيقة والدول النامية الاخرى ، تزايد نفقات التسلح في العالم العربي وايران ، وتصاعد التضخم المالي في الدول الصناعية . رابعا ، لا شك ان مستقبل أسعار النفط حتى نهاية السبعينات سيعتمد على طبيعة العلاقات بين الدول الصناعية المستهلكة ودول العالم الثالث بما في ذلك دول الاوبيك. ونتيجة سياسة المجابهة التي تتبعها الدول المستهلكة ساءت هذه العلاقات كثيرا كما هو واضح من التهديدات بالاحتلال العسكري لحقول النفط وانهيار مؤتمر باريس المذكور سابقا .

ننتقل الان لعرض الخطوط العريضة لموقف دول الاوبيك الشمولي وبرنامجها العام لان هذه الخطوط مطروحة كبديل لسياسة المواجهة والتهديد التي تسير عليها الدول المستهلكة وكسلاح للوقوف في وجه مخططات وكالة الطاقة الدولية لتدمير الاوبيك . يضاف الى ذلك ان هذا البرنامج العام سيحدد السياسات المستقبلية للمنظمة والاتجاه الذي سيسير فيه تطورها ونموها في السنوات القادمة . يبدو لنا ان أفضل مرجع متوفر يطلعنا على هذا البرنامج هو المذكرة التي أعدتها منظمة الاوبيك لتكون أساسا صالحا للمفاوضات بين الدول المستهلكة من جهة والدول المنتجة للبترول والمواد

الاولية من ناحية ثانية . واستندت هذه المذكرة بدورها الى الاراء والمواقف التي تم طرحها في المؤتمر الذي عقدته الاوبيك في الجزائر بين ٢٤ و٢٦ كانون الثاني ١٩٧٥ وحضره وزراء النفط والخارجية والمال للدول المعنية . ويتلخص هذا الموقف كما تبينه المذكرة بالنقاط التالية :

(١) لا تظرأ اية زيادات على أسعار النفط الحقيقية خلال السنوات الست القادمة . وخلال هذه المرحلة الانتقالية يجري ربط أسعار البترول بمعدل التضخم بصورة تدريجية وعلى مراحل من اجل حماية القوة الشرائية للعائدات . وبتحديد أكبر يقول هذا الاقتراح بتجميد أسعار البترول الخام على ما كانت عليه في ١ كانون الثاني ١٩٧٥ خلال السنه كلها على أن يجري رفعه فيما بعد بنسبة تعكس نسبة التضخم في ١٩٧٦ و١٩٧٧ على أن يجري تعديل هذا السعر مجددا ليتماشى كليا مع معدل التضخم بكامل مقداره خلال ١٩٧٨ — ١٩٨٠ . بعبارة اخرى سيطرأ انخفاض على الاسعار الحقيقية للبترول خلال السنوات الثلاث الاولى .

(٢) تضمن الاوبيك تزويد السوق العالمية بكميات النفط التي تحتاجها في السنوات المقبلة .

(٣) وضع خطة لاعادة تدوير البترودولارات عن طريق تقديم اعتمادات الى البلدان الصناعية المستهلكة التي تعاني من مشكلات في ميزان مدفوعاتها ، على أن تشمل هذه الخطة اعتمادات محددة لشراء البترول . أما بالنسبة للدول النامية غير المنتجة للبترول فقد جرى طرح اقتراحات لتقديم مساعدات سخية ومتنوعة لها ، مثلا وضع خطة لتزويد هذه البلدان بالاسمدة الازوتية بأسعار مخفضة جدا .

(٤) تطالب دول الاوبيك في مقابل كل ذلك بما يلي : (أ) وضع نهاية سريعة لسياسات المجابهة التي تسير عليها الدول المستهلكة حاليا والانتقال الى « الحوار البناء » على أساس من المساواة بين الدول الصناعية والعالم الثالث الذي تشكل دول الاوبيك جزءا منه . (ب) علاقات منصفة بين أسعار البترول واسعار السلع والخدمات التي تستوردها دول الاوبيك من البلدان الصناعية . (ج) بذل جهود جدية من جانب الدول الصناعية — تشرف عليها وتسهم فيها الحكومات بنفسها — لدفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم الثالث وخاصة تسهيل انتقال التكنولوجيا الحديثة والاموال الى الدول النامية ، وفتح الدول الصناعية لاسواقها امام المنتجات الصناعية الصادرة من العالم الثالث . (د) عدم وضع اية قيود على حرية دول الاوبيك في استخدام اموالها السائلة . (هـ) تنفيذ سياسات تسعيرية مناسبة فيما يتعلق بالمواد الاولية (غير البترول) الصادرة عن العالم الثالث . (و) اصلاح النظام المالي الدولي بحيث يتمكن العالم الثالث من المشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات في هذا الميدان . بعبارة أخرى تقترح الاوبيك على الدول المستهلكة الكبرى (خاصة على الولايات المتحدة) صفقة شمولية متعددة الجوانب تتناول بالاضافة الى البترول والطاقة موضوعات مثل المواد الخام (بما في ذلك الاغذية) ، وحماية القوة الشرائية لعائدات البترول والتعاون بين الطرفين في سبيل تنمية الدول المتخلفة واستفادة الاخيرة من التكنولوجيا الحديثة وكل ما يتعلق بمشكلات الاستثمار والنظام النقدي العالمي وضمان أموال الدول المنتجة . ومعروف أن سياسة الدول المستهلكة هي الاصرار على استبعاد كل هذه القضايا — الحيوية بالنسبة للعالم الثالث كله — والتركيز في « الحوار » على الموضوع الوحيد الذي يهم الدول الصناعية أي البترول والطاقة . ومنذ فشل مؤتمر باريس التحضيري لا توجد أية دلائل تشير الى

أن الدول المستهلكة قد أصبحت على استعداد اكبر لتقبل البرنامج الذي تطرحه الاوبيك على الرغم من اعتدال مطالبه اعتدالا كبيرا . وما زال خصوم الاوبيك يحاولون بكافة الوسائل بما فيها التهديد العسكري « اقناع » الدول المنتجة بأن ميزان القوى وضغوط السوق تميل لصالح الدول المستهلكة مما يعني انه بامكان هذه الدول الانتظار بدلا من الدخول في صفقات شاملة وطويلة الامد حول أسعار البترول وغيره من المواد الاولية الاستراتيجية مع الدول المنتجة لهذه السلع . وما من شك ان بعض الدول المستهلكة تعد حساباتها للوصول الى أهدافها على اساس ان الانتظار قد يفكك جبهة الاوبيك وان انخفاض الطلب على البترول وتدني أسعاره سيضربان بالضرورة سياسات الاوبيك التسعيرية . ومن هنا ضرورة اليقظة والتنبه من جانب الاوبيك لتفشيل الحسابات التي يضعها المعسكر الخصم في حربه على الدول المنتجة .

لقد أوضحت مصادر الاوبيك بأن برنامجها ومقترحاتها المذكورة قابلة للتفاوض في تفاصيلها ولكن ليس في مبادئها وخطوطها العامة . كما المحت الى امكانية تمديد تجميد الاسعار الذي فرضته المنظمة حتى نهاية ١٩٧٦ اذا استجابت الجبهة الاخرى استجابة مرضية وجدية على المقترحات اياها .

أما اذا استمرت سياسات المجابهة والتهديد فان الحد الادنى لمـــا يمكن ان تفعله الاوبيك في ردود فعلها نجده في ما ذكرناه سابقا على لسان السعودية . وقد لا تقف الامور عند هذا الحد ، كما المحت الى ذلك حتى السعودية ، اذ قد تضطر دول الاوبيك عندئذ الى خفض الانتاج بصورة كبيرة ومنسقة لحماية مواقعها وعائداتها وبترولها . ولا نستبعد أبدا ان يؤدي مثل هذا الاجراء الى مغامرات عسكرية من جانب الولايات المتحدة ينبغي أن نكون مستعدين لمواجهتها ومنعها من تحقيق أهدافها في السيطرة على حقول البترول .

صدر عن مركز الابحـــاث

فلسطين

في مذكرات القاوقجي

١٩٣٦ — ١٩٤٨

اعداد الدكتورة خيرية قـــاسمية

سعر النسخة ١٢ ل.ل. يضاف اليهـــا اجـــور البريد الجـــوي .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحـــاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

اسرائيل والاحتكارات النفطية

الدكتور سلمان رشيد سلمان

ان التعرض لدور اسرائيل في الشرق الاوسط يقودنا الى معرفة دورها في المخطط الامريكي والقاضي بالسيطرة على الموارد النفطية وضرب اي تحرك جدي عربي لوضع هذه الثروة المهمة في ايدي اصحابها ، وسيتعرض هذا البحث لدور اسرائيل في هذا المخطط ، وتاثير ازمة النفط على اسرائيل ثم وجهة نظر السياسيين الاسرائيليين في هذه الازمة ، وموقف اسرائيل من هذه الازمة .

لقد فكر قادة الصهيونية وخالقو اسرائيل في جعلها منذ البداية كقاعدة امامية للاستعمار الغربي والاوربي ولقد ذكر هرتزل في ان واجب اسرائيل « ان تكون متراسا لاوروبا ضد آسيا ، ان تكون مخفرا اماميا للحضارة ضد البربرية »(١) . وكانت الصهيونية العالمية كريمة في اعطاء الوعود الى كل الدول الاستعمارية التي كانت ستفيدها في اقامة الوطن القومي اليهودي ، فقد ابدى قادة الصهيونية استعدادهم للتعاون مع الدولة العثمانية من اجل اقامة دولة يهودية مقابل اسناد الصهيونية للدولة العثمانية ماديا وكذلك تعاملت الصهيونية مع اطراف عديدة كالمانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية(٢)، ووضعت ثقلها في الحرب العالمية الاولى الى جانب انكلترا وحصلت مقابل ذلك على وعد بلفور القاضي بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ونتج عن ذلك قيام تحالف بين انكلترا واسرائيل اسفر عن تحرك اسرائيل ضد مصر حينما عملت الاخيرة على تأميم قناة السويس ، الا ان الفشل الذي اصاب انكلترا في هذه الحرب قد عزز مواقع امريكا في الشرق الاوسط وبالتالي فقد اتجهت اسرائيل نحو التحالف مع الجناح الاكثر قوة. ان من الضروري ملاحظة ان هذا الانتقال الاسرائيلي قد صاحبه تزايد في نسبة الاحتكارات النفطية الامريكية على حساب انخفاض الاحتكارات النفطية البريطانية ، حتى بلغت نسبة الاحتكارات النفطية الامريكية ٦٠ بالمائة من مجموع الاحتكارات النفطية العالمية في الشرق الاوسط(٣).

هذه الاحتكارات التي تعمل لاسناد اسرائيل وليس ذلك بالشيء العجيب فالرأسمالية اليهودية تسيطر على اكبر الشركات والبنوك في اوروبا الغربية وامريكا ولها حصص كبيرة في معظم الشركات الاحتكارية النفطية ومن هنا فان الدور المتداخل الذي تلعبه اسرائيل في حماية الاحتكارات النفطية وفي الاستفادة منها يغدو في منتهى التوافق والانسجام ، وقد ذكر هايمان ليومير بعض الحقائق عن الحركة الصهيونية واسرائيل قائلا(٤) « تقف على رأس الحركة الصهيونية العاملة اليوم مجموعة متنفذة جدا من الرأسماليين اليهود . . . وهي المجموعة ذاتها التي تزود اسرائيل بحصة الاسد من الهبات الضخمة ، التي تتلقاها من الولايات المتحدة الامريكية كل عام ، وهي المشتري الرئيسي للسندات الاسرائيلية ، علاوة على انها هي بالذات التي تستثمر اموالا كثيرة جدا في فلسطين المحتلة وتمارس نفوذا وتأثيرا ايديولوجيين واسعين في عقر دار الاستعمار الامريكي » .

لقد كان الغرض من اقامة اسرائيل : ١ ــ السيطرة على اهم منطقة استراتيجية في العالم . ٢ ــ حراسة موارد النفط الغنية والمهمة في الشرق الاوسط . ٣ ــ الوقوف ضد حركات التحرر والتي من اهم اهدافها التحرر السياسي والاقتصادي وبالتالي السيطرة الوطنية على موارد النفط .

لقد عبر جرشوم شوكسن عام ١٩٥١ عن الدور الذي ينبغي لاسرائيل ان تلعبه في الشرق الاوسط بهذه الكلمات « ان تقوية اسرائيل يساعد الدول الغربية على المحافظة على التوازن والاستقرار في الشرق الاوسط ، وان على اسرائيل ان تلعب دور كلب الحراسة ، وليس هناك خوف من ان تمارس اسرائيل سياسة عدوانية تجاه الدول العربية اذا كان ذلك يتعارض مع رغبات الولايات المتحدة وبريطانيا ، ولكن ولاي سبب كان فان فضلت الدول الغربية ان تغلق عيونها فبالامكان الاعتماد على اسرائيل للقيام بمعاقبة واحدة او اكثر من الدول المجاورة التي تجاوزت تصرفاتها تجاه الغرب ، حدود اللياقة المسموح بها »(٥) .

ولقد لعبت اسرائيل بالضبط الدور الذي انيط بها في سنة ١٩٥٦ وفي حزيران ١٩٦٧ لضرب الانظمة التي ارادت امريكا ان تعاقبها ومن هنا جاء الاستبشار بنتائج حرب حزيران فقد ذكر احد الكتاب الامريكيين بان « عضلات اسرائيل مع مرونة الولايات المتحدة ، اعطت نتائج مرضية ، وكفائدة غير مباشرة لحرب اسرائيل الخاطفة فان الولايات المتحدة ستكون على الاقل في موقع قوي لتحييد الشرق الاوسط ، حتى يمكن تسويق نفطه بصورة رابحة واستعمال ممراته المائية لفائدة التجارة العالمية(٦) وضرح دين راسك بعد حزيران ١٩٦٧ قائلا « ان نتائج القتال كانت انتصارا للغرب بكل معنى الكلمة »(٧)، اما لجنة الكونجرس الخاصة بالسلام في الشرق الاوسط فقد ذكرت بان « السلام في الشرق الاوسط كان يواجه تهديدا حقيقيا من السياسات التقدمية التي تتبعها الجمهورية العربية المتحدة وحلفاؤها والتي كان يعتقد بانها تعمل لالحاق الضرر بالمصالح الامريكية والبريطانية في المنطقة وتساعد على انتشار الشيوعية »(٨) .

لقد لخص شموئيل يعري دور اسرائيل في الحقبة الماضية قائلا بأن « اسرائيل ساهمت في استقرار المنطقة التي تعتبر الدول الرجعية دعامتها ، وترسيخ النفوذ الامريكي وطرد النفوذ السوفييتي ، لقد خرج الغرب رابحا في ١٩٦٧ لان اسرائيل حطمت الحرية الناصرية لازالة النفوذ الغربي وانظمة الحكم الموالية للغرب في الشرق الاوسط ، لذلك فان اي تحول في موقف الولايات المتحدة سيؤدي الى اضعاف وضع اسرائيل ازاء مصر سيساعد على تجديد انقضاض الثوريين العرب والسوفيات من ورائهم ضد الرجعية العربية ومصالح النفط الغربية »(٩) .

بدأ الحديث عما يسمى بأزمة النفط منذ مطلع ١٩٧٢ ، ولقد دللت الاحصائيات على ان اعتماد الغرب وامريكا واليابان على نفط الشرق الاوسط وشمال افريقيا سيتزايد في السنين القادمة ، فالولايات المتحدة تواجه حالة جديدة فهي تستورد الان نحو ٤ ملايين برميل في اليوم عشرها فقط من منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا الا ان الولايات المتحدة ستستورد حوالي ١٥ مليون برميل بعد عام ١٩٨٥ معظمها من هذه المنطقة ويقدر خبراء النفط كلفة هذه الكميات من النفط بحوالي ٣٠ ــ ٣٥ مليار دولار سنويا(١٠)، وسيبلغ احتياج العالم حوالي ١٠٠٠٠ مليون طن في سنة ١٩٨٠ معظمها من دول الشرق الاوسط ، تستهلك الولايات المتحدة منها حوالي ٦٠٠ مليون طن(١١) . وذكر السناتور هانس بان امريكا ستواجه ازمة في الشرق الاوسط للاسباب التالية : ١ ــ ان الحرب في الشرق الاوسط قد تؤثر على ضخ النفط . ٢ ــ ان الاعتماد على

النفط سيؤدي الى عجز في ميزان المدفوعات الامريكي . ٣ ـ ان وضع امريكا كقوة عالمية سيصبح مهددا(١٢) .

وصرح نيكسون في اليوم السادس من حرب تشرين قائلا : « ان انفجار الوضع في الشرق الاوسط يذكرنا مرة اخرى بمدى اعتماد الولايات المتحدة واوروبا واليابان على شحنات النفط في الشرق الاوسط »(١٣) .

ان هذا التخوف قد دفع الولايات المتحدة للتحرك دبلوماسيا في الشرق الاوسط في بداية ١٩٧٣ من اجل تجميد الوضع في الشرق الاوسط وفي نفس الوقت اغداق السلاح على اسرائيل لتقوم بدورها في حالة الحاجة اليها ولقد كانت اسرائيل مدركة لهذه المخاوف لذلك توجهت جولدا مئير الى امريكا لتناقش هذه القضية مع نيكسون ولقد اوضح يوئيل ماركوس القضايا التي اثارتها مئير مع نيكسون قائلا : « لقد اوضحنا للادارة والجمهور الامريكي انه لن تكون هناك فيتنام ثانية وانه لن يسفك الدم الامريكي ، لقد قلنا أعطونا الادوات ونحن نقوم بالمهمة » واضاف « لقد اوضحنا للامريكيين بان اسرائيل قوية وذات وسائل ردع لن تبعث باليأس في نفوس العرب من الحلول العسكرية ، ولن تقرب بالتالي امكان السلام فقط ، بل ستحول دون تحول النزاع الى نزاع عالمي . لقد ادى صمودنا في حرب الاستنزاف الى خروج الروس من مصر خلافا لكل توقع ، لقد بينا بان اسرائيل قوية هي ضمانة للمحافظة على المصالح الامريكية في المنطقة ولقد اوضحنا بان الجيش الاسرائيلي ، بقوته المطلقة لا النسبية ، هو خط الدفاع الاول عن المصالح الامريكية في حوض البحر الابيض المتوسط اكثر من معظم دول حلف الاطلسي ، واننا الضمانة الوحيدة للمحافظة على الانظمة الاسلامية الموالية لهم في المنطقة ، مهما يبدو الامر غريبا ، فان اسرائيل في نهاية الامر هي التي تحمي نظام الاردن الموالي للغرب »(١٤) .

اما اليعزر ليفنه فقد ذكر الدور الذي تستلعبه اسرائيل في البحر الاحمر قائلا : « دون الجيش الاسرائيلي ذي القوة الكبيرة والقادر على العمل عند الضرورة على اتساع رقعة المنطقة وبما في ذلك مضائق باب المندب ، لن يكون لواشنطن متكأ ضد تسلط روسيا على دول النفط ، واذا جمد تعاظم القوة الاسرائيلية فستسقط ايران في فلك موسكو وينخل حلف الاطلسي »(١٥) .

لقد ركز قادة اسرائيل على ضرورة استمرار الاسناد الامريكي لاسرائيل لان الاعتماد على العرب والتخلي عن اسرائيل لن يخدم المصالح النفطية الامريكية بل سيضعها تحت رحمة الثوريين العرب ، ولقد ذكر احد السياسيين الاسرائيليين : «بأن دولة اسرائيل هي الحارس الرئيسي لاستمرار تدفق النفط من الشرق الاوسط الى اسواق العالم ، انها هي الضمانة الرئيسية لاستقرار تدفق النفط في شبه الجزيرة العربية وفي الخليج الفارسي ـ اسرائيل تسميه الفارسي ، لا العربي ـ ، ولكن المؤسف انه بالنسبة للاوروبيين الغربيين واليابانيين ، وهم الرابحون الاساسيون من ذلك ، تلعب اسرائيل دور الحارس المجاني ، بينما نظام الحكم الامريكي هو الذي ينظر بتفهم الى الدور الذي يبدو متناقضا في الظاهر والذي تلعبه اسرائيل في ساحة الشرق الاوسط » واضاف الكاتب قائلا : « في الواقع ان اسرائيل هي التي تحمي وجود الاردن وتدافع عنه ضد اخواتها العربيات ، والاردن ما هو الا دولة حاجز تحمي المملكة العربية السعودية وامارات الخليج من الغزو السوري ـ السوفييتي من الشمال والغرب ، لانه بعد الاردن يأتي دور السعودية ، ان وجود وامن دولة الحاجز العربية هذه مضمونان بواسطة اسرائيل »(١٦) ، واضاف: جرشوم شوكسن في هآرتس

قائلا :(١٧)، « ان امريكا لن تخدم مصالحها اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل دعما لمحتاج ، عليه ان يدفع ثمن المساعدة بالتنازل عن استقلاله ، وليس اتفاقا مجديا للمحافظة على المصالح الحيوية للولايات المتحدة ، وفي نهاية الامر فالولايات المتحدة تلحق ضررا ان هي تصرفت وكأن اسرائيل فقير يقف على بابها » .

واجهت هذه المخاوف الاسرائيلية حملة تطمينات امريكية بدأها الرئيس نيكسون بأن ذكر بأن تجميد الوضع في الشرق الاوسط سيتم الى أن تتوصل الولايات المتحدة الى صحة الاستغناء عن نفط الشرق الاوسط بعد خمس سنوات وذكر بأنه لن يقبل ان يبقى تحت رحمة الاوضاع في هذه المنطقة(١٨)، وفي خطاب لنيكسون حول أزمة النفط ذكر نيكسون بأن هؤلاء الذين يتطلعون الى ربط سياسة امريكا نحو اسرائيل بما يحدث في مجال النفط العربي مخطئون وذكر بأن النفط العربي لا قيمة له بدون اسواق(١٩)، وجاء كيسنجر ليضيف بأنه لن يكون هناك تغيير في سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل بسبب أزمة النفط(٢٠)، وجاءت تصريحات نائب وزير الخارجية الامريكي كينيث رش في ١٩٧٣/١١/٣٠ والتي جاء فيها(٢١) بأن قدرة اسرائيل على الدفاع عن نفسها تشكل أساسا لاتفاقية السلام ، ولن يكن لفورد ـ الرئيس الحالي ـ الا ان يدلي بدلوه في بئر التأييد لاسرائيل فقد ذكر بأن الحزبين الجمهوري والديمقراطي ملزمان بالحفاظ على بقاء اسرائيل وليس في رأيه ان تتفاوض اسرائيل مع الدول العربية من موقع ضعف لان قوة اسرائيل تعتبر الضمان الامثل لبقاء حكومات مسؤولة في منطقة الشرق الاوسط الغنية بالنفط(٢٢) .

قبل التطرق الى آراء الاسرائيليين في أزمة النفط لا بد لنا ان نتكلم عن دور اسرائيل المباشر في ضرب المصالح النفطية العربية هذا الدور الذي تبلور في قضيتين مهمتين هما :

١ ـ خط ايلات ـ عسقلان : افتتح هذا الخط في سنة ١٩٧٠ واعلن بأن طاقته ستكون لهذه السنة بحدود ٢٢ مليون طن ، وكل المعلومات تشير الى ان النفط يأتي لهذا الخط من ايران ولقد ذكرت مجلة الايكونومست البريطانية بأن طهران وتل ابيب تعملان الان جادتين لخلق محور خاص بهما(٢٣)، لقد اختصر هذا الخط المسافة بالنسبة لناقلات النفط من ٢٠ الف كيلومتر حول افريقيا الى ٢٥٠ كيلومترا(٢٤) ولقد قدرت التوفيرات من جراء استعمال هذا الخط بحوالي ٤٨ و٣٢ر٥ بالمائة من التكاليف التي تدفع لتسويق النفط عن طريق رأس الرجاء الصالح(٢٥)، الا أن هذا السبب لم يكن الدافع الرئيسي لانشاء هذا الخط الذي اعتبره زوتشيلد غير اقتصادي ، لان السبب الذي دفع بالشركات ورؤوس الاموال الامريكية للمساهمة بانشاء هذا الخط هو سبب سياسي وهو تكريس اغلاق قناة السويس والتوسع في هذا الخط لكي يكون البديل لقناة السويس حتى لا تمارس الدول الغربية ضغطا على اسرائيل نتيجة الاضرار التي تقع بها بسبب اغلاق القناة ، علاوة على أن هذا الخط سيزيد من نفوذ اسرائيل في البحر الاحمر ، ويجعلها دولة نفطية لتستطيع ان تخدم بصورة افضل المصالح الاحتكارية ، وبالفعل فان اسرائيل في الطريق الى ان تصبح دولة نفطية ، فان طاقة اسرائيل على تكرير النفط قد بلغت الان حوالي عشرة ملايين طن(٢٦). يوجد الان مصفاتان ، الاولى في اشدود بطاقة ٢ر٤ مليون طن سنويا ، والاخرى في حيفا بطاقة ٥ر٦ مليون طن سنويا ، في حين تحتاج اسرائيل الى أقل من نصف هذه الكمية والباقي يصدر الى الخارج ، ولقد ذكر بنحاس مسابير بأن طاقة اسرائيل على التكرير ستصبح عشرين مليون طن في ظرف السنين العشر المقبلة علاوة على ان

اسرائيل قد استفادت في توسيع شبكة صناعاتها البتروكيمياوية والتي تجني منها الارباح الطائلة .

لقد قدرت الطاقة التي سيعمل بها الخط في ١٩٧٠ كما ذكرنا في حدود ١٢ مليون طن، لكن اسرائيل أعلنت خلال النصف الاول من السنة على ان الخط يضخ بحدود ٤٠ مليون طن ، ولقد جرى تقدير الكمية التي يمكن لايران ان تسوقها عن طريق الخط فوجد انها تبلغ نصف طاقة الخط وهذا قاد الى الاعتقاد بأن الشركات النفطية هي التي تسوق بقية النفط(٢٧)، إن هذا الخط ما كان ليمكن ان يصبح حقيقة بدون معونة الاحتكارات النفطية ومعونة ايران في هذا المجال(٢٨) والتي تعتبر ضربة موجهة للعرب وتعاونا مكشوفا مع اسرائيل والاحتكارات النفطية ضد حقوق العرب المشروعة .

٢ ــ نفط سيناء : وقعت آبار النفط المصرية في سيناء بيد اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ولقد تبين مما نشرته الصحف الاسرائيلية حول فضائح شركة (نتيفي نفط) سنة ١٩٧٢ بأن مدير الشركة موني فريد مان كان قد عين مديرا لابار النفط في سيناء قبل حرب ١٩٦٧ مما يدل على أن اسرائيل كانت تخطط لاحتلال سيناء ونفط سيناء(٢٩)، ولقد بدأت اسرائيل باستغلال نفط سيناء مباشرة بعد حرب حزيران ولقد حققت اسرائيل ربحا قدره ٥٠٠ مليون دولار منذ بدأت استغلال هذه الابار(٣٠) وتنتج الابار يوميا نفط قيمته ٧٥٠ الف ليرة اسرائيلية وتبلغ كمية النفط المستخرجة نحو ٥ ملايين طن سنويا اي أن هذه الكمية تغطي حوالي ٧٠ بالمائة من احتياجات اسرائيل النفطية(٣١)، ولهذا السبب لم تقلق اسرائيل كثيرا عندما كان الجميع يتحدث عن أزمة النفط ، ولقد قدرت كمية النفط الموجودة في آبار سيناء الحالية بحوالي ١٢٠ مليون طن وهذه الكمية ستكفي اسرائيل لمدة عشرين سنة وهذا ما يدفع اسرائيل للاحتفاظ بهذه الابار لان التخلي عن هذه الابار سيكلف اسرائيل مليار دولار كل سنة للتزود باحتياجاتها من النفط في حالة انسحابها(٣٢) ولقد ذكر بعض المعلقين الاجانب بان اسرائيل لن تنسحب من هذه الآبار وانها ستحارب من أجل هذا النفط(٣٣)، ولقد ذكر خبير النفط الاسرائيلي يسرائيل كوزلوف بأن احد شروط السلام الحقيقية هي تأمين حاجة اسرائيل من النفط من الدول المجاورة وينبغي كنتيجة لذلك الغاء المقاطعة العربية وبدون ذلك ستكون اعادة الحقول في سيناء مجافية للمنطق وحتى خطرة(٣٤)، أما تسفي دينشتاين ، نائب وزير المال ومفوض الوقود فقد أكد على ضرورة تزويد اسرائيل بنفط سيناء وان من الضروري ان تسوق الدول العربية الاخرى النفط الى اسرائيل وان تنهي الدول العربية المقاطعة ضد اسرائيل ولن تفعل الدول العربية ذلك الا بعد أن توقف مصر حربها الاقتصادية ضد اسرائيل(٣٥)، وذكر عمير شابير(٣٦) بأن سيناء تتحول بفضل معركة النفط الى موقع اقتصادي مهم ومن الممكن ان يؤدي وعي اسرائيل لاهمية حقول النفط الى تصلب في موقفها من محاولات تحقيق حل سلمي الا مقابل تنازلات مهمة لاسرائيل .

ان اسرائيل تساوم على حق وعلى آبار ليست ملكها من أجل ان تحصل من الدول العربية على أقصى قدر من التنازلات ، منها فتح الاسواق العربية للبضائع الاسرائيلية وبدون ذلك فان اسرائيل ليست مستعدة للتنازل عن نفط سيناء .

أزمة النفط وردود الفعل الاسرائيلية

مرت اسرائيل بأزمة اقل درجة من تلك التي عانتها بعض الدول الاوروبية ويرجع سبب ذلك الى نفط سيناء ، لقد تشكلت بعد حرب تشرين لجنة وزارية خاصة بالنفط

وفرضت هذه اللجنة قيودا على استهلاك النفط والكهرباء ، وهي:(٣٧) ١ — يمنع استعمال السيارات الخاصة الا في حالات استثنائية . ٢ — تقييد سرعة السيارات خلال ايام الاسبوع . ٣ — خفض قوة الكهرباء التي يستخدمها المستهلكون . ٤ — رفع أسعار مشتقات النفط ورسوم الكهرباء .

لقد أثارت ازمة النفط ضجة على الصعيد السياسي في اسرائيل وانقسم الرأي بشأنها الى أربعة اتجاهات تتلخص في(٣٨):

١ — الاتجاه الذي لا يرى خطرا عربيا حقيقيا في استعمال النفط كسلاح سياسي حاليا ، ولكنه يحذر من تزايد القوة الاقتصادية العربية نتيجة تراكم أموال كميات النفط الكبيرة المصدرة من الدول العربية ، خصوصا الى الولايات المتحدة ويمثل هذا الاتجاه اسحاق رابين — رئيس الوزراء الحالي —(٣٩) ففي مقابلة مع دافار قال : « ثمة أزمة وقود ، وسيزداد اعتماد الولايات المتحدة على وقود الشرق الاوسط ، ويحتمل ان تستخدم الدول العربية ، من الناحية النظرية ، هذا الاعتماد كسلاح سياسي . وهذا لا يبدو لي ، في هذه اللحظة ، خطرا حقيقيا ، مع انني ارى خطرا جديدا آخر هو ظهور القوة الاقتصادية — المالية للدول العربية نتيجة المبالغ الهائلة التي يتوقع أن تتراكم خلال السنوات المقبلة . وستكون هناك اتفاقيات لاستثمار اموال من الدول العربية في الولايات المتحدة . بسبب رغبة الاخيرة في تجنب ميزان مدفوعات سلبي . واذا تطور ذلك على نطاق واسع فسنرى العالم العربي يظهر كقوة اقتصادية — مالية داخل الولايات المتحدة بمقاييس لم يكن بالامكان التنبؤ بها .

٢ — الاتجاه الذي يعتبر ان اثارة ضجة كبيرة حول ازمة النفط جاء بالاشتراك مع بعض العناصر والجهات الامريكية المؤيدة للعرب والتي تريد استغلال المشكلة للضغط على اسرائيل من أجل التوصل الى اتفاق عربي — اسرائيلي . ولقد عبر عن هذا الاتجاه يهوشع تدمور في دافار(٤٠) وجاء في هذا المقال بأن الشركات الاحتكارية تضغط على نيكسون من أجل انهاء النزاع العربي — الاسرائيلي حتى لو اقتضى الامر الضغط على اسرائيل ، وأيد تدمور دعوة السناتور جاكسون الى الوقوف بوجه الابتزاز العربي (تسمي اسرائيل استعمال العرب لحقهم الشرعي بالابتزاز العربي) عن طريق النفط والى تطوير مصادر نفط اكثر ضمانا في العالم العربي والى الاسراع في البحث العلمي حول انتاج الطاقة الذرية واستغلال وانتاج متزايدين للطاقة التي مصدرها الفحم .

٣ — الاتجاه الذي يرى بأن الشركات الامريكية تثير ازمة النفط من اجل زيادة ارباحها . وقد عبر عن هذا الاتجاه البروفيسور نداف سفران في يديعوت احرونوت(٤١)، وذكر سفران بأن الخطر الحقيقي يكمن في توقف الاستخراج ، فهو الخطوة التي يمكن ان تشل اقتصاد اوروبا الغربية واليابان ، وان تؤلم الولايات المتحدة الما شديدا وبصورة أكبر في المستقبل . وذكر بأنه اذا ما اريد ان يكون تأثير النفط ملموسا لكان على الدول العربية ان توقف الانتاج بصورة كلية وذكر بأن المرة الوحيدة التي ظهر فيها أن هناك خطر اضراب عام لمنتجي النفط عندما كان عبد الناصر في قمة قدرته على اثارة المشكلات . فلو تحققت فعلا خطته لتوحيد مصر مع سوريا والعراق ، ولولا فشل مغامرته في اليمن ، ولو نجح في اسقاط حكومة السعودية والسيطرة عليها وعلى الكويت وامارات الخليج ، استطاع حقا ، نظريا ، مسك الغرب من عنقه ، انني أؤكد نظريا ، لانه كان سيتلقى ضربة عسكرية ، قبل ان يصبح بامكانه تحقيق كل هذا ولم يكن لينقذه منها حتى الاتحاد السوفييتي ، الا اذا كان مستعدا للمخاطرة بحرب شاملة . واضاف : وقد يأتي يوم يتكشف فيه ان شبح الخطر

ذلك هو الذي أدى الى التحول الحالي في سياسة الولايات المتحدة نحو مصلحة اسرائيل .

٤ ـ الاتجاه الذي يعترف بوجود ازمة نفط ، وان لهذه الازمة انعكاسات على صعيد الصراع العربي ـ الاسرائيلي بصورة مباشرة ، خصوصا بالنسبة لنفط سيناء، ولقد عبر عن هذا الاتجاه الياهو سلفطر في سلسلة مقالات في هآرتس(٤٢). وجاء في أحد هذه المقالات « بأن الشرق الاوسط سيكون سنة ١٩٨٠ ، المصدر لتغطية ٧٧ بالمائة من عجز النفط في العالم الغربي ، وان اوربا الغربية هي التي ستعتمد عليه أساسا ، لا الولايات المتحدة . وستواجه اسرائيل ثلاثة احتمالات : ١) ان استغلال اعتماد الغرب على النفط العربي لاغراض الابتزاز السياسي موجه في الاساس ضد اسرائيل . ٢) استعمال فوائض الدخل الكبيرة المتجمعة في يد العرب لاغراض المعركة السياسية . ٣) تأمين تزويد اسرائيل بحاجتها من النفط في ظروف منافسة شديدة بين الدول الكبرى ، خصوصا اذا اضطرت اسرائيل الى التنازل عن مصادر النفط في سيناء .

وذكر بأن العرب يستطيعون أن يؤثروا على قوة الدولار بواسطة فوائض الدولارات المتجمعة لديهم(٤٣)، وذكر بأن ازمة النفط ستسبب انشقاقا داخل المعسكر الغربي وربما أدت الى تقويض الحلف الاطلسي(٤٤)، كما ذكر بأن الدول العربية تستطيع أن تؤثر من خلال المبالغ المودعة في البنوك المهمة ، وذكر بأن فائض الاموال سيمكن العرب من اغلاق تدفق النفط ، وذكر سلفطر(٤٥) بأن الموقف في اسرائيل يتلخص فيما يلي : ١) ان ضمان تزويد النفط من سيناء وآسيا سيشكل احد البنود الاكبر اهمية في أية تسوية سلمية قد تتحقق . ٢) توجد لاسرائيل مصلحة حيوية في استمرار الاستقرار في منطقة استخراج النفط من اجل تأمين تدفق النفط من تلك المنطقة .

وناقش سلفطر امكان استعمال النفط كسلاح في النزاع العربي ـ الاسرائيلي وذكر بأن ذلك مستبعد لوجود النفط الامريكي كبديل للنفط العربي.وذكر بأن امريكا نجحت من خلال اتفاقيات المشاركة ان تخلق مصلحة مالية اقوى من الماضي في استمرار ضخ النفط ، وان اعتماد اسرائيل المتزايد على تأييد الولايات المتحدة يقلل من قيمة ضغط عربي مباشر على دول اوربا الغربية التي تعتمد على النفط العربي ، وانتهى سلفطر الى القول : « في السنين التي ستمر حتى ايجاد حل ، سيحاول العرب طبعا استخدام القوة الكبيرة ، ولكن المؤقتة ، التي لديهم من جراء امتلاكهم كنوز النفط هذه ، بهدف ابتزاز سياسي ... يجب ان يكون هدف السياسة الاسرائيلية ، في هذا المضمار تمزيق اوراقهم ، وتقليل ضغطهم قدر الامكان »(٤٦).

آراء اسرائيلية لمواجهة ضغط الدول العربية

ان اهم الاراء التي طرحت لمواجهة ازمة النفط ، والضغط العربي تتلخص فيما يلي :

١ ـ الرأي القائل بأن من الافضل ان تعمل اسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة لتجميد الوضع في الشرق الاوسط حتى يتسنى لامريكا واسرائيل ايجاد مصادر بديلة للنفط في السنين القادمة ، ولقد دعا الكثير من علماء اسرائيل الى جعل اسرائيل مركزا للبحوث العلمية لاكتشاف مصادر طاقة بديلة للنشاط ، للتخلص من الضغط العربي ويرجع هؤلاء الى قول وايزمن في اهمية جعل اسرائيل المركز الذي يكسر الاحتكار النفطي والذي جاء فيه « ان مسألة النفط التي تحوم فوق المشكلة

الصهيونية كما تحوم ولا ريب فوق مشكلات العالم بأسره ، هي مسألة علمية جزء من مسألة المواد الخام التي شغلتني عشرات السنين كعالم وصهيوني ، فقد كان من رأيي دوما ان بالامكان جعل فلسطين مركزا للتطور العلمي الجديد الذي سيخلص العالم من الصراع الناشىء عن الوضع الاحتكاري للنفط »(٤٧).

وتعمل الان عدة مراكز للبحوث في اسرائيل في هذا المجال لاستغلال مصادر الطاقة البديلة وهي :(٤٨) ١) الطاقة الذرية . ٢) الطاقة الشمسية . ٣) استعمال الفحم لتوليد الطاقة . ٤) طرق اخرى كاستعمال الطاقة الجيو حرارية وخلايا الوقود .

ولقد دعا علماء اسرائيل الولايات المتحدة والغرب الى توظيف اموالهم في هذه المشاريع وفي ذلك يقول آلوف هوريف رئيس التخنيون (معهد التكنولوجيا الاسرائيلي) بأن التخنيون يعد مشروعا كاملا لايجاد مصادر للطاقة وهو يتوقع ان يوظف العالم الغربي أمواله في هذه البحوث لان البحوث في اسرائيل تكلف أقل مما هي عليه في امريكا(٤٩)، ولقد ساهمت فعلا عدة شركات امريكية في هذه البحوث وأوصى المجلس الاقتصادي الاستشاري في واشنطن بتحويل نحو ١٠ — ١٥ مليون دولار من شركات امريكية الى اسرائيل للقيام ببحوث في هذا المجال ، وذكر المشتركون في المجلس بأن احدى ميزات اسرائيل في هذا الموضوع هي أنها خارج مجال النفوذ المالي لشركات النفط وهذه الحقيقة تحرر اسرائيل من الضغط في هذا المجال وتمكن من تحويلها الى مركز بحث لايجاد مصادر طاقة بديلة عن النفط(٥٠).

٢ — الرأي الثاني والذي يدعو الدول الغربية وامريكا بعدم الانصياع للضغط العربي ويهاجم حاملو هذا الرأي اليابان والدول الغربية لانها أصبحت لينة تجاه هذا الضغط(٥١) ويقول اصحاب هذا الرأي بأن الغرب سيخسر كل نفوذه اذا ما تخلى عن اسرائيل ، ودعا اصحاب هذا الرأي الى استعمال الضغط المعاكس ضد العرب ، وهو منع القمح والآلات عن العرب(٥٢). ويوضح يوئل اليشور هذا الرأي قائلا « ان كلا من سوريا ومصر والاردن والسعودية والكويت تستورد ما يقارب ستين بالمائة من مجمل كميات القمح التي تستهلكها وتستورد عشرات المواد الاستهلاكية الغذائية الحيوية . كما ان الغرب يزودها بمعدات الكترونية ومعدات صناعية ، وان الضرر الذي يمكن ان يلحق بمصر نتيجة لايقاف تصدير القمح اليها يفوق الضرر الذي يلحق بالولايات المتحدة نتيجة لوقف ضخ النفط اليها »(٥٣). وقد وجد هذا الرأي قبولا كما يبدو في امريكا فقد هدد فورد بقطع القمح عن العرب ان هم استمروا في قطع النفط عن امريكا(٥٤).

٣ — اما الرأي الثالث فقد دعا الى استعمال القوة في حالة فشل الاسلحة الاخرى ضد العرب ، وأن تقوم اسرائيل بهذا العمل فقد ذكر ارئيل غيناي « بأن وجود اسرائيل قوية معناه ان هنالك خطرا دائما في امكان القيام بعمل عسكري تشارك فيه اسرائيل في حالة وصول الامور الى حد محاولة العرب شل الصناعة في الغرب عن طريق وقف ضخ النفط »(٥٥). أما حفاي أشد فقد ذكر بأن من واجب اسرائيل ان توضح لشركات النفط التي ستستجيب للضغط العربي بأن في امكانها ان تعرقل سير النفط بصورة كاملة او جزئية كما حدث في الماضي ، وفي امكانات محدودة ، وان العتاب سيوجه الى شركات معينة ودول معينة(٥٦).

٤ — الرأي الرابع يكمل بقية الآراء ويدعو أصحابه الى ايجاد الخلاف بين الدول العربية والدول الاخرى خاصة الدول الافريقية والآسيوية ، وذلك بأن تجعل اسرائيل من نفسها المدافعة عن هذه الدول نتيجة زيادة اسعار النفط ويهدف هذا الموقف الى

تحقيق عدة نتائج أهمها : أ ـ احداث فجوة بين العلاقات العربية ـ الافريقية لكي تخسر الدول العربية تأييد هذه الدول . ب ـ اعادة العلاقات الاسرائيلية ـ الافريقية ذات الاهمية الخاصة بالنسبة لاسرائيل . ج ـ اضعاف الجانب الافريقي المؤيد للعرب وتقوية الجانب الافريقي المؤيد لاسرائيل في افريقيا والمتمثل في كينيا واثيوبيا ودول اخرى وبدأت اسرائيل تحقق بعض النتائج الايجابية على هذا الصعيد .

وكمثال على المقولات التي تطرحها الصحف الاسرائيلية لاستغلال الوضع ضد العرب هو ما ذكرته صحيفة الجيروسليم بوست من ان الدول النامية ستحتاج الى السماد النتروجيني ، المشتق من النفط ، ونتيجة لارتفاع الاسعار فسيكون من الصعب لهذه الدول الحصول على هذه المادة الضرورية وستكون النتيجة موت الملايين من هذه الدول(٥٧) .

وذكرت الصحف الاسرائيلية بأن الدول المتقدمة لن تستطيع ان تقدم معونات للدول النامية كما كانت تفعل من قبل نتيجة زيادة هذه الاسعار وكمثال لذلك فان اليابان كانت تقدم ١٧٠ مليون دولار لكوريا في السنين الماضية ونتيجة لازمة النفط فان اليابان قدمت هذه السنة ٩٠ مليون دولار فقط ، كما ان الدول النامية ستتعرض الى تفاد نقدها الاجنبي نتيجة لشراء النفط بهذه الاسعار الغالية(٥٨) . ان الصحف الاسرائيلية تعرف جيدا من الذي يستغل الشرق الاوسط والدول العربية من اجل زيادة الارباح ، ان الولايات المتحدة تجني كنتيجة مباشرة من استغلال النفط العربي أكثر من مليار دولار سنويا ، عدا الارباح الناجمة من تصنيع هذه المواد النفطية والتي تزيد عشرات المرات عن الارباح المباشرة .

ان على الدول العربية أن تعي اهمية الدول النامية في معركتها من اجل النفط ولقد نبه كثير من الكتاب الى اهمية كسب الدول المنتجة للنفط تأييد بلدان العالم الثالث(٥٩) . لان من المستحيل أن تصل الدول المستهلكة النامية الى استعمال اي اجراء جدي ضد الدول المنتجة في حالة تأييد دول العالم الثالث لهذه الدول علما بأن دول العالم الثالث تشترك والدول العربية بنفس المشاكل وتواجه نفس العدو ، ومن هنا فان من الضروري الضغط على الشركات العاملة لبيع النفط الى هذه الدول بأرخص الاسعار ، علاوة على أن من واجب الدول ذات الاحتياطي الهائل من النقد كالعربية السعودية والكويت استغلال جزء اكبر من هذا الاحتياطي من اجل مساعدة هذه الدول في اعطائها قروض طويلة المدى . كما ينبغي على الدول العربية شن حملة اعلامية تؤكد فيها على الدور الذي تلعبه اسرائيل في تعزيز استغلال الدول العربية والدول المنتجة للنفط في الشرق الاوسط لتكون هذه الحملة مدخلا الى تمكين العرب من استعمال سلاح النفط بصورة مباشرة كسلاح في المعركة ضد اسرائيل وضد الدول التي تقف مع اسرائيل ضد حقنا الشرعي في استغلال ثروتنا . كما ان من الضروري شن حملة عالمية لتوضيح الضجة التي اثارتها الدول المتقدمة حول ما يسمى بأزمة النفط ولعلنا لا ننسى تصريحات ممثلي الشركات العاملة في الشرق الاوسط من انهم حققوا أكبر قدر من الارباح في الاشهر التي تلت حرب تشرين .

لقد كان غرض هذا البحث تسليط الضوء على دور اسرائيل واسنادها للمصالح والشركات النفطية ودورها في محاربة اي تحرك من قبل اي نظام عربي من اجل وضع الثروة الوطنية بيد أصحابها .

الحواشي :

١ — مكسيم رودنسون ، **النزاع العربي الاسرائيلي** ، ص ١٤ .
٢ — سلمان رشيد سلمان ، المانيا النازية والقضية الفلسطينية ، **شؤون فلسطينية** ، عدد ٢١ ، آذار ١٩٧٤ .
٣ — ريتشارد بارنت ، **حروب التدخل الامريكية في العالم** ، ص ١٥ ، دار ابن خلدون ، ١٩٧٤ .
٤ — E. Yevesegev, Zionist Capital, *International Affairs*, Oct. 1970.
٥ — **هآرتس** ، ١٩٥١/٩/٣٠ .
٦ — **مجلة نيوزويك** ، ١٩٦٧/٦/١٩ ، ص ٧ .
٧ — طالب يونس ، سياسة امريكا الخارجية ، **شؤون فلسطينية** ، عدد ٢٦ .
٨ — نفس المصدر السابق .
٩ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٣/١٤ .
١٠ — **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ملحق عدد ٣ ، ١٩٧٣/٢/١ .
١١ — **جيروسليم بوست** ، ص ٩ ، ١٤/١٠/ ١٩٧٣ .
١٢ — **نشرة م. د. ف.** ، ملحق عدد ٣ ، ١/٢/ ١٩٧٣ .
١٣ — **نشرة م. د. ف.** ، ملحق عدد ٢٧ ، ١/١١/ ١٩٧٣ .
١٤ — **نشرة م. د. ف.** ، ملحق عدد ٦ ، ١٦/٣/ ١٩٧٣ .
١٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/١١ .
١٦ — **دافار** ، ١٩٧٣/٤/٥ .
١٧ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .
١٨ — **جيروسليم بوست** ، ص ١ ، ١٩٧٣/١٠/٩ .
١٩ — **جيروسليم بوست** ، ص ١ ، ١٩٧٣/١٠/٦ .
٢٠ — **جيروسليم بوست** ، ص ٤ ، ١٩٧٣/١٠/٩ .
٢١ — ريتشارد بارنت ، ص ٣٨ .
٢٢ — **رصد اذاعة اسرائيل** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، عدد ٥٢٤ ، ٤/٥/ ١٩٧٤ .
٢٣ — *The Economist*, June 8, 1968.
٢٤ — **نشرة م. د. ف.** ، عدد ٨ ، ص ١٤٢ — ١٤٤ ، ١٩٧١/٧/١ .
٢٥ — **اللواء** ، **بيروت** ، عدد ٦٥٣ ، ص ٥ ، ١٩٧١/١١/١٠ .
٢٦ — **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، عدد ١٤ ، ص ٤٤٥ ، ١٩٧٣/٧/١٦ .
٢٧ — يوسف الصائغ ، جريدة **النهار** ، بيروت ، ١٩٧١/٦/١٧ .
٢٨ — عاطف سليمان ، **اسرائيل والنفط** ، مركز الابحاث ، ١٩٦٨ .
٢٩ — **نشرة الارض** ، دمشق ، عدد ٧ — ٨ ، ص ٢٥ ، ١٩٧٣/١٢/٢١ .
٣٠ — **دافار** ، ١٩٧٣/٤/٥ .
٣١ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٨/٣١ .
٣٢ — **جيروسليم بوست** ، ص ٤ ، ١٩٧٤/١/١٨ .
٣٣ — **واشنطن بوست** ، ص ٢٢ ، ١٩٧٤/١/١٤ .
٣٤ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٨/٣١ .
٣٥ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .
٣٦ — **نشرة م. د. ف.** ، عدد ١٩ ، ص ٦٠٦ ، ١٩٧٣/١٠/١ .
٣٧ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١١/٩ ،
٣٨ — **نشرة م. د. ف.** ، ملحق عدد ١٠ ، ص ٣٠٧ ، ٧٣/٥/١٦ .
٣٩ — **دافار** ، ١٩٧٣/٢/٢ .
٤٠ — **دافار** ، ١٩٧٣/٢/٥ .
٤١ — **يديعوت آحرونوت** ، ١٩٧٣/٢/٢٣ .
٤٢ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٢/٢ .
٤٣ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٢/١٢ .
٤٤ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٢/٧ .
٤٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٢/١٠ .
٤٦ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٢/١٦ .
٤٧ — **جيروسليم بوست** ، ١٩٧٤/١/١٨ .
٤٨ — سلمان رشيد سلمان ، **دراسات عربية** ، عدد ٨ ، حزيران ١٩٧٤ .
٤٩ — **جيروسليم بوست** ، ١٩٧٣/١٢/١٩ .
٥٠ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٥/٢٢ .
٥١ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١١/٢٩ .
٥٢ — **جيروسليم بوست** ، ص ٨ ، ١٩٧٤/١/٣ .
٥٣ — **معاريف** ، ١٩٧٣/١٠/١٧ .
٥٤ — **رصد اذاعة اسرائيل**، بيروت ، عدد ٤٣٠ .
٥٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٦/١٠ .
٥٦ — **دافار** ، ١٩٧٢/٧/١٦ .
٥٧ — **جيروسليم بوست** ، ص ٩ ، ١٩٧٤/٢/١٥ .
٥٨ — **جيروسليم بوست** ، ص ٩ ، ١٩٧٤/٤/٤ .
٥٩ — مايكل تانز ، **الندوة العلمية العالمية** ، عدد ١ ، بغداد ، ص ٣٠ ، ٧٢/١١/١١ .

دور القرى الأمامية العربية في مواجهتنا مع العدو الاسرائيلي

العميد الركن محمد الشاعر

اذا كان اقتصاد السلم الريفي يهدف أساسا الى اشباع الحاجات الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي على الصعيدين الفردي والجماعي فان الاقتصاد الريفي يهدف في المقام الاول الى تحقيق النصر الذي لن يتحقق بدون ازالة آثار الاحتلال الصهيوني لاراضينا العربية . من هذا المنطلق تطمح الجماهير الشعبية العربية لجعل المجهود الاقتصادي في المدينة والقرية أساس المجهود الحربي وتخصيص جزء أكبر من الموارد الانتاجية في المجتمع للاستهلاك والاستثمار الحربيين (بالنسبة للحرب النظامية والحرب الشعبية) وذلك على حساب التوسع في الطاقة الانتاجية للمجتمع وعلى حساب الاستهلاك المدني .

واذا كانت ظروفنا الاقتصادية في قطاعها الزراعي (وهذا ما يتعلق في بحثنا) نتيجة للاحتلال الصهيوني تقتضي اتخاذ العديد من الاجراءات لتعبئة الفائض الاقتصادي الزراعي واعطائها عناية خاصة ليس فقط لاهميتها الاقتصادية دائما كذلك لان أية حرب تحريرية لا يمكن ان تستمر الا اذا اتخذت جماهير الفلاحين قاعدة متسعة لها تزود الحرب بالعدد الاكبر ممن يقومون بالقتال في الحرب النظامية وكذلك بالمواد الغذائية والمواد الاولية وتمثل أساس حرب التحرير الشعبية في ريف دول المواجهة بشكل خاص وريف الدول العربية بوجه عام .

نقول اذا كانت ظروفنا الاقتصادية تدفعنا لتحقيق هذه الاجراءات فان القرية الامامية على الحدود المؤقتة تدفعنا كذلك وبقوة أكبر لتحقيق عدة اجراءات اقتصادية وعسكرية وبمعنى أوسع قلب القرية الامامية التي نطلق عليها مجازا (قرية دفاعية) الى وحدة اجتماعية ريفية متماسكة وهذا يعني القضاء نهائيا وبأقل ما يمكن من الزمن على الوجه المتخلف للقرية العربية على الحدود التي تواجهها قرية يهودية عصرية قد تضارع القرية الاوربية من حيث اسلوب المعيشة واستعمال الالة على نطاق واسع في كل مجالات العمل الزراعي والانتاج الريفي بوجه خاص .

وهذا يقتضي خلق علاقات اجتماعية جديدة لسكان القرى الامامية تتلاءم مع معركتنا المصيرية وصمود قريتنا الامامية وتحديها لقوى العدوان الغادر . ويمكن تحقيق ذلك بالتوصل للاهداف الخمسة التالية : خلق علاقات اجتماعية بين سكان القرى الامامية تتلاءم مع المعركة المصيرية ، تحصين هذه القرى وتوفير كل وسائل الصمود لسكانها ، توفير العمل المستمر المنتج لابناء هذه القرى ، تأمين الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق الحيوية كالمياه والكهرباء ، استصلاح الاراضي وازالة جميع الصعوبات المتعلقة بهذا الموضوع . ويتم تحقيق هذه الاهداف بتنسيق العمل بين الوزارات المختصة سيما وأن الكثير من الخدمات الاجتماعية هي من اختصاص وزارات متعددة كوزارة الدفاع والصحة والشؤون البلدية والقروية وغيرها .

ان المنطلق الذي تستند عليه فكرة اعتبار القرية الامامية وحدة دفاعية اقتصادية كما ورد في مواضيع مؤتمر التعبئة الاقتصادية للتنمية والدفاع الذي انعقد في دمشق صيف ١٩٦٨ كان صحيحا ومنطبقا تمام الانطباق على واقعنا الاجتماعي وظروفنا الموضوعية التي نمر بها في أصعب مرحلة من مراحل التطور الاقتصادي لبلداننا العربية التي تخلصت ولا تزال تتخلص من عبء التخلف

الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بعد ان عانى السنين الطوال مآسي ومصاعب النظام الاقطاعي النصف رأسمالي وأشدد على وصف النظام بالنصف رأسمالي لان معظم ثوراتنا الاجتماعية ولدت وهي تحمل أعباء ومشاكل اقتصادية لنظام متأرجح غير متكامل يعاني نقصا فادحا في كل قطاعاته الاقتصادية وبصورة خاصة القطاعين الرئيسيين : الصناعة والزراعة . أضف الى ذلك تركة ثقيلة من الطاقات البشرية المعبأة في الحقول غير المنتجة وكادرا من الموظفين والعمال الفنيين الذين يشكلون في مجملهم عددا كبيرا وكافيا من حيث الكم أما من حيث النوع والمقدرة على العمل والاتقان فمعظمهم دون الوسط ولا أخفي عليكم انه اتيح لي قبل عامين ان أقوم بدراسة تقريبية لاوضاع موظفي بعض الوزارات الفنية لبلد عربي فكانت النتيجة كالتالي : ١٥٪ من الموظفين بدون عمل محدد ، ١٠ ٪ معاون فرع او مكتب او ورشة لرئيس لا يتطلب عمله وجود معاون ، ٢٠ ٪ يمكن الاستغناء عن خدماتهم بدون أن ينقص الانتاج على الصعيدين المكتبي والانتاجي، ١٥ ٪ مخربون وغير راضون عن عملهم ، ٤٠ ٪ موظفون منتجون الا ان معظمهم يشكي ويتظلم ويتألم من وجود الفئات المذكورة .

وعندما نذكر مثل هذا الوضع قد يتراءى للبعض ان في ذلك خروجا عن فكرة موضوعنا الاساسي ، غير ان ذلك غير صحيح وعلة ذلك ان القرية الدفاعية التي نطمح بانشائها في أقصر زمن وأقل كلفة قد تتعثر وتسير الخطى بكل صعوبة وثقل بفعل العصي والحجارة التي توضع أمام دولاب العمل ومع ذلك نعود الى موضوعنا الاساسي من الزاوية الاقتصادية قبل الزاوية الدفاعية على اعتبار ان الاقتصاد هو القاعدة الاساسية الذي يستند عليه كل عمل سياسي او عسكري او اجتماعي .

ان قوانين التطور الاقتصادي لمجتمعنا الذي يضع اسس بناء الاشتراكية بصورة خاصة في القرى الامامية تتطلب منا أن نطرد من أذهاننا فلاحينا فكرة البقاء على الزراعة المجزأة ذات المردود الضئيل . لان هذه القوانين تحتم علينا ايجاد مزارع كبيرة ممكننة على مستوى رفيع من الممكن انشاؤها بطريقين : الاول — الطريق الرأسمالي : وهو طريق لا يمكن أن يقبل في بلادنا بعد الان لانه لا يتلاءم مع السلطة الشعبية ولن يطالبنا الفلاحون تطبيقه بعد أن ناضلوا ضده على مر عشرات السنين . أما الطريق الثاني — فهو طريق توحيد الجهود ، طريق العمل الجماعي هذا الطريق الذي لا يؤدي الى افقار الفلاحين وانقسامهم الى أسياد وعبيد ، الى أرباب عمل واجراء ، الى مستثمرين ومستثمرين . هذا الطريق الذي يستند على تجميع الاراضي والادوات الزراعية من اجل العمل المشترك والتوزيع العادل للموارد بين الفلاحين حسب العمل الذي يقدمه كل منهم ، واذا كنا نحن بحاجة لان نختار طريق الانتاج التعاوني لقرانا الداخلية وقد خطت سوريا الثورة وغيرها من الدول العربية خطوة واسعة في هذا المجال فما أحوجنا في هذه المرحلة الى تطبيق طريق استثمار الارض الجماعي ضمن اطار التعاونيات الزراعية لقرانا الامامية التي تقف سدا منيعا امام همجية الصهيونية والاستعمار .

من هنا يجب علينا أن لا نتساءل او نتردد عندما نقرر المضمون الاجتماعي والجوهر الاقتصادي للقرية الامامية التي سنبنيها في هذه الظروف التي اعتمد فيها شعبنا على الكفاح المسلح طريقا لتحرير الارض المغتصبة والعمل على خلق المجتمع الريفي الجديد الذي سيلعب دورا فعالا في معركتنا القادمة التي لا بد ان نخوضها حماية للوجود العربي المهدد من قبل الصهيونية والاستعمار .

القرية التعاونية الزراعية الدفاعية

ان القرية التعاونية الزراعية الدفاعية في ظروف قرانا الامامية هي الشكل المقترح الذي سيسود هذه القرى . ان المضمون الاقتصادي للتعاونية الزراعية يستند على اقامة مؤسسة زراعية جماعية كبيرة وهي تتشكل من توحيد الفلاحين الفقراء والمتوسطين من قرية واحدة او عدة قرى متجاورة ، بعد أن قرروا ان يبنوا تطبيق الاسس الريفية الاشتراكية في القرية بجهودهم المشتركة ، ومن البديهي ان مثل ذلك لن يتحقق اذا لم تقم السلطة في كل قطر عربي على الصعيدين الشعبي والحزبي بنشاط فكري وعلى مستوى الدعاية والتحريض وفقا لبرامج توعية مدروسة وعملية تتلاءم وعقلية فلاحينا الذين يعيشون في مرحلة صعبة ويعانون أزمة مادية ومعنوية

تتطلبان اتخاذ اجراءات فورية وحاسمة ورغد هذه القرى بمناضلين حزبيين وغير حزبيين الى القرى الامامية لتحقيق مهام عديدة اهمها : المساهمة مع سكان القرى في عمليات التحصين ، الاشتراك مع السكان في عمليات الانتاج ، عقد ندوات توعية لسكان هذه القرى حول مفهوم صراعنا مع العدو وطبيعة المعركة التي تخوضها الجماهير العربية وارادة الصمود التي تحقق النصر وأهم العوامل التي تثبت المواطنين في الارض .

المبادىء الاساسية لانشاء القرية التعاونية الزراعية الدفاعية وتطويرها :

١ ــ الطوعية : يمكن لكل فلاح صغير ومتوسط ان يصبح عضوا في التعاونية بعد ان يقتنع بفوائد الاستغلال التعاوني الكبير للارض وأن يرغب بنفسه في الانضمام غير أن السلطة قد تضطر للمصلحة الدفاعية وللسير في تطبيق الخط الاشتراكي وخاصة في القرى الامامية التي تقع عليها أعباء دفاعية وانتاجية من اتخاذ تدابير صارمة ضد اولئك الذين يتعرضون لخرق الانظمة والاهداف التي وجدت من أجلها فكرة انشاء وتطوير القرى الامامية .

٢ ــ ملكية جماعية لا تتجزأ لوسائل الانتاج والارض بعد أن كانت ملكية خاصة للفلاحين الذين انضموا للتعاونية .

٣ ــ العمل باستمرار على زيادة وتحسين الممتلكات الاساسية والدورية للتعاونية وزيادة الانتاج . ولهذا الغرض تخصص سنويا الاموال من موارد التعاونية لشراء ماكينات جديدة وحيوانات منتجة ولتوسيع المزروعات الدائمة ، ولتشييد الابنية ومنظومات الري وغير ذلك مع مراعاة الناحية الدفاعية في كل منشأة او بناء يجري تنفيذه ويتم ذلك وفقا لتعليمات العسكريين الاخصائيين في وزارة الدفاع .

٤ ــ المبدأ الاشتراكي لتوزيع الموارد . بموجب هذا المبدأ يتقاسم اعضاء التعاونية الدخل السنوي الذي يتبقى لدفع اجور العمل ، وذلك حسب العمل الذي يقدمه كل فرد والنتائج التي يحصل عليها . هذا الامر يشجع أفراد التعاونية ماديا على تقديم منتوجات أكثر بمصاريف أقل .

٥ ــ التوفيق الصائب بين المصالح الشخصية للتعاونيين والمصالح الاجتماعية من جهة وبين مصالح التعاونية ، ومصالح الدولة من جهة ثانية . وما هو مفيد للتعاونية والتعاونيين ، يجب ان يكون مفيدا للمجتمع بكامله .

٦ ــ ابقاء قطعة ارض وحيوانات زراعية لكل عائلة تعاونية وذلك بهدف انشاء مزرعة خاصة مساعدة ، وفي الحدود التي يسمح بها النظام الداخلي للتعاونية .

القاعدة التكنيكية للنظام التعاوني في القرى الامامية :

ان عملية التحويل التعاوني للزراعة في القرى الدفاعية يجب ان تبنى على أساس زيادة انتاجية العمل في الزراعة وتربية المواشي وهذا يتطلب توحيد القوى ووسائل الانتاج في المزارع الخاصة المجزأة وتوزيع العمل في داخل المزرعة التعاونية ذلك الاسلوب الذي سيؤدي الى نتائج ايجابية . ان العمل اليدوي الشكل السائد في معظم قرى الحدود والتكنيك البدائي لا يمكننا الوصول الى نجاحات كبيرة . ان الضرورة تقتضي تجهيز المزارع الكبيرة المستحدثة بتكنيك حديث . وهنا تبرز الحاجة الماسة الى توفير الاموال للمزارع المستحدثة بغية شراء الماكينات وتأمين الملاكات (الكوادر) التي تستطيع ادارة الماكينات الزراعية ومثل هذا الوضع وفي ظروف قرانا المتخلفة تكنيكيا يقتضي اقامة محطات ماكينات وتراكتورات .

ان الفكرة التي سادت ولا تزال تسود حول انشاء القرية والتركيز على تأمين البيت الريفي للفلاح بشكل فيلا دون التركيز على ما هو أهم من البيت وحتى من المرافق العامة ونعني وسائل الانتاج والتحصين والتدريب العسكري للسكان المقيمين في قرى الحدود نقول ان هذه الفكرة يجب ان تزول فالبيت الصحي للعائلة الريفية ليس هو الهدف المنشود في المراحل الاولى من بناء القرية وتطويرها . ان خلق ظروف العمل وايجاد الجو المناسب الذي يربط الفلاح بالقرية والارض هو الهدف الرئيسي والنقطة الاساسية التي يجب أن تركز عليها جميع الجهود . من هنا تأتي أهمية وضع البرنامج وتوزيع ميزانية الوزارة او المؤسسة التي تختص ببناء وادارة قرى الحدود انطلاقا من مبدأ البدء بالاهم ثم المهم وعلى سبيل

توزيع الميزانية المقترحة

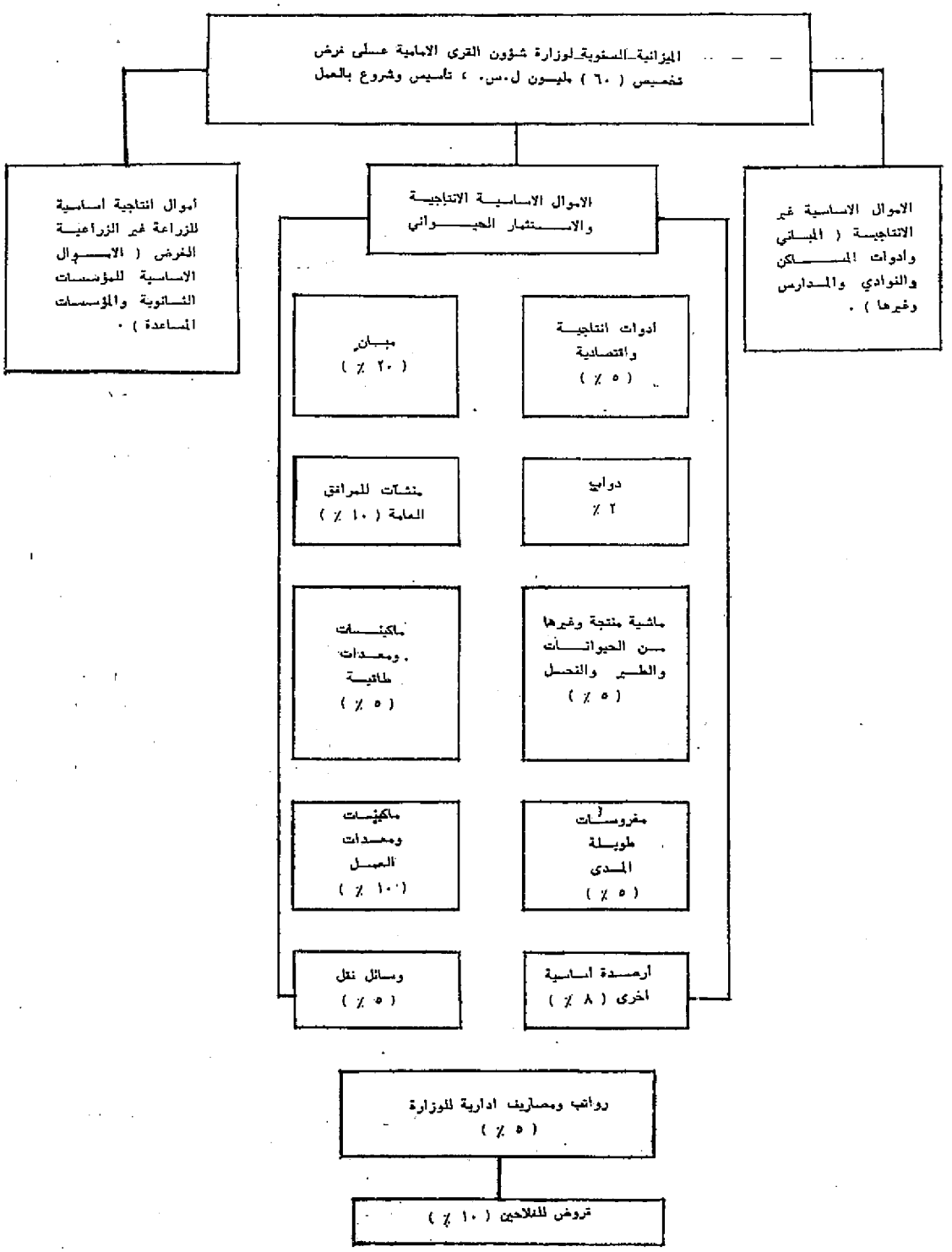

المثال لو قدرنا ان الميزانية لمثل هذه الوزارة او المؤسسة بحدود ٦٠ مليون ل.س والمطلوب انجاز (٢٠) قرية خلال عام نقترح ان توزع المخصصات حسب النسب المبينة في الجدول السابق .

من مجمل هذا الجدول المقترح يتضح لنا تخصيص أكثر من ٦٥ ٪ من مجموع الميزانية لتأمين وسائل الانتاج والقروض للفلاحين وهذا أقل ما يمكن تخصيصه لبناء القرى الامامية وتطويرها .

محطات الماكينات والتراكتورات : وقد خصص لها في الجدول المقترح أكثر من ٢٠ ٪ وذلك يعود لعدة أسباب اهمها مكننة الزراعة واشاعة الالة بصورة متتالية وفقا للامكانات المالية مما يلعب دورا حاسما في رفع انتاجية العمل وبالتالي ارتفاع مداخيل الفلاحين .

ان محطات الماكينات والتراكتور هي عبارة عن مؤسسات زراعية اشتراكية ضخمة ، مخصصة لمساعدة الفلاحين في عملهم من أجل فلاحة أفضل للارض ، ومن أجل محاصيل أكثر وانتاجية عمل أعلى .

عن طريق تأمين هذه الماكينات والتراكتورات للقرى الامامية تقدم الدولة للفلاحين مساعدة اقتصادية وتكنيكية وتنظيمية اكثر فعالية وبعبارة ادق تضع الدولة بصورة مباشرة القاعدة المادية والتكنيكية للنظام التعاوني المنطلق الرئيسي والارض الصلبة التي يمكن منها الوقوف امام مستوى ريفي متقدم يتمثل بالكيبوتز والموشاف الشكلين السائدين للمزارع في الاراضي المحتلة من قبل الصهيونية والاستعمار .

ان التركيز على موضوع القاعدة المادية التكنيكية للقرى الامامية والذي يتمثل بخلق هذه المحطات الالية له من الاهمية بمكان لان العدو عندما نشر التراكتور في القرية اليهودية بقدر ما نشر الدبابة او الطائرة او الصاروخ فكان مقتنعا بأن قيمة الاولى من الناحية الانتاجية وحتى الدفاعية لا تقل عن الثانية ، من هنا تبرز لنا كثرة حوادث انفجار الالغام تحت التراكتورات اليهودية التي تحرث كل شبر من أرض وطننا السليب هذه الالغام التي يبثها أبطال المقاومة العرب وابناؤنا الفدائيين . ومن هنا يبرز أيضا سؤال مضمونه كيف ينظم العدو هذه المحطات ؟ . والاجابة على ذلك تتلخص بالتالي :

- ان محطة الماكينات والتراكتورات في «اسرائيل» تشكل شخصية حقوقية مستقلة ويشرف عليها مدير يدير المحطة على أسس القيادة المركزية والانضباط الحكومي وهذا سائد في الكيبوتزات ويساعد المدير مجلس اداري يشترك فيه مهندس زراعي رئيسي والمهندس الميكانيكي الرئيسي ورئيس المحاسبة وقادة المنظمات الاجتماعية في المحطة والقائد العسكري ويشارك في ذلك المجلس الانتاجي للكيبوتز او الموشاف . وغير ذلك من الافراد والهيئات ذات العلاقة الانتاجية . تخصص كل فرقة من فرق التراكتورات لتعاونية زراعية معينة وتعتبر الفرقة وحدة انتاجية أساسية عندما تكون التعاونية الزراعية كبيرة تخصص لها فرقتان او أكثر من فرق التراكتورات .

يقوم رئيس الفرقة وفقا لتوجيهات رئيس التعاونية الزراعية باعداد برنامج لعمل التراكتورات وينظمان العمل المشترك لسائقي التراكتورات والتعاونيين .

نحن والعدو على صعيد الاقتصاد الريفي

ان الموقف الذي نحن فيه الان بعد أن خضنا مع العدو اربع حروب خلال مدة ربع قرن يحتم علينا ان ندرس عدونا دراسة موضوعية تستند على العلم والواقع الصحيح . واذا كانت مثل هذه الدراسة تتركز على النواحي العسكرية بشكل خاص فنحن أحوج ما نكون لان نعيد النظر ونطور دراستنا لتصبح شاملة وموضوعية تتناول جميع مرافق الحياة والفاعليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يمارسها عدونا والريف « الاسرائيلي » بسكانه الذين يؤلفون ما يقارب الـ ٢٠ ٪ من اليهود في الارض المحتلة يحتل حيزا أساسيا في المجتمع اليهودي لان هذه النسبة من سكان الريف تلعب دورا هاما على الصعيدين الاستعماري الاستيطاني والاقتصادي والعسكري من ناحية وعلى الصعيد السياسي والثقافي من الناحية الاخرى .

الموشاف والكيبوتز : وفي الريف « الاسرائيلي » يسود شكلان من المؤسسات الريفية هما : الكيبوتزات والموشافات وعددها يكون ٩٨ في المئة

من المستعمرات القروية ويقيم فيها حوالي ثلثي سكان المستعمرات القروية وقد دون في اخر احصاء مفصل صدر عام ١٩٦٤ ان عدد الموشافات تضاعف ثلاث مرات ونصف المرة على ما كان عليه عند اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ . وتضاعف سكان هذه الموشافات اربع مرات بينما تضاعف عدد الكيبوتزات في الفترة نفسها مرة وثلث المرة ، وتضاعف عدد سكانها مرة ونصف المرة فقط وفي لغة الارقام بلغ عدد الكيبوتزات في عام ١٩٦٤ حوالي ٢٣٠ كيبوتزا يقيم فيها حوالي ٨١ الف يهودي وعدد الموشافات في احصاء نفس العام ٢٦٧ موشافا يقيم فيها حوالي ١٣٤ الف يهودي ومن المنتظر انه بنهاية هذا العام (١٩٧٥) تكون هذه الارقام — خلال مدة عشر سنوات — قد زادت بنسبة ١٥ — ٢٠ ٪ .

ولا تسمح مثل هذه الدراسة التوسع في دراسة جوهر وطبيعة هذين النوعين من المؤسسات الريفية الا اننا يمكن ان نعطي بعض الملامح الهامة لهما .

الموشاف : مع بداية القرن العشرين بدأ شكل جديد من الزراعة الجماعية يشق طريقه الى الظهور في الاوساط اليهودية في فلسطين بالاضافة الى الشكل الذي كان قد برز الى حيز الوجود وهو الكيبوتز وكان هذا الشكل الجديد من الزراعة التعاونية مزيجا من العناصر الجماعية من جهة ، والعناصر الفردية من جهة أخرى ، وعرف باسم الموتشافيم أي « المستعمرات الزراعية لصغار الملاك » .

١) **المبادىء** : تشكل الزراعة الاساس الذي يقوم عليه موشاف هوفديم وتعتبر الارض التابعة للموشاف ملكية عامة اما طريقة حياة الافراد فمبنية على العمل الذاتي والمساعدة المتبادلة والشراء والبيع التعاونيين ، ويشكل الموشاف جمعية منظمة لها هدف مشترك تسعى ضمن حدودها لتأمين مصدر عمل وعيش افرادها .

٢) **التحكيم** : تتبع الهستدروت محاكم خاصة للبت في جميع الخلافات والنزاعات التي تنشأ بين المؤسسات التابعة له ومن اعضاء هذه المؤسسات وتكون قراراتها ملزمة اذا قبل الطرفان تحكيمها وبعد قيام « اسرائيل » عام ١٩٤٨ حصرت صلاحيات هذه المحاكم بالقضايا المتعلقة بالعضوية في الهستدروت واحيلت القضايا الاخرى الى المحاكم المدنية .

٣) **حقوق وواجبات الاعضاء** : ان اعطاء ارض لعضو الموشاف لا يعطيه بموجب الدستور حق بيعها او تأجيرها او زراعتها بواسطة عمال بأجر ، ان بصورة مؤقتة ، او دائمة ، ولا يجوز استخدام العمال بأجور الا بموافقة خاصة .

عدا عن واجبات اخرى تتعلق بدفع أكلاف الخدمات العامة التي تقدم في القرية وضرورة زراعة الارض حيث أن كل عضو يفشل في زراعة أرضه بعد خمس سنوات من اقامته في الموشاف يطرد منه اذا رأت الادارة ذلك .

وهناك العديد من الاسس منها ما يتعلق بالاباء والابناء ومشاكل تزايد العائلة وعدم تجزئة المزرعة والارث ومسؤولية المرأة في الموشاف ، وعمل الموظفين العاملين وغير ذلك من القضايا الاقتصادية والاجتماعية .

الكيبوتز : ان كلمة كيبوتز تعني بالعبرية — جماعة — وقد تطور معناها فأصبحت ترمز الى جماعة من الناس يعيشون ويعملون سويا في مزرعة جماعية ، وتمتاز ظروف المعيشة في الكيبوتز بالتقشف وفقدان الحياة الخاصة . فسكان الكيبوتز يقطنون البيوت الصغيرة القريبة من بعضها بعضا، فالشقة الواحدة تتكون من أربع وحدات سكنية وتحتوي كل وحدة على غرفة واحدة تسكنها عائلة — أي رجل وامرأة — وفي بعض الحالات يوجد رواق يستعمل كغرفة ثانية في الصيف . بيد أن النمو الاقتصادي في بعض المستعمرات الجماعية (الكيبوتزات) سمح بتوزيع الوحدات السكنية المخصصة للمتزوجين . اما الحمام والمنافع والمطبخ وغرفة الغسيل فتعتبر خدمات واماكن جماعية فلا يوجد حمامات خاصة مثلا ، بينما يتناول الجميع الطعام في صالة الاكل العامة (المطعم في الكيبوتز) ويتم تنظيف الثياب وكيها في بيت الغسيل العام للكيبوتز . وبالاضافة الى ذلك يوجد بيت للخياطة ومخزن عام ومكتبة عامة . اما الاطفال فانهم لا يعيشون مع آبائهم .

ولا يخفى على زائر الكيبوتز او على من يطالع الكتب المنتشرة عن هذه المؤسسة انها مجتمع

مغلق يحيا حياة تقشف رافقت الكيبوتز منذ ولادته في مطلع القرن الحالي ، وفرضتها آراء «روادة» الذين اتخذوا من الاسبارطيين وحياتهم مثلا أعلى حاولوا تقليده . والعمل في الكيبوتز اجباري لا مهرب منه ولا تسويف فيه ومن هنا كان تنظيم العمل وتوزيعه مهمة في غاية الاولوية ، ولا مجال لمخالفة هذا التنظيم، والذي يشبه التنظيم العسكري في صرامته ، لان العقوبة هي الطرد والتشهير على نطاق واسع .

وتتصف الحياة في الكيبوتز بدرجة عالية من الجماعية فلا يوجد ملكية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . ان الانتاج والعمل والاستهلاك يتم او يفترض أن يتم على أساس جماعي ويحظر القيام بنشاط اقتصادي فردي ، ولا يحتاج سكان المستعمرات الجماعية الى أستعمال النقود داخل المستعمرة اذ أن حاجات الفرد في الكيبوتز مؤمنة بموجب مبدأ من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته .

ان الغاء الملكية الخاصة الغاء تاما هو أحد مبادئ الكيبوتز الرئيسية ، فالملكية الجماعية تشمل وسائل الانتاج والارض والابنية والبضائع الاستهلاكية ...

فلا توجد أية أسهم ، ولا توزع قطع الارض على اعضاء الكيبوتز . ان الملكية الموجودة تابعة للمجتمع ككل .

ويفترض في الاعضاء الجدد تحويل ما يمكن من ممتلكاتهم الى مجتمع الكيبوتز ، كما يفترض في اعضاء الكيبوتز الذين يسمح لهم بالعمل خارج المستعمرة ان يحولوا معاشهم بتمامه الى الكيبوتز ومن ثم يحصلون على مخصصات تكفي لسد حاجاتهم المعيشية .

التخطيط العسكري للقرى والمستعمرات الامامية في « اسرائيل »

انظر المخطط رقم ١

انشئت المستعمرات والقرى الامامية في « اسرائيل » لمهام اقتصادية وعسكرية ولتؤدي عملا زراعيا واخر عسكريا دفاعيا ، وتسكنها عائلات يهودية فلاحية تتمتع بالروح العسكرية واشراك ابنائها رجالا ونساء في الدفاع وان هذه المستعمرات والقرى الامامية تقوم بمهام المخافر الامامية « لاسرائيل » وهي أشبه بجرس الانذار التي تقوم بمهمة تمثل الاعاقة للجيش النظامي وتشكل بمجموعها نسق التغطية الاول تدعمها القوات العسكرية المتمركزة قريبا منها ، فاذا كانت القوة الضاربة الرئيسية تشكل قلب الجيش الاسرائيلي تتمركز وراء الحدود لتقوم بمهمة الامن الاستراتيجي للدولة فان المستعمرات والقرى الامامية يقع عليها عبء الامن المحلي والدفاع والقيام بمهام تعبوية واستراتيجية وفقا لامكانياتها ومواقعها .

نظمت المستعمرات والقرى الدفاعية الامامية على أساس نقاط استنادا تشكل بمجموعها جزءا من الخطة الدفاعية وتتعاون اكثر هذه القرى والمستعمرات بالنار وبشكل تستطيع معه الواحدة ان تدعم الاخرى بمدافع الهاون والرشاشات والاسلحة المضادة للدبابات .

ان تنظيم الدفاع فيها بني على الاسس التالية:

١ ــ ان كل مستعمرة او قرية امامية تشكل نقطة دفاع متماسكة مع النقاط القريبة منها ، وهي محصنة تحصينا قويا وقادرة على الصمود امام الهجمات مدة من الزمن لا تقل عن (٦ ــ ١٢) ساعة حتى وصول النجدات اليها في ابسوأ الاحوال .

٢ ــ كل مستعمرة او قرية امامية تحاط بالالغام والاسلاك الشائكة وقادرة على الدفاع عن نفسها من جميع الجهات وقد تطور تحصنها مؤخرا وبصورة خاصة مستعمرات الجليل الاعلى في فلسطين حيث زودت بشبكات معدنية شائكة بعضها مكهرب وبعضها مزود بالاجهزة الالكترونية التي تساعد على كشف الفدائيين وتحدد أماكن دخولهم للحدود العامة او الخاصة بالمستعمرة يضاف الى ذلك ترك زنار رملي بعرض ٦ ــ ٨ أمتار بين صفين من الاسلاك الشائكة لطبع أقدام المتسللين داخل الارض المحتلة على الرمل اضافة لاجهزة الرصد والاكتشاف الالكتروني .

٣ ــ الاكتفاء الذاتي من حيث السلاح والذخائر والتموين .

٤ ــ تبنى معظم المستعمرات بشكل دائري . تقام البيوت على المحيط ثم تليها المزارع . أما

المرافق العامة (مراكز صحية ومدارس ومستودعات ... الخ) . فتقام في الوسط .

٥ ــ تحمى المستعمرة او القرية بخطين دفاعيين ينشأ الاول امام البيوت والثاني ينشأ امام المزارع وتحفر خنادق مواصلات بين هذين الخطين .

٦ ــ كل عائلة تسكن في وحدة سكنية ولها مزرعتها وتقع عليها مسؤولية الدفاع عن القطاع الذي يقع امام بيتها ومزرعتها ، مشكلة بذلك تقاطع نيران بين القطاعات المتجاورة ، ومؤمنة دفاعا دائريا متماسكا من جميع الجهات ، تحاط هذه المستعمرات بالاسلاك الشائكة والالغام .

ان المهمة الاساسية لهذه المستعمرات والقرى الامامية هي كسر حدة هجوم القوات العربية المهاجمة ليسهل تعيين اتجاه محاور الجهود الرئيسية للهجوم حتى تتمكن القوات الاسرائيلية من تجميع قواتها وتوجيه الضربة في المكان والزمان المناسبين .

وتفيد هذه المستعمرات والقرى الامامية الجيش الاسرائيلي في حالة الهجوم لاستعمالها قواعد لحشد القوات والتموين وحماية خطوط المواصلات ودعم المؤخرات .

طريقة تحصين المستعمرة اليهودية

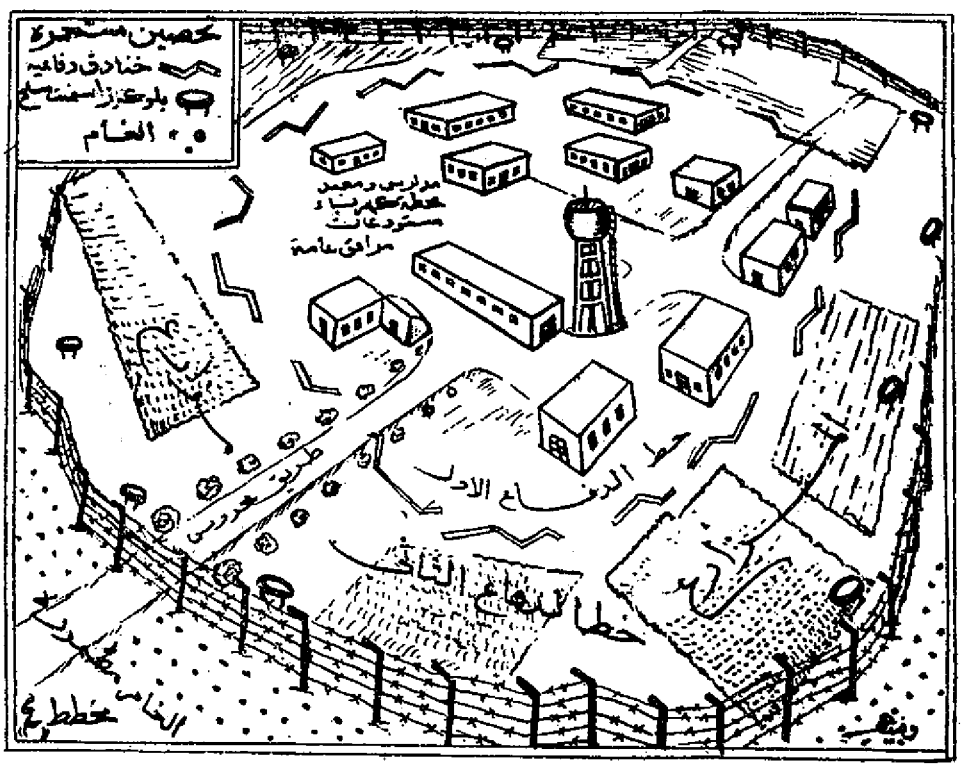

مخطط رقم (١)

- ينشأ الخط الثاني أمام المزارع
- تحفر خنادق مواصلات بين هذين الخطين
- تحاط المستعمرة بحقل من الالغام والاسلاك الشائكة
- تحمى المستعمرة أو القرية بخطين دفاعيين
- ينشأ الخط الاول أمام البيوت

الحياة في الريف الاسرائيلي واسلوب الانتاج :

ان تنظيم المستعمرات في اسرائيل بني على أساس علمي يهدف الى توزيع سكان الريف توزيعا يتفق والاستثمار الامثل لكل جزء من أرض فلسطين سواء كان سهليا ام جبليا ، مع اعطاء الناحية الدفاعية أهمية قصوى للمحافظة على هـذه المستعمرات والتوفيق بين خطط التنمية الاقتصادية والخطط العسكرية في الدفاع وعلى هذا الاساس اتجه الاستيطان في الريف ووزعت المستعمرات في المناطق التالية :

أ ـ مستعمرات الجبال : وتشكل خطا دفاعيا قويا في مناطق الحدود . وقد انشأت اسرائيل خلال السنوات العشر الماضية اكثر من ١٥٠ مستعمرة.

ب ـ مستعمرات السهول : تقع في منطقة لاخيش وتمتد من أطراف الجليل قرب بيت جبريل الى ساحل البحر قرب مجدل وعسقلان ، وفيها نحو ٣٠ مستعمرة ذات موقع عسكري جيد ومسيطر على محاور الطرق الهامة .

مستعمرات منطقة تمناع : وتقع بين المفولة ومدينة بيسان وتبلغ مساحتها ٣٢٠ الف دونم .

ج ـ مستعمرات منطقة يفتاح : وتقع عند نهاية وادي عربة ، وفيها يقع ميناء ايلات . وظروف الحياة قاسية في هذه المنطقة مما دفع بحكومة اسرائيل لجعل أكثر النشاط فيها مقصورا على وحدات من المجندين يقضون خدمة زراعية اجبارية فيها .

د ـ المستعمرات الساحلية : التي تهتم بصيد الاسماك ويبلغ عددها حوالي ٤٠ مستعمرة موزعة بين حيفا وتل أبيب وعكا .

ويعتبر مستوى الحياة في الريف الاسرائيلي عاليا اذا ما قورن بالريف العربي ، لان الفرق بين الحياة في المدينة والقرية وخاصة في القرى القريبة من المدن شبه معدوم ، فقد عمت الكهرباء جميع المستعمرات الاسرائيلية كما أن طرق المواصلات وتعددها ساعد على سهولة التنقل ، ويندر وجود مستعمرة يبلغ سكانها ٢٥٠ نسمة بدون مدرسة .

ويبلغ عدد المستعمرات في اسرائيل حوالي ١٤٠٠ مستعمرة يعيش فيها السكان حياة تختلف اختلافا جزئيا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وفي رأينا ان لا صحة لما يفهم خطأ من وجود نظام اشتراكي في بعض المستعمرات . فالنظام الاشتراكي في مجتمع من المجتمعات لا يمكن تطبيقه تطبيقا علميا صحيحا الا اذا كان البلد او الدولة بمجموعها سائرة في هذا الخط . فالنظام الاشتراكي من الوجهة الاقتصادية يقوم بالدرجة الاولى على بناء قاعدة مادية تكنيكية ، وجعل وسائل الانتاج ملكية عامة وغير ذلك من الاجراءات والتدابير السياسية والاجتماعية المتعلقة بوضع الطبقات وتنظيم السلطة وادارة الانتاج واسلوب التوزيع . أما أن تبنى مستعمرة تعرف باسم كيبوتس يدعى سكانها تطبيق المبادىء الاشتراكية ، بينما هم يعيشون وسط مستنقع من التناقضات والنواقص الاقتصادية والاجتماعية والتفسخ الخلقي وقلب دولة رأسمالية خلقتها الصهيونية والامبريالية العالمية لتتجسد فيها الرأسمالية الاحتكارية في الشكل والمحتوى ، فهذا اعتقاد خاطىء لا يتفق مع مبادىء التطبيق الصحيح للاشتراكية العلمية ان النظام القائم في بعض المستعمرات التي يطلق عليها الكيبوتس والذي يستند على تجميع عدد من المواطنين في كيان زراعي تحت ظل مفهوم سياسي واحد ، هدفه خلق جيل من سكان الريف مشبعين بالروح العسكرية والعدائية ، هو مخالف للنظم الاشتراكية الصحيحة .

ان الحياة في مستعمرات الكيبوتس هي أشبه بحياة الجنود داخل المعسكرات . فالاشتراكية لا تعني فتح مطابخ جماعية ومدارس حضانة ومحلات عامة فقط ، ثم يعمل الفرد لقاء الملبس والمأكل والمنامة لتحقيق هدف سياسي عسكري معين . ان مثل هذه التدابير قد تكون من حيث الشكل اشتراكية، اما من حيث المستوى فليس للاشتراكية فيها أي معنى باعتبار ان حكام اسرائيل هم المحرك الرئيسي والعنصر الحاسم الذي يدير دفة الحياة للاستمرار في السير عبر بحر الرأسمالية .

ومهما تنوعت اساليب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المستعمرات والقرى الزراعية في اسرائيل فان الاهداف الرئيسية لها تتلاقى جميعا في هدف واحد وهو الحفاظ على دولة اسرائيل وتحويلها الى اقوى دولة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري في منطقة الشرق الاوسط . ويوجد في اسرائيل عدة أنواع من المستعمرات اهمها :

المستعمرات المستقلة (موشاف) وهذا النوع من مجموعة من المستعمرات الكبيرة يغلب الطابع الاوروبي على سكانها لان معظمهم جاءوا اليها خلال عهد الانتداب البريطاني من أوروبه ، وقد انشأتها جمعيات صهيونية وقسمتها الى أراض بيعت بأسعار معتدلة للاغنياء وللفئات متوسطة الدخل ، لاقامة المزارع والبيوت الخاصة بهم .

يتكون سكان الكيبوتس من مجموعة من الناس يخضعون لنظام اقتصادي سياسي واجتماعي موحد ، طبق عليهم نظام شبه اشتراكي عسكري يعتبر نوعا خاصا باسرائيل . ويعمل أهل هذه المستعمرات لقاء الحصول على الطعام والسكن والملبس وتأمين بعض الخدمات الاجتماعية . ويوجد في كل مستعمرة (كيبوتس) مرافق عامة مشتركة كالمطابخ والحمامات والمدارس ودور الاطفال . أما وسائل الانتاج فقد جعلت ملكية تعاونية ، وطريقة دفع الاجور تكون وفقا لايام العمل التي يقوم بها المزارع مع الحفاظ على مبدأ دفع الراتب الاساسي لكل من يشارك في الانتاج ، ويوجد عدة انواع من الكيبوتس فرضتها النزاعات السياسية باعتبارها هي الاساس التي يرتكز عليها نظام الكيبوتس ، ومن هذه الانواع :

الكيبوتس الموحد : وهي تابعة لحزب المابای وعددها ٩٠ .

كيبوتس العامل المزراحي : وهي تابعة لحزب المزراحي واملاكها تعود للوكالة اليهودية ويبلغ عددها ١٥ .

وكيبوتس حيروت : وهي مستعمرات عسكرية تابعة لحزب حيروت وهي محدودة لا تتجاوز العشر مستعمرات وتقع قرب الحدود ، وغير ذلك من الكيبوتسات المختلفة الانظمة والنزعات السياسية ويبلغ عدد الكيبوتسات على مختلف أنواعها ٢٥٠ كيبوتزا ويوازيها ما يعادل ٤٠٠ موشافا .

المستعمرات الاشتراكية التعاونية : يرتكز الاساس الاقتصادي لها على الملكية التعاونية لوسائل الانتاج الا ان اسلوب العمل فيها وشروط المعيشة في المستعمرات التعاونية سبب وجود ثلاثة أنواع منها : فالنوع الاول قائم على توزيع مزارع متساوية في المساحة لكل أسرة ، وتشترك هذه الاسر في شراء أدوات الانتاج كالتراكتورات والحصادات وغيرها ، والنوع الثاني يتيح للفرد الذي يعمل فيها علاوة على امتلاك المزرعة ، تشغيل عمال بالاجرة وتسمح له بالعيش حسب رغبته (يوجد مثل هذا النوع في يوغوسلافيا) ، والنوع الثالث نظم على أساس توزيع المستعمرة بشكل اسهم للمزارعين لا يجوز بيعها لانها ملكية مشتركة .

وفي مقدمة كتاب بلدانية فلسطين المحتلة للدكتور انيس صايغ يذكر شرحا وافيا وجيدا لانواع المستعمرات وفقا للاحصاءات والتعاريف التالية : ان النوع السائد، الاكثر شيوعا، في بلدان فلسطين المحتلة ، اليهودية ، هو الكيبوتز . والكيبوتز (وهي كلمة عبرية تعني لم الشمل) قرية جماعية. أرض القرية ومبانيها وأدواتها كلها ملك جماعي للقرية . ولذلك فالحياة فيها مشتركة : فيها مبان لسكن الاولاد واخرى لسكن المتزوجين ، واخرى للطعام او اللهو او للنوادي . وقد برز هذا النوع من المستعمرات الى حيز الوجود خلال موجة الهجرة اليهودية الثالثة الى فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، أي حوالي ١٩١٨ — ١٩٢١ . وهو تطوير أساسي لنوع اخر من المستعمرات كان قد ظهر منذ ١٩١٠ وسمي الكفوتزا (أي « الجماعة » بالعبرية) ، وهي جماعة زراعية تعاونية تعمل في مزرعة مشتركة على أرض وطنية يكون الانتاج والشراء فيها جماعيين ويرتكز الاستهلاك على مبدأ ارضاء الاحتياجات ضمن القدرة الاقتصادية، ويتحمل الكفوتزا مسؤولية الاسكان والتعليم والتطبيب . وبالتدريج تطور هذا النظام الى الكيبوتزات الشائع حاليا ، وهو أوسع مفهوما من النظام السابق ، بحيث يشمل الصناعة والعمل المأجور ولا يضع حدا لحجم الجماعة .

للكيبوتزات ولاءاتها السياسية . وهي بالتالي تنضم الى واحدة او اخرى من مؤسسات جماعية تشرف عليها . أشهرها الكيبوتز الموحد (هاكيبوتز هامئوحيد) الذي تأسس ١٩٢٧ . وهو يشكل النواة الرئيسية لحزب احدوت هاعافودا (الذي تأسس ١٩٥٤ منشقا عن حزب المابام) . وهو يسيطر على ٦٠ كيبوتزا يعمل فيها حوالي ٢٥٠٠٠ شخص . قاعدته في عين حارود . يأتي بعد

الكيبوتز الموحد ، في الاهمية ، الكيبوتز الوطني (كيبوتز هارتزي هاشومر هتسعير) الذي تأسس في ١٩٢٧ أيضا . وهو يضم الكيبوتزات التي تستمر في فرض القيود على عدد اعضاء الكيبوتز الواحد ومساحته دون ان ترفض الايدي العاملة المأجورة ولا الصناعة . وتقوم عقيدة الكيبوتزات «الكيبوتز الوطني» على جمع غريب بين الصهيونية والاشتراكية الماركسية . وهي توالي حزب المابام. وعددها ٧٥ كيبوتزا يعمل فيها حوالي ٣٠٠٠٠ شخص . وقاعدتها في مرحفياه . أما الكيبوتزات التي استمرت تفرض القيود على العضوية وتتجنب العمل المأجور من الخارج ، والتي حافظت على تقاليد الكفوتزات في الانتقائية ، فانها تنضوي تحت لواء منظمة ثالثة هي اتحاد الكيبوتزات (ايحود هاكفوتزات في هاكيبوتزيم) . وقد تكون هذا الاتحاد بشكله الحاضر في ١٩٥١ . وهو غير مرتبط بحزب معين . الا ان معظم اعضائه من حزب المابای . وهو يسيطر على ٧٥ كيبوتزا يعمل فيها حوالي ٢٥٠٠٠ شخص . وهناك منظمة رابعة تسيطر على ١٠ كيبوتزات يعمل فيها حوالي ٤٠٠٠ شخص ، هي العامل الشرقي التي تنتمي الى حركة المستعمرات المتدينة (هاكيبوتز هاداتي) ، وهي فرع من حزب هبوعيل همزراحي . وما يميز الكيبوتزات التابعة لهذه المنظمة هو تمسكها بالاشكال الدينية التقليدية ، ومحافظتها الشديدة. والمنظمة الخامسة هي العامل الصهيوني (هعوفيد هتسيوني) التي تأسست ١٩٣٥ وتضم ٦ كيبوتزات يعمل فيها حوالي ١٥٠٠ شخص . وهي ترتبط بحزب الاحرار .

النظام الثاني من المستعمرات اليهودية في فلسطين هو الموشاف . والموشاف مستعمرة للاكي اراض صغار. نشأت في الاصل عن الموشافا (اي المستعمرة ، بالعبرية) وهي قرية عمل ، أي قرية عادية تقوم على ملكية الارض الخاصة والمجهود الفردي . وقد بدأت بالظهور منذ الهجرة اليهودية الاولى الى فلسطين (١٨٨٢ — ١٩٠٤). والموشاف على انواع . ولم نهتم في هذه الدراسة بذكر الانواع الجزئية الا عند الضرورة . (احيل القارىء الذي يحب التوسع بدرس مؤسستي الكيبوتز والموشاف في اسرائيل ، الى دراستين في الموضوع صدرتا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت : الكيبوتز ، للاستاذ عبد الوهاب كيالي ، رقم ٤ من سلسلة دراسات فلسطينية ، ١٩٦٦ ، والموشاف للاستاذ ابراهيم العابد ، رقم ٢٦ من السلسلة نفسها ، ١٩٦٨).

أشهر انواع الموشافات هو الموشاف عوفديم ، أي القرية التعاونية . وهي قرية ترتكز على المساعدة المتبادلة وتكافؤ الفرص ، لكل عضو فيها مزرعة ، على قطعة صغيرة من الارض ، يعمل فيها العضو مع عائلته ، الا ان التعاونيات المركزية هي التي تتولى بيع المحصول وشراء المؤن والبذار والادوات . اما ملكية الارض فتعود الى الصندوق القومي اليهودي ، كما أن القرية تملك ، ككل ، بعض الالبات الزراعية . وهي ، عادة ، مستعمرة زراعية صرف ، يتراوح سكانها بين ١٠٠ و١٠٠٠ عضو . وتنتمي جميع موشافات هذا الصنف الى حركة المستوطنات(تنوعات هاموشافيم)، التي تأسست ١٩٢٨ وتضم حوالي ٣٥٠ موشافا يعمل فيها حوالي ١٠٠٠٠٠ شخص .

أما أنواع الموشافات الاخرى فتنتمي الى عدد من المنظمات ، أكبرها المؤسسة الزراعية (هوميتزا هكلات) التي تأسست عام ١٩٣٣ وتضم ٥٣ موشافا يعمل فيها حوالي ١٦٠٠٠ شخص ، وعمال حزب اسرائيل (بوعالي اجودات اسرائيل) تضم ١١ موشافا يعمل فيها حوالي ٣٠٠٠ شخص، وحركة حيروت ، تضم ١١ موشافا يعمل فيها حوالي ٢٠٠٠ شخص .

هذه هي المنظمات الرئيسية التي تنتمي اليها غالبية المستعمرات اليهودية في فلسطين ، سواء كانت من الكيبوتزات او الموشافات . لكن هناك منظمات اخرى ، صغيرة الحجم والنفوذ نسبيا، لعدد من المستعمرات . فهناك حركة الفلاح العامل الاميركية ، وجمعية الشبان الصهيونيين ، وبني برث ، والجادناع ، والنساحال ، والهداساه ، واتحاد المزارعين ، وحركة المكابي — وكلها مؤسسات صهيونية يسيطر الواحد منها على عدد محدود من المستعمرات .

والكيبوتزات والموشافات هي غالبية المستعمرات اليهودية في فلسطين المحتلة . ففيها اليوم حوالي ٢٥٠ كيبوتزا (أي ضعف عددها في ١٩٤٨) وحوالي ٤٠٠ موشافا (أي أربعة أضعاف عددها ١٩٤٨).

ولكن هناك أنواعا اخرى من المستعمرات ، أقل شيوعا ، من الكيبوتزات والموشافات : المعبرة (وهي مخيم للمهاجرين الجدد فقط) ، ومثلها موشاف المهاجرين ، والمستوطن البلدي ، والمستوطن القروي ، والمستوطن الصناعي ، والمؤسسة الثقافية والمدرسة الزراعية، والمزرعة، والمزرعة الاختبارية ، والمركز الزراعي ، ومعسكر العمل ، ومنشآت العمل ، والمصح ، والمنتجع ، ودار النقاهة ، والضاحية المستقلة او شبه المستقلة .

وتهتم بشؤون الزراعة عدة منظمات أهمها :

١ ــ منظمة الكيرن كاييمت : ومعناها الصندوق القومي اليهودي : كانت مهمتها شراء الاراضي من العرب وبيعها الى السكان اليهود . وقد بدأ انشاؤها عام ١٩٠١ وتقوم الان بعدة نشاطات منها استصلاح الاراضي وادارة المشاريع الزراعية الكبيرة .

٢ ــ منظمة الهستدروت (الاتحاد العام لنقابات العمال) تضم عدة منظمات ويبلغ عدد المنتمين اليها ١٨٠٫٠٠٠ نسمة يقطنون ٥٠٠ مستعمرة ويستثمرون اراض تقدر مساحتها بـ ٣٫٧ مليون دونم وينتجون ٧٥ ــ ٨٠ ٪ من مجموع حاصلات البلاد .

المبادىء والاسس التي يتركز عليها تحصين القرى الامامية (أسلوب الدفاع عن القرية)

ان اسلوب الدفاع عن الاعماق للبلاد او بمعنى اخر الدفاع عن القرى والمدن الصغيرة المتناثرة في أنحاء الريف وخاصة على الحدود هو المفهوم الجديد الذي ينتشر على نطاق واسع بعد تكرر الاعتداءات الصهيونية وبعد ان ثبت أن العدو عندما يهاجم بلادنا بقراها ومدنها المتناثرة فان المدافعين من أبناء المدن والريف سيكون لهم دور كبير في المعركة . ان مركز المقاومة يعترض طريق العدو في خط سيره ويبطىء من تقدمه كما يجعله مضطرا لاستهلاك جزء كبير من قوة هجومه واذا كانت مراكز الدفاع هذه موزعة على طريق تقدم العدو وفقا لتوزيع القرى والمدن الصغيرة فان العدو قبل توغله في أرض الوطن سيضطر كذلك الابطاء في خطوات تقدمه وهجومه فضلا عن فقدانه لحماسه.

وبهذا يصبح الطريق مجهزا لضربات قواتنا النظامية ، قوات الجيش المحاربة .

وهنالك وجه آخر من أوجه دفاع القرى والمدن الامامية له وجاهته وقيمته وقوته ، ان العدو قد يكون مدربا على ألا يضرب رأسه في المعاقل الحصينة ، بل يتفاداها في البداية ويميل الى اختراق النقاط الضعيفة والاستيلاء عليها . وبهذا فان القرية او المدينة الصغيرة ، اذا اظهرت مقاومة عنيفة عالية فان العدو سيصاب حتما بالخيبة ولو كان متقدما بكل قواته المروعة ، ولا يمكن الاستيلاء على المواقع ، اذا كانت قد وضعت خطة محكمة للدفاع تمتاز بسهولة التنسيق والتنفيذ بشكل سليم وحاسم .

ان الاعداد الجيد زمن السلم لكل الاعمال الهندسية بدءا من ملاجىء حماية النساء والاطفال والشيوخ اثناء قصف القرية بالمدفعية او الطيران وتحصين مراكز المقاومة التي ستحتلها وحدات الجيش الشعبي للدفاع حتى الموت وحفر خنادق المواصلات كل ذلك سيلعب دورا حاسما في مقاومة القرية او المدينة الصغيرة ويكبد العدو خسائر فادحة عندما يحاول احتلالها ويكسر من حدة موجات هجماته المحمولة او المدرعة . وتعطي قرى لبنان الجنوبية مثلا سيئا للقرية الضعيفة الغير معدة عسكريا او اقتصاديا للصمود امام هجمات العدو المتكررة الامر الذي يتطلب القيام بحملة على مستوى الوطن العربي لتحصين هذه القرى واعداد سكانها عسكريا واجتماعيا واقتصاديا ليصبحوا على مستوى الصمود امام هجمات العدو المتكررة .

ان وضع الخطة الدفاعية للقرية الامامية هو من اختصاص القيادة العامة للجيش الشعبي بالتنسيق مع القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة للجيوش النظامية . الا ان هناك بعض الاعمال الدفاعية والتي هي جزء من الخطة العامة يقع عاتق تنفيذها على القادة المحليين للجيش النظامي او الشعبي نذكر منها على سبيل المثال انشاء المراكز الدفاعية الصغيرةوالاستحكامات والخنادق والتي يجب ان تكون بوجه عام : قادرة على الدفاع من جميع الجهات ، محددة المواقع بحيث تغطي المناطق الحيوية ، يساند بعضها البعض الاخر .

ان اعمال التحصين في المدن والقرى بوجـــه خاص يجب ان تنفذ بالطريقة الاقتصادية وبالاسلوب الشعبي المبسط وان يستفاد من المواد المحلية . ان فكرة انشاء جميع التحصينات مـــن الاسمنت المسلح هي فكرة خاطئة وغير ممكنة للتنفيذ لنشرها على نطاق واسع لحماية الجماهير الواسعة من أبناء شعبنا .

ان المهندس العسكري الواقعي والذي يربـــط القضايا العسكرية بالواقع الاقتصادي والسياسي لبلدنا يبتكر احسن الطرق ويفتش عـــن ارخص التكاليف لانشاء الملجأ لحماية المواطن او الحصن للمقاتل ، والارض خير واق وأقوى ملجأ اذا مـــا احسن استعمالها وخاصة الاستفادة من المغـــاور والجروف والهيئات الطبيعية الحاكمة وغير ذلك .

ان الملاجىء كقاعدة عامة تكون اما خفيفة او ثقيلة وكلها تكون بشكل حفر تحت سطح الارض . تكون الاولى بالعمق (٢ — ٢ر٥) م والثانية أي الثقيلة بعمق اربعة امتار وتزود بمجموعة تصفية وتهويـــة .

ان النوع الذي يهمنا هو الملاجىء الخفيفة التي تؤمن حدا مقبولا لحماية أرواح المواطنين علـــى نطاق واسع ولا تحتاج الى المال الكثير والجهـــد الكبير وتقلل من الاعمال الالية . يمكن عند الحاجة استخدام الملاجىء المسبقة الصنع من الاسمنت المسلح والخشب او الصفائح المعدنية القديمة ومن أكياس الرمل وفي بعض الاحيان من البلاستيك .

ان الملاجىء الخفيفة لا تؤمن الوقاية من القصف الجوي او الارضي فحسب بل أنها تؤمن الوقاية من العوامل التدميرية للاسلحة النووية .

١ — الملجأ الخفيف (٣٠٠ — ٤٠٠) م من مركز الانفجار .

٢ — الملجأ الثقيل (١٠٠ — ١٥٠) م من مركز الانفجار .

ان انشاء الملجأ من النوع المسلح ان هـــو الا وسيلة مرتفعة التكاليف تهدف الى اسناد جوانب التربة وتغطية البناء تحت سطح الارض بطبقـــة من البيتون المسلح قد لا تصلح في معظم الاحيـــان لحماية المواطن الرابض تحتها اذا مـــا سقطت القنبلة (وخاصة العيار المتوسط والثقيل) فوق السطح مباشرة ولو كانت سماكته ٤٠ — ٥٠ سم مع تغطيتها بطبقة مماثلة من التراب .

اما ان تسقط قنابل العدو (سواء أكانت من الطائرات اوالمدفعية) فوق الملجأ مبـــاشرة فهذه حالة خاصة قد لا تصيب الملجأ واحد في الالف عندما تقصف عشر طائرات مقنبلة مساحة من الارض لا تزيد عن ٢٥٠ x ٢٥٠ مترا ولمدة خمس دقائق .

ان المواطن الذي يجلس في حفرة بعمق ١٥٠ — ٢٠٠ سم في مثل هذه المساحة المقصوفة من الارض قد ينجو ٩٥ ٪ وخاصة اذا كانت الحفرة مموهة جيدا وسطحها مغطى بغطاء اقتصادي كأن يكون من ألواح التوتياء والخشب فوقه طبقة عازلة مـــن التراب بسماكة ١٠ — ١٥ سم للحماية من قنابل النابالم وشظايا القنابل (تجارب الفيتناميين في الملاجىء الشعبيـــة الرخيصة الكلفة والسهلـــة التنفيذ) .

اننا عندما نذكر ذلك فهذا لا يعني باي شكل من الاشكال اننا ضد اسلوب التحصين واقامة الملاجىء بالاسمنت المسلح . لا ليس المقصود ذلك انمـــا القصد هو (الواقعية) في التنفيذ وامكانية حماية المواطن متطلعين من الامكانات المتوافرة وقدرتنـــا الاقتصادية والمالية ..

ان اسلوب التحصين بالبيتون العالي التسليح والملاجىء المسبقة الصنع قد يستعمل على نطاق محدود للمراكز العسكرية . والنقاط الحساسة المعلمة التي يتوقع ضربها من قبل العدو ١٠٠ ٪ .

ولو أردنا ان نعمم اسلوب التحصين واقامة الملاجىء بالبيتون العـــادي او العالي التسليـــح وأجرينا الحساب على ان نشيد مثل هذه الملاجىء لنصف سكان سوريا مثلا في أسوأ الاحوال تخرج بالنتيجة التالية : كلفة ملجأ اسمنتي مع تجهيزاته لعشرة اشخاص هي ١٠٠٠٠ ل.س. يبلغ عدد سكان سوريا (٦ر٣) مليون نسمة . عدد الملاجىء اللازمة للسكان (سعة ١٠ افراد) هي ٢٧٥٠٠٠ ملجأ . تبلـــغ كلفتهـــا ٣١٥٠٠٠ x ١٠٠٠٠ = ٣١٥٠٠٠٠٠٠٠ ل.س. أي اكثر من ثلاث مليارات ليرة سورية .

وهذا المبلغ تعجز عن تأمينه « اسرائيل » للصرف على مثل هذا العمل اضف الى ذلك ان « اسرائيل »

نفسها لا تستند على الاسمنت المسلح في اعمال التحصين على نطاق واسع حتى لاكثر المستعمرات المنتشرة على الحدود الا على نطاق محدود ...

وكتحصيل حاصل يمكن ان ينشأ ملجأ يكفي لحماية عشرة اشخاص بالطريقة التالية وبتكاليف لا تتعدى ٦٠٠ — ١٠٠٠ ليرة سورية على النحو التالي : ١ — تختار ارض مستورة وارضها غير صخرية ان امكن لتجنب استعمال الالات والمتفجرات . ٢ — يؤخذ بعين الاعتبار تصريف المياه . ٣ — حجم الحفرة ينفذ بالقياس التالي : العمق (٢) متر ، العرض (١ر٥) متر ، الطول (٤) امتار . ٤ — تحفر الجدران للحفرة بشكل مائل بنسبة ١٠ — ١٥ ٪ لمنع انهيار التراب . ٥ — تسند جدران الحفرة بقوالب الطين المجبول بالتبن او قطع التوتياء والخشب البالي او الحصير والخشب . ٦ — يغطى سطح حفرة الملجأ بخشب الحور والتوتياء ويردم فوقه التراب بسماكة ١٠ — ١٥ سم . ٧ — يموه سطح الملجأ بصورة جيدة ويترك فتحة للتهوية مقابلة للمدخل .

أسس ومبادىء الدفاع عن القرية :

ان الدفاع عن القرية او المدينة الصغيرة يرتبط ارتباطا عضويا بالنقاط التالية: ١ — مساحة القرية وابعادها . ٢ — موقعها على الارض كأن تكون في ارض مكشوفة او قريبة من الحواجز الطبيعية والهيئات الحاكمة . ٣ — مكان القرية وعلاقتها بالمخطط الدفاعي كأن تكون ضمن نطاق الحيطة الامامي او بعمق الدفاع او متحكمة في عقدة مواصلات ... الخ . ٤ — نوع ابنية القرية واسلوب توزيعها وقوة تحمل الابنية وامكان اتخاذ بعضها كمراكز للدفاع بعد ادخال تعديلات وغير ذلك .

عندما تكون القرية على الحد الامامي مباشرة او في عمق الدفاع يمكن ان ينظم الدفاع على مشارفها او بداخلها. ان الهدف من انشاء المواضع الدفاعية هو ايقاف العدو المهاجم وانهاك قواته قبل وصولها الى القرية وخلق الشروط المناسبة للدفاع عن القرية ، تجهيز المواضع الدفاعية بالاستخدام العقلاني للمرتفعات والانهار والهيئات الطبيعية الحاكمة وينظم الدفاع على اساس دائري لمنع العدو من الالتفاف والاحتلال المفاجىء للقرية من الجنبات والمؤخرة .

يجب ان تنشأ المواضع الدفاعية الداخلية بالعمق ويعود عدد هذه المواضع وأبعادها لعدة أمور منها ابعاد ابنية القرية والوسائط المتوفرة والوقت والاماكن المأهولة وغير ذلك وينظم الدفاع على اساس نسق اول ونسق ثاني ... واساس الانساق هو عقد الدفاع المتقاطعة بالنيران .

ولتأمين الدفاع الدائري تقسم القرية الكبيرة الى قطاعات يتوقف عددها على ابعاد القرية ووجود الاتجاهات المهمة وعدد تسليح الوحدات المخصصة للدفاع عن القرية ويمكن للسرية من الجيش الشعبي عند تعزيزها الدفاع عن نقاط دفاعية (شكل نقطة استناد) عرضها من (٤٠٠ — ٨٠٠) متر وعمقها من (٣٠٠ — ٦٠٠) متر. أما كتيبة الجيش الشعبي فيمكنها ان تدافع داخل وخارج القرية ضمن مساحة تتراوح بين (١ر٥ — ٢) كم بالعرض وبين (١ — ١ر٥) كم بالعمق .

ان ابنية القرية الكثيفة البنيان والمحاطة بالاشجار تحد كثيرا من مجال الرؤية والرمي وتجزىء اعمال القتال الى سلسلة معارك محلية وتهدف الى الحفاظ على عقد الدفاع ونقاط الاستناد . لهذا تضعف الامكانات القتالية للقوات المدافعة عن القرية اذا قورنت بالاعمال الحربية في الاراضي الميدانية .

قد يستخدم العدو الاسلحة الذرية لتدمير الاهداف المهمة والقوات المدافعة لذا يجب انشاء الملاجىء والمساتر للاليات عند تنظيم الدفاع ويستفاد كثيرا من المغاور على نطاق واسع والاقبية والمساتر الطبيعية .

القرية الامامية
من حيث الوظيفة والتنظيم والانشاء

كان من آثار عدوان الخامس من حزيران الذي رسمت مخططاته في مكاتب الاستخبارات للدول الرأسمالية الاستعمارية ونفذته قاعدة الاستعمار الحديث « اسرائيل » على وطننا العربي عامة وعلى سوريه العربية خاصة قيام حدود جديدة بيننا وبين العدو (لقد جرى عليها تعديلات طفيفة نتيجة لحرب تشرين التحريرية كما جرى تعديل اوسع على الحدود الجنوبية في جبهة سيناء بعد تحطيم خط

بارليف ونقل الخط الدفاعي المصري الرئيسي لداخل سيناء ومع ذلك فان هذه الحدود تتميز بشكل رئيسي بتهديدها المباشر من قبل العدو وضرورة القيام بكل ما يمكن وبالسرعة الكلية بتحويلها الى جبهة محصنة قادرة على الصمود في وجه اية مغامرة جديدة يقوم بها العدو ضد بلادنا ، ولهذا الهدف اصبحت قضية تنظيم سكان مناطق الحدود في مجموعات اقتصادية دفاعية لدعم المجهود العسكري النظامي عملا ذي اهمية بالغة الخطورة، ولا شك بأن الشكل التنظيمي الامثل لتأدية مثل هذه الوظيفة هو انشاء القرى الامامية على طول خط وقف اطلاق النار الحالي ولا يعتبر هذا العمل اعترافا بالحدود القائمة اذ ان حدودنا عندما تتقدم وتحرر أراض جديدة فنكون بذلك قد استصلحنا اراض جديدة كانت شبه خالية وقوينا عمقنا الدفاعي بخلق قواعد سكانية جديدة .

ان هذه القرى الدفاعية التي ستناط بها مهمة بلورة الجهد الاقتصادي والدفاعي لسكان مناطق الحدود وصبه في افضل الاشكال التنظيمية لتحقيق خطوط دفاعية صامدة تلتحم فيه ارادة المواطن الشريف ، اي الدفاع عن ارضه واستثمار خيراتها، والجهد العسكري النظامي المرابط في خنادقه الامامية .

القرية الامامية — الوظيفة : ان الوظيفتين الاساسيتين للقرية الامامية تنحصران في تحقيق الجهدين الاقتصادي والدفاعي ولتحقيق هذين الجهدين سنحاول القاء نظرة تفصيلية لشروح الخطوط الرئيسية لكل منهما .

أولا — الوظيفة الاقتصادية للقرية الامامية : ان الهدف الاقتصادي من انشاء القرى الامامية في مناطق الحدود لدول المواجهة بشكل خاص ولحدود البلدان العربية بشكل عام يتلخص في تنظيم جهود سكان مناطق الحدود والنازحين من الاراضي المحتلة في تنظيم اقتصادي عصبه الرئيسي الزراعة التي تقوم عليها حياة سكان كل المنطقة. ولتحقيق هذا الهدف يقترح قيام هذا التنظيم على المبادىء الاتية :

١ — حصر الاراضي الموجودة في المنطقة موضوع البحث ، وتحديد نوع الملكية فيها ، واحصاء انتاجية هذه الاراضي والزراعات الاساسية القائمة عليها .

٢ — احصاء بشري للسكان يتناول النقاط الاتية : عدد العائلات ، حجم العائلة الوسطي ، عدد اليد العاملة في العائلة الواحدة (تحسب على اساس وحدة العمل في العائلة الواحدة باعتبار وحدة العمل تساوي ما ينتجه عامل زراعي واحد في يوم العمل) ، الدخل الوسطي الحالي للعائلة الواحدة ، مصادر الدخل المختلفة للعائلة ، الروابط الاساسية لمجموعات السكان وخاصة ما يتعلق منها بالنواحي العشائرية والعائلية والدينية .

٣ — دراسة حجم المزرعة الواجب تخصيصه للعائلة الواحدة التي تحقق دخلا وسطيا لا يقل باية حال عن الدخل المتوسط الحالي للعائلة ، ويضمن لها حياة اقتصادية متوازنة وضمن امكانيات عمل افراد العائلة على مدار السنة .

٤ — تحديد عدد القرى على ضوء نتائج الدراسات للفقرتين (١ و ٣) اعلاه ، وذلك بعد دراسة حجم القرية الواحدة من حيث عدد العائلات في كل قرية وعلى ضوء المساحات الزراعية التي ستخصص لها مع مراعاة التوزيع حسب الشروط الاقتصادية والعسكرية .

٥ — وضع نظام اداري — اقتصادي على اساس تشكيل القرية التعاونية كوحدة زراعية متكاملة مع كل ما يلزم لتنظيم الاستثمار على مثل هذا الاساس .

٦ — انتقاء المستوطنين بموجب شروط محدودة تحقق ما يلي : الاختيار الطوعي ، الاساس الطبقي حيث تعطى الافضلية للفلاحين الاجراء والنصف اجراء اي الذين يقومون بخدمات في مزارع الغير ، لتأمين حياتهم مع وجود ملكية يستثمرونها لانفسهم ولا يكفي انتاجها لوحده لاعاشتهم ، توفر نسبة معينة من المتعلمين وأنصاف المتعلمين من سكان القرى ، توفر عدد معين من اليد العاملة الفنية (حرف مختلفة — سائقي جرارات — وشاحنات ميكانيكية ... الخ) ، اعطاء الافضلية للعائلات التي لديها اكبر قدر من قوة العمل ، الوعي الوطني والنشاط في الانتاج .

ان القيام بجميع ما تقدم ذكره ، يجب ان يستفاد من نتائجه لوضع نظام اقتصادي للقرية الامامية

يقترح ان يعتمد اساسا على المبدأين الاتيين :

ـ القرية كتنظيم اقتصادي هي تعاونية زراعية. الامر الذي يستدعي ملكية الفلاحين لجميع مصادر الانتاج ووسائله في نطاق التعاونية مع حقهم الكامل في ادارة تعاونيتهم ادارة ديموقراطية لها كامل الصلاحية في ادارة الانتاج من جهة ووضع الضوابط اللازمة لنجاحه وتطويره وتلتزم هذه الادارة بتوجيهات الدولة عامة فيما يتعلق بنوعية الانتاج الذي يجب ان تتخصص به (نوع الزراعات) واية تعليمات تتعلق بوظيفة القرية التعاونية الدفاعية .

ـ القرية الامامية ليست تدبيرا مؤقتا مرتبطا بوضع معين قائم حاليا وتتطلبه ضرورات الجبهة بظروفها الراهنة وحسب . بل هي جزء لا يتجزأ من التجربة الاشتراكية في القطاع الزراعي على نطاق البلد بكامله ، تتفاعل مع نتائج هذه التجربة مؤثرة ومتأثرة ، مما يعطي المجتمع القائم في تلك المناطق صفة الديمومة ويعطي الانتاج صفته الاجتماعية المتكاملة .

ثانيا ـ الوظيفة الدفاعية للقرية : اذا قبلنا بالوظيفة الاقتصادية للقرية الامامية على الاسس التي بيناها فيما سبق فان الوظيفة الدفاعية للقرية الامامية تصبح مهمة من المهام الاولية لمجتمع القرية، يفترض تحقيقها شروطا معينة من اهمها الدفاع عن الارض والتشبث بها ولتحقيق هذه الشروط يستلزم ما يلي :

١ ـ نوعية سكان القرية : من حيث وعيهم وادراكهم لواجبات الدفاع عن اراضيهم والتشبث بها وامكانياتهم الفعلية للقيام بذلك ، ولا شك بأن اعتماد الانتماء الطبقي اساسا ، وتمليك الارض يخلق الشروط الاقتصادية والاجتماعية السليمة لتحقيق هذه الاهداف .

٢ ـ موقع القرية : ويرتبط بالتخطيط العسكري لخط الجبهة الامامية مع مراعاة الوظيفة الاقتصادية للقرية عند انتقاء الموقع .

٣ ـ تحصين القرية : ويعتمد على ناحيتين :

أ ـ تنظيمية : تتناول شكل توزع المساكن في القرية بحيث يتحقق تبعثر هذه المساكن وتوزعها ضمن مساحة معقولة لا تفقد القرية شكلها الاجتماعي وتؤمن حماية مقبولة ضد اية اغارة ممكنة الوقوع من جانب العدو بحيث يصعب تدميرها ويقلل الخسائر الناجمة عن مثل هذه الاغارات الى أقل حد ممكن .

ب ـ دفاعية : وتتعلق بحماية سكان القرية وذلك بتأمين ملاجىء وخنادق طوارىء يلجأ اليها السكان وخاصة الاطفال والنساء والشيوخ عند الضرورة وتتوزع هذه الملاجىء والخنادق داخل القرية وفي أماكن الانتاج والعمل بحيث تتأمن اسرع امكانية للجوء اليها عند الحاجة .

ولا بد من الاشارة هنا ، الى ان اي تحصين مقبول من الناحية الاقتصادية ، لا يمكن أن يؤمن حماية كاملة في جميع الاحوال ، ويبقى مبدأ القبول بوقوع خسائر بأقل الحدود الممكنة مبدأ عاما ، وذلك لتجنب هدر الاموال في اقامة ملاجىء تصمد للاغارة المباشرة عليها ، والتي لا تبرر اكلافها في جميع الاحوال ميزاتها الدفاعية ، ولذلك يفضل اللجوء الى الخنادق الدفاعية المحفورة في أماكن محددة في القرية وخارجها مع تغطيتها بالمواد المتوفرة محليا والتي يمكن ان يقوم بها السكان انفسهم مع اقامة عدد محدود للغاية من الملاجىء المحصنة جيدا الغاية منها حماية الاطفال والوثائق والمؤن وغيرها من المواد الضرورية .

٤ ـ الجيش الشعبي : ويقوم على اساس الانضواء الطوعي الذي يقبل به سكان القرية عند الاختيار ويعتمد على تدريب جميع القادرين على حمل السلاح من رجال ونساء القرية بجميع أشكاله وبأفضل الاشكال الممكنة مع توزيع السلاح على المتدربين ، بالاضافة الى تأمين كل ما يلزم لاغراض الدفاع المدني مع تدريب عدد كاف من سكان القرية على مثل هذا العمل .

وبشكل عام يجب ان يكون مجتمع القرية جزءا من الجهد العسكري والدفاعي على طول الحدود مع تحديد مهامه وواجباته وشرحها شرحا كافيا وبشكل مستمر لسكان القرى ومن الافضل ربط هذا المجتمع بنوع من العلاقة المرنة مع القيادات العسكرية في المنطقة وخاصة مع الحرس الوطني او بالشكل الذي يضمن استيعاب المواطن لدوره في المعركة ولمسؤوليته تجاه الارض التي يعيش عليها .

٥ ـ التعاون والتفاعل بين سكان القرية

الامامية والوحدات النظامية المرابطة في الجوار : ويمكن لهذا التعاون أن يأخذ اشكالا متنوعة ومرنة حسب ظروف القرية وموقعها وحجم الوحدات المرابطة في الجوار وامكاناتها ومهامها ، والهدف من مثل هذا التعاون ربط مجتمع القرية بالوضع الدفاعي عن الارض بشكل خاص والبلاد بشكل عام بحيث يبقى الحس الوطني والادراك العميق بالمسؤولية مع القناعة الكلية بالواجب عوامل مسيطرة على حياة القرية .

ومن المفيد في مثل هذا المجال مشاركة الوحدات المرابطة في بعض الاعمال التي يقوم بها سكان القرية ، كحصاد بعض الزراعات الذي يشكل ضغطا كبيرا على اليد العاملة في القرية، والمساهمة في اعمال التحصين للقرية والاشراف عليها وتوجيه سكان القرية لافضل اشكال انشائها والعكس بالعكس من حيث تكليف سكان القرية ببعض الاعمال المتعلقة بالمجهود الحربي في المنطقة وتخصيص مناطق محددة يقع عبء امدادها بالخضار الطازجة والمنتجات الحيوانية على عاتق سكان القرية الى آخر هذه الاشكال المتنوعة التي تعزز من علاقات الواجب المشترك في الدفاع عن الارض وتقويمها على اسس من الاخاء والتعاون الصادق الواعي .

القرية الامامية واسس تنظيمها وانشائها

باعتماد الاسس الاقتصادية والدفاعية العامة التي شرحناها حتى الان ، وبهدف وضع حل يمكن اتخاذه كمثل للمناقشة . افترضنا بعض المعطيات الاساسية التي تساعد على تنظيم قرية أمامية ، مع مراعاة كون هذه الافتراضات اقرب ما تكون الى الصحة من جهة ، وقابلة للتطبيق العملي كأساس مع مراعاة شكل الارض والموقع لكل قرية على حده من جهة اخرى .

وتتلخص هذه الافتراضات في المعطيات الاتية :

١ ــ حجم القرية : تتالف القرية وسطيا من حوالي (٦٠) عائلة ، ويتناسب هذا الحجم مع حجم القرى الشائع في المنطقة موضوع البحث ، كما يساعد على قيام استثمار تعاونية زراعية بشروط ملائمة للتطبيق العملي .

٢ ــ تكوين العائلة : تتالف العائلة وسطيا من سبعة افراد ، وهذا العدد يجب اخذه كرقم وسطي ، حيث ستوجد في القرية عائلات يتفاوت عدد افرادها تفاوتا محسوسا ، الا ان اعتبار الرقم الوسطي لغرض التخطيط والتصميم امر يمكن القبول به ، مع مراعاة حل يقبل بعض التعديلات التي تناسب الاحتمالات الممكنة في هذا المجال .

وسنشرح فيما يلي الخطوط العريضة للحل الذي وضعناه والذي اوضحناه في المخططين المرفقين رقم (٢) ورقم (٤) .

أولا ــ تنظيم القرية : يبين المخطط رقم (٢) قرية أمامية نظمت بأخذ جميع الافتراضات السابقة بعين الاعتبار ويتميز هذا الحل حسب اعتقادنا بما يلي :

ا ــ وزعت القرية على ثلاث مجموعات تتألف كل مجموعة من حوالي العشرين بيتا ريفيا ، وتتألف كل مجموعة من سلسلة متناسقة من وحدات تضم كل منها ثلاثة بيوت او اربعة وقد حققت الميزات الاقتصادية والدفاعية في هذا التنظيم كما يلي :

أ ــ خصص لكل بيت مزرعة خاصة مساحتها نصف هيكتار ، بحيث تضمن للمزارع مساحة كافية لزراعة بعض الخضراوات والاشجار المثمرة التي تكفيه واسرته ، والتي يمكنه استثمارها بعمله بعض الاوقات الاضافية مع افراد اسرته ، وتساعد على تحسين دخله وتخفيض نفقات معيشته .

ب ــ يحافظ هذا الحل على الترابط التنظيمي الضروري للقرية من حيث الشكل والتوزيع مع مراعاة التبعثر والانتشار الكافي لبيوت القرية لتأمين الحماية الكافية لها ويقلل من اضرار الغارات قدر الامكان .

ج ــ يفترض هذا الحل ان اراضي القرية الزراعية تقع على مقربة من القرية بحيث لا تقع منازل القرية ضمن الاراضي الزراعية ، وهذا الحل يتناسب مع وظيفة القرية الدفاعية من حيث امكانية اقامتها في جوانب المرتفعات وفي الاماكن التي تناسب طبيعتها وطبوغرافيتها هذه الوظيفة دون ربط مباشر مع الاراضي الصالحة للزراعة والتي تستثمرها القرية .

هذا بالاضافة الى ان وقوع البيوت في المساحات الزراعية يزيد في تبعثر القرية ويفقدها شكلها

التنظيمي والترابط الضروري . كما يزيد من نفقة المرافق العامة ويتنافى مع الشكل التعاوني المقترح لحياة القرية الاقتصادية والتي تستلزم تنظيم العمل على اساس كامل المساحات المخصصة للقرية لا على اساس الملكية الخاصة للارض لكل مزارع على حده .

د — روعي توزيع المنشآت ذات الخدمة العامة توزيعا عقلانيا حيث وضعت في مركز متوسط تقريبا بالنسبة لبيوت القرية مما يسهل وصول جميع سكان القرية الى هذه المنشآت ويعطي القرية مركزا يستقطب الحياة العامة في القرية وهذه المنشآت هي المدرسة والنادي والسينما ومخازن البيع .

اما المستودعات فقد قسمت على مستودعين وضع كل منهما في زاوية من زوايا قاعدة القرية مما يسهل استعمالها من قبل سكان القرية من جهة ويمنع مركزة المستودعات في كل مجمع يؤدي تدميره الى الحاق الضرر الكبير بالقرية ، كما وضعت مولدات الكهرباء في مؤخرة القرية لتحقيق اكبر قدر من الحماية لها ، ومن الافضل توزيع الوحدات الكهربائية على مجموعتين من التوليد في موقعين متقاربين في المؤخرة لضمان عدم تدميرها في وقت واحد .

هـ — افترضنا ان الملاجىء ستكون من حفر او خنادق تنشأ في المساحات الغير مزروعة قرب المنازل وتسقف بالاخشاب وتردم بطبقة كافية من التراب مع ممرات جانبية تصل البيوت بهذه الخنادق ويقوم بتنفيذها سكان القرية وفق تخطيط تضعه السلطات العسكرية حسب موقع القرية ، كما افترضنا انشاء ملجأ ارضي بمساحة لا تتجاوز (٥٠) م٢ لاطفال القرية ، ويقترح اقامته في البناء المجاور للمسجد او الكنيسة لتقليل احتمالات قصفه الى الحدود الدنيا .

٢ — يسمح الشكل الذي تم بموجبه تنظيم بيوت القرية بتطبيقه حسب طبوغرافية الموقع الذي سيتم اختياره لانشاء القرية الامامية حيث يمكن عن طريق توزيع مجموعات البيوت حسب الشكل المرغوب باحداث انزياحات اختيارية في خطوط القرية الاساسية للتلاؤم مع شكل الارض والموقع .

٣ — لم نتعرض لدراسة وتخطيط الطرق والساحات في القرية لعدم توفر المعطيات الاساسية اللازمة لهذا الغرض .

ثانيا — وحدة السكن في القرية :

١ — المخطط : يبين المخطط رقم (٤) وحدة السكن في القرية للعائلة الواحدة وقد وضع هذا المخطط على مراعاة ما يلي :

أ — مساحة المسكن بحدود (١٠٠) م٢ ويمكن تخفيضها الى (٧٠) م٢ كحد ادنى نظرا لارتفاع كلفة الثمن يضاف الى ذلك ان استعمال مواد البناء الريفية الرخيصة (اسلوب البناء الشعبي المتطور أمرا يجب ان يؤخذ بالحسبان عند عدم توفر الاموال اللازمة) .

ب — يتألف المسكن من غرفتين ومطبخ ومستودع ومدخل صغير ودورة مياه .

روعي في مساحات البيوت ملاءمة الاحتياجات الضرورية لسكن عائلة مؤلفة من سبعة افراد .

ج — وضع المخطط بحيث يمكن تعديله لملاءمة متطلبات سكن الاسرة التي ستختص به ، وقد افترضنا امكانية بناء عدد من النماذج في القرية الواحدة تتألف البيوت للعائلات الكبيرة من بيوت تنطبق مع المخطط رقم (٤) أما في حالة العائلات الاصغر عددا فيمكن حذف احدى الغرفتين او المستودع او اجراء مبادلة بين موقع المطبخ والمستودع وذلك دون ادخال اي تعديل أساسي على المخطط .

د — صممت الفتحات (النوافذ) بحيث تكون تكاليفها أقل ما يمكن فلم تفتح الا نافذة واحدة في الغرفة الواحدة ، اما اتجاه هذه النوافذ فيمكن التكيف به بحيث يتلاءم مع الموقع واتجاه الريح المسيطرة في المنطقة للحصول على القدر الكافي من الانارة والتهوية .

٢ — مواد البناء : ان مواد البناء القابلة للاستعمال في مثل هذه الانواع من البيوت يمكن ان تكون :

أ — جدران طينية مع سقف من الاخشاب والحصير والطين : وهي اقل انواع البناء كلفة وشائعة الانتشار في قرى الريف السوري . الا ان مثل هذا الانتشار يجب تجنبه بقدر المستطاع رغم قلة تكاليفه وذلك لقلة متانته وقصر عمره والحاجة الى ترميمه بشكل دائم .

ب ـ جدران حجرية مع سقف من البيتون المسلح : وتلي من حيث الكلفة النوع الاول ، وتتميز بالمتانة اللازمة الا ان اعتمادها يتطلب توفر أحجار البناء في الجوار للقرية ونظرا لعدم تأكدنا من هذا الواقع فلم نلجأ الى مثل هذا الاحتمال ولو انه ينصح به في انشاء القرى التي تتوفر في جوارها احجار البناء السهلة القطع والشغل .

ج ـ جدران من البلوك الحامل مع سقف من البيتون المسلح : وتعتبر حتى الان من اكثر انواع الانشاء ملاءمة من حيث الكلفة والمتانة لسهولة التنفيذ وسرعته ، ويمكن تطبيقها في جميع ظروف الارض حيث يمكن تأمين الرمل اللازم لصنع البلوك بسهولة ، ويصبح هذا الحل مناسبا بصورة عامة في الابنية الريفية او السكن الشعبي المؤلف من طابق واحد لقلة الحمولات في مثل هذا النوع من البناء .

د ـ جدران من البيتون المغموس بالقالب مع سقف من البيتون المسلح : ويعطي هذا الشكل من الانشاء بناء متينا وتكاليفه تزيد قليلا على تكاليف النوع السابق بسبب ضرورة استعمال القالب ، الا انه يتميز بالمتانة وقد يكون من المناسب تبني هذا الحل عند الرغبة في زيادة متانة البيوت وتصميمها على اساس مقاومة نيران الاسلحة العادية والمتوسطة .

هـ ـ البناء الهيكلي : ويتألف من اعمدة من البيتون المسلح ترتكز عليه بلاطة السقف وتملأ الفراغات بين الاعمدة بالبلوك المفرغ الذي لا يتحمل اية حمولات في مثل هذا الانشاء الا أن هذا النوع من البناء يفضل في حالة الابنية الطابقية ولا تبرر اكلافه استعماله في بيوت الطابق الواحد .

و ـ البناء المؤلف من قطع مسبقة الصنع : ويتراوح عمل هذا النوع من الانشاء من استعمال قطع قياسية من البيتون المسبق الصنع في الجدران الخارجية مع سقوف تصب في الموقع الى تصنيع كامل اجزاء البناء ، وقد بوشر في تطبيق هذه الطريقة على نطاق واسع في الحالات التي تتميز بما يلي : وجود عدد كبير من الابنية المتشابهة ، سرعة التنفيذ وشموله ، تصنيع البناء والتوفير في اليد العاملة .

وقد حقق هذا النوع من الانشاء في مثل هذه الشروط نتائج بالغة الاهمية . واصبحت تكاليفه في مثل هذه الحالات تنافس ارخص انواع الانشاء المعروفة . (تجربة انشاء البيوت المسبقة الصنع في قرى مشروع سد الفرات الرائد في سوريا) .

٣ ـ نوع الانشاء المستعمل : لعدم توفر دراسة لشروط الارض والموقع من حيث توفر مواد البناء وعدد القرى المطلوب انشاءها اعتمدنا المخطط رقم (٤) بناء جدرانه من البلوك الملآن الحامل بسماكة ٢٠ سم ، مع سقف البيتون المسلح بسماكة ١٠ سم ، ويقوم البناء على قاعدة من البناء الحجري بسماكة ٤٠ سم او من البيتون المغموس او من البيتون المسلح (شيناج) وذلك تبعا للارض التي سيشاد عليها البناء من حيث تحملها وثباتها .

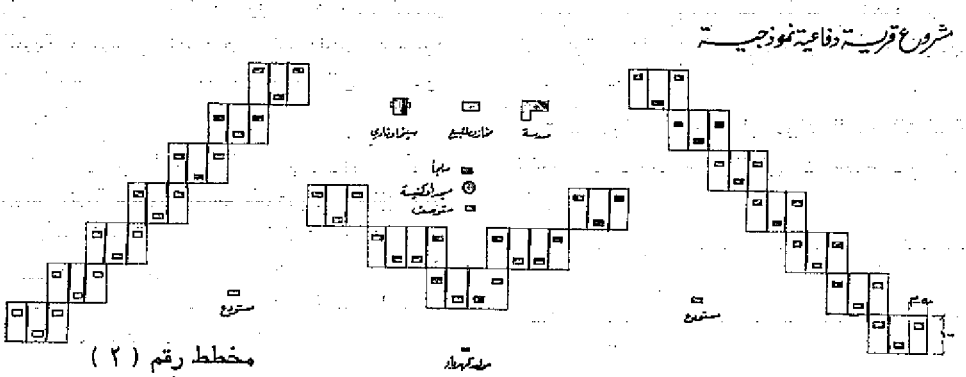

مخطط رقم (٢)

مشروع بيت نموذجي
في قرية دفاعيـــة

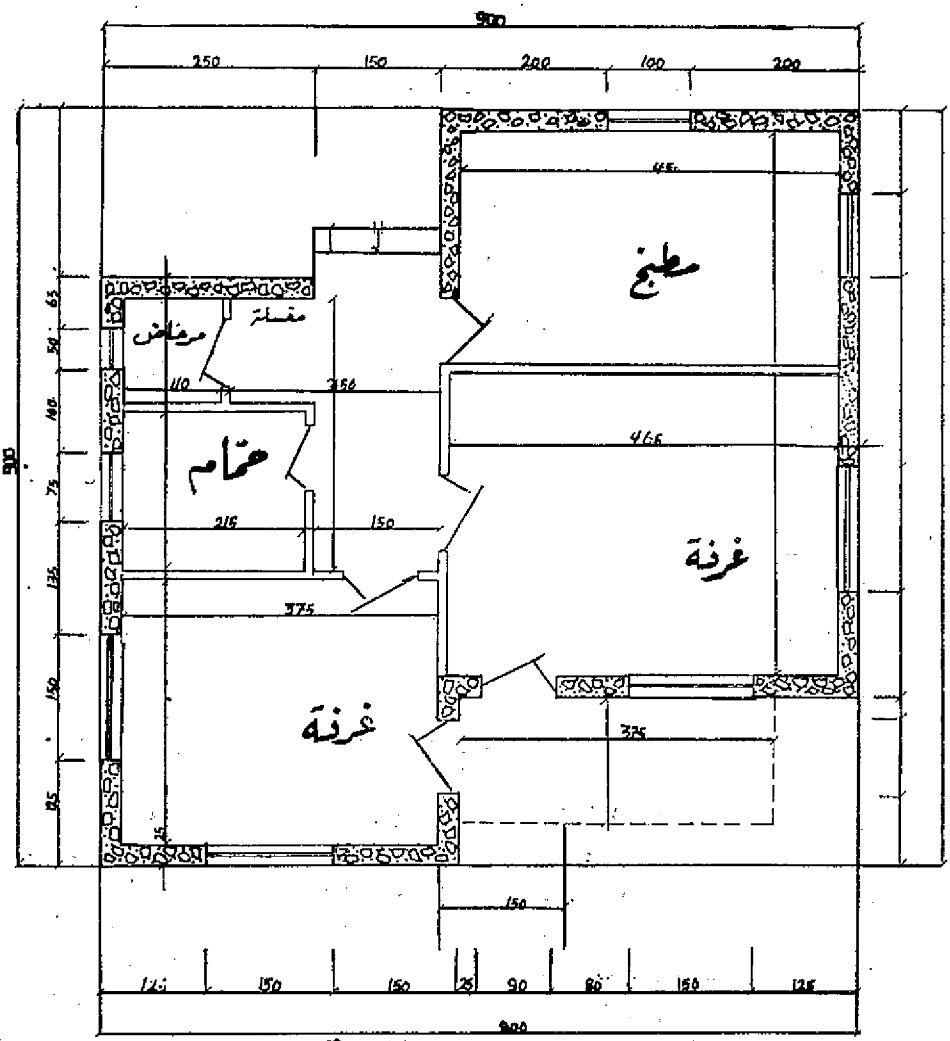

المســقـــط الافـــقي مخطط رقم (٤)

القرية الامامية تكاليف الانشاء

لا يمكــن في هذا المجــال اعطاء تقديرات دقيقة وذلك لجملة من الاسباب اهمها شكل الدراســة الاولية ، وكل ما يمكن تقديمه تقديرات أولية تماما قد تفيد في القاء الضوء على الحلول المقترحة .

ويجب تقدير التكاليف على اساس كلفة المتــر المربع من مساحة البناء وهي افضل طريقة يمكــن عن طريقها الوصول الى فكرة صحيحة عن الاكلاف والمقارنة بين نوع من الانشاء ونوع اخر ، وسنعمد للحصول الى كلفة المتر المربع من المساحة المبينة الى حساب كلفة المسكن الواحد حسب المخطط رقم (٢) ثم حساب كلفة المتر المربــع الواحد علــى اساس ذلك .

أولا : كلفة المسكن الواحد :

البـــلوك	٣٥م٣ × ١٠٠ ل.س =	٣٥٠٠ ل.س
البيتـــون المسلح	سقف + شيناج + عتبات + عمود ١٥م ٣ × ٢٧٠ ل.س =	٤٠٥٠ ل.س
الارضـــية	بلوكاج سماكة ١٥ سم وصبه بسماكة ٨ سم بعيار ٢٠٠ كغ اسمنت سعر المتر المربع ١٧ ل.س ١٠٢ × ١٧ =	١٧٣٤ ل.س
المنجـــور	١٨م ٢ × ٧٥ ل.س =	١٣٥٠ ل.س
الرشـــة الخارجيـــة	١٣٣ م × ٨ ل.س =	١٠٦٤ ل.س
الطينـــة الداخليـــة	٢٥٠م ٢ × ٦ ل.س =	١٥٠٠ ل.س
طرشـــة كلس داخليـــة	٢٥٠م ٢ × ١٤٢٥ ل.س =	٣١٢٤٥٠ ل.س
أســـاس (ركه)		٧٠٠ ل.س
الاعمـــال الصحيـــة		١٤٠٠ ل.س
كهربـــاء		٤٠٠ ل.س
المجمـــوع		١٦٠١٠٤٥٠ ل.س
هوالك ١٠ ٪ تقريبـــا		١٨٣٩٤٥٠ ل.س
		١٧٨٥٠٤٠٠ ل.س

كلفة المتر المربع من البناء ١٠٢/١٧٨٥٠ = ١٧٥ ل.س (تقريبا).

والكلفة متعادلة تقريبا في حالة استعمال جدران خارجية من البيتون المغموس بسماكة ٣٠ سم وداخلية من البلوك بسماكة ٢٠ سم ، ويفضل هذا الحل الذي يعطي البناء متانة أكبر ومقاومة اكثر فعالية ضد الرماية المعادية .

ثانيا ــ كلفة القرية : اذا اعتبرنا المساحات المبنية كمرافق عامة في القريـــة مـــن مستوصـــف ومستودعات ومدرسة وندوة مع سينما ومخـــازن ومسجد او كنيسة وملجأ تعادل حوالي ١٠٠٠ م٢ فان كلفة هذه المرافق تعادل تقريبا مبلغ ٢٠٠٠٠٠ ل.س .

وتكون تكاليف منازل القريـــة التي عددها ٦٠ منزلا .

٦٠ × ١٨٠٠٠ = ١٠٨٠٠٠٠ ل.س.

وبفرض ان الطرق والخدمات العامة (انـــارة ــ مياه ــ كهاريز) تصل تكاليفها الى ٢٥٪ مـــن كلفة ابنية القرية فتكون كلفتهـــا حوالي ٢٧٠٠٠٠ ل.س .

١٠٨٠٠٠٠ + ٢٠٠٠٠٠ + ٢٧٠٠٠٠ = ١٥٥٠٠٠٠ ل.س .

الخلاصة : لا بد من الاشارة في مجمل هـــذه الدراسة الى ان ما اوردناه لا يمكن اعتباره الا خطوطا عريضة تحتاج الى الكثير من الدراســـة والتمحيص . وككـــل عمل هندسي او دراســـة اقتصادية يتطلب التوصل الى اقتراح مقبول عمليا، عملا جماعيا يشارك فيه المهندس والخبير الاجتماعي والخبير العسكري والخبير الزراعي وخاصة في مثل هذه الدراسة التي تتناول جانبا حيويا من حيـــاة سكان الحدود ومستقبل تطورهـــم بالاضافة الـــى أهميتها الدفاعية الملحة .

طريقتان لبناء القرية الدفاعية النموذجية

هنالك طريقتان للبنـــاء : ١ ــ الطريقـــة

الكلاسيكية المعروفة التي تعتمد على اليد العاملة كعنصر اساسي ووحيد تقريبا في اشادة البناء .

٢ — الطريقة الصناعية (القطع المسبقة الصنع) والتي تعتمد على انتاج الآلة أولا واخيرا في عمليات البناء .

وقبل ان أشرح الطريقة الاولى والتي سوف تتبع لاشادة القرى نظرا لعدم توفر المصانع اللازمة لانتاج القطع المسبقة الصنع ولعدم امكانية جلب مصانع وتركيبها وتجهيزها بوقت قصير للظروف التي تمر بها بعض الاقطار العربية ولعامل الزمن الذي يأخذ الدور الافضل حاليا .

لذلك كله فانني سأشرح الطريقة الثانية مع العلم بانه لا يمكن تنفيذها حاليا فقط للاطلاع والمقارنة .

من الطبيعي ان الظروف التي تحيط بالانسان وكذلك تقدمه العلمي والحضاري واسلوب تفكيره هما الذين يقودان خطاه في طريقة استغلال موارده لبناء حياته الخاصة والعامة ولتأمين رفاهيته ومعيشته . وان التقدم العلمي والتكنولوجي في القرن العشرين والتزايد الملحوظ في الانتاج لم يكن يتحقق لولا فضل الآلة وبصورة اعم التقدم التكنيكي الذي اصبح اساس جميع الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في عصرنا .

وللاسف فان البناء وحده لم يزل يتبع الطرق البدائية في الانتاج ذات المردود الضعيف بالكمية وبأسعار مرتفعة . ورغم الضرورات المتزايدة يتزايد السكان والحاجة الماسة لتأمين السكن اللازم لهم . فلم تزل الآلة بعيدة كل البعد عن أن تدخل ميدان البناء وخاصة في الدول المتخلفة حيث انه بدأت الآلة تدخل بشكل اساسي في تصنيع البناء وفي بعض الدول المتقدمة .

ولا أريد الدخول في مناقشة فكرة تصنيع البناء وبحث ظواهر التخلف ، هذا لان البحث يطول ولا مجال هنا لمناقشة ذلك ، واكتفي بالميزات العامة لفكرة تصنيع البناء وخاصة في سورية وبالظرف الحالي بالذات .

١ — الضرورة الملحة والعاجلة لبناء كميات كبيرة من المساكن وفي فترة قصيرة لغايات دفاعية واجتماعية واقتصادية (وذلك بتوطين النازحين ونقل وتكثيف سكان جدد لقرى الحدود على الخطوط الامامية للدفاع عن الارض التي يجب ان تملك اليهم) .

٢ — امكانية تخفيض سعر البناء وذلك بسبب انتاج البيوت المتشابهة والاقلال من اليد العاملة .

٣ — السرعة في انجاز العمل وتجنب فتح ورشات كبيرة في الظروف الحالية على طول خطوط النار مما يستلزم تأمين الحماية لهم .

٤ — ان اليد الفنية التي تستطيع العمل في مناطق الحدود قليلة جدا ولا نستطيع انهاء مثل هذه المشاريع الكبيرة والسريعة بالوقت المحدد لها .

٥ — ان وجود (٨ الى ١٠) مصانع لانتاج المساكن اللازمة حاليا لانتاج ما تحتاجه القرى الامامية لدول المواجهة كأفضلية اولى في التنفيذ من مساكن لتوطين النازحين والسكان الجدد المنقولين لتعزيز الدفاع لا يعني انتهاء عملهم بانتهاء المشروع وانما يبقيان وبشكل دائم لانتاج ما تحتاجه البلاد من مساكن نموذجية صغيرة وخاصة لذوي الدخل المحدود .

٦ — ولا مجال هنا للمقارنة بين البناء الذي يقوم المهندس ببنائه مستخدما فنه وعبقريته ليخلق بيتا يعيش فيه أمير او برجوازي ناسيا الغالبية الكادحة من شعبنا التي يهمها بالدرجة الاولى ان تعيش ضمن سكن يقيها حر الصيف وبرد الشتاء ، ولا يعني هذا بحال من الاحوال ان هذا المسكن خاليا من الحياة الانسانية الكريمة بل على العكس فهو بالدرجة الاولى صحي وبسيط وبعيدا عن التزويقات الخارجية التي يجب ان يكون بعيدا عنها .

ونظرا لعدم التمكن من انشاء مصانع في المدى القريب لانتاج القطع المسبقة الصنع للبناء في الظروف الحاضرة مع انه يبقى الحل الافضل للقيام بمثل هذه المشاريع فاننا نعود للطريقة الاولى في البناء لنناقش على أساس الاسس التي يجب ان تبنى بها القرى الامامية النموذجية .

تدل جميع الاحصائيات التي قامت وتقوم في دول مختلفة من العالم متقدمة او متخلفة ان ٣/٢ من المواطنين لا يرتاحون من الاقامة في ابنية جماعية ، وخاصة الطبقة الكادحة من شعبنا من عمال

وفلاحين حيث يرغبون بالاستقلال في بيت خاص بهم وضمن حياة اجتماعية فيما بينهم . ويفضل كذلك في كل بيت حديقته الخاصة ضمن المدن ، ومزرعته الخاصة في الريف . لذلك عند التفكير في بناء القرى الريفية يجب الاخذ بعين الاعتبار النواحي التي تؤمن للسكان العيش براحة تامة وتأمين مواردهم بشكل طبيعي وتمكينهم من الدفاع عن ارضهم التي يعيشون عليها .

من هذا كله نستطيع وضع بعض النقاط الاولية لبناء القرى الامامية وبشكل خاص قرية نموذجية ريفية تتألف من العناصر التالية :

١ ــ تستوعب القرية في حدود (٦٠) بيتا ريفيا يسكن كل بيت عائلة يتألف عدد افرادها بالمتوسط (٧) اشخاص ويتألف البيت وهو بشكل اقتصادي من غرفتين ومنافعهما .

٢ ــ يفضل توزيع البيوت ضمن القرية بشكل يكون فيه لكل بيت مزرعة خاصة به في حدود الهكتار الواحد الى جانب مشاركة كل عائلة بالملكية الجماعية او التعاونية للقرية وكذلك يكون التوزيع العام للبيوت آخذا الطابع الاجتماعي والدفاعي بآن واحد .

٣ ــ يفضل عدم الانتشار كثيرا بتوزيع البيوت على الطبيعة بحيث لا تأخذ القرية اكثر من مساحة ثلث او نصف كم٢ وذلك توفيرا في المرافق .

٤ ــ تخصيص للقرية المباني التالية الاجتماعية والثقافية : أ ــ مدرسة ، ب ــ مستوصف ، ج ــ مخازن للبيع ، د ــ مستودعات ويفضل ان يكون لكل بيت مستودعه الخاص ، خزان مياه ، نادي ثقافي ، مكان للعبادة ، بعض المرافق العامة الاخرى الضرورية .

٥ ــ يراعى في توزيع البيوت ضمن حدود القرية النواحي الدفاعية ولهذه الغاية يفضل حفر خندق لكل بيت وتغطيته بشكل متقطع من الخشب أو القوتباء فوقه ما لا يقل عن عشرين سنتمتر من التراب كملجأ ضد الغارات الجوية وبحيث يؤمن الحماية لافراد العائلة الواحدة ويكون متصلا مع البيت بخندق صغير ومكشوف ، ويترك للمالك حفر هذا الخندق وتجهيزه بعد اعطائه التعليمات اللازمة .

ويلجأ البعض لانشاء ملجأ يقع مباشرة تحت البيت الا انه لهذا العمل سيئاته واخطاره وخاصة عند القصف المباشر للطائرات المغيرة حيث تعلمنا التجربة من العدو الصهيوني تركيز ضرباته المباشرة على البيوت بالقنابل المتوسطة والثقيلة والصواريخ الحارقة .

٦ ــ يراعى في تصميم وتنفيذ البيوت وبالتالي القرية النواحي الاقتصادية بالدرجة الاولى بحيث يوفر ما يستطاع توفيره لتخفيف تكاليف البيت الواحد وبالتالي القرية ككل .

ونبحث الان بالتفصيل الطرق الاقتصادية وكيفية بناء القرية الريفية النموذجية .

٢ ــ البيت الريفي : شروطه :

١ ــ يتألف البيت من غرفتين مساحة كل منهما ٢٠ م٢ تقريبا ومن مطبخ بمساحة ٨ م٢ تقريبا وحمام ومرحاض بمساحة ٥ م٢ ويفضل اضافة مستودع بمساحة لا يقل عن ٧ م٢ خاص بالبيت وهو لا غنى عنه في البيوت الريفية ، وبذلك يكون مجمل مساحة البيت مع الممرات اللازمة في حدود ٧٠ م٢ .

٢ ــ يحيط البيت مزرعة في حدود الهكتار الواحد ان امكن يعيش عليها افراد العائلة واذا لم تتوفر الارض الصالحة لذلك ، تعطى لهم أرض في مكان آخر .

٣ ــ يجب ان يكون تكاليف البيت ارخص ما يمكن ويتحقق ذلك بدراسة الحلول الاقتصادية في البناء ، وايجاد المواد الاولية المحلية اللازمة لعملية البناء .

٤ ــ ان تؤمن البساطة في التصميم وبخطوط مستقيمة وواضحة توفيرا في الانشاءات المسلحة ويراعى ما امكن ان تكون البيوت متشابهة او قريبة الشبه من بعضها لان تكرار البيت الواحد يوفر في الحسابات والمواد اللازمة للعمل .

انطلاقا من هذه الشروط فهناك طريقتان اقتصاديتان لبناء القرى النموذجية ــ الاقتصادية ولكل منها ميزاتها وسيئاتها .

١ ــ استعمال البيتون المغموس بسماكة ٢٥ سم للجدران الخارجية والقرميد بسماكة ١٠ سم للقواطع الداخلية .

٢ ــ استعمال البلوك المليء بسماكة ١٥ سم مع البناء الهيكلي للجدران الخارجية والقرميد

بسماكة ١٠ سم للقطع الداخلية .

ـ اما الطريقة الاولى فميزاتها :

١ ـ خصة خاصة وان الاحجار اللازمة للبيتون متوفرة بكثرة وبدون ثمن سوى جمعها من الارض .

٢ ـ لا حاجة للبناء الهيكلي من اعمدة وجسور (اذا كان التصميم يسمح بذلك) اذ ان الجدران الخارجية منها تعتبر حاملة .

٣ ـ عازلة للرطوبة والرشح والحرارة وكتيمة.

٤ ـ مقاومة للاسلحة الخفيفة .

أما سيئاتها :

١ ـ بطيئة اذ تحتاج لكميات كبيرة من الخشب لعملية الصب وبالتالي لوقت طويل لعملية الفك والتركيب .

٢ ـ تحتاج لفتح ورشات كبيرة وهي عملية غير مرغوب فيها في الوقت الحاضر في الخطوط الامامية اما الطريقة الثانية فميزاتها :

١ ـ سريعة الانجاز حيث يمكن فتح ورشةواحدة لصب البلوك يوزع فيها على بقية الورشات التي يجري انجاز البناء فيها .

٢ ـ لا تأخذ مساحة كبيرة في البناء اذ ان سماكة الجدران الخارجية ١٥ سم بدلا من ٢٥ سم في الطريقة الاولى .

ـ اما سيئاتها :

١ ـ غير مقاومة ، وغير كتيمة للرشح والرطوبة .

٢ ـ تحتاج لبناء هيكل من البيتون المسلح (أعمدة وجسور) لانها غير حاملة .

نلاحظ ان الطريقة الاولى مفضلة على الثانية في هذه الحالة ولنفس شروط البناء في جميع النواحي ، لذلك نرى اعتماد الطريقة الاولى بالتنفيذ والتي سيجري عليها الحسابات .

١٠ ـ بناء البيت الريفي من البيتون المغموس

ان تحليل الاسعار لبناء بيت واحد من البيتون المغموس والترميد تبين ما يلي :

١ ـ البيتون المغموس والمؤلف من ٧٠٪ بيتون و ٣٠٪ حجر .

آ ـ ٣٠ ل. س. اسمنت على اعتبار ان العيار ٢٥٠ كغ للمتر المكعب .

ب ـ ٢٠ ل. س. بحص ورمل مع نقله الى أماكن العمل وعلى اعتبار ٨٥٠ ليتر .

ج ـ ٣ ل. س حجر ٣٠ ليتر اجر الجمع والنقل.

د ـ ٤٤ ل. س. اجرة صب .

هـ ـ ٣ ل. س ثمن مياه .

١٠٠ ل. س ثمن المتر المكعب من البيتون المغموس .

٢ ـ البلوك المليء وبسماكة ١٠ سم للقواطع :

آ ـ ٢٤ ل. س ثمن رمل وبحص .

ب ـ ٢٤ ل. س ثمن اسمنت عيار ٢٠٠ كغ .

ج ـ ٢٠ ل. س اجرة صب .

د ـ ٢٠ ل. س اجرة بناء .

هـ ـ ٣ ل. س ثمن مياه .

٩١ ل. س ثمن المتر المكعب من البلوك .

٣ ـ الاسمنت المسلح للسقف بسماكة ١٠ سم.

ـ ١٠٥ ل. س ثمن حديد ٧٠ ـ ٨٠ كغ .

ـ ٣٦ ل. س اسمنت ٢٠٠ كغ .

ـ ٢٤ ل. س ثمن بحص ورمل .

ـ ١٠٠ ل. س اجرة صب البيتون .

ـ ٥ ل. س اجرة مياه .

ـ ٢٧٠ ل. س ثمن المتر المكعب من البيتون المسلح .

٤ ـ ثمن المتر المربع من المنجور الخشبي ٧٥ ل. س .

٥ ـ ثمن المتر المربع من البلاط ١٥ ل. س.

٦ ـ ثمن المتر المربع من التوريقة ٦ ل. س.

وبدراسة نموذج واحد لبيت ريفي اقتصادي مع اضافة المتفرقات العامة عليه من تمديدات صحية وكهربائية تبين ان سعر المتر المربع من البناء بشكل عام لا يتجاوز ٢٠٠ ل. س باعتبار ارتفاع البيت ٣٤٠ سم و ٣٠٠ ل. س للابنية العامة .

وعلى هذا الاساس يمكن حساب كلفة الابنية .

وصف البيت الريفي :

١ ــ صمم البيت بشكل بسيط وبعيد عن التعقيدات وبخطوط مستقيمة واضحة بحيث لا يحتاج الى أعمدة مطلقا بل يركز السقف على الجدران الخارجية الحاملة ويمكن الاستغناء عن الجسور الداخلية فوق القواطع نظرا لعدم البناء على السطح وفي الحالة المعاكسة يجب وضع الجسور ويفضل وضعها لاحتمال بناء طابق ثان فوق الاول.

٢ ــ الجدران الخارجية من البيتون المقوس بسماكة ٢٥ سم وتعتبر جدران حاملة بنفس الوقت ٧٠٪ بيتون ٣٠٪ حجر عيار ٢٥٠ كغ .

٣ ــ الجدران الداخلية القواطع من القرميد العادي ٤٠ × ٢٠ × ١٠ سم وعيار ٢٠٠ كغ .

٤ ــ تلبيس الجدران من الخارج والداخل بطبقة اسمنتية سوداء وترش بالكلس .

٥ ــ تبليط الارضية بالبلاط الموزايك العادي .

٦ ــ تكون الفتحات ١٠٠ × ١١٠ سم والابواب ١٠٠ × ٢٠٠ سم وذلك لاغراض دفاعية واقتصادية ويركب عليها منجور خشبي ، ويفضل ان يضاف اليه شبك معدني بسيط للحماية من السرقات وغيرها .

٧ ــ التمديدات الكهربائية مكشوفة وبسيطة، والتمديدات الصحية الحلوة اذا توفرت للحمام والمطبخ والمرحاض والاسيقة الى حفرة فنية تبعد عن البيت ما لا يقل عن (٤) م .

٨ ــ يترك للسقف ميول يركب بنهايتها بالوعة تصب في ميزاب واحد اما يترك ليصب في الارض الزراعية حول البيت او يعمل له بئر صغير للتجميع للاستفادة منه في سقاية الحيوانات في فصل الصيف وان كان لا يفضل ذلك نظرا لان البئر يكون مجمعا للبعوض والحشرات وغيره .

٩ ــ ان مساحة البيت التقريبية ٧٠ م٢ وبذلك يكون مجمل سعر البيت بشكل تقريبي ١٤٠٠٠ ل.س واذا كانت هناك ظروف خاصة في البناء بالجبهة ربما وصل السعر الى ١٧٠٠٠ ل. س .

١٠ ــ الارتفاع الكلي للبيت ٤٠٠ سم يرتفع عن الارض بمقدار ١٥ ــ ٢٠ سم وارتفاع داخلي ٣٤٠ سم وستارة فوق السطح ٥٠ سم .

٢ ــ المدرسة : وتتألف من اربعة غرف مساحة كل منها ٣٠ م٢ تقريبا ومنافع وممرات وغرفة للمعلمين مساحة ٢٠ م٢ ، تقدر مساحة المدرسة بـ ١٨٠ م٢ يضاف اليها ساحة للعب وملعب صغير وتقدر تكاليف المدرسة بـ ٥٤٠٠٠ ل. س.

٣ ــ مستوصف : يتألف من غرفتين ومنافعهما وممر مع صالون انتظار بمساحة عامة ١٠٠ م٢ تقدر تكاليفه بـ ٣٠٠٠٠ ل. س.

٤ ــ نادي ثقافي : يتألف من اربعة غرف وصالون ومنافع وممرات بمساحة اجمالية ٢٥٠ م٢ وبكلفة تقريبية ٧٥٠٠٠ ل. س .

٥ ــ مكان للعبادة : عبارة عن حرم وساحة ومنافع بمساحة قدرها ١٥٠ م٢ تقدر تكاليفه ٤٥٠٠٠ ل. س.

٦ ــ مخازن للبيع : ٦ مخازن بمساحة اجمالية ١٢٠ م٢ وبكلفة قدرها ٢٤٠٠٠ ل.س.

٧ ــ مركز توليد كهربائي كامل : مؤلف من صالة للمولدات واخرى للمراقبة والحراسة وخزان وقود وغير ذلك مع المولدات اللازمة وتقدر تكاليفه ١٠٠٠٠٠ ل. س.

٨ ــ خزان مياه مع التمديدات : مؤلف من خزان بارتفاع عشرة امتار تقريبا او في مكان عال في هضبة مثلا وغرفة للمحرك مع بئر ارتوازي اذا لم تتوفر المياه من مكان قريب جاهز شبكة تمديدات وتقدر تكاليفه بـ ٢٥٠٠٠٠ ل. س.

٩ ــ مستودعات عامة : مؤلفة من ٦ مستودعات بمساحة عامة ٣٠٠ م٢ وبكلفة قدرها ٦٠٠٠٠ ل. س.

١٠ ــ مركز صغير للشرطة : مؤلف من غرفتين ومنافعهما بمساحة ٧٠ م٢ وبكلفة قدرها ١٤٠٠٠ ل. س.

وبذلك يكون مجموع المبلغ اللازم للابنية مع المرافق العامة عدا الطرقات والتحصينات الدفاعية ٢٤٣٦٨٥٠ ل. س.

تخطيط القرية النموذجية والتحصينات الدفاعية التابعة لها :

مخطط عام لقرية دفاعية الاسلوب المبعثر للابنية
مشروع قرية دفاعية نموذجية
ـ المخطط العام ـ

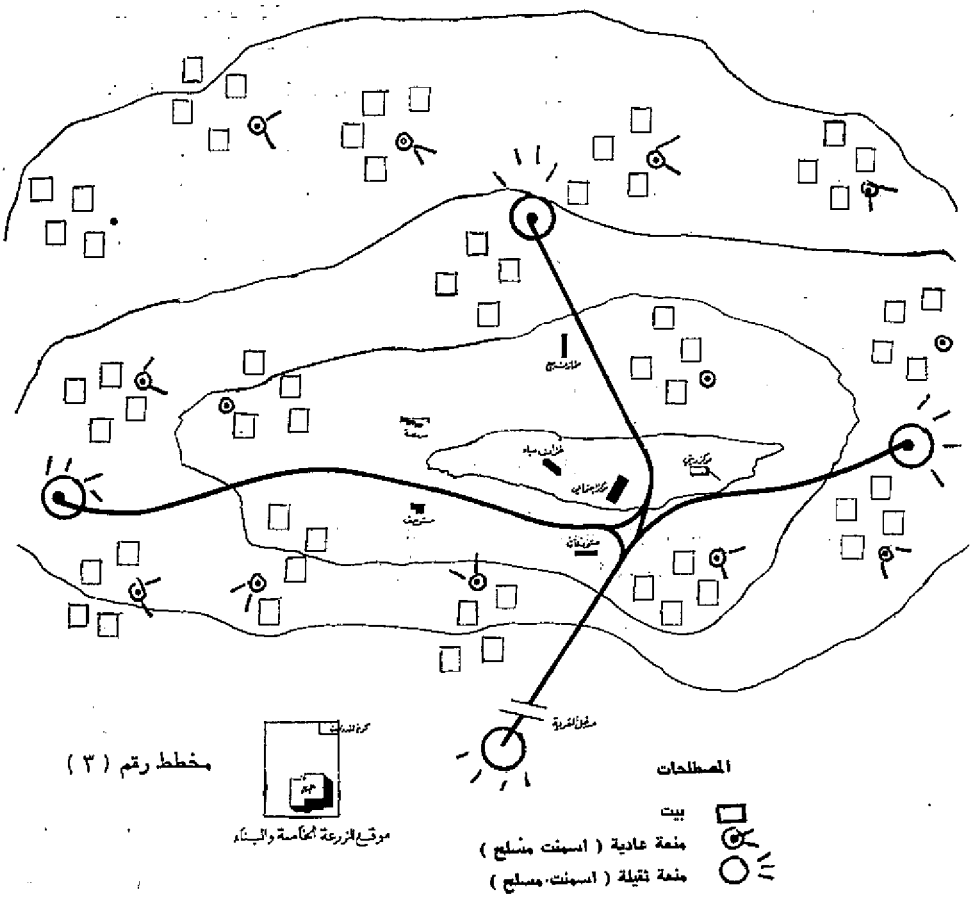

مخطط رقم (٣)

نظرا للاغراض التي من اجلها تنشأ القريـــة الريفية وهي بالدرجة الاولى لاغراض دفاعية فانني ارى ان تخطط هذه القرى علـى هذا الاســاس وليس على اساس تخطيط المدن العام المعـروف بشكله وجماله .

لهذا السبب فهناك طريقتان لتخطيط القريـــة المذكورة بكل نوع من انواع البيوت .

النوع الاول لكل بيت مزرعة خاصة :

١ ـ الطريقة المنتظمة والتي توزع فيه البيوت بشكل منتظم ولكل بيت مزرعته الخاصة وتكـون أما مجمعة او مبعثرة بشكل نظامي ، اما الاغراض الدفاعية في هذه الحالة فيحفر خنادق دفاعية قرب الشارع العام وفي وسط الساحات ان وجـدت . ويترك لكل بيت ملجأ صغير لافراد العائلة الواحدة. وهذا النوع يخضع للارض المبسطة .

٢ ـ الطريقة المبعثرة على غـير نظام وهـو خاضع لطبيعة الارض ، هضبات ، سفوح ، جبال منحدرات وغير ذلك ولا يمكن تخطيط القرية الا على الطبيعة ، يراعى بالدرجة الاولى النواحي الدفاعية ويترك لكل بيت مزرعته الخاصة .

ويمكن التوصل الى النتائج التالية :

١ ـ الطريقة المنتظمة وتكون البيوت بشكـل

مجمعات (تفصل البيوت عن بعضها بحدائق صغيرة او غير ذلك) حسب طبيعة الارض .

٢ — الطريقة المبعثرة وتوزع البيوت على غير هدى خاضعة للاغراض الدفاعية .

النوع الثاني ليس للبيت مزرعة خاصة :

١ — ان تخطيط القرية يتبع بالدرجة الاولى لطبيعة الارض ونوع التوزيع .

٢ — يفضل بالدرجة الاولى بعد معرفة طبيعة الارض ان تؤمن النواحي الدفاعية .

٣ — يفضل ان يؤمن لكل بيت مزرعة الخاصة ان أمكن .

٤ — يجب ان لا تزيد مساحة القرية عن نصف كيلو متر مربع .

٥ — يفضل وضع المرافق العامة في مناطق متوسطة من القرية وقرب الساحات .

٦ — يؤمن للقرية الخنادق اللازمة لتأمين الدفاع عنها .

٧ — يجب ان يؤمن اما بواسطة صاحب البيت او الدولة ملاجىء صغيرة لكل عائلة عبارة عن خندق مسقوف بالتوتياء او الخشب ، فوقه طبقة لا تقل عن ٢٠ سم من التراب قريبة من البيت يسهل الالتجاء اليها عند سماع اول غارة .

٨ — يترك امر الشوارع والممرات للمستقبل اذا لم يكن بالامكان تأمينها حاليا .

كشف تقديري عام

نوع البناء	المساحة التقريبية م٢	سعر المتر المربع ل. س.	السعر الاجمالي ل. س.
٦٠ بيتا ريفيا	٤٥٠٠	٢٠٠	٩٠٠٠٠٠
مدرسة	١٨٠	٣٠٠	٥٤٠٠٠
مستوصف	١٠٠	٣٠٠	٣٠٠٠٠
نادي ثقافي	٢٥٠	٣٠٠	٧٥٠٠٠
مكان للعبادة	١٥٠	٣٠٠	٤٥٠٠٠
٦ مخازن للبيع	١٢٠	٢٠٠	٢٤٠٠٠
خزان مياه مع التمديدات وحفر بئر ارتوازي			٢٥٠٠٠٠
مركز توليد كهربائي	١٥٠		١٠٠٠٠٠
مركز شرطة	٧٠	٢٠٠	١٤٠٠٠
مستودعات عامة	٣٠٠	٢٠٠	٦٠٠٠٠
المجموع			١٥٥٢٠٠٠
يضاف ١٥ ٪ على التكاليف للتحصينات وغير ذلك			٢٣٢٨٠٠
يصبح مجموع تكاليف القرية العام			١٧٨٤٨٠٠

هجرة المهندسين العرب والمعركة

الدكتور الياس زين

تعاني الاقطار العربية ، في الوقت الحاضر ، ظاهرة خطيرة ، هـي نزوح ذوي الكفاءات العلمية والفنية والتقنية ، وفي مقدمتهم فئة المهندسين ، من هذه البلاد الى البلدان المتقدمة . ويأتي ذلك في الوقت الذي تحتاج الامة العربية الى هذه الطاقات والكوادر العلمية والتقنية ، في معركتها ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية من جهة ، وضد التخلف والجهل من جهة ثانية .

والغاية من هذا البحث ، كما يدل العنوان ، ان نتصدى لقضية هجـرة المهندسين العرب من حيث علاقة الهجرة بالمعركة التي تخوضها الامة العربية . فاننا ننطلق في بحثنا هذا من الافتراض القائل : ان المهندس يمثل دورا بارزا في المعركة . وعلـيه فسنبدأ اولا بتحديد بعض المصطلحات الواردة في البحث ، ثم نعرض هجرة المهندسين بالارقام ، وبعدها نبين حاجة البلاد العربية اليهم ، نعدد دور المهندسين في المعركة ، نحلل أسباب النزوح ودوافعه ، نلقي نظرة سريعة على تدابير الحكومـات العربيـة للحد من النزوح ، وأخيرا نقدم اقتراحات عملية لمواجهة الهجرة المستعصية .

ونقصد هنا بالهجرة عامة ،نزوح المهندسين من البلاد العربية الى البلدان الاجنبية، وخاصة المتقدمة والصناعية منها ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية وكنـدا ، سعيا وراء العمل والعيش . والهجرة ، كما هو معلوم ، ليست جديدة في التاريخ العالمي . انها قديمة قدم التاريخ نفسه . ولنا من الشعب اللبناني مثل حي علـى ذلك . الا ان الهجرة التي سنتكلم عنها ، في هذا البحث ، هي هجرة **جديدة من نوعها**، اي هجرة **الطاقات البشرية المتدربة** في حقل من اهم الحقول ، في خدمة التنمية والتقدم. ولا يمكن تحقيق مشاريع التنمية ، التي تصبو اليها الدول العربية ، الا بتهيئة العناصر البشرية ، وفي مقدمتهم فئة المهندسين .

وفي هذا البحث ، سنتناول نوعين من الهجرة : **الخارجية والداخلية** . ما المقصود بذلك ؟ نقصد بالهجرة «الخارجية» نزوح المهندسين والعلماء وغيرهم من الاختصاصيين من البلاد العربية الى البلدان المتقدمة سعيا وراء العيش . الا ان الهجرة «الداخلية» تعني سوء استخدام المهندس المناسب ، المقيم في بلـده ، في المكان المناسب او عدم استخدامه . ونذكر على سبيل المثال ، ان احد المهندسين ، المختص في الزراعـة ، يعلم اللغة الانكليزية . وسنركز في هذا البحث ، على الهجرة « الخارجية » ، نظرا لتوافر الاحصاءات والمعلومات عنها .

وهنا لا بد من الاشارة الى اننا سنتحدث عن « استنزاف » المهندسين العرب الى الخارج وليس عن « هجرتهم » . وربما سائل يقول: ما الفرق بين الهجرة والاستنزاف؟ فهجرة المهندسين تعني ، ان هناك عددا فائضا overflow من هؤلاء في مجتمعهم ، الذي لا يحتاج اليهم، الامر الذي يؤدي بهم الى الهجرة للخارج. بينما مفهوم «الاستنزاف»

العلمي drain يعني ، أن المجتمع يحتاج الى علوم وخبرات هؤلاء ، في الوقت الذي ينزحون الى مجتمع اخر — فيكسبهم . وبما ان المجتمع العربي اليوم يعاني نقصا فادحا في عدد المهندسين، كما سنرى،فان حركة نزوح هؤلاء يفضل أن تعتبر«استنزافا» وليس « هجرة » . بيد أننا سنستعمل كلمة ، هجرة ، في معظم الاحيان ، في هذا البحث، كمرادف لاستنزاف .

ويمثل مفهومنا « للمعركة » ، في هذا البحث ، ميدانا واسع النطاق ، أي ان « المعركة » لا تشمل النزاع مع العدو الاسرائيلي والصهيونية والامبريالية العالمية فحسب ، بل تشمل المعركة ضد التخلف ، بكافة اوجهه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية ، وما الى ذلك .

ولا ريب في أن ثمة علاقة وثيقة وترابطا عضويا بين هذين النوعين من الهجرة . فالهجرة الداخلية مثلا ، تشجع الهجرة الى الخارج وتغذيها ، كما سنرى . فالمهندس، الذي لا يعمل في حقل اختصاصه ، والذي لا يشعر انه يخدم بلده بعلمه وخبرته ، او انه لا ينمو مهنيا وهندسيا وعلميا ، فهو مرشح للهجرة الى الخارج ، لا محالة.

ولا بد لنا ، في معرض حديثنا عن استنزاف المهندسين العرب ، من أن نذكر ، بعض الشيء ، عن اهمية هؤلاء في المعركة ، ضد التخلف بكافة اوجهه ، وضد العدو الاسرائيلي — الصهيوني . وقد بات من المؤكد في الوقت الحاضر ان اغلى الثروات القومية تكمن في الكفاءات العلمية والفنية والتقنية.ولا ريب في أن فئة المهندسين تأتي في طليعة رجال العلم والتكنولوجيا.وعليه، فالمهندسون هم العمود الفقري في التنمية الاقتصادية والعلمية والتقنية، وبالتالي في كسب المعركة ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية.أي أن المهندسين يمثلون دورا بارزا في المعركة،بمعناها الاقتصادي والعسكري . ومن هنا فان تسفير هذه الطاقات الانسانية العلمية والتقنية الى الخارج ، او حتى عدم استثمارها بطريقة فعالة في الداخل ، في تطوير المجتمع وانمائه ، يعني انه ما من ثروة مادية او طبيعية يمكن ان تعوض عن هذه الخسائر الفادحة ، في الكفاءات نفسها وفي الخسائر المالية .

وكدليل على أهمية المهندسين في المعركة ضد اسرائيل مثلا ، فقد كان من أحد مقررات المؤتمر الصهيوني الذي عقد في سويسرا عام ١٩٥٨ ، اشارة واضحة الى ضرورة العمل على **تهجير المهندسين السوريين** . ورب سائل : لماذا فئة المهندسين بالذات ؟ ان التركيز من قبل المؤتمر الصهيوني على تهجير المهندسين السوريين تظهر أهمية المهندسين الذين هم **خط الدفاع الاول ضد اسرائيل** . فهؤلاء ، في الواقع ، هم المحور والعمود الفقري ، في تطوير البلاد وانمائها ، اقتصاديا وعلميا(١).

ويجدر بنا هنا أن نذكر تجربة فرنسا في حربها ضد المانيا ايام نابليون بونابرت . فقد أدرك الالمان ، بعد هزيمتهم من قبل الفرنسيين ، ان القائد نابليون بونابرت ، لم يحاربهم بالسلاح فحسب ، بل حاربهم ايضا **بالادمغة** المتمثلة **بالمهندسين** الذين كانوا يعملون في جيشه . وقد كانت غالبيتهم من خريجي معهد البوليتكنيك(٢). ولا غرابة ان نذكر انه في المانيا النازية كانوا يضربون التحية للمهندسين ، اسوة بالضباط . وما أصدق ما أوصى به أحد العظماء ، رجال دولتهم عندما خاطبهم قائلا : « المهندسون ، هذه الفئة النادرة ، حافظوا عليها ، حفاظكم على بؤبؤ اعينكم . فهم عماد التنمية ، وحجر الرصن ، في تقدمها الاقتصادي »(٣).

وفي هذا المجال صرح العالم الهندي م. س. شاكر ، رئيس « مؤتمر الامم المتحدة لدراسة تطبيق العلم والتكنولوجيا لمنفعة المناطق الضئيلة النمو » في عام ١٩٦٣ :

« ينبغي ألا نضن بأي مال او جهد ، لارساء هذا الركن (من اركان الانماء) . فالعلماء والباحثون العلميون المرسون **والمهندسون الاكفاء** والتقنيون الحاذقون ، هم في الحقيقة سادة الانماء القومي »(٤).

واما في معركة **التنمية الاقتصادية** ، فيمثل المهندسون دورا قياديا في عملية التطوير والتقدم . فهم محركون للثورة الانمائية ، نظرا للمؤهلات والخبرات العلمية والفنية والتقنية المنتشرة لديهم . ويذكر ان خطة التنمية القومية الشاملة والمتكاملة تعتمد ، في تنفيذها ، على جهود المهندسين الخلاقة وعلى علومهم وخبراتهم وكفاءاتهم ومدى تواجدهم في المصانع والحقول والمزارع . ومدى مساهمتهم بكافة المراحل ، ابتداء من اجراء البحوث ووضع الدراسات والاستقصاءات ووضع التصاميم ، وانتهاء بالنشر والاشراف على عمليات التنفيذ ، ثم التشغيل والصيانة ، للحصول على المستوى الانتاجي المطلوب . لذا فانجاح الثورة الزراعية مثلا ، يعتمد على المكننة ، اي تهيئة الوسائل الحديثة واستعمالها في الري واستصلاح الاراضي ومكافحة الحشرات بالمبيدات الحديثة ، واعداد الكوادر الفنية والزراعية . ومن هنا يتضح دور المهندسين الذي هو ، بالايجاز ، العمود الفقري لهذه الاعمال كلها .

واما دور المهندسين في معركة التصنيع ، فهو بارز أيضا لانهم هم الاساس الذي يعتمد عليهم تطوير هذا القطاع وانمائه . فهم المصممون والمخططون للنهضة الصناعية ، ولا يمكن انجاح عملية التصنيع بغير المهندسين . فمساهمة المهندسين ، طبعا ، الى جانب الفنيين والعاملين في المصانع والحقول ، من شأنه زيادة الانتاج الزراعي والصناعي وتطويرهما وتحقيق أهداف التنمية القومية(٥) . لذلك فلا غرابة ان نجد الدول قد أصبحت تفتخر ، بمقدرة كلياتها وجامعاتها على تخريج المهندسين ، مقياسا من مقاييس التقدم والقوة . ولا غرابة أيضا ان يسمى هذا العصر بـ « عصر المهندسين »(٦) . واصبحت الامم اليوم لا تقيس عظمتها بمساحة اراضيها او بعدد سكانها او بثرواتها الطبيعية او بماضيها العريق ، بل بعدد المهندسين والعلماء لديها . فالاتحاد السوفياتي مثلا ، يفتخر بأنه يملك وحده اكثر من ربع عدد المهندسين في العالم اليوم ، وكذلك يملك ربع علماء العالم .

وهكذا يتضح ان المهندسين ، فئة مرغوب فيها دوليا . لذا نرى الدول المتقدمة تسعى بشتى الطرائق لاجتذابها ، ايمانا منها بأن الحصول على اكبر عدد من المهندسين ، يعني كسبا علميا وتقنيا ، وبالتالي تقدما اقتصاديا . فالمهندسون اذن ذخيرة عظمى ، في أي امة ، وهم حجر الاساس في النمو الاقتصادي ومظلة واقية للامة . فهم بالاحرى « انبياء » التكنولوجيا .

هجرة المهندسين بالارقام والحقائق

بعد هذا العرض العام للبحث ، نأتي الى صلب الموضوع ، اي هجرة المهندسين بالارقام والحقائق . ويمكن تقسيم الهجرة الى قسمين : الهجرة الى الخارج والهجرة الداخلية .

١ ــ **الهجرة الى الخارج** : نتيجة البحث تبين ان بعض الاقطار العربية تخسر ، عبر الهجرة ، عددا كبيرا من المهندسين ، وان فئة المهندسين اكثر الفئات العلمية هجرة .

جدول رقم (١٠) : هجرة المهندسين الى الولايات المتحدة وكندا(٧)

اسم البلد	الولايات المتحدة ١٩٦٢—١٩٦٩ (العدد)	كندا ١٩٦٢—١٩٦٧ (العدد)
مصر	٥٦٤	١١٦
لبنـــان	٢٧٧	١٩
العـــراق	١٦٥	١٣
ســـوريـا	١٢٩	٥
الاردن وفلســطين	١١٧	—
المغـــرب	١٨	٤
الجزائر	٩	—
تونـــس	٤	—
المجمـــوع	١٢٨٣	١٥٧

يتضح من الجدول الاول ان عدد المهندسين ، المهاجرين من ثماني دول عربية ، الى الولايات المتحدة الاميركية وحدها ، بلغ ١٢٨٣ مهندسا ، ما بين ١٩٦٢ و١٩٦٩ ، والى كندا ، من خمس دول عربية ، ١٥٧ مهندسا ، ما بين ١٩٦٢ و١٩٦٧ . كما هاجر من اسرائيل الى الولايات المتحدة ٦٠٦ مهندسين ، والى كندا ١٠٠ مهندس ، خلال الفترتين المذكورتين(٨). وبالاضافة الى ذلك ، فان المهندسين الذين منحوا اجازات عمل في فرنسا ، ما بين ١٩٦٢ و١٩٦٦ ، بلغ عددهم من ستة بلدان عربية ٤٥٣ مهندسا (لبنان ١٢٩ ، المغرب ١٢٩ ، تونس ٩٤ ، سوريا ٥٦ ، مصر ٤٤ ، العراق واحد فقط) . وعدد الاسرائيليين الذين منحوا اجازات عمل في فرنسا بلغ ١٦٩ مهندسا . هذا وافادت احصائية شملت مهن اعضاء احد النوادي الاجتماعية للجالية العربية في مدينة مونتريال بكندا ، ان عدد المهندسين الاعضاء فيه ، بلغ ٤٤ من اصل ٢٦٧ عضوا، اي بنسبة ١٨ بالمائة . وجاء في بحث مخصص لخريجي الجامعة الاميركية في بيروت فقط ، انه من بين خريجي الهندسة من اللبنانيين ، ثمة ٦٥ بالمائة منهم ، قد هاجر الى بلدان متقدمة ، مقابل ٦٠ بالمئة فقط يعملون في البلاد العربية(٩).

ويجدر بنا ان نذكر بعض الشيء عن هجرة المهندسين في اوائل السبعينات . لم نستطع الحصول على معلومات حول ذلك ، حتى من دائرة الهجرة الاميركية، لانها، على ما يبدو ، قد توقفت عن نشر مهن اصحاب الاختصاص المهاجرين الى الولايات المتحدة ، كما كانت تفعل في الماضي . الا انها تذكر عددهم تحت عنوان « الاختصاصيين والفنيين » . لذا اضطررنا ان نقدر عدد المهندسين المهاجرين الى الولايات المتحدة ، للعامين ١٩٧١ و١٩٧٢ ، بنسبة معدل المهاجرين في عقد الستينات . ويلاحظ ان نسبة المهندسين بلغت ١٣ بالمئة لمجموع الاختصاصيين والفنيين المهاجرين الى الولايات المتحدة ، ما بين ١٩٦٢ و١٩٦٣ . واذا حافظت النسبة المذكورة على حالتها السابقة في اوائل السبعينات مثلا ، يمكننا ان نقدر عدد المهندسين المهاجرين خلال ١٩٧٢ — ١٩٧٣ الى الولايات المتحدة وحدها ، بحوالي ٣٨٠ مهندسا عربيا ، من اصل مجموع ٢،٩٢٤ اختصاصيا وفنيا(١٠).

ولا بد من الاشارة الى ان فئة المهندسين اكثر الفئات الاختصاصية هجرة . فقد هاجر الى الولايات المتحدة ٢،٣٢٦ من المهندسين والاطباء والعلماء خلال ١٩٦٢ — ١٩٦٩ . ومن بين هؤلاء ، بلغ عدد المهندسين ١،٢٨٣ ، يليهم الاطباء ٤٨٣ ، فعلماء الطبيعة ٤٨١ ، فعلماء الاجتماع ٨٩ . هذا يعني ان اكثر من نصف هؤلاء (٥٥ بالمائة) هم من المهندسين ، مقابل (٢١ بالمائة) من الاطباء و(٢١ بالمائة) لعلماء الطبيعة ، كما بلغت نسبة المهندسين ، الذين هاجروا الى كندا ، ٣٧ بالمائة ، مقابل ٣٨ بالمائة ، للاطباء و٢٤ بالمائة لعلماء الطبيعة(١١) .

وتعاني سوريا استنزافا هائلا لمهندسيها . فقد نقل مراسل « هيئة الاذاعة البريطانية » في دمشق ، عن لسان نقيب المهندسين السوريين ، في حديث له في ندوة حول هجرة الادمغة ، ان حركة استنزاف المهندسين السوريين الى الخارج قد تفاقمت في السنتين الماضيتين ، بشكل أصبح يدعو الى القلق الشديد ، الامر الذي قد يؤدي الى كارثة وطنية وعلمية . وكشف النقيب عن أن هناك ما لا يقل عن ٨ الاف مهندس سوري حاليا في الخارج ، من اصل ١٣ الف مهندس سوري ، أي أن ثلثي المهندسين السوريين يعملون خارج القطر السوري(١٢) .

أ — **هجرة خريجي الهندسة** : هذا وبلغت نسبة المهاجرين من خريجي فروع الهندسة ، من البلاد العربية الى الولايات المتحدة وكندا نسبة عالية جدا ، كما يتضح من الجدول الثاني . فقد نزح اكثر من ٥٦ بالمائة من الخريجين في الهندسة من سوريا و٣٥ بالمائة من لبنان و٩ بالمائة من العراق و٢ بالمائة من مصر ، مقابل ١٤ بالمائة من اسرائيل .

جدول رقم (٢) : نسبة المهاجرين الى الولايات المتحدة وكندا من خريجي الهندسة ١٩٦٢—١٩٦٦(١٣)

البلد	نسبة المهندسين
سوريا	٥٦،٥ ٪
لبنان	٣٥،٥ ٪
العراق	٩،٢ ٪
مصر	٢،٠ ٪

ب — بقاء الطلاب في اميركا : يبدو ان فئة الطلاب التي تدرس في الولايات المتحدة هي مصدر كبير للهجرة الى تلك البلاد . ويظهر ان عددا كبيرا من هؤلاء الطلاب يتخذون ، من الدراسة في الولايات المتحدة ، وسيلة او خطوة اولى للهجرة النهائية . يستفاد من أحدث الاحصاءات ، ان عدد الطلاب العرب في الولايات المتحدة بلغ ٦،٨٠٤ العام ١٩٧٢ — ١٩٧٣ ، يمثلون ١٨ قطرا عربيا . فمن هؤلاء نجد اكثر من الثلث بقليل ، اي ٢،٥٦٥ طالبا (٣٤ بالمائة) يتخصصون في مختلف فروع الهندسة . ومن بين هؤلاء ثمة ١،٢٧٦ طالبا يحملون اشارة سمة دخول « فيزا » هجرة ، اي ١٧ بالمائة ، منهم ٢٨٩ طالبا في الهندسة أي ٤ بالمائة خلال العام المذكور .

وعلى صعيد الطلاب الاسرائيليين ، الذين يدرسون في الولايات المتحدة ، فقد بلغ

عددهم ٢،٢١٣ طالبا ، منهم ٤٨٦ في الهندسة (٢٢ بالمائة) ومن بين طلاب الهندسة ، كان عشرون طالبا من هؤلاء يحملون سمة دخول او « فيزا » هجرة (أي أقل من واحد بالمائة) ، خلال العام الدراسي المذكور .

ويذكر ان ٢٢ بالمائة من مجموع الطلاب الاجانب في الولايات المتحدة يدرسون العلوم الهندسية ، منهم ١٦ بالمائة يحملون سمة دخول « فيزا » هجرة .

مما تقدم يتضح ان فئة الطلاب العرب التي تلتحق بالدراسات الهندسية ، نسبيا ، أكثر من الطلاب الاجانب، بمن فيهم الاسرائيليون. الا ان نسبة الطلاب العرب الذين يحملون سمة دخول « فيزا » هجرة ، تفوق نسبة الطلاب الاسرائيليين بكثير ، كما تفوق مجموع نسبة الطلاب الاجانب بقليل(١٤).

جـ ــ هجرة المهندسين العرب والاسرائيليين ــ مقارنة : ويجدر بنا ان نجري مقارنة خاطفة بين هجرة المهندسين العرب والاسرائيليين ، وذلك بغية معرفة الهوة او الثغرة بين الفريقين . ونتيجة البحث والتحليل ، نستخرج الحقائق الاتية : ان اسرائيل تضم ، نسبيا ، عددا اكبر من المهندسين . ففي اسرائيل ما لا يقل عن خمسة عشر الف مهندس ، كما أن هناك سبعة الاف مهندس وعالم يعملون في البحث العلمي(١٥). ويلاحظ ان عدد المهندسين الاسرائيليين آخذ في الازدياد ، سنة بعد سنة ، على الرغم من نزوح عدد كبير منهم الى الخارج ، نتيجة الهجرة اليها من البلدان المتقدمة. فاسرائيل تعوض او تكسب اضعاف ما تخسره من المهندسين ، كل عام ، عن طريق الهجرة اليها . تفيد الاحصاءات انه قد هاجر من اسرائيل ٤٧١ مهندسا ، الى الولايات المتحدة وكندا ، كما منح ١٦٩ مهندسا اجازات للعمل في فرنسا . ومن جهة ثانية نجد ان اسرائيل كسبت ١،٤٣٠ مهندسا ، خلال ١٩٦٢ ــ ١٩٦٨(١٦).

٢ ــ هجرة المهندسين « الداخلية » : بعد ما عرضنا بالارقام والحقائق هجرة المهندسين الى الخارج ، سنلقي نظرة سريعة على هجرة من نوع آخر ، أي هجرة المهندسين « الداخلية » ، والتي تعني سوء استخدام المهندسين في مراكز التخصص المناسبة لهم . ولا بد من الاشارة الى اننا لم نعثر حتى الان على دراسة حول هذا الموضوع ، الا ان اطلاعنا واتصالاتنا الشخصية تشير الى ان هناك عددا من المهندسين العرب يقومون باعمال لا تمت بصلة الى اختصاصهم . ونعتبر ذلك هجرة. فما الفرق بين المهندس الذي يهاجر ويغيب عنا جسديا من جهة ، وبين المهندس الذي يقيم بيننا ، ولكنه لا يعمل في حقل تخصصه . فهو اذن **غائب عنا هندسيا** ، لان البلاد لا تستفيد من علومه الهندسية . وهناك قصص لا تصدق عن مهندسين ، من الذين درسوا في الخارج وفي الداخل ،ويعملون حاليا في مهن لا تمت بصلة الى تخصصهم .

جدول رقم (٣) : المهندسون المهاجرون الى اسرائيل ١٩٦٣ ــ ١٩٧١(١٧)

السنة	عدد المهندسين
١٩٧٣	٢٤٨٤
١٩٧١	١٤٥٤
١٩٧٠	١٣٣٨
١٩٦٣ ــ ١٩٦٨	١٤٣١

ويبين الجدول الثالث ان عدد المهندسين المهاجرين الى اسرائيل يتصاعد ، وخاصة في السنوات الاخيرة ، ففي عام ١٩٧٣ وحدها هاجر اليها ٢،٤٨٤ مهندسا ، مقابل ١،٤٣١ مهندسا ، لمجموع السنوات ١٩٦٣ — ١٩٦٨ . وتشكل فئة المهندسين وحدها ١٠ بالمائة من مجموع الاختصاصيين والفنيين المهاجرين الى اسرائيل ، وقد بلغ عددهم مثلا ، ٦،١٨٩ في عام ١٩٧١ .

وينبغي الاشارة الى ان المهندسين المهاجرين الى اسرائيل هم من الفئة الشابة والناشطة والمنتجة . تفيد احدث الارقام للعام ١٩٧٣ ان اكثر من ثلث هؤلاء المهندسين المهاجرين ، كانوا ما بين ٢٠ و٢٩ من العمر، و٤٢ بالمائة ما بين ٣٠ و٤٤ سنه، ١٥ بالمائة ما بين ٤٥ و٥٤ سنه . هذا يعني ان ٩٠ بالمائة من المهندسين، الذين هاجروا الى اسرائيل في سنه ١٩٧٣ ، كانوا ما بين الـ ٢٠ و ٥٤ من العمر ، اي في السنوات الاكثر نشاطا وانتاجا وفتوة(١٨).

وبكلام آوضح ان اسرائيل ، ككيان مبني في أساسه على المهاجرين من الخارج ، تستطيع ، بشتى وسائل الاعلام ، ان تجتذب او تستقطب ، فئات المهندسين المدربين من الخارج ، باعلان في الصحف او ببداء أو بتصريح مسؤول في الدولة الصهيونيه او عن طريق المنظمات الصهيونية او البعثات الاسرائيلية في الخارج .

واما على الصعيد العربي ، فيبدو ان الحالة مخالفة تماما للوضع الاسرائيلي . فبالرغم من الاغراءات الماديه والعلمية ، التي يوجهها بعض الحكومات العربيه الى العلماء والمهندسين والاطباء المهاجرين ، من البلاد العربية والمقيمين في الخارج ، فاننا نجد القليل جدا من هؤلاء يعود الى ارض الوطن ، للعمل في مشاريع التنمية. والغريب في الامر ان الذين يعودون من الخارج ، للعمل في ارض الوطن ، سرعان ما يرحلون الى الخارج . لذا تضطر الاقطار العربية الى استخدام المهندسين والخبراء الاجانب في مشاريع التنمية . فلبنان ، هذا البلد ، الذي يعاني أكثر من غيره ، هجرة المهندسين ، نسبيا ،نجد ١٢٤ مهندسا اجنبيا يعملون في لبنان في عام ١٩٧٣(١٩). وعلى ذكر المهندسين الاجانب ، فلا بد من أن نذكر أن تكاليف المهندس الاجنبي في السنة الواحدة تصل الى حوالي ٨٠ الف دولار ، بالاضافة الى تكاليف السفر بالدرجة الاولى والامتيازات الاخرى(٢٠).

ولا يخفى ان اعداد المهندس الواحد وتدريبه يستغرق ما لا يقل عن٢٥ الى٣٠ سنة. وهذه فترة طويلة جدا ، في هذه الظروف الصعبة ، التي تمر بها الامة العربية ، في معركتها ضد اسرائيل والصهيونية العالمية وضد التخلف والجهل والرجعية .

الحاجة الى مهندسين ومجالات استخدامهم

بعد كل ما تقدم من حقائق وأفكار ، فان الاسئلة ، التي تتبادر الى الذهن ، هي : هل نحن في البلاد العربية بحاجة الى مهندسين ؟ هل هجرة المهندسين تعني ان لدى البلاد العربية فائضا من هؤلاء ؟ لا شك في ان هناك حاجة ماسة الى المزيد من المهندسين ، في كافة الاختصاصات ، وان الهجرة ليست دليل الفائض من المهندسين ، بل دليل **التخلف** الاقتصادي والاجتماعي ، السائد في البلاد العربية . فهناك مجالات واسعة النطاق لاستخدام المهندسين العرب في المعركة ، سواء في القطاع العسكري او في القطاع المدني ، في المعركة ضد اسرائيل والامبريالية العالمية ، وضد التخلف والجهل بكافة اوجهه . ومما ينبغي الاشارة اليه هو انه لا يمكن الفصل بين المعركتين المذكورتين ، لان المعركة ضد التخلف والجهل تعتبر أساسية ، لدعم المعركة المصرية ضد اسرائيل والامبريالية العالمية .

تعاني البلاد العربية نقصا فادحا في عدد المهندسين الذين تحتاج اليهم هذه البلاد . ففي ندوة حول هجرة الادمغة ، كشف نقيب المهندسين السوريين النقـاب عن ان سوريا تحتاج الى نحو ٢٠ ألف مهندس للعمل في مشاريعها الانمائية للعام الحالي ، في حين لا يتوافر من هؤلاء سوى حوالي ٥ آلاف مهندس فقط .

ولمعرفة الحاجة الماسة الى المهندسين ، في مختلف الاختصاصات ، يكفي ان نلقي نظرة سريعة ، على الاعلانات في الصحف والمجلات الصادرة في البلاد العربية ، لنجد ، عن كثب ، الطلبات المتزايدة على هذه الفئة النادرة مـن الاختصاصيين . وهـذه الاعلانات تصدر عن المؤسسات العامة (الحكومية) والمؤسسات الخاصة .

تفيد أحدث الاحصاءات المتوافرة لبعض الاقطار العربيـة ، ان معدل العلمـاء والمهندسين ، لكل عشرة آلاف نسمة من السكان ، منخفض جدا في البلاد العربية ، بالمقارنة مع بعض الدول المتقدمة واسرائيل . فاحصاءات اليونسكو تشير الـى ان هناك مثلا ٥ر٥٣ عالما ومهندسا لكل عشرة آلاف نسمة في الكويت ، و٣٤ في البحرين ، و١٩ في لبنان ، و١٥ في الاردن ، و٨ في العراق مقابل ١٢٤ عالما ومهندسا لكل عشرة آلاف نسمة في اسرائيل و٢٩٨ في الاتحاد السوفياتي ، و١٩٩ في فرنسا ، و٨٥ في الولايات المتحدة(٢١) . كما ان معدل العلماء والمهندسين العاملين في البحوث العلمية ، لكل عشرة آلاف نسمة ، منخفض كثيرا . فالمعدل هو اثنان في مصر ، وواحد في لبنان ، وأقل من واحد في بقية الاقطار العربية . بيد أن المعدل مرتفـع في الدول المتقدمـة واسرائيل بحيث نجد أن هناك ٤١ عالما في الاتحاد السوفياتي ، ٢٧ في تشيكوسلوفاكيا ، ٢٦ في الولايات المتحدة ، و١٢ في فرنسا و١٠ علماء في اسرائيل(٢٢) .

هذا ويعمل في اسرائيل سبعة آلاف عالم ومهندس في مجالات البحوث المختلفة(٢٣) .

واما عدد المهندسين في البلاد العربية ، فيبلغ ما لا يقل عن ٦٠ الفا ، الا أن هذه البـلاد ، اذا ارادت حقـا ان تتطور وتتقـدم ، لتصبح مجتمعـا عصريا فعـلا ، تحتاج ، على حد تقدير أحد الخبراء العرب ، الى ما لا يقل عن مليون ونصف المليون من المهندسين(٢٤) . فكيف يمكننا ان نحصل على هذا العدد الكبير ؟ يعتقد الخبير نفسه ان باستطاعة العرب ، في غضون ١٥ عاما ، الحصول على الرقم المطلوب فقط ، اذا أنشئت جامعات وكليات لهذا الغرض فورا . ولا ريب في أن الدول العربية النفطية تملك الموارد المالية الضخمة ، لانشاء كليات وجامعات ومعاهد مـن الدرجة الاولى وتمويلها . ولا يخفى ان تأمين هذا العدد الكبير ، في غضون ١٥ سنة ، من شأنه في النهاية أن يساعد العرب كثيرا في حربهم ، التـي لا هوادة فيها ، ضد الصهيونيـة والامبريالية ، وضد التخلف بكافة أوجهه .

ولا بد من الاشارة الى أن عدد طلاب الهندسة في ١٣ قطرا عربيا ، بلغ ٤٦٧ر٤٧ طالبا من أصل ٤٤٥ر٣٩٦ في الجامعات في البلاد العربية . اي ان نسبة طلاب الهندسة للمجموع ١٢ بالمائة ، مقابل ١٣ بالمائة في اسرائيل و٣٦ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا و١٤ بالمائة في المملكة المتحدة ، وذلك لاحد الاعوام ١٩٦٨ — ١٩٧٠ . واما عدد خريجي فروع الهندسة في ١١ قطرا عربيا ، فبلغ ٦٣٩ر١ مهندسا ، من اصل ٢٩٨ر٢٠ خريجا ، في كافة التخصصات والفروع ، اي ٨ بالمائة فقـط يتخرجون في الهندسـة في البلاد العربية ، مقابل ١٦ بالمائة في اسرائيل و٣٢ بالمائة في بولونيا و٢٢ بالمائة في المانيـا الديمقراطية و٢١ بالمائة في اليابان و١٦ بالمائة في المانيا الاتحادية و١٥ بالمائة في المملكة المتحدة(٢٥) .

وهكذا يتضح ان خريجي الهندسة في اسرائيل هو ضعفا نسبة الخريجين في البلاد

العربية . أي ان البلاد العربية ، التي تحتاج الى مهندسين عددا ونوعا ، لا تعد حاليا سوى القليل من هؤلاء ، في حين نجد ان اسرائيل وبعض الدول المتقدمة ، التي تملك ، نسبيا ، عددا أكبر من المهندسين ، فانها لا تزال تعد المزيد منهم . وما أصدق القول : « فمن معه يزاد ومن ليس معه يؤخذ منـــه » . فالخسارة العربيـــة مزدوجة هنا ، بهجرة المهندسين والنقص الكبير في اعداد ما تحتاجه البلاد من مهندسين ، في الوقت الحاضر وفي المستقبل .

دور المهندسين العرب في المعركة

بعد ما علمنا بعض الشيء عن حركة استنزاف المهندسين ، على الرغم من الحاجة الماسة اليهم ، نأتي الى تسليط الاضواء على المهمات التي يمكن ان يقوموا بهـــا في المعركة . فهناك مهمات وادوار كثيرة يمكن للمهندسين القيام بهـــا في الوقت الراهن والعمل على ايجاد الحلول العلمية والعملية لها . وسنقدم لمحـــة موجزة عـــن دور المهندسين في حرب ١٩٧٣ ، ثم دور المهندسين الفلسطينيين واللبنانيين ودور المهندسين المغتربين ، في المعركة ، وبعدها نتطرق الى مهمات المهندسين ضد التخلف في الحقول الهندسية والاقتصادية والعلمية والسياسية والاجتماعية .

والجدير بالذكر ان دور المهندس ينبع من طبيعة علمه وتدريبه العالي . فطبيعـــة عمل المهندس ، في المرحلة المصيرية من تاريخ الامة العربية ، هو التصدي للقضايا التي تعترض المجتمع العربي الذي يعيش فيه والسعي الى معالجتها ولحلها بطريقة علمية وعملية . فلا يمكن للمهندس اليوم أن يقف مكتوف الايدي أمام التحديات التي تواجه مهماته العربية . فدوره ، بالاختصار ، كامل في النضال والبنـــاء والانماء والاعلام والسياسة .

دور المهندسين في المعركة ضد العدو : ان مهمة المهندس في المعركة ضد العدو ، هي مهمة عسكرية قتالية ضمن اطار تخصصه العلمي والتقني ، كمهندس ، وكذلك المهمة الاعلامية التي لا تقل أهمية عن مهمته الاختصاصية .

١ — **الدور العسكري في حرب ١٩٧٣** : تجدر الاشارة الى انـــه كان للمهندسين العرب دور طليعي ، الذي أثار اعجاب العالم كله ، في حـــرب تشرين الاول اكتوبر ١٩٧٣ . فقد ساهم المهندسون العاملون في القوات العربية مساهمة كبيرة من خلال المسؤوليات الكبرى التي القيت على عاتقهم . ومن أبرز تلك الاعمال : انشاء السدود والموانع والتحصينات وحفر الخنادق ، تنظيم عملية العبور التاريخية ، اقامة الجسور عبر القناة في ساعات قليلة جدا ، اقامة المعابر فوق « خط بارليف » ، شق الثغرات في خط بارليف ، زرع الالغام في حقول العدو وابطال مفعول الغـــامه الموقوتة ، انشاء مواقع الدفاع الجوي ، اقامة نظام مضاد للدبابات ، فضلا عن تجهيز مراكز القيادة والملاجىء المحصنة الخ .

تفيد تقارير القادة العسكريين المصريين ان سلاح الهندسة قام بدور أساسي في حرب اكتوبر ١٩٧٣ . فقبل الحرب مثلا ، كان سلاح الهندسة في القوات المصرية يعمل بعنف وقسوة طيلة السنوات الست التي سبقت الحرب ، بحيث كان المهندسون يعملون ٢٤ ساعة . وكان سلاح الهندسة يبذل مجهودا قبل المعركة لا يقل اطلاقا عـــن الجهود في اثنائها . وكانت المشكلة الرئيسية امام المهندسين على ضفة قناة السويس هي: كيفية فتح الثغرات او الممرات في الساتر الترابي في خط بارليف الذي أقامه العدو على الضفة الشرقية والذي بلغ ارتفاعه في بعض القطاعات الى ٢٥ مترا ، فضلا عن الخط الترابي المصري على الضفة الغربية . وقد أجريت محاولات عديدة مستخدمة شتى الوسائل

بغية اقتحام خط بارليف ولكن بغير جدوى . اتجه التفكير أول الامـــر مثلا الى فتـــح الثغرات بواسطة التفجير ، بحيث استمرت نظرية التفجير هذه سائدة طيلة خمس سنوات ، اي حتى منتصف عام ١٩٧١ . وقد أجريت ما يزيد على ٣٠٠ تجربة على امتداد السنوات المذكورة لفتح هذه الممرات بالمدفعيـــة ، وبكل انواع المفرقعـــات والصواريخ والالغام ، لكنها فشلت جميعها . الا ان المشكلة قـــد حلت من قبل احد المهندسين وهو ضابط شاب كان اهتدى الى فكرة اســـتخدام مـــدافع المياه ، التي استطاعت بواسطتها القوات المصرية فتح ٨٥ ممرا في الساتر الترابي خلال خمس ساعات فقط . وتتلخص نظرية التجويف هذه باستخدام المياه المندفعة من خراطيم ، تحت ضغط عال ، في ازالة الرمال ، من السد الرملي . ومما يجدر التنويه به ان قوات المهندسين العسكريين قد وضعت حوالى مليون لغم مضاد للدبابات خلال حرب ١٩٧٣ . وفي خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الاولى ، كان حجم قوات المهندسين العسكريين ، فوق سطح الساتر الترابي وفوق صفحة القناة ، قد تجاوز **خمسة عشر ألف مقاتل من المهندسين العسكريين** من مختلف التخصصات . وهكذا يتضح ان جهود المهندسين وابتكاراتهم كانت فعلا وراء النجاح الكبير الذي حققته القوات المصرية في عملية العبور العظمى(٢٦) .

٢ ـــ **دور المهندسين الفلسطينيين** : كان ذلك عن دور المهندسين المصريين ، والان نأتي الى اعطاء لمحة عن دور المهندسين الفلسطينيين في المعركة التي يخوضها الشعب الفلسطيني المناضل بجانب الشعب العربي الشقيق . فمن المعلـــوم ان المهندسين الفلسطينيين يمثلون دورا طليعيا من أجل انجاح الثورة ودعم الصمود الفلسطيني والعربي . ومن يلقي نظرة سريعة على حركة النضال الفلسطيني يجد بوضوح ان المهندسين هم من فصائل الطليعة النضالية في المعركة ، وقد قاموا بأعمال بطولية . يكفي أن يكون اول من أطلق شرارة الثورة الفلسطينية المهندس ، ياسر عرفات، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام للثورة الفلسطينية . هذا وقد ساهم عدد كبير من المهندسين الفلسطينيين في دعم الثورة الفلسطينية ، فمنهم مثلا من حملوا البندقية ، وناضلوا في صفوف الثورة وجماهيرها، مقدمين أمثلة رائعة في البطولة والتضحية والشهادة . ومنهم من حمل السلاح في صفوف المقاتلين ، أمثال وليم نصار وكمال النمري ، ومنهم من استشهد ، أمثـــال كمال عدوان ، احمـــد حبش ، ربحي مسوسي ، مازن ابو غزالة ، خالد اليشرطي ، عبد الفتاح حمود .

ودعما للثورة الفلسطينية ، فقد الف الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين ، يضم المهندسين من فلسطين العاملين في البلاد العربية. وللاتحاد فروع في الوقت الحاضر في ستة اقطار عربية . ومن أهداف الاتحاد ، علـــى الصعيد الدولي ، توضيح حقيقـــة القضية الفلسطينية للمهندسين في العالم ، والمساهمة ، على الصعيد العربي ، الفعال والمباشر في نضال جماهير الامة العربية ضد أعدائها الامبرياليين والصهاينة. والسعي، على الصعيد الفلسطيني ، لتجميع الطاقات الهندسية الفلسطينية وحثها للدفاع عن وطنها والقيام بمهماتها الانتاجية في الوطن العربي .

هذا ومن أبرز ما قام به الاتحاد مؤخرا ، توجيه الدعوة الى عقد ندوة حول « دور المهندس العربي في معركة الصمود » في بغداد (١٤ ـــ ١٨/٤/١٩٧٥) . وانعقدت الندوة تحت شعار : بالعلم وبالبندقية تستمر الثورة المسلحة . وقد قدمت في الندوة دراسات قيمة حول دور المهندس العربي في معركة الصمود . وتقوم فروع الاتحاد بتصميم الملاجىء وبنائها في المخيمات بغية حماية أرواح المواطنين الآمنين ، فضلا عن انشاء التحصينات والاستحكامات العسكرية للمقاتلين . ولا ريب في ان الملاجىء هذه

عنصر أساسي في تقليل عدد الاصابات بنسبة كبيرة جدا ، ابان الغارات وفي أعقابها أيضا(٢٧).

٣ ــ **دور المهندسين اللبنانيين** : ويقوم المهندسون اللبنانيون أيضا بدورهم في خدمة معركة لبنان ضد اسرائيل . نظرا لتكرار الاعتداءات الاسرائيلية على قرى لبنان الامامية ، الموجودة على خط المواجهة مع العدو الاسرائيلي ، قررت نقابة المهندسين في لبنان الشمالي ما يأتي : اتخاذ قرار لبناء ملاجىء في القرى الامامية ، وضع كامل امكانات المهندسين للمساهمة في تحقيق المشروع ، اتخاذ كافة التدابير والوسائل الممكنة المتوافرة لانجاز المشروع بأسرع وقت ممكن . ولتنفيذ القرار ، اتخذت تدابير مالية وفنية وادارية ، كما ألفت لجنة من المهندسين للاشراف على المشروع وتنفيذه . وبالاضافة الى ذلك ، فقد تعهدت اللجنة الشعبية لدعم المجهود الحربي، التي ألفت في سنة ١٩٧٤ ، أن يكون التخطيط والانفاق باشراف نقابة الشمال . وقد ساهمت النقابة بوضع التصميم المعماري ، والتصميم الانشائي ، والدراسات المعمارية والانشائية ، الاتصال ببعض المؤسسات الصناعية لتأمين مواد البناء ، فضلا عن الاشراف على التنفيذ والادارة المالية(٢٨).

٤ ــ **دور المهندسين في دنيا الاغتراب** : كان هذا عن دور المهندسين المقيمين في الوطن العربي بصفة عامة ، ويجدر بنا ألا ننسى الدور البارز الذي يمكن ان يقوم به المهندسون المغتربون ، وخاصة في حقل الاعلام ، في المعركة التي تخوضها الامة العربية ضد اسرائيل والصهيونية العالمية ، والامبريالية وخاصة في مواجهة الحرب الاعلامية والحرب النفسية المعلنة ، من قبل تلك الفئات ضد العرب ، وخاصة بعد حرب اكتوبر المجيدة . يبدو ان المعركة التي تخوضها الامة العربية اليوم قد امتدت كثيرا ، وأصبحت تشمل الساحة الدولية ، بالاضافة الى الساحة العربية والشرق اوسطية نفسها .

وننطلق من استخدام المهندسين المغتربين في المعركة من المبدأ القائل : اذا لم نستطع استرجاع المهندسين المغتربين كافة ، فيجب استخدامهم في دنيا الاغتراب ، في حقل الاعلام ، كسفراء للقضية العربية .

ومما ينبغي الاشارة اليه هو أن مجالات استعمال مواهب المهندسين المغتربين واسعة النطاق في الحقل الاعلامي ، الذي أصبح حقلا واسعا ومهما جدا والذي يتطلب علما وخبرة وجهدا وتضحية . فهؤلاء الجنود المناضلون ، في الساحة الدولية ، يستطيعون ان يقدموا خدمات عظيمة للقضية العربية ، بالقيام بالنشاطات الآتية : أ ــ القيام باتصالات فردية مع الشخصيات والمواطنين وخاصة فئة المهندسين من هؤلاء . ب ــ الاشتراك في الندوات والمؤتمرات والحلقات الهندسية وغيرها واثارة القضية العربية وحقوق الشعب الفلسطيني في أرضه. جـ ــ القاء محاضرات وأحاديث في النوادي والكنائس والتجمعات الهندسية والاجتماعية والثقافية . د ــ كتابة رسائل الى الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون ، مدافعين عن الحق العربي ، وناقلين التحولات الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي الى المجتمع الغربي .

وعليه ، فينبغي تزويد المهندسين المغتربين بأحدث المعلومات والاحصاءات المتعلقة بتطوير البلاد العربية وتقدمها ، وكذلك المتعلقة بالقضية الفلسطينية واللاجئين الفلسطينيين . فالمهندس المغترب ، كما تدل خبرتنا في اميركا ، يحتاج الى معلومات واحصاءات وأرقام ، كي يقنع الشعب الاميركي ، مثلا ، بالحق العربي .

دور المهندسين في المعركة ضد التخلف : بعد ما ذكرنا بعض الشيء عن المهمات التي

المهني والعلمي . ولعل هذا الدور يتمثل في وضع التصاميم الخاصة بالمنشآت يقوم بها المهندسون العرب في خدمة المعركة ، نأتي الآن الى تقديم لمحة موجزة عن الادوار التي يمكن للمهندسين ان يقوموا بها ضد التخلف بكافة أوجهه .

١ ــ **الدور الهندسي** : ان الدور الهندسي هو طبعا من صميم اختصاص المهندس الهندسية ، القادرة على الصمود أمام اعتداءات العدو وغاراته ، ــ بعد اجراء الدراسات اللازمة لها ــ كبناء البيوت الآمنة ، وفق تصميمات خاصة يمكنها التقليل من الخسائر البشرية والمادية في المخيمات وفي المدن أيضا ، وكذلك بناء بيوت بعيدة عن بعضها البعض ، وبناء الملاجىء في كل بيت ، فضلا عن ايجاد الحلول العلمية للمجاري المكشوفة وللاخطار الناجمة عن عوامل الطبيعة ، كتصميم المجاري والقنوات الآمنة اللازمة . ومنع تلوث البيئة والمحافظة على جمال الطبيعة ، الخ(٢٩).

٢ ــ **دور المهندسين العلمي** : لا يختلف اثنان حول ما للعلم وللتكنولوجيا من دور حاسم في المعركة ضد العدو وضد التخلف . والدليل على ذلك واضح في كافة المجالات . ففي حرب ١٩٧٣ مثلا ، استطاع المهندسون المصريون أن ينجزوا في يوم واحد ، ما كان يعجز عن القيام به في الماضي آلاف الرجال . ولا يخفى ان صراع الامة العربية مع اسرائيل ليس صراعا عسكريا فحسب ، بل صراعا علميا وتكنولوجيا ايضا . فالعدو ، الذي ينقصه العدد الكافي في الرجال ، يعوض عن ذلك بالعلم والتكنولوجيا . فمن المعلوم ان المكاسب التي يحققها العدو في الصناعة وفي الحرب مثلا ، تعود أجمالا الى تفوقه العلمي والتكنولوجي . وما المهندس الا « نبي » العلم والتكنولوجيا ، وقد يكون خلاص الامة على يديه .

ولعل من أبرز ما يمكن المهندس القيام به في مجال الانماء العلمي يتمثل في : العمل على بناء عقلية علمية جديدة ، تعتمد على الطريقة العلمية والتفكير الموضوعي لفهم الحقائق والامور ، استخدام النظرة العلمية في كافة الاعمال ، القيام بالبحث والتنقيب والتجارب للمساهمة في التقدم العلمي والتقني ، تبسيط العلوم من خلال الكتابة في الصحف والمجلات والاحاديث في الاذاعة والتليفزيون ، نشر العقلية الهندسية العلمية بين العاملين معه في العمل ، السعي لرفع المستوى العلمي والثقافي العام في الشعب(٣٠).

٣ ــ **الدور الاقتصادي** : ان امام الكوادر الهندسية العربية مهمات ومسؤوليات واسعة النطاق في مجال التنمية الاقتصادية . فالمهندسون ، بفضل طاقاتهم العلمية والتقنية ،وما يتمتعون به من ثقافة عالية ،محركون اقتصاديون لهم اهميتهم .ويمكن حصر دور المهندسين في خطط الانماء الاقتصادي بالاعمال الآتية : المساهمة في وضع سياسة تنمية صحيحة واقعية ، وفي التخطيط والتصميم ، معالجة قضايا التنمية المطروحة واتجاهاتها ، المشاركة في وضع أسس لصناعات متعددة ، مشاريع هندسية مختلفة ، اجراء الدراسات الهندسية ، الاشراف على الخطط وتنفيذها وادارتها ، رسم سياسة لتصنيع الوطن العربي ، تدريب الكوادر الفنية الوسطية والماهرة(٣١).

ولا يمكن لهذه الامة ان تنهض من التخلف الاقتصادي والاجتماعي ، الا برسم خطة اقتصادية شاملة ومتكاملة على صعيد الوطن العربي ، تكون بمثابة « مشروع مارشال عربي » . ولا ريب في ان مثل هذا المشروع الضخم يستوعب عشرات الآلاف من المهندسين العرب في كافة الاختصاصات الهندسية .

٤ ــ **دور المهندس السياسي والاجتماعي** : وللمهندسين واجبات اساسية ايضا في التنمية السياسية والاجتماعية . فالمهندس كما هو معلوم ، طاقة في التغيير السياسي

والتحويل الاجتماعي . وعليه فالسؤال الذي يطرح الان هو : هل تشكل مهنة الهندسة بحد ذاتها مساهمة واضحة وايجابية ، في كل من الكم والكيف ، فيما يتعلق بعملية التحويل السياسي والاجتماعي والاقتصادي ؟ يبدو ان ثمة وعيا كاملا واعتقادا راسخا في الوقت الحاضر في وجوب تحقيق واجبات اساسية ، للمهندسين ، في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية من ناحية ، وكذلك وجوب تحقيقها من ناحية اخرى . ويمكن ان يتم ذلك بالاشتراك مع افراد اللجان والتنظيمات والنقابات . ولا ريب في ان هذه المهمة لا تقل اهمية عن المهام السابقة التي تقع في صميم اختصاصه(٣٢) .

وجملة القول ، يستطيع المهندسون ان يساهموا اسهاما بارزا في خدمة المعركة ، سواء كانت ضد العدو او ضد التخلف . ويتزايد دور المهندسين — المدنيين والعسكريين — نتيجة للتطور العلمي والتقني . فقد حقق المهندسون المصريون في حرب ١٩٧٣ انجازات رائعة ، وكذلك المهندسون الفلسطينيون في خدمة الثورة الفلسطينية ومعركة الصمود ، ويساهم المهندسون اللبنانيون في دعم القرى الامامية ، هندسيا وفنيا واداريا . وعلى صعيد المعركة ضد التخلف ، يستطيع المهندسون العرب ان يقوموا بادوار هامة في الحقول الهندسية والاقتصادية والعلمية والسياسية .

اثر هجرة المهندسين واخطارها

يقودنا الحديث عن هجرة المهندسين بطبيعة الحال الى السؤال الاتي : ما هو اثر هجرة المهندسين واخطارها العلمية والمادية ومضاعفاتها على المعركة ؟ لا يخفى على الشخص الواعي ان للهجرة اثرا سلبيا على المعركة بشقيها : المعركة ضد اسرائيل ، والمعركة ضد التخلف . فهي اذن تعتبر **خسارة** في خيرة رجال العلم والتكنولوجيا ، الذين هم محور التقدم والتنمية والقوة وركنها ، وكذلك خسارة في المال الذي انفق على تعليم هؤلاء وتدريبهم .

١ — **خسارة علمية وهندسية** : لعل الخسارة الفادحة ، المتأتية من الهجرة العلمية هي ، في الاساس خسارة في العلم والتكنولوجيا ، المتمثلة هنا في المهندسين ، **فهؤلاء الرجال ثروة وطنية لا تنضب** . فهم مفاتيح التطوير والتغيير والانماء ، لان العلم وخاصة العلم التطبيقي هو اساس لاي عملية تطوير اقتصادي وانماء اجتماعي . وهناك اعتقاد سائد في العالم اليوم بان **ثروة الامة وتقدمها يكمنان في رجال العلم والتكنولوجيا** ، وعلى راسهم فئة المهندسين . واصبحت قوة البلاد الاقتصادية والعسكرية والقتالية تقاس اليوم بعدد المهندسين والعلماء والتكنولوجيين والفنيين العاملين في القوات المسلحة وفي القطاعات المدنية المختلفة. فثمة علاقة وثيقة ومباشرة بين عدد المهندسين وغيرهم من رجال العلم والاختصاص ، وبين قوة البلاد وتقدمها . ففي الاتحاد السوفياتي وحده ، مثلا ، نجد انه يضم اكثر من ربع عدد المهندسين في العالم ، وكذلك ربع العلماء في العالم(٣٣) . وكذلك نجد ان عدد المهندسين ، في البلدان المتقدمة ، مرتفع جدا ، وهذا دليل واضح على اهمية فئة المهندسين في تقدم الامم الحديثة . فلا غرابة ان نجد الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الدول المتقدمة تحاول ، بشتى الطرائق والاساليب ، اجتذاب المهندسين من الخارج للعمل فيها . وبكلمة وجيزة ، فان وجود فئة المهندسين ، بالاضافة الى غيرهم من الرجال المتعلمين والمدربين في البلاد ، اصبح يعتبر عالميا ، جزءا حيويا لا يتجزأ من التنمية الوطنية ، كما يعتبر غالبا الجزء الاكثر حيوية . ما اصدق قول الرئيس الاميركي الاسبق ، هربرت هوفر ، الذي كان مهندسا للتعدين ، عندما قال : « ان المهندسين والعلماء

هم اثمن ممتلكاتنا القومية »(٣٤). كما اعرب العالم الهندي مالكولم اديسيشيا ، نائب المدير العام لليونسكو ، بقوله : « ان العلماء والمهندسين والاطباء الذين يهاجرون الى العالم المتقدم هم دعامة التنمية وعوامل تكاثرها . وهم الاصل في كل تغيير وتطوير »(٣٥).

وقد حذرت صحيفة « الثورة » (دمشق) من ان هجرة الاف الخبراء والفنيين والعلماء والاختصاصيين لا يعني **كارثة علمية وفنية فقط** ، انما ايضا كارثة سكانية . كما حذر المدير العام لليونسكو من ان هجرة العلماء تؤخر لعشرات السنين تنمية الجامعات العربية ، كمراكز للامتياز العلمي .

هذا ويوافق ٧٠ بالمائة من الطلاب والاختصاصيين الاردنيين والفلسطينيين في اميركا ، كما جاء في دراسة حول هجرة الطلاب الاردنيين والفلسطينيين الى الولايات المتحدة ، ان رحيل الرجال المؤهلين جامعيا ، سوف يؤخر تقدم الاقطار العربية ، كما يؤخر تطويرها وانماءها . ولهذا فان المحاولات الدولية ، الرامية لسد الثغرة ، بين البلدان الغنية والفقيرة ، قد اصابتها الخيبة ، من جراء استنزاف الادمغة ، من البلدان الفقيرة الى البلدان الغنية(٣٦).

وفوق ذلك فان نزوح المهندسين العرب الى الخارج يعتبر خسارة لاثمن ثروة علمية وتكنولوجية تسعى اسرائيل لاستنزافها من الوطن العربي بشتى الاساليب . وبكلام اخر ان استنزاف المهندسين العرب الى الخارج يخدم اغراض اسرائيل الراميسة ، منذ زمن بعيد ، لتهجير هذه الفئة العلمية والتقنية ، وخاصة من دول المواجهة لانها تعتبر هؤلاء خط الدفاع الاول ضد اسرائيل .

٢ ــ **خسارة مالية** : في الواقع ان الخسارة المتأتية ، من جراء هجرة المهندسين الى الخارج ، تتجاوز كل تقدير بالدولار او بالدينار . فان تكاليف اعداد المهندس وتدريبه آخذة في الازدياد سنة بعد سنة . وقد افادت احدث الاحصاءات بأن تكاليف اعداد المهندس وتدريبه للعام ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ ، في الجامعة الاميركية في بيروت مثلا تبلغ ٣٠٠ر٣ دولار للطالب الواحد في السنوات الاولى من الجامعة ، بينما تصل الى ٤٠٠ر٨ دولار للطالب الواحد في السنة المذكورة في الدراسات العليا(٣٧). هذه طبعا التكاليف المادية الظاهرة ، واما التكاليف غير الظاهرة ، فلا يمكن لاحد ان يعرفها .

وهكذا يتبين ان حركة استنزاف المهندسين هي خسارة لاغلى ثروة قومية تملكها الامة ، أي الطاقة العلمية والتقنية ، التي هي الاساس لتطوير البلاد وانمائها ، وكذلك خسارة في المال الذي استثمر لتعليم هؤلاء وتدريبهم .

أسباب نزوح المهندسين ودوافعها

بعد ما ذكرنا هجرة المهندسين بالارقام ، واثر الهجرة واخطارها على المعركة والامة العربية ، فمن البديهي ان تتبادر الى الاذهان الاسئلة الاتية: ما هي اهم اسباب نزوح المهندسين العرب ؟ وما هي العوامل الاساسية المؤدية لذلك ؟ ما هي الدوافع للهجرة وحوافزها ؟ لا بد من الاشارة اولا الى ان من احد الاسباب ، المسؤولة عن النزوح ، تعود الى عوامل شخصية . أي ان قرار المرء النزوح من بلده ، للعمل في بلد اخر والعيش فيه ، هو في الاساس قرار شخصي ، يتوقف الى حد بعيد على الظروف الخاصة للفرد ، الذي يتخذ هذا القرار . الا انه ، بالاضافة الى ذلك ، ثمة عوامل ودوافع اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية وحضارية ــ كلها ــ ترتبط ارتباطا

وثيقا ومباشرا وعضويا بهجرة المهندسين والعلماء. فهناك عوامل خارجية « جاذبة »، يقابلها عوامل داخلية « ضاغطة » او « دافعة » للنزوح .

ومن ابرز العوامل **الخارجية** ، التي تجتذب المهندسين وغيرهم من رجال العلم ، هي : الرواتب المرتفعة والمغرية ، تشريعات الهجرة الجديدة التي تقدم تسهيلات وامتيازات عديدة للمهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات العلمية ، فرص العمل الواسعة في مجالات الهندسة على انواعها ، اجواء العمل المؤاتية واساليبه التي تعتمد على الكفاءة العلمية والانتاج في الترقية ، الاستقرار السياسي ، الدراسة في الخارج ، الزواج من اجنبيات ، تأمين اسباب الراحة في كل من العمل والعيش ، احترام شخصية الفرد كانسان ، وغير ذلك .

ويقابل هذه العوامل الخارجية ، عوامل **داخلية** مماثلة مضادة . ويمكن تلخيصها بكلمة واحدة ، وهي : **التخلف** . ومن ابرز هذه العوامل : الرواتب المتدنية ، سياسة التوظيف التي تعتمد اكثر على انتماءات الفرد العائلية والعشائرية والاقليمية منها على المؤهلات والكفاءات العلمية ، اجواء العمل غير المناسبة ، اساليب الترقية الرجعية ، الادارة المركزية الجامدة ، التخلف التربوي والعلمي العام ، ضيق مجالات العمل وفرص الترقية ، عدم الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الاوسط عامة ، العادات والتقاليد والخرافات الشرقية السائدة في البلاد العربية ، الخ .

وتعزيزا لما تقدم ، يجدر بنا ان نذكر بعض اهم النتائج ، التي توصلت اليها دراسة استقصائية حديثة اجريت في الولايات المتحدة ، حول هجرة الطلاب والاختصاصيين الاردنيين والفلسطينيين ، الى تلك البلاد . فالدراسة المذكورة تعطينا صورة حية ، عما يجول في اذهان ٢٢٣ طالبا واختصاصيا ، الذين اجابوا على استمارة الاستقصاء. ونتيجة هذا البحث تبين، ان الاسباب الرئيسية لهجرة هؤلاء ، تعود الى عوامل سياسية واجتماعية وعلمية .

١ ــ **العوامل السياسية** : كشفت الدراسة المذكورة النقاب على ان القضايا السياسية تأتي في المرتبة الاولى المؤدية لهجرة الطلاب والعلماء . فقد ذكر ٣٧ بالمائة من هؤلاء ، انهم لا يرجعون ، نظرا للاوضاع السياسية السائدة في الوطن الام . ومن بين اهم العوامل ، التي سجلت على ورقة الاستفتاء ، تتلخص بالنقاط الاتية : الزعامة الرجعية ، كبت الحرية السياسية ، غياب الحكومات الشعبية ، عدم كفاءة عدد كبير من الزعماء ، عدم اخلاص الزعماء للجماهير ، الانظمة العسكرية الحاكمة ، النظام الملكي ، نضوج الامة السياسي غير كاف ، عدم الاستقرار ، اضطهاد المثقفين من قبل الحكومة ، اقوال بغير افعال ، نقص في الديمقراطية .

٢ ــ **العوامل الاجتماعية والحضارية** : وانت العوامل الاجتماعية والحضارية في المرتبة الثانية . فقد عزا ٢٥ بالمئة من هؤلاء ، ان من بين اسباب بقائهم في الولايات المتحدة ، الاوضاع الاجتماعية والحضارية ، السائدة في البلاد العربية وهي : الجهل ، نقص في التعليم ، انتشار الامية ، الخرافات ، نقص في التعليم المختلط . وافاد ١٨ بالمائة ان النزوح يعود الى الفقر ، البطالة ، ظروف معينة ، تحديد المركز الاجتماعي للشخص بصداقاته السياسية والشخصية . وعبر ١٥ بالمائة عن اعتقادهم بان **الشخصية العربية مسؤولة عن الهجرة** . ومن ابرز ما ذكروا من صفات الشخصية العربية المتخلفة ، هي : نقص في النقد الذاتي ، الانانية ، عدم وجود ثقة ، عدم القدرة على التعاون ، كثرة الزعماء وقلة الرعايا ، فجوة بين الاقوال والافعال ، نقص الوعي السياسي ، نقص في النظرة الواقعية ، ضعف وسائل الاتصال ، العاطفة ، نقص في

الابداع الفردي ، نقص في الدوافع والرغبة والحس بالهدف كأمة . وافاد ١١ بالمائة بان العوائد والتقاليد السائدة ، والانتماء العائلي ، والعيش في الماضي ، الشعور القبلي ، تدخل العائلة في الزواج ، كانت — كلها — من بين العوامل الاجتماعية والحضارية التي دفعت بهؤلاء للهجرة .

ويؤمن الذين اشتركوا في الدراسة ، ان نزف الادمغة العربية ، ليس سببا ، ولكن نتيجة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتخلفة في الشرق الاوسط . ويعتقد هؤلاء انه حتى ، لو عاد حامل دكتوراه في علم حديث مثلا ، الى وطنه الام في وضعه الراهن من التخلف، فسوف يواجه مشاكل عديدة، في استخدام علمه في البلاد، وذلك نظرا **للتخلف** ولعدم وجود **الرؤية** اللازمة في البلاد ، التي يمكن ان تتصور اهمية العلم والعلماء في التقدم(٣٨) .

ومن اسباب هجرة المهندسين العوامل الاخرى الاتية : الدراسة في الخارج وخاصة في البلدان الغربية (كما ذكرنا) ، النقص في الشعور القومي والوطني ، النقص في ايجاد رؤية قومية واقتصادية عربية ، عدم شعور المهندس العربي بانه سيد افكاره في اثناء عمله في البلاد العربية، القيود الادارية البيروقراطية المتبعة في الوزارات والدوائر الرسمية ، معادلة الشهادات الاجنبية ، الاوضاع السياسية غير المستقرة في المنطقة العربية ، تفضيل المهندس الاجنبي على المهندس العربي في معظم الاحيان ، نقص في التدريب المستمر للنمو المهني ، عدم ايلاء المهندسين دورا قياديا في الجيوش العربية ، وغير ذلك من العوامل المشابهة .

تدابير الحكومات العربية

يتزايد القلق في الوقت الحاضر ، في البلدان العربية ، من استنزاف الكفاءات العلمية ،وفي طليعتهم المهندسون ، لان نزوح هؤلاء من شأنه ان يهدد التنمية ، ويستنزف **رصيدا حيويا** جدا في المعركة.وقد بدأ العرب مؤخرا بالتحرك ، عبر حملات مركزة ، لاجتذاب المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات من الخارج ، ولمنع هجرة هؤلاء الى الخارج . فازدادت دعوات كبار المسؤولين العرب ، من أجل اقناع المهندسين العرب في الخارج ، بالعودة للقيام بدورهم في تنمية اوطانهم ، لان مهاراتهم وعلومهم وخبراتهم تشكل رصيدا وطنيا حيويا .

واتخذت بعض الاقطار العربية كالعراق وليبيا وسوريا والكويت والجزائر اجراءات وخطوات ايجابية لاستعادة المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات العلمية المهاجرة، ولمنع هجرة المهندسين المقيمين(٣٩) .

١ — **العراق : قانون رعاية الكفاءات** : وكان القطر العراقي الاول في اخذ البادرة في الحملة لاعادة الكفاءات العراقية والعربية المهاجرة في الخارج ، وذلك عندما اصدر مجلس قيادة الثورة « قانون رعاية الكفاءات » في اواخر العام الماضي . وقد نشر في معظم الصحف والمجلات العربية ، في اوائل هذا العام . وبموجب القانون ، فتح العراق ابوابه للادمغة العربية ، مقدما لهم شتى الاغراءات والامتيازات والتسهيلات المادية والمعنوية ، للعمل والعيش في العراق وللحصول على الجنسية العراقية ، بكافة امتيازاتها .

هذا وقد شكلت لجنة لهذا الغرض تدعى « هيئة رعاية الكفاءات » . وسافر بعض اعضائها الى اوروبا الغربية واميركا ، لشرح اهداف القانون الجديد للعلماء والطلاب العراقيين والعرب ، المقيمين في البلدان الغربية(٤٠) .

٢ ــ **سوريا : عمل لكل مهندس** : وفي السباق ذاته ، أبدت سوريا رغبتها في بدء شهر شباط / فبراير الماضي ، عن الحد من هجرة الكفاءات والخبرات الى الخارج . فاصدرت قانونا جديدا يمنع بموجبه خروج السوريين من اصحاب الكفاءات والخبرات من الاراضي السورية ، وتنظيم حملة لاعادة الخبراء السوريين في الخارج ، كما تمنح فيه المهندسين امتيازات واغراءات عديدة ، اذا عملوا داخل القطر السوري او في الوطن العربي . وتتعهد الحكومة السورية على تأمين اعمال للمهندسين خلال شهرين من تخرجهم . ويقيد القانون الجديد خروج السوريين ، من اصحاب الكفاءات العلمية والفنية ، الى الخارج(٤١).

٣ ــ **ليبيا : ترحب بالكفاءات** : وعلى خطى العراق ، فقد اصدر مجلس قيادة الثورة الليبي ، « قانون تشجيع الخبرات » في ١٩٧٥/٢/٦ ، مستهدفا استقطاب اصحاب الكفاءات والخبرات العلمية والفنية العربية ، لاغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ويفسر القانون معنى الهجرة بالاقامة الدائمة ، بقصد الحصول على الجنسية(٤٢).

٤ ــ **الكويت تمنح الجنسية للكفاءات** : وقررت حكومة دولة الكويت ايضا ، تسهيل منح الجنسية الكويتية ، لاصحاب الكفاءات العربية ، من ذوي المؤهلات والخبرات الفنية العالية ، والتي تعمل خارج المنطقة العربية ، وذلك لاحتياج قوة العمل اليها في المستقبل . كما اعطت الاولوية ، بشأن منح الجنسية ، لهذه الكفاءات والخبرات ، التي تعمل وتخدم في الكويت نفسها . وتقرر تسهيل اجراء منح دخول البلاد والاقامة ، وحق الملكية الخاصة لغير الكويتيين(٤٣).

٥ ــ **الجزائر : ترحب بالكفاءات** : وتسعى الجزائر ، منذ زمن بعيد ، لاجتذاب الكفاءات والخبرات الجزائرية والعربية العاملة في الخارج ، وكذلك الادمغة الاجنبية ايضا . فاتخذت الحكومة اجراءات لجذب الكفاءات سواء من الاقطار العربية نفسها ، او من الدول الاجنبية .

بعد هذا ، ينبغي القول ، ان الدول العربية قد ادركت اهمية الكفاءات والخبرات لتحقيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فراحت تفتح لهم ابوابها ، مرحبة بهم ومقدمة لهم شتى الاغراءات المادية والمعنوية(٤٤).

وسائل الحد من هجرة المهندسين

بعد ما ذكرنا أسباب هجرة المهندسين والعوامل الدافعة لها، نسعى الان الى ايجاد الوسائل للحد من استنزاف المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات . فمن المعلوم انه لا يمكن الحد من هجرة المهندسين بسهولة ، اي بمجرد نداء او اعلان في صحيفة او تشريع جديد ، وانما الحلول تكمن في **تحديث المجتمع العربي وتطويره وانمائه** ، كي يصبح مجتمعا متقدما . لذا فاننا نعتقد ان كافة الوسائل ، الرامية للحد من الهجرة باطلة ، ما لم ننطلق من الفكرة القائلة ، بان الحد من هجرة الادمغة ومكافحتها ، يتوقف الى حد بعيد ، على **تنمية المجتمع العربي** . وعليه فان المسألة تتطلب اجراء حلول قصيرة او بعيدة المدى وعلى قيام تعاون وتنسيق بين الاقطار العربية من جهة ، وبين البلدان المتقدمة ، من جهة اخرى .

لذلك يحسن بنا ان ننطلق على الشكل الاتي :

١ ــ **زيادة الرواتب** : من أبرز أسباب هجرة المهندسين وغيرهم من اصحاب

الكفاءات ، الرواتب المتدنية وخاصة في القطاع العام . ولا يمكن الحد من هجرة هؤلاء او اجتذاب المهاجرين منهم ، الا بزيادة ملحوظة في الرواتب . هذا ما فعله ويفعله بعض الدول العربية والنامية ، وحتى المتقدمة ، التي تعاني هجرة الادمغة .

٢ ــ **اصلاح سياسة التوظيف** : والحديث عن زيادة الرواتب يطرح قضية اصلاح سياسة التوظيف القائمة حاليا ، وتبني سياسة تقدمية حديثة ، بحيث يمكن للمهندس وغيره ، ان يحصل على مركز ، بناء على كفاءته وخبرته . لذا نقترح انشاء مكتب توظيف للمهندسين ، في كل بلد عربي ، يهتم بوضع المهندس المناسب في المركز المناسب ، وقيام تنسيق بين كافة المكاتب في الاقطار العربية .

٣ ــ **انشاء دائرة لرصد الكفاءات الهندسية** : لعل من الوسائل المفيدة في عملية استعادة المهندسين المغتربين استحداث دائرة في كل سفارة وقنصلية عربية في الدول المتقدمة وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية وبلدان اوروبا الغربية ، يناط بها مهمة رصد المهندسين في الخارج ومحاولة اجتذابهم الى الوطن الذي يحتاج الى علومهم وخبرتهم . ومن مهام هذا المكتب ايضا تزويد المهندسين المغتربين بالمعلومات اللازمة عن مجالات العمل المتاحة حاليا ومستقبلا ، في الوطن العربي .

ويذكر ان السفارات الاميركية تنظم مكاتب فيها ، لرصد الكفاءات الاجنبية ومحاولة اجتذابها للعمل ، في الولايات المتحدة الاميركية .

٤ ــ **دعوة المهندسين المغتربين للوطن** : ومن الوسائل المفيدة ايضا توجيه دعوات الى المهندسين العرب المغتربين لزيارة الوطن الام ، بين الحين والاخر ، للوقوف على اوجه التطورات وابداء الراي بذلك . ويمكن توجيه الدعوات لهؤلاء لحضور مؤتمرات وندوات وحلقات دراسية . ثم يجدر ان توجه نداءات الى المهندسين المغتربين لخدمة وطنهم الام ، سنة على الاقل ، بحيث يطلق عليها « سنة العودة » . ومن المعلوم ان مجالات العمل قد تكاثرت بعد حرب ١٩٧٣ ، نتيجة خطط التنمية الاقتصادية .

٥ ــ **اجراء دراسة شاملة عن اوضاع المهندسين** : في الواقع ، لا يوجد هناك دراسة علمية شاملة لاوضاع المهندسين العرب ولهجرتهم . فكل ما هنالك احصاءات معظمها اعتمدت على مصادر اجنبية ، عن حركة نزوح المهندسين الى بعض البلدان الصناعية . فالمطلوب اذن اجراء دراسة ميدانية شاملة وموضوعية ، تتناول مسح شامل للمهندسين العرب وهجرتهم الخارجية والداخلية والاسباب الدافعة للهجرة والعوامل الجاذبة لها ، وابعاد الهجرة وانعكاساتها ، ثم ايجاد الحلول الجذرية المناسبة لمكافحتها .

٦ ــ **انشاء سوق عربية مشتركة** : من المعلوم ان بعض البلاد العربية تحتاج الى مهندسين اكثر من غيرها ، وتسهيلا لحركة توظيف المهندسين في الاقطار العربية التي تحتاج اليهم ، نقترح انشاء نوع من السوق العربية المشتركة للمهندسين ، بحيث يفتح المجال واسعا امام المهندسين ، للعمل في اي قطر عربي ، حيث تدعو الحاجة ، بقطع النظر عن القيود والشروط القانونية والادارية الجامدة ، التي تفرض عادة على المواطنين الغرباء .

٧ ــ **تطوير كليات الهندسة وانشاء كليات جديدة** : ينبغي تطوير كليات الهندسة في البلاد العربية وتحديثها وتوسيعها ، كي تصل الى مستوى متقدم ، وانشاء كليات جديدة ممتازة للعلوم الهندسية ، تقدم مناهج في الدراسات العليا الهندسية . وبهذه الطريقة نستطيع ان نحد من هجرة الطلاب الى الخارج ، سعيا وراء التخصص .

والجدير بالذكر ان اكثر من خمسين بالمائة ، من الطلاب والعلماء الاردنيين والفلسطينيين (الذين سبق القول عنهم) ، لا يسعون في الغالب للدراسة في الولايات المتحدة : اذا كان هناك جامعات اكثر في البلاد العربية ، اذا كان ثمة أساتذة مقتدرون ، اذا وجدت تسهيلات افضل من قبل الجامعات ، اذا كان هناك اختيار اوسع في البرامج ، اذا استطاع الطلاب تمويل دراستهم في اثناء التعليم ، وذلك بأعمال يقومون بها لقاء اجور معينة . كما هو الحال مثلا ، في الولايات المتحدة .

٨ ــ **اعتماد خطة انماء اقتصادية شاملة** : ولعل الوسيلة الوجيدة ، على المدى البعيد ، في الحد من هجرة الادمغة ، وفي القضاء على التخلف ، وتحقيق النصر في المعركة ، يتمثل في اعتماد خطة انمائية اقتصادية واجتماعية شاملة ومتكاملة (مشروع مارشال عربي) ، لتطوير المجتمع العربي وتحديثه . ولا يمكن انجاح هذه الخطة ، الا بتأمين جيش كبير من المهندسين والعلماء والخبراء وغيرهم من رجال العلم والتكنولوجيا . وقد برهنت تجارب الامم المتقدمة على ان هناك علاقة وثيقة ، بين نمو الاقتصاد وازدهاره ، وبين انخفاض نسبة المهاجرين من المهندسين والعلماء وغيرهم من رجال الاختصاص .

وبالاضافة الى ما تقدم ، هناك اساليب اخرى لاستقطاب المهندسين وللحد من استنزافهم الى الخارج . ومن اهمها : اجراء اصلاحات جذرية في انظمة التربية والتعليم ، تشجيع البحث العلمي ، تأمين اجواء علمية مناسبة ، تعديل قوانين الهجرة والدراسة في الخارج ، رفع المستوى الثقافي والعلمي لعامة الشعب العربي ، وغير ذلك .

ومن هنا ، ينبغي القول ، انه ليس المهم تقديم اقتراحات ، للحد من استنزاف الادمغة او لاجتذابها ، الى الوطن الام ، ولكن الاهم من ذلك : **كيفية تحقيق** هذه الاقتراحات او **تنفيذها** . فما هي اذن الخطوات اللازمة لتنفيذ المرغوب فيه ؟ اليكم اهم الخطوات التي ينبغي الاسترشاد بها :

١ ــ **تأمين المال اللازم** : ان الحد من استنزاف المهندسين وتأمين أعمال لهم ، في البلاد العربية ، يتطلب أموالا ضخمة . لذا نقترح تخصيص نسبة ، ما لا يقل عن واحد بالمائة من عائدات النفط ، لضمان المال اللازم . وهذا النوع من التثمير هو افضل انواع الاستثمار واجداها .

٢ ــ **ازالة القيود بين الاقطار العربية** : تسهيلا لاجتذاب المهندسين ، يجب ازالة القيود على السفر والتنقل والهجرة بين الاقطار العربية من جهة ، وبين البلدان العربية وشتى البلدان المتقدمة ، الغنية بالطاقات العلمية والتقنية ، من جهة اخرى .

٣ ــ **التوعية العلمية** : ان انجاح اي مشروع اليوم يتطلب توعية لكسب التأييد اللازم ، من قبل المسؤولين وبقية المواطنين العاديين . ولعل من افضل الوسائل لتحقيق ذلك ، استخدام وسائل الاعلام الجماهيرية ، من اذاعة وتلفزيون وجرائد ومجلات .

٤ ــ **تأمين اجواء عمل مناسبة** : لا يستطيع المهندس ، مهما اوتي من ذكاء وخبرة وصبر وحماسة لبلاده ، ان ينتج ، بغير تأمين ، اولا ، ظروف عمل مناسبة واجواء علمية ونفسية مؤاتية .

٥ ــ **انفتاح علمي** : لا يستطيع المهندس الناجح اليوم ان يعيش في بلد مغلق على نفسه علميا ، لان المهندس الماهر يحتاج الى الاطلاع الدائم على احدث التطورات

العلمية في حقل تخصصه . لذا ينبغي تأمين احدث الكتب والمجلات والدوريات العلمية والهندسية الصادرة في اللغات العالمية الحية .

٦ ــ **النمو المهني** : هذا وينبغي اتاحة الفرص الكاملة ، لانماء المهندسين مهنيا . فالمعرفة العلمية والتقنية تتضاعف مرة كل سبع سنوات . فالمهندس الذي لا يطالع احدث التطورات في حقل اختصاصه ، فانه يتخلف عن مواكبة عصر العلم والتكنولوجيا . لذا ينبغي تنظيم دورات تدريبية وعلمية لتطوير الكادر الهندسي ، ليتمكن من مواكبة التطور المتصاعد في حقله .

٧ ــ **تأمين الحرية الاكاديمية والشخصية** : هذه نقطة مهمة جدا . فالدول المتقدمة ، التي تجتذب المهندسين العرب ، تؤمن لهم حرية اكاديمية وشخصية . هذا ما فعلته الصين الشعبية مثلا ، في محاولاتها لاستعادة علمائها المهاجرين ، بعد سنة ١٩٤٩ .

٨ ــ **ديمقراطية المجتمع العربي** : من الملاحظ ان الاوضاع السياسية في المنطقة العربية مسؤولة ، بالدرجة الاولى ، عن استنزاف المهندسين . فهؤلاء يفضلون العمل والعيش في بلاد يسودها الاستقرار السياسي ، وبالتالي الديمقراطية السياسية الحرة . لذا ينبغي العمل على انشاء مجتمع عربي ديمقراطي حديث .

٩ ــ **تحديث الادارة** : ان الادارة عامة ، في البلاد العربية ، ما زالت تقليدية ، اي ان اساليبها وادواتها البيروقراطية المتبعة ، تعرقل تنفيذ المشاريع والمخططات في الوقت المحدد . فالادارة الحديثة اصبحت اليوم علما قائما بذاته . ومن ابرز عناصر الادارة الديمقراطية الحديثة : الاهداف الواضحة ، التخطيط ، التنظيم ، تفويض السلطة ، قيادة حكيمة ، التنسيق ، التقويم ، والتنفيذ .

١٠ ــ **تحديث العقلية** : ان التخلف هو عادة تخلف في العقلية او الذهنية ، وكذلك التقدم ، فانه تقدم في العقلية او الذهنية . فالعقلية الانفتاحية او المتقدمة ، هي ثروة كبيرة . فمن هذا المفهوم ننطلق . في الواقع لا يمكن العمل والحصول على نتائج فعالة ، الا في اطار عقلية متطورة ومتقدمة .

خاتمة

وخلاصة القول ان البلاد العربية تخسر أعز ما لديها من الطاقات البشرية المدربة ، وفي مقدمتها ، فئة المهندسين وغيرهم من العلماء والاطباء ورجال العلم ، عبر عملية استنزاف الى الدول المتقدمة ، وفي طليعتها الولايات المتحدة الاميركية . ولا شك في ان نزوح المهندسين يعتبر ، في الوقت الحاضر ، **كارثة وطنية** ، من حيث انها ، **خسارة علمية وتكنولوجية** ، من جهة ، وخسارة في المال ، الذي استثمر في اعداد هؤلاء وتدريبهم ، من جهة اخرى . والغريب في الامر ان نزوح المهندسين يأتي ابان المعركة ، التي تخوضها الامة العربية ، ضد اسرائيل والصهيونية العالمية ، وضد التخلف والجهل . والغريب ايضا ان البلاد العربية ، لا تستطيع استخدام المهندسين العرب في مشاريع التنمية ، على الرغم من قلتهم ، نسبيا ، نظرا للتخلف المهيمن على العرب حاليا ، هذا بالرغم من ان العرب يملكون موارد مادية واقتصادية هائلة . وترتبط الهجرة بعوامل داخلية وخارجية من اقتصادية وسياسية واجتماعية وحضارية وعلمية .

ويمكن الحد من هجرة المهندسين وغيرهم ، بزيادة الرواتب وتحسين اساليب التوظيف واحوال العمل والمعيشة ، واجراء دراسة علمية شاملة عن اوضاع

المهندسين ، وتطوير كليات الهندسة وتحديثها ، وانشاء كليات جديدة من الدرجة الاولى .

ولتحقيق هذه ، ينبغي ان تتخذ خطوات تنفيذ جريئة في تحديث العقلية العربية ، ونشر الوعي لاهمية العلم والتكنولوجيا المتمثلة بالمهندسين ، وتطوير الادارة الحالية واصلاحها واعادة تنظيمها على اساس لا مركزي ، تأمين احترام الشخصية الانسانية للفرد وضمان الحرية العلمية والاكاديمية .

وبالاختصار ، فان الحل الاوحد ، في رأينا ، لقضية هجرة المهندسين وغيرهم من رجال العلم ، يكمن ، في التغلب على التخلف الذهني والعقلي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعلمي ، المهيمن على العالم العربي حاليا . وستظل الأمة العربية ، تعتمد على الدول المتقدمة ، في معركتها ضد اسرائيل وضد التخلف ، ما لم تبدأ ، فورا ، بتطوير المجتمع العربي وانمائه ، كي يصبح مجتمعا حديثا ، عصريا ، متقدما .

بعد كل ما تقدم من حقائق وافكار ، السؤال الذي يطرح الان هو : ماذا يعني استنزاف المهندسين العرب الى الخارج ؟ في اعتقادنا ، ان حركة استنزاف الطاقات الهندسية العربية تدل على ما يأتي :

١ ــ تعد حركة استنزاف المهندسين ، من البلاد العربية الى البلدان المتقدمة ، « هربا » من المعركة المصيرية ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية من جهة ، وضد التخلف والجهل من جهة ثانية .

٢ ــ يعتبر نزف المهندسين العرب الى الخارج « نصرا » لاسرائيل في معركتها ضد الامة العربية ، لان من اولى اهدافها « تهجير » هذه الفئة الممتازة والمختارة من العرب . في حين ان بقاءهم في الوطن يعد كسبا للعرب ولكن خسارة للعدو .

٣ ــ تنظر اسرائيل الى فئة المهندسين كعدوها الاكبر . لماذا ؟ لانها فئة متعلمة ، تمثل اعظم مظاهر التقدم والتطور والقوة في العالم الحديث ، واثمن ثروة بشرية لدى الامة العربية ، لذا فهي تعتبر اقوى سلاح لدى العرب ، اذا ما استخدم بطريقة فعالة .

٤ ــ تخدم هجرة المهندسين اغراض اسرائيل بطريقة غير مباشرة ، وذلك لانها ترغب في ان تبقي العرب في وضع متخلف ومتأخر : علميا وحضاريا واقتصاديا ، لانها تحرمهم من « خميرة » الانماء و « رسل » التقدم والقوة .

٥ ــ ان حركة استنزاف المهندسين العرب ، ليست عملية عابرة او هامشية ، تسير بغير هدف ، بل عملية استغلال هذه الطاقات لتطوير اقتصاديات البلدان المتقدمة في الغرب ، على حساب الاقطار العربية النامية .

٦ ــ ان ادراك الاقطار العربية لاهمية المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات ، والجهود التي تبذل حاليا لاجتذاب المهاجرين من هؤلاء ، لدليل ساطع على دور هذه الطاقة البشرية العلمية في المعركة ، ضد اسرائيل وضد التخلف .

---

١ ــ جريدة « **البعث** » ، دمشق ، ١٩٧٥/٢/٢٨ .

٢ ــ زين ، الياس ، **هجرة الادمغة العربية** ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٢ .

٣ ــ **البعث** ، المصدر السابق .

٤ ــ صروف ، فؤاد ، **أوراق علمية ١٩٦٨ ــ ١٩٧١** ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ص ٣١٩ ــ ٣٤٨ .

٥ ــ فرحان ، محمد حكمت ، « دور المهندس في خطط التنمية » ، **صوت المهندسين** ، بغداد ،

كانون الثاني ١٩٧٥ ، ص ٢٤ — ٢٥ .

٦ — الراوي ، عفيف ، مجلة **صوت المهندسين** ، بغداد ، شباط ١٩٧٥ ، ص ٥ — ٨ .

٧ — زين ، المصدر السابق .

٨ — زين ، الياس ، **هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل** ، بيروت ، مركز الابحاث في م.ت.ف. ، ١٩٧١ .

٩ — زين ، المصدران السابقان .

١٠ — U.S. Department of Justice, Immigration and Naturalization Service, Annual Report 1973.
U.S. Department of Justice , Immigration and Naturalization Service, Annual Report 1972.

١١ — United Nations General Assembly. *Outflow of Trained Personnel from Developing Countries* (5 November 1981, A/7294).
UNITAR. *The Brain Drain from Five Developing Countries:* New York: United Nations Institute for Training and Research, 1971.
U.S. Department of Justice, Immigration and Naturalization Service. *Annual Indication of Immigration to the United States of Aliens in Professional and Related Occupations* (1966-1969) Chart 3.

١٢ — هيئة الاذاعة البريطانية ، لندن ، تقرير باللغة العربية لمراسل الهيئة حول هجرة المهندسين السوريين ، اذيع في صباح ١٩/١/١٩٧٥ .

١٣ — زين ، المصدران السابقان .

١٤ — *OPEN DOORS 1973.* Report on International Exchange, New York: Institute of International Education, 1973.

١٥ — *Facts About Israel 1973.* Jerusalem: Ministry of Foreign Affairs.

١٦ — زين ، المصدران السابقان .

١٧ — *Statistical Abstract of Israel 1972.* Jerusalem: Central Bureau of Statistics, 1972.
Statistical Abstract of Israel 1974: Jerusalem: Central Bureau of Statistics, pp. 130-131.

١٨ — زين ، المصدر السابق نفسه .

١٩ — **النشرة الاحصائية الشهرية** ، (تصدر عن مديرية الاحصاء المركزي في وزارة التصميم العام لبنان) ، المجلد ١٢ ، آب ١٩٧٤ ، ص ٢٠ .

٢٠ — Zahlan, Antoine B., «Strategies for the Utilization of High level Man Power in the Arab Countries», in *Population Bulletin* of the United Nations Economic Commission for Western Asia, no. 7 (Beirut, July, 1974), pp. 125-131.

٢١ — المصدر الرقم ١١ .

٢٢ — المصدر السابق نفسه .

٢٣ — المصدر السابق نفسه .

٢٤ — المصدر الرقم ٢٠ .

٢٥ — المصدر الرقم ١١ .

٢٦ — أبو جياب ، محمد، « المهندس والحرب »، مجلة **الطلائع** ، دمشق ، ١٩٧٥/٣/١٨ .
اتحاد المهندسين العرب ، الامانة العامة . « دور المهندس في معركة الصمود العربية » ، وثيقة من صفحتين قدمت في ندوة « دور المهندس العربي في معركة الصمود » (بغداد في ١٤ — ١٨/٤/١٩٧٥).
جريدة « **الاهرام** » ، ١٩٧٣/١٢/١١ .
جريدة « **السفير** » ، بيروت ، الاعداد : ٧، ٩، ١٠/١٠/١٩٧٤ .
مجلة « **قضايا عربية** » ، بيروت ، « رواية الشاذلي في عملية العبور » ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ ، ص ١٨٧ — ١٩١ .

٢٧ — اتحاد المهندسين العرب ، الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين، « دور المهندس العربي في معركة الصمود » ، (نشرة صغيرة وزعت في ندوة بغداد المذكورة سابقا).
صبح ، رفقي ، « دور المهندس العربي في دعم مخيمات العودة » ، (بحث قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا).

٢٨ — عكاري ، عبد الفتاح ، « دور المهندس العربي في تحصين مخيمات العائدين ضد الغارات الصهيونية في دول المواجهة » ، (دراسة قدمت في ندوة بغداد المذكورة سابقا) .

٢٩ — صبح ، المصدر السابق .

٣٠ — بدران ، المصدر السابق .

٣١ — البني ، صريح ، « دور المهندس في التنمية القومية » ، (بحث قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا).

بدران ، ابراهيم ، « دور المهندس في التنمية القومية » ، (بحث قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا) .

عمر ، محمد بالحاج ، بحث بغير عنوان قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا .

فرحان ، محمد حكمت ، « دور المهندس في خطط التنمية » ، مجلة « **صوت المهندسين** »، بغداد، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، ص ٢٤—٢٥ .

عمر ، المصدر السابق .

٣٢ — البني ، المصدر السابق .

صبح ، المصدر السابق .

٣٣ — جريدة « **الاخبار** » ، بيروت ، ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ ، ص ٣٦ .

٣٤ — صروف ، المصدر نفسه .

٣٥ — اديسيشيا مالكولم ، « هجرة الكفاءات من العالم العربي » ، صحيفة **التخطيط التربوي في البلاد العربية** ، بيروت ، كانون الثاني — نيسان ١٩٧٠ ، ص ٤ — ٢٣ .

٣٦ — JAFFARI, LAFI IBRAHIM, «The Brain Drain to the United States, the Migration of Jordanian and Palestinian Professionals and Students». *Palestine Studies* (Beirut), Vol. III, no. 1, (Autumn 1973), pp. 119-131.

٣٧ — «Cost of Education for a Student», 1974-1975, *AUB Bulletin*, Vol. XVIII, no. 4, (November 21, 1974), p. 4.

٣٨ — المصدر الرقم ٣٦ .

٣٩ — مجلة « **المصارف** »، بيروت، آذار (مارس) ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

جريدة « **النهار** » ، بيروت ، ١٩٧٥/٢/١٥ .

٤٠ — الجمهورية العراقية ، رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية ، هيئة رعاية أصحاب الكفاءات ، بغداد . **قانون رعاية أصحاب الكفاءات** ، الرقم ١٥٤ ، للسنة ١٩٧٤ .

وكالة الانباء العراقية ، ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، ص ٦ — ٧ .

« **النهار** » ، ١٩٧٥/٢/٤ .

٤١ — « **النهار** » ، ١٩٧٥/٢/٤ .

« **النهار** » ، ١٩٧٥/٢/١٥ .

٤٢ — الجمهورية العربية الليبية ، **وكالة انباء الثورة الليبية** ، نشرة البث الخارجي .

« قانون الرقم ١٣ للسنة ١٩٧٥ » بتشجيع الخبرات العربية اللازمة ، ٩ شباط (فبراير) ١٩٧٥ .

« **السفير** » ، ١٩٧٥/٢/٧ .

٤٣ — « **السفير** » ، ١٩٧٥/٤/١١ .

٤٤ — « **المصارف** » ، آذار (مارس) ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

النمو الحضري في فلسطين

الدكتور عبد الاله ابو عيّاش

يتفاوت مفهوم التحضر بين دولة وأخرى كما تختلف المعايير والتعاريف المتبعة لتحديد حضرية المكان ، ويحدد الكتاب السنوي الديمغرافي للامم المتحدة عدة مفاهيم تستخدم كأسس لتحديد المكان الحضري(١).

١ ــ يعرف مكان ما بأنه حضري على أساس حجم السكان ، ويتفاوت الحجم السكاني بين ٢٥٠ نسمة في الدنمرك و٤٠ ألف نسمة في كوريا .

٢ ــ تحدد بعض الدول حضرية المكان على أساس حجم السكان ونوعية الوظائف والفعاليات الاقتصادية التي يؤديها ذلك المكان .

٣ ــ تعرف دول أخرى حضرية المكان على أساس نوعية الوظائف والنشاطات الاقتصادية التي يقوم بها المكان بغض النظر عن حجم سكانه .

وقد تبنت الامم المتحدة معيارا لتحديد حضرية المكان يقوم على تحديد الاماكن التي يزيد عدد سكانها على ٢٠ ألف نسمة(٢). ويعتبر التعريف الاحصائي القائم على تحديد حجم السكان أهم المعايير المستخدمة وأكثرها شيوعا بين الدول لتعريف حضرية المكان(٣). وكما ذكرنا فقد اختلفت هذه المعايير بين الدول ، فقد كانت ايزلنده تعتبر المكان حضريا او مدينة اذا زاد حجم التجمع السكاني عن ١٥٠٠ نسمة ، وفي فرنسا وتشيكوسلوفاكيا وتركيا أخذ حجم السكان ٢٠٠٠ نسمة كحد أدنى لتعريف المكان الحضري ، وفي هولنده واليونان اعتمد الرقم ٥ آلاف نسمة . وما بين عامي ١٩١٠ و١٩٤٠ كانت الولايات المتحدة تعتبر أي تجمع سكاني يزيد عن ٢٥٠٠ نسمة مدينة او مركزا حضريا وكذلك فعلت المكسيك(٤). واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان هذه هي المعايير التي كانت سائدة في الثلاثينات والاربعينات في أوروبا وأمريكا رغم تغيرها في الوقت الحاضر وان تعريف الامم المتحدة لحضرية المكان على أساس ٢٠ ألف نسمة لم يكن موجودا في تلك الفترة لانه تعريف حديث ، وبما اننا نركز في هذه الدراسة على مقارنة حضرية فلسطين مع بقية الدول في العالم على أساس المعايير والتعاريف التي كانت سائدة في تلك الفترة ــ أي قبل عام ١٩٤٨ ــ ، فاننا نستطيع القول ان جميع الدول الاوروبية والامريكية تكاد تتفق فيما بينها على ان المكان الحضري هو ما زاد حجم سكانه على ٥ آلاف نسمة . واني أميل الى تبني المعيار الاوروبي ــ الامريكي لانه أكثر المعايير شيوعا ، ثم لان الكثير من الحقائق عن فلسطين شوهت من خلال أجهزة الاعلام الاوروبية والامريكية التي استغلت ببراعة من قبل الدعاية الصهيونية ، ثم لان فلسطين كانت خاضعة للانتداب البريطاني الذي كان يطبق معايير تتبنى وجهة النظر الاوروبية في تحديد حضرية المكان .

تشير كل الحقائق التاريخية صراحة الى أن فلسطين عاشت لآلاف السنين كمنطقة امتازت بجماعات تبنت الحضرية والاستقرار أساسا لحياة سكانها ، ولهذا ظهرت مدن

تجارية وموانىء مهمة ، وكانت فلسطين تمثل بشكل عام همـزة وصل تجاري بين أوروبا والشرق . وقد استمرت فلسطين حتى الفترة الحاضرة تتمتع بنمو ودرجة عالية من التحضر تفوق العديد من الدول الاوروبية . وتشير الاحصائيات الى انه في الوقت الذي وصلت فيه نسبة السكان الحضر في فلسطين الى ٤٧ ٪ من مجموع السكان لعام ١٩٤٥ ، وصلت في النرويج الى ٢٨ ٪ فقط لعام ١٩٤٦ ، و٣٣ ٪ في سويسرا لعام ١٩٤١ ، و٣١٫٧ ٪ في الاتحاد السوفييتي لعام ١٩٣٩ ، كذلك فاقت نسبة السكان الحضر في اليابان التي وصلت الى ٣٨ ٪ عام ١٩٤٠(٥). كذلك تشير الاحصائيات في الجدول (١) الى أن نسبة التحضر في فلسطين كانت أعلى من نسبتها في السويد ، ويلاحظ من الجدول أيضا أن كندا والولايات المتحدة وفرنسا فاقت درجة التحضر في فلسطين بنسبة بسيطة .

واذا ما قارنا درجة التحضر في فلسطين مع معدل درجة التحضر في العالم فاننا نجد ان نسبة السكان الحضر في فلسطين تزيد عن ضعفي معدل هذه النسبة بالنسبة لدول العالم كلها ، ففي الوقت الذي وصلت فيه هذه النسبة الى ٤٧ ٪ في فلسطين فانها وصلت فقط الى ١٩ ٪ بالنسبة لبقية العالم(٦).

جدول (١) : مقارنة بين نسب السكان الحضر في فلسطين وبعض دول العالم

الدولة	السنة	نسبة الحضر
كنـــدا	١٩٤١	٥٤٫٣ ٪
الولايات المتحدة	١٩٤٠	٥٦٫٥ ٪
فرنســـا	١٩٤٦	٥٣ ٪
النرويج	١٩٤٦	٢٨ ٪
الســـويد	١٩٤٠	٤٤٫٤ ٪
سويسرا	١٩٤١	٣٣ ٪
الاتحاد السوفياتي	١٩٣٩	٣١٫٧ ٪
اليابـــان	١٩٤٠	٣٨ ٪
فلســـطين	١٩٤٤	٤٧ ٪*

المصدر : Peter Hall, The World Cities, p. 19.
* مأخوذة من A Survey of Palestine, p. 818.

جدول رقم (٢) : مقارنة بين نسب السكان في المدن المائة الفية في فلسطين وبعض الدول العربية (١٩٣٢ — ١٩٣٧)

الدولة	(السكان بالالاف)	نسبة السكان
سوريا ولبنان	٦٠٩	٢٠٫٣ ٪
فلســـطين	٢٦٥	٢٠٫١ ٪
العـــراق	٣٠٠	٩٫١ ٪
مصر	١٬٢٣٠	١٣٫٣ ٪

المصدر : جمال حمدان ، المدينة العربية ، ص ٢٢ .

كذلك فان نسبة التحضر في فلسطين كانت قد فاقت الكثير من دول العالم عدا الدول الاوروبية آنفة الذكر . فعلى سبيل المثال بلغت نسبة التحضر في الخمسينات في افريقيا حوالي ١٠ ٪ في المعدل ، كما تفوق نسبة التحضر في فلسطين في الاربعينات نسبة السكان الحضر في عدة دول امريكية لاتينية حسب احصائها لعام ١٩٦٠ كبوليفيا التي وصلت فيها النسبة الى ١٥ ٪ وكوستاريكا والسلفادور وهايتي وهندوراس التي وصلت النسبة فيها حوالي ١٠ ٪ (٧). واذا ما قارنا وضع فلسطين مع بعض الدول العربية نجد ان نسبة سكان المدن الكبرى فيها كانت تزيد عن نسب كل من العراق ومصر ومساوية تقريبا لنسب لبنان وسوريا(٨) وكما هو واضح في الجدول (٢) .

واذا اعتمدنا تعريف جست وفافا(٩) كأساس لقياس نسبة التحضر والذي يعتمد على أخذ نسبة عدد سكان المدن المائة الفية فاننا نستطيع تصنيف فلسطين بكل سهولة ضمن المناطق ذات النسب العالية من التحضر على أساس ان سكان المدن المائة الفية تزيد عن ٢٠ ٪ من مجموع السكان . والواقع انه اذا نظرنا الى احصاء ١٩٤٥ لوجدنا أن هذه النسبة تزيد عما كانت عليه في الثلاثينات اذ أن مجموع سكان المدن المائة الفية في فلسطين وهي القدس وحيفا وتل أبيب وصل الى ٤٦٢ الف نسمة او ٢٦ ٪ من سكان فلسطين (جدول ٣) ، بالاضافة الى ذلك يبدو حسب الاحصاءات المتوافرة والتقديرات الواردة في الجدول (٤) الى أنه في الوقت الذي كانت فيه نسبة سكان الحضر تتزايد كان هناك انخفاض مستمر في نسبة سكان المناطق الريفية مما يشير الى نوع من الهجرة البطيئة من الارياف الى المدن . فبينما كانت نسبة سكان الحضر في ١٩٣١ تصل الى حوالي ٤١ ٪ ارتفعت حسب التقديرات الى ٤٧ ٪ في عام ١٩٤٤ . ومن جهة اخرى انخفضت نسبة سكان الريف لنفس الفترة من ٥٣ ٪ الى ٤٩ ٪ .

ويلاحظ أن النسبة التقديرية للسكان الحضر لا تتفق تماما والارقام الصادرة في جدول (٥) والذي يشير الى أن نسبة سكان الحضر في ١٩٤٥ كانت ٤٢ ٪ . والواقع ان الفارق بين الرقمين يمكن ان يعزى لعاملين الاول ان النسبة ٤٧ ٪ هي نسبة تقديرية بينما النسبة ٤٢ ٪ هي نسبة احصائية فعلية . أما العامل الثاني فيمكن ان يعزى الى اختلاف في مفهوم وتعريف حضرية المكان بين المصدرين فمثلا يصنف مصدر الرقم الاول حضرية المكان على أساس حجم سكاني مقداره ٥ آلاف نسمة فما فوق(١٠)، ولذلك لا نستطيع ان نعتبر مدينة جنين على أساس هذا التعريف مكانا حضريا ، الا أن مصدر الرقم الثاني يدخل جنين ضمن المناطق الحضرية على أساس انها مركز اداري لقضاء جنين(١١) (انظر جدول ٣ و ٤) .

ورغم هذه الاختلافات البسيطة وحتى لو أخذنا النسبة ٤٢ ٪ أساسا لمقارناتنا فسيكون لدينا ما يكفي من الادلة والشواهد الاحصائية لاثبات النقطة الرئيسية في هذه المناقشة وهي أن فلسطين لم تكن كما شوهتها وصورتها أجهزة الدعاية الصهيونية على انها صحراء مقفرة دخلتها قطعان تائهة من البدو وانما كانت من أكثر دول العالم تقدما وتطورا اذ أن تركز السكان في مناطق حضرية يشير في كثير من الاحوال الى تطور وسائل الخدمات والصناعات والتجارة والادارات المحلية ذات المهارات العالية التي تمتلك قدرا كافيا من التقدم العلمي القادر على تسيير أمور هذه التجمعات السكانية . وحتى تبقى الحقيقة واضحة نقول انه كان هناك بدو في فلسطين الا أن نسبة هؤلاء من السكان لم تزد عن ٦ ٪ من مجموع السكان كما هو واضح في الجدول (٤) .

جدول (٣) : أعداد ونسب السكان العرب واليهود في المراكز الحضرية الرئيسية بفلسطين

المركز	مجموع السكان	السكان العرب	النسبة	السكان اليهود	النسبة
القدس	١٥٧٠٨٠	٦٠٠٨٠	٪ ٣٨	٩٧٠٠٠	٪ ٦٢
حيفا	١٣٨٣٠٠	٦٢٨٠٠	٪ ٤٥	٧٥٥٠٠	٪ ٥٥
يافـــا	٩٤٣١٠	٢٨٠٠٠	٪ ٣٠	٦٦٣١٠	٪ ٧٠
تل أبيب	١٦٦٦٦٠	٦٦٠	٪ ٠٤٠٠٤	١٦٦٠٠٠	٪ ٩٩٤٩
عكا	١٢٣٦٠	١٢٣١٠	٪ ٩٩٤٩	٥٠	٪ ٠٤٠٠٤
غـــزة	٣٤٢٥٠	٣٤١٧٠	٪ ٩٩٤٩	٨٠	٪ ٠٤٠٠٢
بير السبع	٥٥٧٠	٥٥٧٠	٪١٠٠	—	—
الرملة	١٥١٦٠	١٥١٦٠	٪١٠٠	—	—
الخليل	٢٤٥٦٠	٢٤٥٦٠	٪١٠٠	—	—
رام الله — البيره	٨٠٠٠	٨٠٠٠	٪١٠٠	—	—
طولكرم	٨٠٩٠	٨٠٩٠	٪١٠٠	—	—
نابلـــس	٢٣٢٥٠	٢٣٢٥٠	٪١٠٠	—	—
جنين	٣٩٩٠	٣٩٩٠	٪١٠٠	—	—
النـــاصرة	١٤٢٠٠	١٤٢٠٠	٪١٠٠	—	—
بيســـان	٥١٨٠	٥١٨٠	٪١٠٠	—	—
طبرية	١١٣١٠	٥٣١٠	٪ ٤٧	٦٠٠٠	٪ ٥٣
صـــفد	١١٩٣٠	٩٥٣٠	٪ ٨٠	٢٤٠٠	٪ ٢٠
بتاح تكفا	١٧٢٥٠	١٥٠	٪ ٠٤٠٠٩	١٧١٠٠	٪ ٩٩٤٩
اللـــد	١٦٧٨٠	١٦٧٦٠	٪ ٩٩٤٩	٢٠	٪ ٠٤٠٠١
خان يونس	١١٢٢٠	١١٢٢٠	٪١٠٠	—	—
راحـــابوت	١٠٠٢٠	٢٠	٪ ٠٤٠٠٢	١٠٠٠٠	٪ ٩٩٤٩
المجـــدل	٩٩١٠	٩٩١٠	٪١٠٠	—	—
بيت لحم	٨٨٢٠	٨٨٢٠	٪١٠٠	—	—
الخضيرة	٧٨٣٠	٧٨١٠	٪ ٩٩٤٩	٢٠	٪ ٠٤٠٠٣
ناتانيـــا	٥٠٧٠	—	—	٥٠٧٠	٪١٠٠
ريشون صهيون	٨١٠٠	—	—	٨١٠٠	٪١٠٠

المصدر : Sami Hadawi, Village Statistics, 1945, Beirut, Palestine Research Center, 1970, pp. 13-14 and 40-77.

جدول رقم (٤) : توزيع السكان في فلسطين حسب تركزهم في مناطق حضرية وغير حضرية

نوع السكان	احصاء ١٩٣١	تقدير ١٩٣٧	تقدير ١٩٣٨	تقـــدير ١٩٣٨				
	كل الإديان	كل الاديان	كل الاديان	كل الاديان	مسلمون	يهود	مسيحيون	غيرهم
* حضر	٤٢٠٩٤٠	٥٩٨٢٨٠	٦١٣٠٦٤	٥٤٦٨٥٠	١١٧٥٨٠	٣٥٧٠٠٠	٧١٥٥٠	٧٢٠
** شبه حضر				٢٧٩٠٣٠	١٨٣٣٢٠	٥٨٣٨٠	٣٦٢٤٠	١٠٩٠
مجموع الحضر وشبه الحضر	٤٢٠٩٤٠	٥٩٨٢٨٠	٦١٣٠٦٤	٨٢٥٨٨٠	٣٠٠٩٠٠	٤١٥٣٨٠	١٠٧٧٩٠	١٨١٠
النسبة	٪ ٤١	٪ ٤٣	٪ ٤٣	٪ ٤٧	٪ ٢٩	٪ ٧٥	٪ ٨٠	٪ ١٣
ريفيون	٥٤٨٣٢٨	٧٣٧١٦٧	٧٥٥٣٨٣	٨٧٢٠٩٠	٦٩٣٨٢٠	١٣٨٢٢٠	٢٧٧٦٠	١٢٢٩٠
النسبة	٪ ٥٣	٪ ٥٢	٪ ٥٢	٪ ٤٩	٪ ٦٥	٪ ٢٥	٪ ٢٠	٪ ٨٧
مجموع المستقرين	٩٦٩٢٦٨	١٣٣٥٤٤٧	١٣٦٨٤٤٧	١٦٩٧٩٧٠	٩٩٤٧٢٠	٥٥٣٦٠٠	١٣٥٥٥٠	١٤١٠٠
النسبة	٪ ٩٤	٪ ٩٥	٪ ٩٥	٪ ٩٦	٪ ٩٤	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠
بـــدو	٦٦٥٥٣	٦٦٥٥٣	٦٦٥٥٣	٦٦٥٥٣	٦٦٥٥٣	—	—	—
النسبة	٪ ٦	٪ ٥	٪ ٥	٪ ٤	٪ ٦	—	—	—
المجمـــوع	١٠٣٥٨٢١	١٤٠٢٠٠٠	١٤٣٥٠٠٠	١٧٦٤٥٢٣	١٠٦١٢٧٣	٥٥٣٦٠٠	١٣٥٥٥٠	١٤١٠٠
النسبة	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٪ ٣١	٪ ٨	٪ ١

* سكان المدن التي تزيد أحجامها عن ٤٥ الف نسمة حسب احصاء ١٩٣١ .

** سكان المدن التي تزيد أحجامها عن ٥ آلاف نسمة حسب احصاء ١٩٣١ .

المصدر : A Survey of Palestine, Prepared in Dec. 1945 and Jan. 1946 for the Information of the Anglo-American Committee Inquiry, Vol. II, Palestine, the Government Printer, p. 818.

جدول رقم (٥) : توزيع السكان الحضر في فلسطين حسب الاقضية لسنة ١٩٤٥

القضاء	مجموع السكان	عدد السكان الحضر	نسبة السكان الحضر
عكـا	٦٨٣٣٠	١٢٣٦٠	٪ ١٨
بير السـبع	٥٣٧٠٠	٥٥٧٠	٪ ١٠
بيسـان	٢٣٥٩٠	٥١٨٠	٪ ٢٢
غـزة	١٣٧١٨٠	٥٥٣٨٠	٪ ٤٠
حيفـا	٢٢٤٦٣٠	١٤٩٧٧٠	٪ ٦٧
الخليـل	٨٩٦٥٠	٢٤٥٦٠	٪ ٢٧
يافـا	٣٧٣٨٠٠	٢٠٢٧٦٠	٪ ٥٤
جنين	٥٦٨٨٠	٣٩٩٠	٪ ٧
القـدس	٢٤٦٩٥٠	١٦٩٦١٠	٪ ٦٩
نابلـس	٨٩٢٠٠	٢٣٢٥٠	٪ ٢٦
النـاصرة	٤٦١٠٠	١٦٥١٠	٪ ٣٦
رام الله	٤٧٢٨٠	٨٠٠٠	٪ ١٧
الرمـلة	١٢٧٢٧٠	٣٣٢٨٠	٪ ٢٦
صفـد	٥٣٦٢٠	١١٩٣٠	٪ ٢٢
طبريـة	٣٩٢٠٠	١١٣١٠	٪ ٢٩
طولـكرم	٨٦١٤٠	١٣١٦٠	٪ ١٥
المجموع	١٧٦٤٥٢٠	٧٤٦٦٢٠	٪ ٤٢

المصدر : Sami Hadawi, Village Statistics, p. 39.

التباين الجغرافي في توزيع السكان الحضر

كما هو الحال في كل دول العالم هناك تباين جغرافي واضـح في انتشار وتوزيع السكان الحضر في فلسطين حسب المناطق الرئيسية . فقد كانت فلسطين مقسمة الى ستة عشر قضاء كما هو مبين في شكل (١) ، واذا ما نظرنا الى نسب التحضر في هذه المناطق الادارية الست عشرة لوجدنا أن هناك مناطق تتميز بتركز عال للسكان الحضر بينما هناك مناطق تتميز بنسب منخفضة . ويعتبر قضاء القدس أكثر المناطق تحضرا في فلسطين اذ وصلت نسبة السكان الحضر فيه الى ٦٩ ٪ من مجموع السكان بينما يعتبر قضاء جنين من أقل المناطق تحضرا اذ لم تزد نسبة السكان الحضر فيه عن ٧ ٪ . ويمكننا بشكل عام تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق جغرافية رئيسيـة على أساس

نسبة التحضر . فهناك المناطق التي تقل فيها نسبة السكان الحضر عن ٢٠ ٪ من مجموع السكان وتشمل خمسة أقضية كما هو مبين في الجدول (٥) والشكل (١) وهي عكا ، جنين ، طولكرم ، رام الله ، وبير السبع ، وتطغى في هذه المناطق وخاصة الاقضية الثلاثة الاولى حرفة الزراعة بينما ترتفع نسبة السكان البدو في القضاء الخامس اي في بئر السبع . وهناك المناطق التي تمتاز بنسب متوسطة من التحضر تتراوح بين ٢٠ — ٤٠ ٪ من مجموع السكان وتقل في هذه المناطق نسب الذين يمتهنون الزراعة بينما ترتفع نسب الذين يمارسون حرفا أخرى كالصناعة والتجارة والخدمات ، وتشمل هذه المناطق أقضية صفد ، طبريه ، بيسان ، الناصرة ، نابلس ، الرملة ، والخليل . وتعتبر مدينتا نابلس والخليل أهم مركزين للصناعة والتجارة ضمن هذه المناطق . اما مناطق المجموعة الثالثة فتمتاز بنسب عالية من التحضر وتشمل أربعة أقضية هي حيفا ، يافا ، القدس ، وغزه . وتعتبر منطقتا القدس وحيفا أكثر المناطق تحضرا اذ تصل نسبة التركز الحضري في الاولى الى ٦٩ ٪ وفي الثانية ٦٧ ٪ ، بينما تعتبر غزه أقل منطقة حضرية ضمن هذه المجموعة اذ أن النسبة فيها ٤٠ ٪ . وتتسم هذه المناطق بتركيز شديد على الفعاليات والنشاطات التجارية والصناعية والخدمات بينما تنخفض الفعاليات الزراعية فيها بشكل كبير . ومما يلفت النظر ان هذه الاقضية شملت على حوالي مليون نسمة من مجموع سكان فلسطين الذي بلغ في تلك الفترة حوالي ١ر٧ مليون نسمة ، وبشكل آخر يمكن القول ان الاقضية الاربعة تشمل على حوالي ٥٥ ٪ من مجموع سكان فلسطين .

التباين الجغرافي لتوزيع السكان الحضر العرب واليهود

يلاحظ في التوزيع الجغرافي للسكان تباين واضح في طبيعة انتشار وكثافة التركز السكاني بين العرب واليهود في المراكز والمناطق الحضرية الرئيسية ، كما يلاحظ ايضا من الجدول (٤) ان السكان اليهود كانوا يتركزون بشكل عام بنسب أكبر في المدن والمناطق الحضرية من الفلسطينيين العرب . الا انه تجدر الاشارة ان نسبة التحضر بين المسيحيين الفلسطينيين كانت أعلى نسبة بين أصحاب الديانات الثلاث اذ بلغت نسبة التحضر بين المسيحيين ٨٠ ٪ وبين اليهود ٧٥ ٪ وبين المسلمين ٢٩ ٪ . ويمكن ان يعزى هذا التركز الحضري اليهودي العالي الى عدة عوامل :

١) ان معظم اليهود جاؤوا مهاجرين وكانوا كما يبدو يفضلون الاقامة في مدن تتمتع بنسبة كبيرة من اليهود لان عامل الامن والطمأنينة النفسية عنصر مهم في اختيار المهاجرين لمناطق سكناهم الجديدة .

٢) تركز معظم اليهود في حيفا ويافا لانهما كانا الميناءين الرئيسيين لاستقبال المهاجرين ، ويبدو أيضا ان الكثيرين من المهاجرين اليهود لم يرغبوا في الانتقال من هذه المدن في فترة كان الريف الفلسطيني وبقية المناطق تشكل مصدر عداوة ومقاومة لطلائع الحركة العدوانية الصهيونية .

٣) ان معظم المهاجرين اليهود كانوا من ذوي الخبرات والكفاءات الحضرية التي لم تكن تلائمها البيئات الريفية ، ففضلوا البقاء في مراكز حضرية تتوفر فيها الاعمال الملائمة لخبراتهم .

٤) ان رقعة الارض الزراعية المملكة من قبل اليهود كانت تشكل نسبة قليلة من مجموع الارض الفلسطينية اذ أنها لم تزد عن ٦ ٪ ولم تكن هذه الرقعة قادرة على اعالة الاعداد الكبيرة للمهاجزين الجدد .

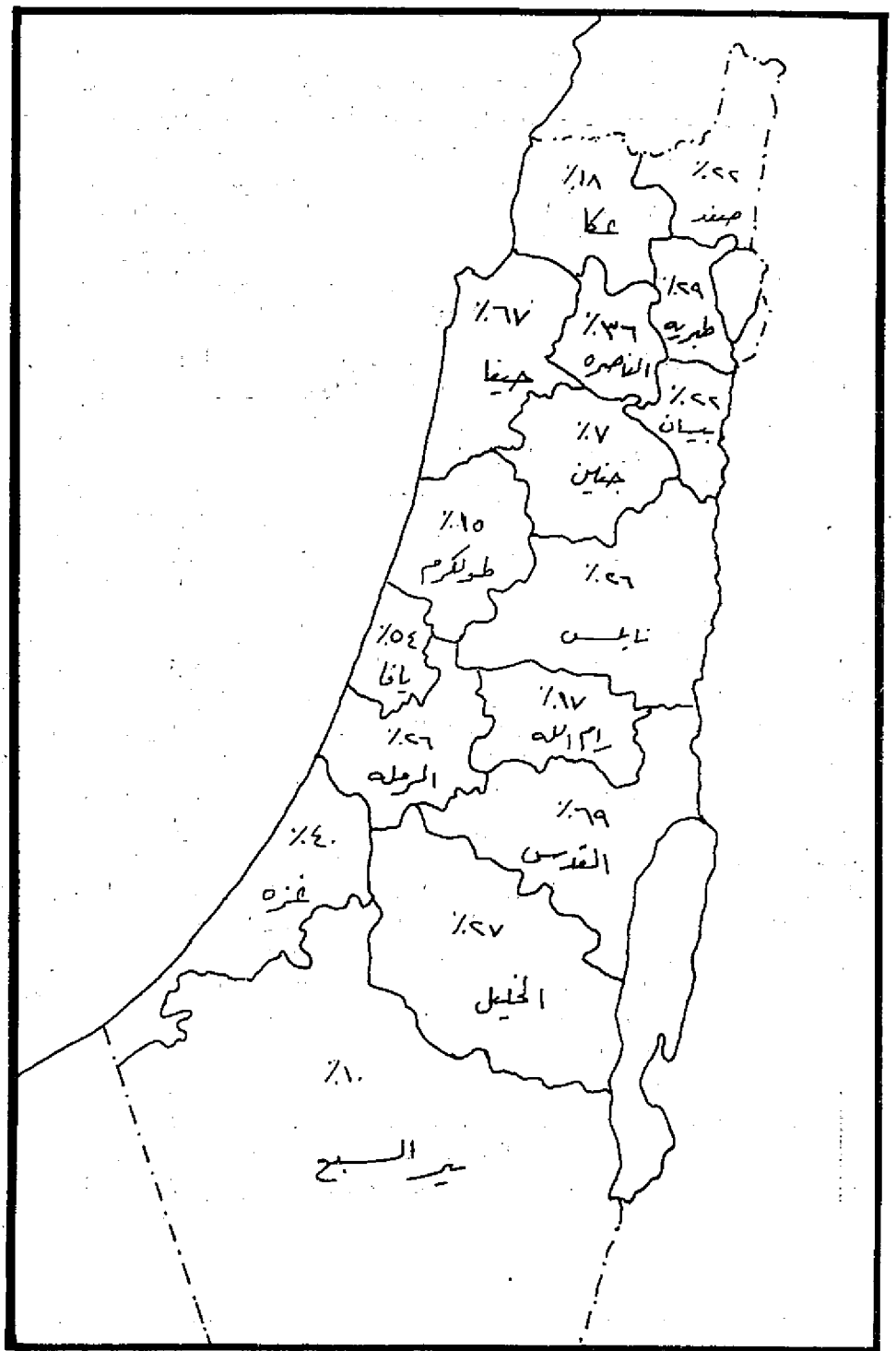

شكل(١) : نسب توزيع السكان الحضر في اقضية فلسطين

والواقع ان التركز الحضري لليهود في فلسطين هـو استمرار لنمط تميزت بـه التجمعات اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة حيث ان الاغلبية الساحقة من اليهود تتجمع في المدن والمراكز الحضرية الرئيسية ، وأفضل مثال يؤخذ من الولايات المتحدة اذ أن حوالي ٨٠ ٪ من اليهود يتركزون في بضع مدن امريكية كنيويورك ، شيكاغو ، سان فرانسيسكو ولوس انجلوس ، وميامي . ومن جهة أخرى فان ارتفاع نسبة الريفيين بين المسلمين في فلسطين يعكس الانتشار الواسع والارتباط الطويل الامد بين السكان العرب الفلسطينيين الذين كانوا يمتلكون معظم الاراضي كما يعكس من ناحية ثانية قلة اهتمام المهاجرين اليهود بالزراعة رغم كـل المغريات التي قدمتها الحـركة الصهيونية لجذب الايدي العاملة اليهودية للعمل في الزراعة .

وتدل احصائيات الجدول (٣) ان نسبة تركز اليهود في بعض المدن كتل ابيب وناثانيا وريشون صهيون كانت عالية جدا اذ أنها زادت عن ٩٩ ٪ من مجموع السكان فيها ، كما ان هناك مدنا أخرى مثل اليهود فيها النسبة الغالبة من السكان الحضر كما هو الحال في يافا والقدس وحيفا وطبريه . الا انه في نفس الوقت تميز الكثير من المدن الفلسطينية بغياب السكان اليهود منها بشكل مطلق كما هو في مدن بير السبع ، الرملة، الخليل ، رام الله ، البيره ، طولكرم ، نابلس ، جنين ، بيسان ، خان يونس ، المجدل ، وبيت لحم . وهناك مدن أخرى كانت الاغلبية فيها عـربا كاللد وصفد وغزه وعكا ، وبشكل عام نستطيع القول ان معظم المراكز الحضرية كانت فيها اغلبية فلسطينية .

واذا ما قارنا بين توزيع السكان الحضر العرب واليهود في فلسطين على أساس الاقضية فانه تبرز صورة أخرى مشابهة للتوزيع السابق والقائم على اساس المراكز الحضرية . فالسكان اليهود شكلوا نسبا كبيرة في اقضية حيفا ويافا والقدس والرملة وطبريه . وتدل المقارنات المبينة حسب الجدول (٦) والشكل (٢) ان هناك بعض المناطق التي تزيد فيها نسبة التحضر بين السكان العرب عنها بين السكان اليهود . فعلى سبيل المثال وصلت نسبة التحضر بين السكان العرب في قضاء بيسان الى ٣١ ٪ من مجموع السكان العرب الذين بلغت نسبتهم في القضاء ٧٠ ٪ ، الا ان نسبة التحضر بين السكان اليهود في هذا القضاء كانت معدومة على الرغم مـن ان نسبة السكان اليهود في القضاء بلغت ٣٠ ٪ من السكان ، وهذا التوزيع يعكس نوعيـة النشاط الاقتصادي للمجموعات اليهودية في هذا القضاء والذي كان يعتمد على الزراعة ضمن مستوطنات الكيبوتز والموشاف . وهناك مثال آخر مشابه هو قضاء الناصرة حيث زادت نسبة السكان الحضر العرب عن نسبة السكان الحضر اليهود ، فبينما وصلت النسبة بين العرب الى ٤٠ ٪ كانت بين السكان اليهود ٣٠ ٪ . ويمثل قضاء عكـا وقضاء غزة مثالين آخرين للمناطق التي زادت فيها نسبة السكان الحضر العرب عن نسبة السكان الحضر اليهود . الا أنه في نفس الوقت كانت هناك اقضية كالقدس والرملة ويافا وطولكرم تمتاز بنسب مرتفعة من السكان الحضر اليهود ، ويبرز هذا واضحا بشكل رئيسي في القدس اذ وصلت نسبة السكان الحضر اليهود الى ٩٧ ٪ من مجموع السكان اليهود في هذا القضاء ، كما وصلت الى ٧٦ ٪ في قضاء يافا و٧٢ ٪ في قضاء حيفا .

الخلاصة

اننا حينما نبحث ظاهرة التحضر في فلسطين فاننا لا نحاول دراسة تحضر الدولة على اساس التمييز بين السكان سواء كانوا من اديان او اجناس متعددة ، وانمـا نقارنها وفق النسبة العامة الآخذة بنظر الاعتبار مجموع السكان . فنحن عندما نتحدث

شكل (٢) : نسب السكان الحضر العرب واليهود حسب الاقضية
الرقم الاول في كل قضاء يمثل العرب والرقم الثاني يمثل اليهود

جدول (٦) : توزيع السكان العرب واليهود الحضر في فلسطين حسب الاقضية لسنة ١٩٤٥

القضاء	مجموع السكان العرب	نسبة السكان العرب	مجموع العرب الحضر	نسبة العرب الحضر	مجموع السكان اليهود	نسبة السكان اليهود	مجموع اليهود الحضر	نسبة اليهود الحضر
عكا	٦٥٣٨٠	٪ ٩٦	١٢٣١٠	٪ ١٩	٢٩٥٠	٪ ٤	٥٠	٪ ٢
بير السبع	٥٣٧٠٠	٪ ٩٩٫٧	٥٥٧٠	٪ ١٠	١٥٠	٪ ٠٫٣	—	—
بيسان	١٦٥٩٠	٪ ٧٠	٥١٨٠	٪ ٣١	٧٠٠٠	٪ ٣٠	—	—
غزة	١٣٤٢٩٠	٪ ٩٨	٥٥٣٨٠	٪ ٤١	٢٨٩٠	٪ ٢	٨٠	٪ ٣
حيفا	١٢٠١٢٠	٪ ٥٣	٧٤٢٤٠	٪ ٦٢	١٠٤٥١٠	٪ ٤٧	٧٥٥٣٠	٪ ٧٢
الخليل	٨٩٥٧٠	٪ ٩٩٫٩	٢٤٥٦٠	٪ ٢٧	٨٠	٪ ٠٫١	—	—
يافا	١٠٩٧٠٠	٪ ٢٩	٨١٠٠	٪ ١٠	٢٦٤١٠٠	٪ ٧١	٢٠١٩٥٠	٪ ٧٦
جنين	٥٦٨٨٠	٪ ١٠٠	٢٩٩٠٠	٪ ٧	—	—	—	—
القدس	١٤٧٧٥٠	٪ ٦٠	٧٢٦١٠	٪ ٤٩	١٠٠٢٠٠	٪ ٤٠	٩٧٠٠٠	٪ ٩٧
نابلس	٨٩٢٠٠	٪ ١٠٠	٢٣٢٥٠	٪ ٢٦	—	—	—	—
الناصرة	٣٨٥٠٠	٪ ٨٤	١٤٢١٠	٪ ٤٠	٧٦٠٠	٪ ١٦	٢٣٠٠	٪ ٣٠
رام الله	٤٧٢٨٠	٪ ١٠٠	٨٠٠٠	٪ ١٧	—	—	—	—
الرملة	٩٧٨٥٠	٪ ٧٧	١٥١٨٠	٪ ١٦	٢٩٤٢٠	٪ ٢٣	١٨١٠٠	٪ ٦٢
صفد	٤٦٩٢٠	٪ ٨٨	٩٥٣٠	٪ ٢٠	٦٧٠٠	٪ ١٢	٢٤٠٠	٪ ٣٦
طبرية	٢٦١٠٠	٪ ٦٧	٥٣١٠	٪ ٢٠	١٣١١٠٠	٪ ٣٣	٦٠٠٠	٪ ٤٦
طولكرم	٧١٢٤٠	٪ ٨٣	٨٠٩٠	٪ ١١	١٤٩٠٠	٪ ١٧	٥٠٧٠	٪ ٣٤
المجموع	١٢١٠٩٢٠	٪ ٦٩	٣٤٥٥١٠	٪ ٢٩	٥٥٣٦٠٠	٪ ٣١	٤٠٨٤٨٠	٪ ٧٤

المصدر : Sami Hadawi, Village Statistics, p. 39.

عن التحضر في الولايات المتحدة مثلا فاننا نعني التحضر بين جميع السكان من بيض وسود مسيحيين ويهود . والمقارنات التي أجريناها هنـــا بين فلسطين وبقية دول العالم انطلقت من هذا المفهوم . وحينما لجأنا الى المقارنة بين اليهود والعرب فقد أردنا ان نوضح انه حتى اذا أراد البعض استخدام الجنس والدين للتبيان على حضرية فلسطين فان الاحصائيات التي وردت ضمن هذه الدراسة اشارت الى أن عـــرب فلسطين كانوا على درجة عالية من التحضر اذا ما قورنت مع كثير من الدول الاوروبية والافريقية والاسيوية والامريكية اللاتينية . ولئن تميز السكان اليهود بدرجة عالية من التحضر فاقت درجة التحضر بين العرب الفلسطينيين فلأنهم جاؤوا وهاجروا مـــن مناطق كانت تؤهلهم بخبرات وكفاءات لا تصلح في الغالب الا لحياة المدن ، ومن هنا جاء تركزهم في مراكز حضرية رئيسية محدودة . والواقع ان هذا التركز الحضري الشديد من قبل اليهود كان مخالفا لاهداف الحركة الصهيونية التي أرادت ان يشتغل معظم المهاجرين في الزراعة ليتسنى لهم السيطرة على الارض التي خططوا لاحتلالها بالقوة والعدوان .

ومع ذلك لاحظنا ان هناك أقضية عديدة زادت فيها نسبة السكان الحضر العرب عن السكان الحضر اليهود كما هو الحال في بيسان والناصرة وغزه ، كما ان هناك أقضية اخرى انعدم فيها وجود اليهود كأقضية جنين ونابلس ورام الله . كذلك ظهرت هناك بعض الاقضية التي ارتفعت فيها نسبة الحضر اليهود وفاقت نسبـــة الحضر العرب كما هو الحال في أقضية حيفا ويافا والقدس . وبالرغم من ان نسبة السكان اليهود الحضر في فلسطين كانت أعلى منها من نسبة السكان العرب الحضر فقد جاء ذلك نتيجة عدة عوامل عكست بشكل رئيسي خبرات ومهارات حصل عليها اليهـــود وخاصة اولئك القادمون من اوروبا ، ولم تتوافر ظروف مماثلة للعرب الفلسطينيين للحصول عليها . ثم ان ارتباط الفلسطيني الشديد بأرض يمكن ان يكـــون تفسيرا لارتفاع نسبة السكان الريفيين بين عرب فلسطين . ومجمل القول فاننا نستطيع التأكيد معتمدين على قواعد وأدلة احصائية متعددة الى أن فلسطين كانت منطقة عمرانية مزدهرة ، فهي الى جانب انتشار المجتمعات المستقرة فيهـــا وانتشار الزراعـــة في أراضيها ، فقد تميزت نسب عالية من سكانها بممارسة فعاليات ونشاطات تجارية وصناعية وادارية تركزت في مناطق حضرية ضاهت في نسبها واعداد سكانها الكثير من دول العالم .

---

١ — United Nations, *Demographic Yearbook*, New York, 1960, p. 34.

٢ — David Herbert, *Urban Geography; A Social Perspective*, NewYork, Praeger Publishers, 1973, p. 25.

٣ — د. جمال حمدان ، **جغرافية المدن**، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦٠ ، ص ٥٤.

٤ — **نفس المصدر** ، ص ٥٥ .

٥ — Peter Hall, *The World Cities*, New York, McGraw-Hill Book Co., 1969, p. 19.

٦ — د. هيفاء الشنواني، ظاهرة النمو الحضري، في كتاب **النمو الحضري في الـــوطن العربي** ، ادارة الشؤون الاجتماعية والشباب ، ليبيا ، طرابلس ، ١٩٧١ ، ص ٥٢ .

٧ — **نفس المصدر** ، ص ٢٣ .

٨ — د. جمال حمدان ، **المدينة العربية**، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٦٤ ، ص ٢٢ .

٩ — الشنواني ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

١٠ — *A Survey of Palestine*, Prepared in Dec. 1945 and Jan. 1946 for the Information of the Anglo-American Committee Inquiry, Vol. II, Palestine, the Government Printer, p.818.

١١ — Sami Hadawi, *Village Statistics*, 1945, Beirut, Palestine Research Center, 1970, pp. 13-14 and 40-77.

الارض في الحكاية الشعبية الفلسطينية

خليل السواحري

مصطلح الارض في هذه الدراسة لا يعني مجرد « المكان » بمعناه الفني ، على غرار الزمان والحدث والبطل في الحكايات او القصص الصغيرة . ولكنه يعني هنا بالاضافة الى الدلالة الفنية لمصطلح المكان ، الارض بكل معانيها وظلالها انه يعني « الوطن » بكل ما يتفرع عن هذه الكلمة من دلالات متنوعة ، وعليه فان مصطلح الارض حيثما يرد في هذه الدراسة يعني « الوطن » وتلك هي الغاية الاساسية التي استهدفتها هذه الدراسة .

مرت الحكاية الشعبية الفلسطينية ، خلال الفترة منذ عام ١٩٤٨ وحتى الان ، بتغييرات شبه جذرية يمكن معها ان نقسم هذه الحكاية الى نمطين مختلفين وان لم يكونا متغايرين ، وهذان النمطان هما : ا ـ الحكايات التي رويت وما تزال تروى فوق الارض الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ او الارض الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ وبالامكان تسمية هذا النوع من الحكايات « بالحكايات المقيمة » . ب ـ الحكايات التي رويت وما تزال تروى خارج الارض الفلسطينية في المنافي والمهاجر ورواة هذه الحكايات هم ابناء فلسطين المتقدمون في السن ممن حفظوا هذه الحكايات اثناء وجودهم ، في فلسطين قبل النزوح الاول او النزوح الثاني ويمكن تسمية هذا النوع « بحكايات المنفى » .

وقد تعرض النوع الاخير من « الحكايات » الى تأثيرات متعددة سلبت بشكل او بآخر مصطلح الارض فيها من ايحاءاته الواقعية ، وقد وجدت نفسي مضطرا ورغم كل هذه التحفظات الى الاعتماد على « حكايات المنفى » في تقصي مفهوم الارض في الحكاية الشعبية الفلسطينية ، وذلك لصعوبة الحصول على الحكايات المقيمة من جهة ، وفي محاولة لمعرفة الاثار التي خلفتها تجربة الاغتراب والمنافي على الحكايات المهاجرة . وقد حاولت قبل ان اشرع في كتابة هذه الدراسة ان اقرأ كل ما امكنني الحصول عليه من حكايات شعبية فلسطينية(١)، وتبين لي ان عددا لا يستهان به من هذه الحكايات يصر على تحديد ماهية المكان الذي يتحرك فوقه ابطال هذه الحكايات ، وتلك ميزة لم اجدها في الحكايات الشعبية الفلسطينية كلها كما لم أجدها في معظم الحكايات الشعبية غير الفلسطينية ، وربما كان ذلك راجعا بشكل عام الى ان الحكايات الشعبية ، على اختلاف انواعها ، لا تصر على تحديد ماهية المكان بقدر ما تحصر اهتمامها في شخصية البطل والحدث والاسقاطات الطبقية التي يمثلها البطل(٢) .

واذا كان ثمة سمة اساسية تحدد ملامح الحكايات الشعبية في بلد ما فهي ، كما هو معروف علميا وبحكم هجرة الحكايات من بلد الى اخر ، ليست مسألة الاطر الجغرافية للمكان ولكنها مسألة الاطر الحضارية والثقافية والانتروبولوجية للشعب الذي يقطن هذا المكان ، ومن هنا جاء الاختلاف في الحكايات الشعبية بين شعب واخر

وجاء التشابه بين الحكايات الشعبية لمختلف مناطق الوطن العربي ، وقد حاولت في هذه الدراسة ان اغض النظر عن كل عوامل التشابه ، بقصد التأكيد على ابراز الجانب المتميز في الحكاية الشعبية الفلسطينية ، راجيا ان انبه الى ان مسألة ذكر الحدود الجغرافية في الحكايات الشعبية الفلسطينية ليست ميزة فريدة وخاصة بهذه الحكايات ، ولكن وبالنظر الى كون هذه الحكايات من النوع المهاجر (الذي روي ويروى خارج الارض الفلسطينية) وبالنظر الى الاصرار الواضح في هذه الحكايات على ايراد أسماء الاماكن والمدن والقرى الفلسطينية واعطاء التحديدات الصارمة الجغرافية لهذه الارض وحتى اسماء النباتات والاشجار فيها ، فقد رأيت ان في ذلك دلالة واضحة على أصالة هذه الحكايات وعلى كونها — ما دامت تروى في المهجر — قد ظلت مشدودة الى المناخ الجغرافي والحضاري الذي افرزها . ولسوف اورد فيما يلي بعض النماذج من هذه الحكايات التي تحدد فلسطين على خارطة العالم العربي كمكان لوقوع احداثها وتحرك ابطالها :

١ — في حكاية تحمل اسم « مصير الجاني »(٣) وتروي قصة امرأة قتل زوجها في بلاد الشام فهربت الى فلسطين حفاظا على عرضها نجد هذا التحديد الواضح لاماكن تحرك المرأة من الشام الى فلسطين : « فتضايقت المرأة من هذا الجو الخانق ، الذي لم تجد فيه من تشكو اليه ورحلت من الشام الى فلسطين باولادها » ، وفي موضع لاحق من الحكاية ترد هذه العبارة : « وحينما وصلت المرأة الى جسر على نهر بين الشام وفلسطين » .

٢ — وفي حكاية ثانية اسمها « ملك السكرية »(٤) نجد ان السكرية رمز لفلسطين او احدى المناطق فيها ، حيث تكون هذه البلاد معبرا للقوافل التي تنتقل بين الشام ومصر ، وتحدد هذه المسألة بداية الحكاية التي ترد على النحو التالي « كان ملك في بلاد السكرية يقال له الاسد ، ولما جلبوا من بلاد الشام اربعين حمل زعفران وناموا عنده في تلك الليلة قال لهم : ما هذا ؟ قالوا زعفران ، قال : الى أين تريدون ؟ قالوا : الى ملك مصر » .

٣ — وفي حكاية ثالثة تدعى « حكاية منصور »(٥) نرى الشاب البدوي الفلسطيني يحب ابنة عم له ويتغزل بها ، وكعادة العرب ، يرحل بها اخوتها الى مكان مجهول من فلسطين فيخرج للبحث عنها في مكان يقع شمال فلسطين ويدعى « عين السويداء »:

حيث عين السويدا مع الضحى اتتني بنات واردات على ماها

وحين يعلم اخوتها بمقدمه يرحلون باختهم الى بلاد الشام « ثم شدوا على دوابهم واخذوا اختهم وارتحلوا بها من ذلك المكان وقصدوا بلاد الشام » . أما الشاب فقد ضل في بحثه عنها حتى وصل الى مصر ، حيث يقال له هناك :

صاحبك في دمشق يا ولد في مدينة يخرج عليها وكيلها

شفناه بعيونا في دمشق يا ولد ... الخ .

ومن الملاحظ ان هذه الحكاية البدوية الفلسطينية حصرت اماكن تنقل ابطالها داخل فلسطين من جانب وخارجها الى مصر والشام من جانب اخر .

٤ — وفي حكاية اخرى حملت اسم « بنت تايه الراي »(٦) نجد بالاضافة الى تحديدها جنسية والد الفتاة (شامي) نوعا اخر من التحديد لهوية الرجل الفلسطيني الذي اراد أن يتزوج بهذه الفتاة ، ففي محاولة هذا الرجل للزواج بابنة صديقه الشامي نراه يقدم لها اشتراطات هي في مجملها تحديد لهوية المرأة الريفية الفلسطينية يقول بها :

ـ سوف تحملين قربة الماء على ظهرك .

فتقول : لا مانع عندي من ذلك .

فيقول لها : وتحملين الفأس للتحطيب .

فتجيب : افعل كما تفعل بنات البدو .

ويقول : وتخبزين على الصاج وتحلبين النعاج .. الخ وتلك هي نماذج مما تقوم به المرأة الفلسطينية في بادية فلسطين ومعظم قرى الجنوب الفلسطيني .

ويطول بنا الاستشهاد بهذه الانماط من الحكايات ، وهي جميعها تحدد كما لاحظنا الارض الفلسطينية كموقع مكاني لاحداثها على خارطة العالم العربي ، وهو موقع يتوسط الشام ومصر ويتنقل الابطال عبره بين هذين القطرين ، وينتمي اغلبهم الى فلسطين رغم ان بعضهم ينتمي الى الشام (المرأة في حكاية مصير الجاني والزوجة في حكاية بنت تايه الراي) ، وبعضهم ينتمي الى مصر كما جاء في حكاية « عايق الشام وعايق مصر » وبطلا هذه الحكاية رجلان احدهما مصري والثاني شامي يلتقيان في فلسطين ، وباستثناء « حكاية منصور » كان ترحال ابطال الحكايات يتم بين الشام ومصر عبر فلسطين ، الا ان هناك نمطا من الحكايات يجعل من فلسطين المكان الرئيسي لحركة الابطال بالاضافة الى التأكيد السابق على عراقة التواصل الجغرافي بين الاقطار الثلاثة الشام وفلسطين ومصر . ومن ذلك على سبيل المثال الحكاية التي تدعى « ثأر الاخت »(٧) ففيها نرى العائلة تنتقل داخل فلسطين من مكان الى آخر « وفي مضارب ثانية وثالثة الى السادسة ، فقيل لهم : لم يبق الا عربان زي ما تقول ناحية فلسطين ، ناحية حيفا ، ناحية يافا . . الخ » .

وفي حكاية أخرى حملت اسم « المال في النهر »(٨) نجد بداية الحكاية على النحو التالي : « كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجلان ، كان واحد ساكنا في الشام والثاني ساكن في فلسطين » واثناء زيارة الاول للثاني ترد هذه الفقرة في وصف اماكن التحرك « عندما اصبح الصبح ، مشى ابو سعيد حتى انه قرب يوصل فلسطين ، وصل عند « الشريعة » وعندما أراد ان يقطع الشريعة زلقت فرسه » .

وفي حكاية تدعى « حكاية عيشه وام عيشه »(٩) ترد على لسان الراوي هذه الفقرة في بداية الحكاية « كان هناك رجل زوج ابنته غريبة ، زي ما تقول من ساريس لخلده ـ ومن المعروف ان ساريس هي احدى قرى قضاء القدس وخلده هي احدى قرى قضاء الرملة ـ وهذه الحكاية كما هو واضح تحدد أسمي قريتين فلسطينيتين كما سبق ان حددت حكاية ثأر الاخت اسمي مدينتين فلسطينيتين ـ حيفا ويافا .

وقبل أن أتجاوز هذا النمط من الحكايات ـ الترحال داخل فلسطين وذكر أسماء المدن والقرى والمواقع ـ أريد أن انوه بحقيقة كون معظم حكايات الترحال تنتمي الى أصول بدوية فلسطينية يؤكد ذلك « حكاية منصور » وحكاية « ثأر الاخت » . الا أنني وجدت مع ذلك ان هناك حكاية قدمت لنا نمطا من ترحال الفلاح / المزارع وهو الذي يفترض فيه أن يكون ملتصقا بالارض لا مرتحلا عنها ، وحتى تبرر الحكاية مسألة ترحال هذا الفلاح ربطت ذلك بمعتقد خرافي زواج بين الحظ والنحس وايراق الشجر وجفافه ، ففي الحكاية التي سميت « تزوجت ابنها »(١٠) والتي بنيت فيما يبدو على معتقد خرافي مهاجر(١١) ـ المعتقد الذي قامت عليه مسرحية أوديب ـ نجد بطل الحكاية ، بعد أن فقد أولاده ينتقل داخل فلسطين ليعمل بستانيا ، « اشتغل اول السنة في بلدة مثل القدس وفي وقت الربيع اورقت كل الاشجار الا شجرته لم تدر فيها الحياة ولم يخضر

عليها ورق ، فترك المكان الى غيره ، وشد ما كان عجبه حينما كان يرى ان الشجرة التي يصطفيها لنفسه هي التي لا تخضر ، وفي كل سنة يتحول الى بستان جديد حتى تعددت عليه السنون وكثرت الى أن انتهى الى بلاد غزة ، وفي غزة اشتغل بستانيا في احدى البيارات وانتقى له شجرة معينة فيها وكانت دهشته بالغة حينما رأى ان شجرته قد اخضرت مع سائر الاشجار ، ابتهج بالمنظر ثم قال: — البلاد طلبت أهلها» .

وميزة هذه الحكاية ليست في ذكرها لاسماء المدن الفلسطينية فحسب ولكن في ربطها القدري والميتافيزيقي بين ايراق الشجر وعودة الانسان الفلسطيني الى أرضه ، ومثل هذا الربط بين الشجرة والطالع يؤكد على مدى اصالة الارتباط بالارض وجعل ذلك موازيا للقدر — العودة الى الارض مرهونة بايراق الشجرة التي هي الارتباط الحميم بالارض — وليس ذلك فقط ، فهناك حكاية أخرى شبيهة بهذه الحكاية جعلت الشجرة مرادفا للحياة — الاحتماء بالشجرة للمحافظة على الحياة احتماء خرافيا ولا معقولا — ففي الحكاية التي تسمى « الاخت الغولة »(١٢) نرى البطل يحتمي بالشجرة انقاذا لحياته ، ونرى الشجرة ليست مجرد مخبأ مرتفع لا تتمكن الغولة من ان تطال البطل منه ، ولكنها شجرة اسطورية تحمل نوعا من الدلالة الرمزية للانتماء التاريخي للارض، فهو حين يهرب الى الشجرة نراه يقول « اوطي يا شجرة أمي وابوي ، فتقصر الشجرة فيصعد اليها ، ثم ترتفع عالية في السماء » .

واذا كانت ظاهرة التأكيد على الارض الفلسطينية (فلسطين بشكل عام وموقعها بين الشام ومصر او بشكل خاص المواقع والمدن والقرى الفلسطينية) هي احدى السمات البارزة في حكايات المنفى ، فان ثمة سمة اخرى لا تقل اهمية ، تبدو واضحة في هذه الحكايات التي ما تزال في التجمعات الفلسطينية خارج الارض المحتلة ، فهي بالاضافة الى احتفاظها بأسماء المواقع والاماكن الفلسطينية ، وتشبث ذاكرة رواتها بهذه الاماكن تؤكد من جانب آخر على العودة الى هذه الاماكن ، وتجعل من هذا الامل هاجسا اساسيا لابطالها وسمة رئيسية من سماتهم ، كما ان رواة هذه الحكايات يجعلون من العودة أمنية يرددونها سواء في بداية الحكاية او نهايتها ، ولايضاح ذلك فانني سأورد فيما يلي بعض النماذج :

أ — في الحكاية التي تسمى « خروف بخروف »(١٣) والتي تلقي ضوءا على بعض جوانب التطور الاجتماعي في الريف الفلسطيني — التناقض بين المجتمع الرعوي والمجتمع الزراعي — نرى ان الدافع الاساسي للهجرة كان الصراع الذي نشب بين المزارع صاحب الارض ، وبين الراعي صاحب المواشي ، وقد ادى هذا الصراع الى جريمة قتل جلا بسببها المزارع عن ارضه فهاجر الى منطقة شرقي الاردن ملتجئا عند مثقال الفايز شيخ عشائر الصخور — لاحظ التحديدات المكانية والتاريخية الصارمة في هذه الحكاية — الا أن اللجوء الاضطراري لم يحل دون رغبة الفلاح الفلسطيني في العودة الى أرضه وبلاده ، الامر الذي اضطره الى تقديم اثنين من اولاده بدلا من القتيل ليتمكن من العودة الى وطنه .

واذا كان النزوح عن الارض في الحكاية السابقة قد جاء نتيجة منطقية لطبيعة التطور الاجتماعي واحتماء من الثأر ، فان حكاية أخرى — مصير الجاني — جعلت للنزوح اسبابا مختلفة وهي الحفاظ على العرض ، كما ان حكاية ثالثة — ثأر الاخت — قدمت سببا آخر للارتحال وهو محاولة الانتقام لعرض منتهك ، ولكن هذه الحكايات جميعا ظلت — رغم وجاهة اسباب الهجرة والترحال — تتخذ من حتمية العودة الى الارض الام محورا اساسيا يدور حوله الحدث وينمو ويتطور .

ب ــ الا اننا نلمس مثل هذه الضرورة في حكايات أخرى بطريقة مختلفة لا تعتمد على الحدث بقدر ما تعتمد على عبارات الراوي وأمنياته ، في حكايـــة الاخت الغولة يبدأ الراوي الحكاية على النحو التالي : « صلوا على النبي ، اللهم صل على سيدنا محمد ، الله ينصر دين محمد على القوم الكافرين ويعاودنا على بلادنا سالمين وغانمين » .

وفي حكايات اخرى كثيرة يصعب حصرها تتكرر عبارة « البلاد طلبت أهلها » على لسان ابطال الحكايات ، فبعد ان يضرب هؤلاء في مغامرات الغربة ويحققون أهدافهم يقولون لمضيفيهم «البلاد طلبت أهلها» كناية عن الرغبة في العودة الى مساقط رؤوسهم ففي حكاية طير السعادة مثلا يقول البطل لصهره بعد زواجه من ابنته (البلاد طلبت أهلها) ويعود لفلسطين رغم حسن الضيافة والاغراءات الكثيرة التي قدمت له ، وفي حكاية « الاخت الغولة » نجد البطل يكرر باستمرار واثناء تجواله في بلاد الغربة عبارة « عاداتنا في بلادنا » كدلالة لفظية لاستمرارية انتماء البطل حتى في المسلك اليومي الى التربة والثقافة اللتين تلقاهما في وطنه الاصلي .

وتستحوذ الاشجار والنباتات على جانب كبير من جوانب الحكايات الشعبية بشكل عام الى حد ذهب معه دارسو الفولكلور الى أفراد قسم خاص من الحكايات تحت بند « حكايات النبات » على غرار حكايات الحيوان ، ولا يهمني وانا أتناول هذا الجانب من الحكايات الشعبية الفلسطينية البحث في الجذور الطوطمية او الخرافية لما يرد ذكره من نباتات أو أشجار في هذه الحكايات الا أن ثمة ملاحظة لا بد من ايرادها في هـــذا الصدد ، فقد لفت انتباهي وأنا أقوم بعملية احصاء لاسماء وأنواع النباتات والاشجار في الحكايات الشعبية الفلسطينية ان ثمة نوعين من الاشجار أو الثمار ، نوع خرافي ونوع آخر حقيقي وواقعي، كما تبين لي أن انتماء الثمار والنباتات والاشجار بمدلولاتها الواقعية يكون عادة للارض الفلسطينية بينما يكون انتماء الثمار او الاشجار الخرافية لبلدان اخرى ذات سمة خرافية كواق الواق مثلا ففي حكاية « بنت الطرنج »(١٤) نرى البطل يخرج من فلسطين بحثا عن ثمرة خرافية هي ثمرة الطرنج التي تنتجها شجرة خرافية تحمل نفس الاسم وتثمر كل الف سنة حبتين ، وتوجد هـــذه الشجرة في بلاد بعيدة وراء جبل قاف وأهلها خلق غريب من الجن والعفاريت (هكذا) . أمـــا الثمار والخضروات بمعناها الواقعي فنجدها تنتمي في هذه الحكايات الى الارض الفلسطينية ومن أمثلة هذه الثمار والخضروات ، القرنبيط في حكاية ملك الهوا ، والبندورة في حكاية كيد النساء ، والبطيخ في حكاية البطيخ في غير أوانه ، والملوخية والسبانخ في حكاية الفلاح والمدني والبدوي ، والتين في حكاية اختين ، والقمح والزيتون والتفاح والبرتقال في حكاية « طايع أمة » .

وعادة ما توظف الحكايات الخرافية وخاصة ما يتعلق منها بالحيوان والنبات في تفسير الظواهر الفيزيائية المختلفة تفسيرا ميتافيزقيا او خرافيا ولا يتسع المجال هنا لسرد الكثير من الامثلة لايضاح هذه الناحية ، خاصة وانها قضية عامة تنسحب على مختلف الحكايات الخرافية لمختلف الشعوب(١٥) .

الا أن ظاهرة فريدة استرعت انتباهي في أربع حكايات خرافية فلسطينية وتتلخص هذه الظاهرة في توظيف الخرافة لخدمة الالتحام الحميم بالارض قبل الموت وبعده ، وفي التأكيد على اصالة وجدوى الارتباط بالعمل الزراعي الذي هو بحد ذاته رمز للعلاقة المعاشية الجدلية بين الارض والانسان . وهذه الحكايات الاربع هي : حكاية الطائر الاخضر ، بقرة اليتامى ، حكاية اختين ، قاطع يد ابيه . وتقدم الحكاية الاولى منها معنى شبيها بأسطورة الفينيق ولكن بطريقة يستبدل فيها المعتقد الخرافي القائم على

حرق الجثة بمعتقد ـــ ذي أصول دينية ـــ يقوم على دفن بقاياها في الارض . وتعد هذه الحكاية بحق اسطورة الانبعاث الفلسطيني(١٦) ففيها تقـــوم الاخت التي نكبت بذبح أخيها على يد زوجة الاب بدفن عظامه في حفرة بحديقة البيت حيث تمر هذه العظام في نوعين من التحول :

١ ـــ التحول الى طائر أخضر يحوم حول فناء البيت وهو شبيه بالتحول في اسطورة الفينيق ، وبالتحول الذي كانت تعتقد به العرب قديما (طائر الهامة) ويوظف هـــذا التحول ليعطي الدلالتين في آن معا ، فهو من جـــانب يقدم معنى الاستمـــرار الروحي لوجود الصبي المذبوح (التجدد والانبعاث في اسطورة الفينيق) ومن جانب آخر يقدم معنى الثأر والانتقام الذي تقصده الاسطورة العربية القديمة ـــ الهامة ـــ فالطائـــر الاخضر يعلن عن استمرار وجوده ويقوم بدور الفضح لجريمة زوجة الاب والانتقام منها بالقاء الابر المسمومة في فمها لقتلها .

٢ ـــ التحول في باطن الارض ـــ وهذا هو المعنى الاهم بالنسبة لهذه الدراسة ـــ الى كنز تنتفع منه الاخت ، فقد تحولت عظام الصبي في الحفرة الـــى ذهب ، ومثل هذا التحول المادي الذي تم بفعل الدفن يقدم الدلالة الاخرى الاكثر عمقا وهي الاصرار على ضرورة دفن الموتى او بقاياهم في الارض ، وبغض النظر عن الدوافع الدينية لعمليـــة الدفن فان مسألة ربط الدفن بتحول العظام الى ذهب تعطي تفسيرا لمعنى اصرار البنت على دفن عظام أخيها في حديقة البيت (الارض الفلسطينية) . ولا يعدم الدارس لهذه المسألة أن يكتشف ان أمنية معظم الفلسطينيين من المتقدمين في السن خارج الارض الفلسطينية هي ان يتاح لهم أن يدفنوا قريبا من مساقط رؤوسهم ان لم يكن في هذه المساقط ، وكثيرا ما ترد على السنة الكهول في المخيمات والمهاجر مثل هذه الامنيات .

ولا تقتصر مسألة تحول عظام الموتى الى ذهب بعد دفنها في الارض على الانسان فقط بل انها تمتد لتشمل الحيوانات كذلك ، ففي حكاية « بقرة اليتامى » حيث كانت البقرة مصدر قوت لابناء الزوجة المتوفاة ، نرى ان عظام هذه البقرة تتحول الى ذهب وجواهر بعد ان قام اليتامى بدفنها تحت التراب خارج المنزل ـــ أصرت زوجة الاب على ذبح البقرة ـــ وقد لاحظت اثناء مقارنتي لهـــاتين الحكايتين ـــ الطائر الاخضر وبقرة اليتامى ـــ ان هناك تشابها عجيبا بينهما ، فالام في كلتيهما متوفـــاة وزوجة الاب هي التي تتآمر لذبح الابن في الحكاية الاولى ولذبح البقرة في الحكاية الثانية ، وفي كلتـــا الحكايتين تتحول العظام الى ذهب وبالتالي الى مصدر رزق واثراء للبنت واليتامى ، ومن هنا تغدو مسألة الدفن ـــ من وجهة النظر المعاشية المحضة لا من وجهة النظر الدينية ـــ وخاصة في حكاية بقـــرة اليتامى شبيهة بعملية القـــاء البذور في الارض ـــ العملية الزراعية ـــ وسوف يتأكد لنا هذا المعنى لدى استعراضنا لعملية الدفن في الحكاية التالية .

أما حكاية قاطع يد أبيه « فتقدم مسألة دفن الجثة أو أجزاء منها على انها عملية زراعية صريحة ، ففي هذه الحكاية يوصي الرجل العجوز الذي شارف على الوفاة ابنه بأن يقطع يده (يد ابيه المتوفى) ويدفنها في فناء البيت وأن يبقي ذلك سرا حتى على زوجته . وحين يفعل الابن ذلك تتحول اليد المدفونة الى شجرة غريبة تعطي ثمارا من الذهب والجواهر ، والاضافة التي تقدمها هذه الحكاية الى ما سبق انها تجعل من دفن يد الاب المتوفى عملية زراعية خالصة من جانب وتعطي من جانب آخر دلالة اخرى أكثر أهمية ، فدفن يد الاب في فناء المنزل وتحولها الى شجرة مثمرة تجعل الابن مطالبا بالضرورة بالمحافظة على المنزل والشجرة (رفات الاب) ويكون بالتالي مطالبا بالمحافظة

على الارض التي تضم هذا الزفات المثمر ، ان هذه الحكاية بالاضافة الى تكريسها لمفهوم التحلل والذوبان في صميم الارض ، تكرس أيضا مفهوم « الشجرة » واثمارها وضرورة المحافظة عليها ، وكل الحيثيات المصاحبة لذلك من ارتباط بالارض ودفاع عنهـــا .

وقد أدهشني في هذه الحكاية حقـــا الاشارات الواضحة التي قدمتهـــا للمؤامرة الصهيونية على الأرض الفلسطينية ، فتآمر التاجر اليهودي على الشجرة هـــو رمز للتآمر الصهيوني على الفلاح الفلسطيني وعلاقته الحميمة بأرضه ، وقد جعلت الحكاية من هذه العلاقة مصدر اثراء وسر غناء هذا الفلاح، وهو ما عمل التاجر اليهودي جهده للقضاء عليه بمختلف الاساليب الماكرة والشريرة .

اما « حكاية اختين » ففيها نجد حب الزراعة ـــ فصولها وطقوسها ـــ رمزا للخصب والاثراء كما نجد كراهية العمل الزراعي وطقوسه مرادفة للموت والفنـــاء ، فالاخت الفقيرة التي تلتمس قوت عيالها لدى أختها الغنية فتفشل تلتجيء الى الطبيعة حيث يقودها الراعي الى تجربة امتحان يثبت من خلالها حب هـــذه المرأة للطبيعة ـــ جنة الصيف وجنة الشتاء ـــ والجنتان هنا كما فهمتهما رمزان للاعمال الزراعية الصيفية والشتوية ، ويقوم الراعي بمكافأة المرأة على ذلك ـــ حبها للمواسم الزراعية ـــ بكيس مملوء بأوراق التين التي تتحول في بيت المرأة الى ذهب ـــ لاحظ هنـــا دلالة أوراق التين ـــ وفي المقابل تكافأ المرأة الاخرى التـــي أبدت احتقارها للزراعة وطقوسهـــا وفصولها بكيس من أوراق التين الجافة ولكنها تتحول في بيت هذه المرأة الى زنابير تلسع الام وأولادها حتى الموت ، وهكذا يغدو حب الارض والفصول الزراعية مرادفا للغنى والحياة وتغدو كراهية الزراعة وطقوسها مرادفة للموت والعدم .

وبعد ، فهذه هي بعض ملامح الارض في الحكايات الشعبيـــة الفلسطينية وبعض الدلالات التي رأيت من خلالها ان هذه الحكايات تنفرد بشكل أو بآخـــر ، ورغم كون الارض في الحكايات الشعبية عادة مجرد مفهوم مجرد « للمكان » ـــ في ابراز جغرافية الارض الفلسطينية وأسماء الاماكن والمدن والقرى اثنـــاء تحرك ابطال الحكايات ، وتعطي تحديدا صارما لموقع هذه الارض على خارطة العالم العربي كمكان يتوسط مصر والشام .

كما أن هذه الحكايات ـــ حكايات المهاجر والمنافي ـــ تؤكد على استمرارية وجـــود الارض الفلسطينية في ذاكـــرة الانسان الفلسطيني ـــ راوي الحكاية ـــ وعلى جعل العودة الى هذه الارض هاجسا دائما في وعي ولا وعي هذا الانسان يتساوى في ذلك أبطال الحكايات في حنينهم الدائم لارضهم ورواة هذه الحكايات في الاحتفـــاظ بأسماء الاماكن والمواقع الفلسطينية وفي بدء أو انهاء الحكايات بالتمني على القدر ان يحقق عودتهم الى أرضهم ، ثم ان هذه الحكايات تؤكد علـــى ارتباط الانسان الفلسطينـــي بالعمل الزراعي جاعلة من هذا العمل الديالكتيك الاولـــي والبديهي لارتباط الانسان بأرضه .

وحتى في الحكايات الخرافية نلمس تأكيدا على معتقدات من شأنها أن تكرس المزيد من الالتصاق بالارض والفناء والتحلل فيها كمعتقدات الدفن والانبعاث والصيرورة الى كنوز أو أشجار تثمر الذهب والجواهر ، وذلك هو ما يعطي بدوره التفسير الواضح لاستمرارية تمني الانسان الفلسطيني في المهاجر والمنافي العودة الى ارضه ولو لمجرد أن يدفن فيها .

ولعل في الحكايات المنشورة تاليا ما يقدم الدليل الناصع على صحة ما ذهبت اليه من تحليلات .

النصوص :

(قاطع يد أبيه)

الراوي : زكي علي محمود من بلدة المغار / الرملة .

مكان الاقامة الحالي : مخيم الحسين / عمان

كان يا مكان في قديم الزمان رجل وابنه ، وكان للولد زوجة وفي يوم من الايام قال الرجل لابنه : وقت ما أموت اقطع ايدي وازرعها في الجنينة ، وبدي هذه سوف تطلع شجرة واذا سألك احد عن هذه الشجرة فلا ترد عليه ولا تقول لاحد شيئا عن سرها . وحين مات الرجل ، فعل الولد مثلما قال له أبوه .

كبرت الشجرة وخرج من كل اصبع فرع كبير يحمل نوعا من الفاكهة تضيء في الليل ، فصار الرجل يقطف الثمار ويذهب لبيعها في المدينة لتاجر يهودي بمبالغ كبيرة من المال ، وقد أثارت هذه الثمار دهشة التاجر اليهودي فحاول معرفة سر الشجرة التي تنتج هذه الثمار . واستطاع اليهودي ان يعرف اسم قرية الرجل وقصدها ذات يوم وسأل عن بيته وهناك رأى شجرة غريبة لها خمسة فروع .

وفي اليوم التالي عاد التاجر اليهودي متخفيا في زي بائع للحلى والاقراط وقصد بيت الرجل وسأل زوجته عن سر الشجرة ، وطلب منها ان تعرف ذلك من زوجها .

ولما سألته عن سر الشجرة امتنع عن الاجابة فألحت عليه وأخيرا أخبرها بالسر وطلب منها الا تخبر أحدا . ولكن حين عاد اليهودي أخبرته المرأة بسر الشجرة .

وانتظر التاجر اليهودي مجيء الرجل وأخبره بما عرف عن سر الشجرة فكظم الرجل غيظه وقرر ان يستعين بالشمس في الانتقام من اليهودي ومن زوجته التي باحت بالسر فلحق بالشمس (وأطنب) عليها ورجاها أن تساعده فقالت له ان يذهب لليهودي ويراهنه على طلوع الشمس من الغرب في اليوم الفلاني ، ولما عاد الرجل وجد ان اليهودي قد استولى على منزله وزوجته فراهنه على طلوع الشمس من الغرب وقبل اليهودي الرهان .

وفي اليوم المحدد طلعت الشمس فعلا من الغرب فخسر اليهودي الرهان وعاد الرجل الى بيته وطرد اليهودي وزوجته الخائنة منه(١٧).

(الطير الاخضر)

الراوي : وضحة رباح من السافرية / اللد

مكان الاقامة الحالي : مخيم الحسين / عمان

كان يا مكان في قديم الزمان امرأة وزوجها وبنتها وابنها يعيشون سعيدين ، فماتت الام وأصبحوا حزينين ، وفي يوم من ذات الايام تزوج ابوهم امرأة كانت قاسية عليهم وتضربهم . ومرت الايام والشهور وزاد حقد زوجة أبيهم عليهم وصارت تقول اثناء غياب ابيهم انها تريد أن تذبح الولد وتأكله(١٨) وسمعت الاخت ما قالته امرأة الاب ، ولما عاد الولد حكت له اخته ما سمعت وأخذت تبكي فقال لها : يا اختي اذا ذبحتني زوجة أبي فأرجوك أن تلمي عظماتي وتدفنيهن تحت شجرة في الجنينة .

وقامت زوجة أبيه وذبحته وطبخته ولما عاد أبوه أكل من لحمه وهو لا يدري انه يأكل لحم ابنه ، ولما انتهوا من الاكل وأخته تشاهد ذلك وتبكي لمت عظماته ودفنتهن تحت الشجرة في الجنينة مثل ما قال لها أخوها .

ومرت الايام والشهور وصارت العظمات طير جميل لونه أخضر ، وطار الى الكندرجي وقال له :

أنا الطير الاخضر بمشي وبتمختر

مرة ابوي ذبحتني وابوي أكل من لحمي
واختي الحنونه لملمت عظماتي
وحطتهـن تحت الشجـــرة

وطلب الطير من الكندرجي كمية من المسامير وكمية من الدبابيس فأعطاه الكندرجي وطار فوق دار ابيه ورغرف على السطوح ورأى زوجة ابيه جالسة مع نساء في ساحة المنزل فصار يقول :

انا الطير الاخضر ، بمشي وبتمختر ، مرة ابوي ذبحتني ، وابوي أكل من لحمي ، واختي الحنونه لملمت عظماتي وحطتهن تحت الشجرة ، فصارت زوجة ابيه تطرده قائلة : روح من هين ... فقال لها : لا اذهب الا بعد أن تفتحي فمك . ففتحت فمها فألقى فيه الدبابيس فماتت ، ثم ذهب الى ابيه وأنشده(١٩)، فحاول طرده ولكنه طلب منه ان يفتح فمه فلما فعل القى فيه المسامير فمات ابوه . ثم ذهب الى الحلواني وأنشده وطلب منه بعض الحلوى فأخذها وذهب الى اخته وأنشدها وطلب منها ان تفتح فمها وألقى فيه الحلوى . وذهبت البنت الى عظام أخيها فوجدتها قد تحولت الى ذهب . وتوته توته خلصت الحدوته .

(بقرة اليتامى)

الراوي : صبحه جابر من دير أبان

مكان الاقامة الحالي : جبل النزهة / عمان

كان في قديم الزمان امرأة لها بنت وولد اشترت لهما قبل أن تموت بقرة صفراء ، وكانا يرعيانها وأمهما طيبة ، وبعد أن ماتت الام تزوج الاب فصارت الام تطعم الولدين خبزا (حاف) وتطعم اولادها طعاما جيدا ، الا ان الولد والبنت كانوا لا يأكلون الخبز فحين يخرجون بالبقرة الى المراعي يقولون لها : يا بقرة امنا اطعمينا ، فتنزل لهم البقرة اللحم والارز ، ولاحظت زوجة الاب ان ابناءها يهزلون بينما يزداد الولدان الاخران سمنة وصحة .

وفي صباح اليوم التالي أرسلت الام ابنها مع اليتامى الى المرعى وقالت له اذهب معهم وانظر ماذا يأكلون ، فذهب الولد معهم ، وعند الظهر جاعوا ولكنهم خافوا ان يفسد الولد عنهم فقالوا له : هل تعدنا أن لا تقول لامك وابيك ونطعمك من اللحم والارز ؟ فوعدهم ، فقالوا للبقرة ، فأنزلت لهم اللحم والارز فأكلوا حتى شبعوا وفي المساء رجعوا الى البيت فقالت الام لابنها : ماذا أكلت وماذا أكلوا ؟ فقال لها الابن : والله يا أمي لم يأكلوا الا الاعشاب وورق الاشجار فلم تصدقه أمه .

وفي صباح اليوم التالي قالت الام لابنتها : اذهبي معهم وانظري ماذا يأكلون فذهبت البنت معهم وفعلوا كما فعلوا بالامس وأكلوا حتى شبعوا من اللحم والارز ولكن البنت أخذت معها بالسر ثلاث قطع من اللحم ، ولما عادوا مساء الى البيت اخبرت البنت امها بما رأت . فغضبت الام وقررت ان تحرمهم من البقرة فاشترت كيسا من التبن ونقعته في الماء حتى اصبح الماء اصفر فاستحمت به فأصبح لون جلدها اصفر ، فنامت في الفراش وادعت المرض وقالت ان الطبيب وصف لها دواء وهو معلاق بقرة صفراء ، وطلبت من زوجها ان يذبح لها بقرة اليتامى ولكنه رفض وقال ان هذه البقرة ليست من مالي وهي من مال امهم فكيف اذبحها ؟ فقالت له : انا أموت (علشان) ما تذبح البقرة ، اشتر لهم بقرة ثانية ، فقال لها حرام عليك . فأصرت عليه أن يذبحها . فذهب الرجل الى اولاده وقال لهم : يا اولادي سوف اذبح هذه البقرة ، فقالوا له : يا أبي نحن لا نعيش الا بهذه البقرة وهذه هدية امنا رحمها الله ، أعطتنا اياها ذكرى وعندما نرى هذه البقرة كأننا نرى أمنا ، الا انه قرر ان يذبحها ، فجاء بالمدية وبطح البقرة ليذبحها فحزن الاولاد وصاروا يبكون بكاء شديدا وقالوا : يا بقرتنا لا تذبحي ، فلم تذبح ، فضرب الاولاد فقالوا : يا بقرتنا اذبحي ولا تنسلخي ، فضربوهم فقالوا : يا بقرتنا انسلخي فانسلخت ، ثم قالوا يا بقرتنا لا تتقطعي فلم تتقطع ، فضربوهم فقالوا : يا بقرتنا انقطعي ولا تستوي (تنضجي اثناء الطبخ) وظل اليتامى هكذا حتى أكلت البقرة وكان اليتامى يتفرجون ولا يأكلون ولما عظام البقرة ودفنوها قريبا من البيت ، وبعد اسبوع ذهبا ليريا ماذا حدث ، فوجدا ان العظام تحولت ذهبا واحتفظت البنت بالذهب حتى كبرا واستفادا من هذا الكنز(٢٠).

(خروف بخـــروف)

كان يا ما كان في سالف العمر والاوان رجل مزارع وله زروع كثيرة وكانت المواشي تطأها بشكل مثير ومرة قرر ان يضع حدا لهذا الاستهتار من الرعيان واصحاب المواشي فحمل بندقيته واطلق بها النار علـى رجل في زرعه فارداه قتيلا وعلى البقر فكسر عواقيب اثنتين .

والرجل من العرب اذا قتل (اندمى) فانه يؤمر بمغادرة المنطقة تماما ولئلا يقتل على يد اي عربي مـن أهل القتيل يظفر به ، هاجر هذا الرجل الى منطقة شرقي الاردن ووجد ملتجئا عند مثقال الفايز شيخ عشائر الصخور ، وكان عنده ولد وبنت .

كبرت ابنته حتى اصبحت في سن الزواج فطلب يدها منه بعض وجهاء العشيرة واعطوه بنتا منه ليشتـد النسب لانهم رأوه رجلا يستحق المصاهرة والقرب .

ومع الزمن أنجبت زوجته الجديدة اولادا اربعة وكانوا نشيطين يلعبون مع اترابهم الا انهم لاحظوا غمزا منهم يختص باوطانهم واسمائها وهجرتهم عنها فهرعوا الى ابيهم : ابتاه أليس لنا وطن ؟ ــ بلى .. ــ ألست مشتاقا اليه ؟ ــ بلى ولكن اباكم له من الاسباب القوية ما يجعله يبتعد عن بلده . ألحوا عليه فقال لهم : القتل . ومع الحاحهم على العودة اكثر قرر العودة .

واقام له مشايخ الصخور الذين يقيم عندهم حفلة وداع ضخمة حضرها الصغير والكبير من رجال القبيلة والقبائل المجاورة القريبة .

اقترب من مضارب اعدائه فما العمل ؟ هل يرتمي بينهم بعد غياب حوالي العشرين عاما ام يرسل لهم من يفاوضهم على الصلح ، لم يجزم بعمل واخيرا قال : ننصب خيامنا هنا قريبا منهم عندنا منذ زمن فاذهـب وقل له : ابي يهديك السلام ويقول لك خذ حقك وهذا هو الخروف الذي اخذه منك ذات يوم : فذبح الرجل للشاب ذبيحة وقام بواجب الضيافة فأحسن ما يكون الواجب ثم حمل الشاب شيئا من الهدايا وقال لـه : قل لابيك لا يكفي لقد تغديت بخروفي .

وتضايق هذا الرجل من هذا الجواب وحمل ولدين اخرين من اولاده وقال لهما : قولا له هاك خروفـين يقول لك ابي ، بدلا لولدين اخرين من اولاده ، وقال لهما قولا له هاك خروفين ــ يقول لك ابي ــ بـدلا من خروفك الذي اخذه منك ابي قبل سنين ، فاكتفى الرجل لرسله كفاية مقنعة خاصة بعد ان سمع مـن ولدي الرجل ما يشبه الاعتذار عن تأخر سداد الدين بسبب الفقر والهجرة وسمع منهما رجاء ابيهما الحار بأخذ ثأره .

ثم اهاب في رجال قبيلته ان يمشوا هم للاصلاح مع هذا الرجل الذي يقدم ذبيحة وذبيحتين مـن اولاده سدادا لدم قبل عشرين سنة او اكثر .

ذهبوا اليه هم في ذبائح وتم الاصلاح بالخير ... والسلام عليكم ...(٢١).

(حكاية اختـين)

كان ياما كان في قديم الزمان اختان احداهما غنية والاخرى فقيرة ، قالت الفقيرة لاولادها يوما : هيا بنا يا ابنائي نذهب الى خالتكم لعلها تتصدق عليكم بشيء من الطعام وهناك وجدت اختها تأكل خبزا محمـرا وجبنا وحينما رأت اختها باولادها وعليهم ملامح الفقر خبأت هذا الخبز تحت الفرشة ، فقعد الاولاد في بيت خالتهم ينتظرون شيئا من الطعام ، لكنهم لم يصيبوا شيئا ، فلسعهم الجوع ، فطلبوا من امهم شيئا ممـا يقيم الاود فقالت لهم : ماذا استطيع ان افعل لكم ؟ اسألوا خالتكم فلعل بقايا من طعام تستطيع ان تقدمها لكم ، فردت اختها والله يا اختي ما عندي شيء .

هبت الام باولادها قائلة لهم هيا بنا نخرج الى البرية لعلنا نجد فيها ما نأكله من ربيع او غيره وفي البرية وجدت الام ما تطعم اولادها من الحشائش التي تؤكل ثم مشوا في طريقهم فمروا عن مخلوق بهيئة قط ،

فطرحت الأم عليه السلام وفي غنماته وأهله وقصت عليه قصتها وحدثته عن جوع اولادها فضرب عصاه في الارض فظهرت منها على الفور خمسة ارغفة : طعم منها الاولاد وشبعوا .

وحينما غربت الشمس اخذ الام واولادها الى بيته وسلمهم لامه وقال لها : غدا — تأخذين الام الى جنة الصيف والشتاء . وفي عصر اليوم الثاني اخذتها الى ذلك المكان فامتدحته قائلة : ان الصيف فصل جميل ومريح للناس ففيه الخضرة التي تكسو وجه الارض وفيه كل شيء جميل وبعد ان استمتعوا بجنة الصيف ذهبوا الى جنة الشتاء .

فامتدحته ايضا قائلة : ان الشتاء فصل طيب حيث ينزل المطر فيسقي الارض والمزروعات ويستمتع الناس فيه ، وبعد ان انتهت من ذلك عادت بها الى البيت .

عاد الراعي في المساء من المرعى فسأل امه عما قالته ام الاولاد عن جنة الصيف وجنة الشتاء فاخبرته بكل ما قالت فامرها ان تأخذها وتعبىء لها كيسا من ورق التين ، لتذهب بها الى بيتها وتغلق عليها الشبابيك والابواب ليصبح ما في الكيس ذهبا .

ففعل امه بما امرت به وتفعل الام الفقيرة بما قيل لها ان تفعل فيتحول كله الى ذهب .

وفي بيتها بعدئذ طلبت الى ابنها ان يذهب الى خالته ليحضر من عندها قبعة العجين فيفعل الولد . فتأخذ امه بوزن الذهب بهذه القبعة ثم تعيدها الى اختها فيلزق بقاعها شيء من الذهب ، لان اختها كانت قد وضعت في القعر شيئا من العجين .

وحينما ترى اختها ذلك تطير جنونا فتأخذ اولادها الى المكان الذي اغفى اختها الفقيرة وحينما تجد الراعي تأخذ في مسبته وتحقيره فيقول لامه خذيها الى جنة الصيف وجنة الشتاء وهناك تسب هذه المرأة الصيف والشتاء فتحكي ام الراعي له بما سمعت منها فيقول لها : عبئي لها كيسا من ورق التين الجاف ولتطبق كل خرق في البيت ولا تفتح شيئا من النوافذ .

تمضي المرأة فرحة بما معها مما سيتحول الى ذهب ، وتغلق عليها النوافذ والفتحات ، فيصبح ورق التين زنابير (دبابير) تجوس خلال البيت وتلسع الام واولادها وما زالت بهم حتى ماتوا جميعا(٢٢).

— الهوامش —

١ — اعتمدت في هذه الدراسة بشكل اساسي على الحكايات الشعبية التي جمعها عمر الساريسي وقدمت ضمن اطروحته لنيل الماجستير في الاداب من جامعة القاهرة ٧٢ وعلى المجموعات الثلاث من الحكايات الشعبية التي جمعها فايز علي الغول وصدرت في عمان ١٩٦٦ وهي : الدنيا حكايات ، من سوالف السلف ، اساطير من بلادي ، وعلى حكايات اخرى متفرقة قمت بجمعها شخصيا .

٢ — لمزيد من التفصيل انظر مقالنا في الحكاية الشعبية ، مجلة افكار الاردنية العدد التاسع شباط ١٩٦٧.

٣ — الجزء الثاني من رسالة عمر الساريسي المخطوطة .

٤ — ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ — المصدر السابق .

١١ — اثناء تجواله يمر بامرأة تقدم له العزاء في ابنها حظه حيث تزعم انها تزوجت ابنها فقتل نفسه بعد ان حملت منه ، ثم قادها القدر الى الزواج من ابيه الثاني وذلك شبيه باسطورة اوديب المعروفة .

١٢ — الجزء الثاني من رسالة عمر الساريسي المخطوطة .

١٣ — المصدر السابق .

١٤ — اساطير من بلادي ، فايز علي الغول ، الطبعة الاولى عمان ١٩٦٦ — ص — ١٠ .

١٥ — من ذلك ما يقال في تفسير الزلزال بأن ثورا ضخما يحمل الارض على احد قرنيه ، ومن عاداته

السيئة انه يغير موضعها من حين الى حين ، ومن ذلك ايضا الطير الخرافي الذي يصفق بجناحيه فيولد العواصف الى غير ذلك . ولمزيد من الاطلاع انظر كتاب « علم الفولكلور » تأليف الكزاندر هجرتي كراب ، ترجمة رشدي صالح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٦ ــ شاع استعمال هذه الحكاية كرمز للانبعاث في الادب الفلسطيني بعد ايلول ١٩٧٠ حيث استغلها كل من يحيى يخلف في قصته القصيرة الطائر الاخضر مجلة الاداب ــ البيروتية تموز ١٩٧١ والشاعر محمد القيسي في قصيدته طيور خضراء كثيرة ، ديوان رياح عز الدين القسام ص ٩١ .

١٧ ــ وجدت ان في هذا النص ثغرات لم اشأ ان اكملها حفاظا على النص كما روي ومن هذه الثغرات ان الزوجة جعلت الشمس كفيلا لها في عدم البوح بسر الشجرة . ومنها ايضا ان اليهودي راهن الرجل على بيته وزوجته ان هو كشف سر الشجرة ، ولما كشف السر اخذ البيت والزوجة .

١٨ ــ اغفلت الرواية سببا ليس جوهريا في تفاقم حقد زوجة الاب على الابن دون البنت ، وهو كما ورد في روايات اخرى لهذه الحكاية ان الولد كان يعارض بشدة زواج ابيه من هذه المرأة .

١٩ ــ حذفت من النص تكرار الانشودة التي يرددها الطائر الاخضر امام الاب وامام الحلواني وامام الاخت حيث لم اجد ضرورة لتكرارها .

٢٠ ــ حذفت من النص تطويلات وردت عقب عثور اليتامى على الكنز ولم اجد لها ضرورة ، كما تصرفت في النص لغويا الى الحد الذي لا يخل بالسياق .

٢١ و ٢٢ ــ هاتان الحكايتان مأخوذتان من الحكايات التي قام بجمعها عمر الساريسي في الجزء الثاني من رسالته المخطوطة لنيل درجة الماجستير في الاداب ــ جامعة القاهرة ١٩٧٢ .

الشعب ـ البطل في التاريخ

بين « أم سعد » غسان كنفاني و « عجوز » أفنان القاسم*

الدكتور فيصل دراج

« الفن معلم من حيث هو فن وليس من حيث هو فن معلم »

غرامشي

الشروط التاريخية لانتاج العمل الادبي :

على الرغم من خصوصية العمل الادبي فانه لا يمكن أن يرى خارج سياق تاريخي محدد ، فالنص الادبي من خلال أدبيته يعكس الواقع التاريخي ولا يصنعه ، وهو لا يعكس شروطا غائبة أو لم تولد بعد بل يعكس شروطا قائمة ، وهو بأدبيته نتاج وانعكاس لها. فليس الادب الفلسطيني « الثوري » هو الذي خلق المقاومة الفلسطينية بل ان هذا الادب بكل اتساعه وحدوده وليد للمقاومة ، كل هذا على الرغم من الدور التحريضي الذي يمكن أن يلعبه الادب . ولا يمكن أن نرى النص الادبي بمعزل عن التاريخ الذي صنعه ، بل ان هذا التاريخ بكل تميزه يكمن في كل احضان العمل الادبي . وعلى هذا فان كل انتاج أدبي هو في الوقت ذاته انتاج أدبي ـ تاريخي . ان نقد بوليتزر للتحليل النفسي الذي أراد أن « يشرح التاريخ بالتحليل النفسي وليس التحليل النفسي بالتاريخ »(١) يصلح أيضا لتطبيقه على الادب ، فهذا الاخير على الرغم من أدبيته لا يمكنه أبدا أن يتمتع باستقلال ذاتي مطلق وبوجود لا تاريخي ، فالنص الادبي ليس نتاج « الاسطورة الشخصية » للمؤلف لكنه التجسيد لميكانيكية الانتاج الادبي من حيث هي عملية انعكاس لشروط تاريخية ـ اجتماعية محددة « فالرواية لا تخرج من التخيل الفردي بل من الواقع الاجتماعي ـ التاريخي » .

ورغم انه يمكن التكلم عن التأريخي في الرواية L'historique du roman الا ان الاديب ليس مؤرخا بالمعنى الدقيق للكلمة لانه لا يعكس في عمله الا ظواهر الحركة التاريخية وليس القوانين الداخلية المحركة لها . ضمن هذا الاطار تعتبر الرواية نتيجة لفاعلية حاضرة مستوعبة لماض محدد لمجتمع معطى . ونؤكد من جديد أن النص الادبي لا يمكن أن يرى الا كانعكاس للواقع بمركباته الاجتماعية ، فالادب « لا يهبط من السماء » وليس نتاج « ابداع » غامض لا يدرك كنهه ، او فاعلية « متخيلة imaginaire » على الرغم من انه ينتج آثارا خيالية .

---

* العجوز رواية لأفنان القاسم ظهرت عن مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام في العراق مع مقدمة للمستشرق ريج .

لكن نظرية الانعكاس لا تعني بأن الاديب يعكس الواقع بشكل خام وبدون تدخل ذاتي ، فالواقع ينعكس في العمل الادبي بعد أن يخضع لنمط ابداع محدد يتناسب مع موقع الكاتب الاجتماعي ورؤياه للعالم .

وكما ان النص الادبي يتسم بتاريخيته ، فان الاديب من حيث هو منتج يخضع للقانون التاريخي أيضا ، لذلك فان ممارسة الاديب ودوره في ساحة الصراع والايدولوجيا التي يحملها تنعكس في الوحدة الشكلية ـ المضمونية لعمله ، كما ان حدود حركته الاجتماعية تحدد صدق مضمون عمله الادبي ، وتدخل الاديب في عمله الادبي لا يتم فقط من حيث هو ذات متميزة (خالق النص) بل تتم أيضا من حيث هو شكل ـ ذات أي تعبير عن ميزان القوى الاجتماعية في فترة تاريخية محددة .

ان رواية « أم سعد » أو « العجوز » لا يمكن أن ترى بدون وجود المقاومة ، انهما التعبير الادبي عن ظاهر حركة الشعب الفلسطيني التي ولدتها شروط اجتماعية ومعاناة تاريخية . ان النص هنا يعكس ما هو موجود بشكل مادي أي ما هو موجود فعلا ، وقد يومىء النص ويشير الى المستقبل ، لكن ذلك « التنبؤ » يستقي مع ذلك جذوره ومرتكزاته من مادية الواقع . ان ما نريد أن نؤكد عليه هنا هو مادية وتاريخية النص الادبي ، فالادب والاديب هما نتاج للتاريخ والظروف الاجتماعية ، وان أصالة الاديب تكمن في قدرته على عكس الواقع التاريخي ، ودقة هذا الانعكاس وضبطه أو نسبيته تعتمد على مدى مشاركة الاديب في صنع الحركة التاريخية من حيث هو شكل ـ ذات متميزة .

« العجوز » وديالكتيك الموت والحياة :

يعكس أفنان القاسم الكاتب الفلسطيني في روايته « العجوز » وضع الشعب الفلسطيني بعد نكبة ١٩٤٨ ثم المسار الشائك الذي سلكه هذا الشعب للانتقال من حالة الموات والسكون الى حالة الحركة والحياة . ويرصد أفنان هذا خلال رواية ذهنية أو واقعية رمزية ، فالشخصية عنده ليست نمطا اجتماعيا يعكس كلية اجتماعية بمعنى جورج لوكاتش ، وليس بطلا ايجابيا يذرع مجال حياة يومية محددة التفاصيل والتناقضات بمعنى بريشت ، بل اننا هنا ازاء شخصية ـ فكرة تنمو وتتمحور وتتحرك لتحقق معادلات ذهنية للكاتب ترصد الحاضر والماضي والمستقبل ، فالبطل هنا استبدل بفكرة ـ رمز تتحرك في فضاء زماني واسع لتحقق ذاتها في النهاية . ان شخصية أفنان هذه تذكرنا بالفكرة عند هيجل التي تتلمس نفسها عشواء في البدء ، ثم تتفتح خلال التاريخ ، لتحقق ذاتها أخيرا وتعثرها عليها بوعي . ولا نقف في رواية «العجوز» أمام لوحة اجتماعية مكونة من أناس محددين ، بل أمام لوحة ذهنية تعكس بشكل روائي قدر وحركة الفلسطيني ، الذي يغرق بعد النكبة في سديم خانق ثم يبدأ يطفو على السطح حتى يتحرر في النهاية .

ويدخلنا أفنان هنا في مجالات زمنية ثلاثة يعكس كل منها وضعا تاريخيا ، وهذه المجالات ليست محددة المعالم بل هي مختلطة ومتشابكة ومحكومة بقانون عام هو الزمن النفسي ، تيار الوعي الذي ينتقل من مجال الى آخر ، وينتقل الوعي التعيس هنا من مدار الى آخر باحثا عن توازن منشود ومفقود ، لذلك فهو لا يعرف الاستقرار والراحة لانه محكوم بشروط اضطهاد عدة . وتتم اللعبة هنا بين الزمان والوعي ، أو بشكل أدق تتم في مجال وحدة ثنائية : الزمان / الوعي ، فهما يتعانقان ويدور كل منهما على سطح الآخر بدون نضب بحثا عن شرط تاريخي غائب ويجب اعادة انتاجه . ولا تتم دورة الوحدة المركبة وعي / زمان بدون تحديد مكاني ، بل على العكس من ذلك

فهي تدور ضمن مجال مكاني محدد ، بل ان جدلية الوعي / الزمان لا تأخذ ابعادها ومعناها الا من المجال المكاني ، عند ذلك نصل وبشكل ضروري الى وحدة جديدة ، فالزمان يتلاحم بالمكان ليصبح وحدة جديـــدة زمكان (زمان + مكان) ، وهذه تعني دلالة أرض الوطن في فترة زمنية محددة ، ثم ما تلبث الوحدة الجديدة الزمكانيـــة أن تتلاحم من جديد مع الوعي ، لنصل الى وحدة تكوينية جديدة : وعي / زمكان ، وتدور هذه الوحدة لتمسح وترى شروطا متباينة : شروط الحـــرية ، ثم شروط الاضطهـــاد الحاضر ، واخيرا شروط الحرية المفقودة المبحوث عنها . في اطار هذه الوحدة المركبة يشير المكان الى حالة الزمان النفسي ، كما انه في الوقت نفسه يشير الزمان النفسي المتضمن للوعي الى شكل المكان .

نتلمس ضمن هذا الاطار « عجوزا » فلسطينية تعيش في فلسطين بعد النكبة ، وهي عجوز مأزومة ، تعاني حالة عصابية متأتية من وجود الحاكم الذي سلب العجوز كل ما عندها . فهناك العجوز والحاكم والعلاقة بينهما محكومة بحالة عصاب ، علاقة نفي . فزوال العصاب مشروط بتلاشي سببه أي الحاكم . ويجب أن نشير هنا الى أن العجوز ليست ذاتا منفردة بل هي رمز لشعب فلسطين ، الشعب الذي يعيش تاريخه والذي يقف في قلب المأساة وليس على ضفافها، وكما أن « أم سعد » تمثل في المستقبل وضع الشعب الفلسطيني الفاعل في أفق مجدد ، فان « عجوز » أفنان القاسم ترسم وضع هذا الشعب أمام صدمة ٤٨ .

تتحد الحركة الروائية ودلالتها في « العجوز » بواسطة الاطر الزمانية الثلاثية التي تحكم الحدث الروائي .

الزمن الاول هو الحاضر المعاش ابان النكبة واثرها ، وهو حاضر انتزعت منه كل المقومات الايجابية وترك حاضرا ميتا ، لذلك فان هذا الحاضر على الرغم من غلافه الزماني ليس الا مواتا ، هو الموت في الحياة ، فهو يؤطر واقعا يعني الهوان وفقدان الهوية ، انه حاضر العجز والعطالة ، يرسم أفنان هذا الحاضر بواسطة شخصيـــة العجوز على الشكل التالي :

« وجه محفور : خريطة . التجعدات تلال . الشعر عشب يابس . القامة جذع مكسور . أية تعاسة ! لم تعد تسير بقامة منتصبة . هذه الخطوات الثقيلة التي يموت الخفق فيها رويدا ، رويدا ، لن تتمكن من حملها الى الرابية »(٣) .

تشير مجموعة هذه الرسوم القاتمة الى حاضر عاجز أسود ، مراوحة وانزواء في عالم بائس ظالم تفقد فيها كل الاشياء طعمها ودلالتها ، فالانسان هنا مكبل وعاجز عن تحقيق ذاته ، فهو ليس سيد الاشياء بل ذاتا سلبية ، حتى الشمس هنا تفقد بريقها ، فالحاضر الظالم يجهض حرارتها .

« تطلعت الى الشمس . « الشمس » . عركت شفتيهـــا اليابستين ، خيـــال ابتسامة ، وتقوس حاجباها بكثافة وهما ينوءان بالفكرة . انها شمس الحاضر . أما « شمسها » شمس الماضي الخائن ، ماضيها هي ، فقد انطفأت مثلها تماما ، وأصبحت ليلا دامسا ! »(٣) .

ينسقط شرط الوجود هنا شكله على الاشياء فتفقد معناها الحقيقي وتأخذ معناها هي أي تصبح كلها هالكة ومرة . عالم برود وكهولة ، فالقامة مكسورة والفم كهف دامسة(٤) . وهنا لا يتعلق الانسان بحياة لا يستطيع تحقيق ذاته فيها ، لذلك فهو يتطلع الى تجاوز بؤسه بالموت « كان الموت بالنسبة لها عالم الخلاص ، وهي التي انتهى انتظارها لكل شيء ما عداه »(٥) .

ازاء بؤس الحاضر ينسرب الخيال الى الماضي ، ويصبح الرحيل الى الماضي ضرورة ، عملية تعال ارادية ، فاجترار الحلم بكل اشكاله يلطف من ظلم الحاضر ، فالاول هو المعنى والثاني هو اللامعنى ، الاول يعني الشباب والارض والحياة والزوج والخصب ، في حين يعني الثاني الكهولة والموت والعقم والترمل ، فكل ما هو جميل ، وكل مـا يحقق ذات الانسان وحريته يكمن في الماضي ، لذلك تصبح عملية سحب الماضي على الحاضر ضرورية ، انها تشبه حال البائس الذي يتسامى على بؤسه بخلق فردوس خيالي ، فهو عملية تشبث بالحياة وبحث عن التوازن . لذلك يتلاشى عند العجوز — اللاجيء الفلسطيني الزمان الفيزيائي ، الزمان الفعلي ، ليحل محله زمن نفسي يهدهد وعيا تعيسا وكيانا كسيرا ، لكن استعادة الماضي لا تجمل فقط وجه الحاضر ، لانها تعود من جديد لتظهر عمق المأساة ومدى مرارة هـذا الحاضر ، لذلك فان هـذه الاستعادة تكرس الزمن السلبي أولا لكنها لا تلبث أن تزحزح هـذه السلبية عندما يتخلص الحنين من سلبيته ويسعى الى التحقق .

فهناك اذن استعادة خيالية للماضي وتشبث به يدفع الى الحركة .

لذلك « فالعجوز » أولا تعايش الموت وترتمي الى الماضي :

« تدرع بصخب حيث السنابل ، ... ، حركة تموج وتنحسر ، فاذا على الارض كومة من ذهب ، ... ، ويغني كل منهما أغنية ، ويغنـي كلاهما معا : يا ميجنا ، يا ميجنا .

أنت تعبان يا ابن عمي ، تعال وتمدد قليلا ، عندك بكره عمل كبير ، سيحتاجك الى نهار كامل »(٦) .

لا يتم الحنين لاسترجاع الماضي فعلا ، أي تملك الحاضر ، بسبب قوة الحنين فقط ، بل بسبب التمرد على الظلم ورفضه ، رفض عسف الحاكم، العبد هنا لا يعترف بسيادة السيد ، فهو يرفضه على المستوى الروحي ويبحث عن وسيلة لرفضه ماديا ، فالحاكم يستبيح كل شيء ويصبح الانسان كيسا بلا قيمة أو اعتبار :

« لحظتها أحسست ان شيئا قد وقع ، شيئا ما أقوى منهـا ومن ارادتها . لسوف يمرغها الطين ، ولسوف تغطس طويلا في الوحل ، ولسوف تأكل ثمرة الوحل ، ولسوف تبكي كل الليل »(٧) .

يدفع العسف والشعور به والتعلق في الماضي « العجوز » الى الحركة ، لكن هذه الحركة المشروطة بواقع مهزوم تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة تعكس هذا الواقع ، لم تصل « العجوز » على الرغم من حالة الموات الملازمة لها الى الاستسلام تماما ، فقد كان بينها وبين الحياة خيط مستمر ، كانت تراه في البيضة الساخنة المحتضنة حيـاة جديدة ، حياة ستكسر قيودها وتحبو ، كما كان تعلقها أحيانا بالحياة يتجلى وهي تضرب الارض بمعولها كاشارة الى الوجود والبقاء . كان لديها باستمرار أمل بأن رحم الغد سيقذف بالمخلص لذلك تقول « لن أهرب ما دمت على قيد الحياة »(٨) .

فذاك المخلص سوف يصنعه الزمان ، سوف ينبت بفضل المثابرة والصمود :

— واذ ما بقيت أحفر ؟

— الى متى ؟

— الى أن يتفجر الماء(٩) .

لذلك فالتعلق في الارض يعني قهر الشيخوخة ومحاولة توليد ما هو جديد . لكن قهر

الشيخوخة لا يمنح الشباب ، لكنه يدفع باتجاه خلـق انسان جديد ، فالعجوز على الرغم من اصرارها وتعلقها بالارض ، غير قادرة على لوي عنق الحاكم ، فهي ارث يتعايش فيه السلبي والايجابي ، ومادة بشرية عاشت الهزيمة وشاركت بصنعها . انها والحالة هذه صالحة كمادة خامة لصياغة انسان جديد . فليست العجوز قادرة على كسر هيمنة الحاكم ، فتجاعيدها وقوامها المكسور لا يوصل الى الرابية على الرغم من نيتها الحسنة ، لذلك فهي تضحو السماد المخصب لارض جديدة ، يحتضن جانبها الايجابي، في حين يجتث منها جانبها السلبي، فالتراث لا يؤخذ دفعة واحدة بل يقلّم .

وهكذا يخرج من أركان العجوز قادم جديد يتجاوزها تاريخيا ، قادم قوي وجميل ، فهو ليس العجوز وليس كائنا معزولا ومنقطعا عنها ، لكنه يخرج مـن صلبها ليعيد صياغتها . لهذا فان القادم الجديد يغمد نصله في قلب العجوز ويلقي بأثوابها السوداء الى النار ، ليلبسها ثوبا جديدا . هنا نرى عملية تجدد عن طريق الحركة والممارسة .

تتخلص العجوز ــ اللاجيء من مرحلة ، وتحرق فترة زمنية ، لتدخل مرحلة جديدة ، تلفظ الموات لتصل الى الحياة ، لكن هذه العملية لم تتم الا بعـد قتل مرحلة . حدد الفلسطيني نفسه بعد أن عثر على الادوات والمفاتيح الملائمة ، والتي جعلته يتخلص من أوهامه وعوالمه الغائمة .

ان أفنان في روايته لا ينسى عملية التناقض الاجتماعي والقاء الضوء على الموقع الطبقي ، فجانب العجوز المغتصبة كانت هناك من تضاجع الحاكم طواعية ، وتمثل العجوز ما يمكن ان نسميه بالشعب المواكب للحركة التأريخية وصانع هذه الحركة ، أي جماهير الفقراء الصانعة الحقيقية للتاريخ .

كما ان الرواية تفتح نوافذ تفاؤلية ، فليس الماضي عدمية مطلقة ، لكنه تربة غنية مهدت على الرغم من شوائبها ولادة ما يتضمنها ويتجاوزها ، فمن قامة « العجوز » المنكسرة وشعرها اليابس طلعت علينا « أم سعد » رمز الشعب المقاتل ، والمقاتل بدون أوهام والمنطلق من التعب والعرق وليس لاعتبـارات برجماتية تضع الوطـن باستمرار بين قوسين .

أم سعد وعملية التجاوز :

الحياة تجاوز مستمر محكوم بالممارسة المباشرة والتاريخيـة وبالمنطق الداخلي للاشياء ، وبعملية التجاوز هذه يحل الانسان مشاكله « نسبيا » وضمن حقل تاريخي محدد.ثم يعود من جديد ليخلق أرضية جديدة تمهد لحل تناقضات جديدة ، وهكذا يتقدم التاريخ ويأخذ طريقه نحو عالم الحرية ، ولا يتقدم هذا التاريخ بفعل ذات محددة ولا بفعل تراكم كمي لذوات محددة ، بل يتم ذلك اثر عملية صراع تاريخية تتمحور حول قطبي التناقض وتجاوزه . تفرز العملية التاريخية شروطا جديدة في مجال تاريخي محدد الخصائص ، ثم ما يلبث التاريخ حتى يعود ليلوي عنق هذه الجدة فتستحيل قـديما وتتوارى بعيدا في أغوار شروط جديدة ، والتناقض بين الجديد والقديم لا يحل دفعة واحدة ، بل خلال مسار تاريخي تنمو فيه التناقضات وتختمر لتكلل فوز الجديد ، ولا يعني حل التناقضات ظهور جديد واختفاء قديـم بالمعنى الدوري للتاريخ ، العـود الابدي ، بل يتضمن هذا الحل تحولا نوعيـا يساير المنحنى الايجابي للتاريخ ، اي الانتقال من عالم الضرورة الى عالم الحرية(١٠) .

ان ما يبدو ظاهريا خاملا يرقد على ضفاف الحركة التاريخية في فترة زمنية محددة ،

يأخذ مكانه في قلب التاريخ في حقبة تاريخية لاحقة ، أي له منطقه الخاص للمشاركة في العملية التاريخية .

ان « أم سعد » نموذج البطل الايجابي طلعت علينا من معطف « العجوز » . ان العالم الهادىء « للعجوز » استحال حسب منطقه الخاص الى عالم « اللا هدوء » ، فذاك الموات الظاهري القى بذور حركة قادمة وقوة خلاقة ، ومن سديم العطالة التاريخية خرج علينا عالم الحركة والدينامية الثورية ، عالم أياد تطرق أبواب الجديد ، ولا يخرج الجديد هنا من رموس بائدة بل من عملية مخاض طويلة أنتجت واعيد انتاجها لتصل الى ميزان قوى جديد يسمح بالحركة بدون عسف أو قيود .

أم سعد رمز الجديد ، ابن « العجوز » المتحرك في دائرة زمن ايجابي ، فالماضي ليس سجنا ، لكنه مجال مكاني — روحي نستعيده من خلال الحركة الثورية في الحاضر ، وعندها يصبح مستقبلا ، البطل هنا (أم سعد) يعيد انتاج التاريخ من خلال حضور مستمر للوطن في الماضي والحاضر والمستقبل .

ونحن هنا ازاء قطبين الوطن / البطل الايجابي ، أو البطل الذي هو شكل — ذات في التاريخ ، أما العلاقة الديالكتيكية بين القطبين الوطن / البطل فتدور في فضاء زماني هو التاريخ الذي هو في المحصلة الاخيرة الاثر الناتج عن التطلع المستمر للقطب الثاني الى الاول ، أي صراع الفلسطيني لاستعادة أرضه .

ولا يتم الصراع هذا بشكل مبسط ووحيد الجانب بل يتحدد ويتضمن من خلال جملة شروط : التواجد المستمر للوطن ، والواقع المعاش في المنفى ، ثم صراع الفلسطيني لتحمل الحاضر والسيطرة عليه . وعلى هذا فان معركة الفلسطيني والتي تجسدها أم سعد تصبح مضاعفة ، فهي معركة ضد بؤس الحاضر ، وتجاوز له للالتفات الى الوطن = الماضي من أجل المستقبل = الوطن .

في معركته ضد الحاضر المباشر / البؤس يصنع الفلسطيني ذاته ، وخلال عملية الصنع هذه يعي حجم مأساته ، فيصنع ذاته كانسان بالمعنى الفلسفي للكلمة (براكسس) ، ويصنع في الوقت ذاته نفسه كمقاتل من أجل قضية . وهكذا نعثر في هذا المسار على مستويات عدة : المنفى ، البؤس ، حركة الحياة الضرورية ، تملك الوعي ، ثم بدء المعركة . وعملية الصنع هذه لا تتم كما نرى انطلاقا من ارادة أخلاقية محضة ، بل تأتي كضرورة تاريخية أنتجتها جملة ظروف وشروط تاريخية خارجة عن ارادة الفلسطيني — اللاجىء .

وأم سعد هي محصلة هذا المسار ، فهي كلية ايجابية فاعلة على الرغم من شروطها البائسة ، وهي كبطل نمطي تصنع ذاتها والتاريخ من خلال تعايش مستمر للزمان بأبعاده الثلاثة . ولقد استطاع غسان كنفاني بموهبته الادبية أن يعطي صورة مادية متسقة لام سعد ، فهي ليست البطل — الفكرة الذي يتحرك في عالم ميكانيكي ، عالم فكراني ، بل هي انسان حي مشخص نراه ونلمسه في كل منعطفات حياتها اليومية ، ويذكرنا حذق غسان هنا بكلمات بريشت حين يقول « لا يجب أن نرى البطل الايجابي في صميم المعركة فقط ، بل يجب أن نراه أيضا كيف يذهب الى الخباز ويشتري خبزه » .

والآن ما هي المستويات التي يمكن أن نعثر عليها في شخصية أم سعد . قبل أن نبدأ ذلك يجب أن نؤكد بأننا لا نرى في أم سعد بطلا متفردا بل نرى فيها نموذج البطل الايجابي ذي خصائص ولدتها ظروف تاريخية محددة ، فصوتها هو « صوت الطبقة الفلسطينية التي دفعت غاليا ثمن الهزيمة »(١١) .

المستوى الاول هو حضور الماضي ، ونرى ذلك خلال مؤشرات عدة أهمها الاحتضان المستمر للارض : « وسحبت من فتحتها عرقا بدا يابسا ورمته نحوي :

ـ « قطعته من دالية صادفتني في الطريق ، سأزرعه لك على الباب ، وفي اعوام قليلة تأكل عنبا » .

ـ « قد لا تعرف شيئا عن الدالية ، ولكنها شجرة عطاءة لا تحتاج الى كثير من الماء. الماء الكثير يفسدها . . . »(١٣) .

هنا يلقي الماضي ظله على الحاضر ، وفي عملية الالقاء هذه يكون الماضي مسيطرا ، لكنها ليست سيطرة ستاتيكية بل سيطرة دافعة . نلمس نوعا من الدائرية المحكومة بالدفع والحركة : حاضر يرتمي في الماضي ، وماض يرتمي في الحاضر ، كل ذلك من خلال علاقه ديالكتيكية فاعلة .

ويتجلى الحنين الى الارض في مكان آخر حين تقول :

« والزيتون لا يحتاج الى ماء ايضا ، انه يمتص ماءه عميقا في بطن الارض ، من رطوبة التراب »(١٣) .

من خلال « عرق الدوالي » والزيتون يتم استرجاع الماضي ، وهذا الاسترجاع له دور وظيفي ، وهو تجميل الحاضر بواسطة ارجاع قسري لخضرة الماضي « سأزرعه ، وسترى كيف يعطي عنبا ، هل قلت لك أنه لا يحتاج الى ماء، وانه يعتصر حبات التراب في عمق الارض ويشربها ؟ »(١٤) .

واذا كان بؤس الارض قد ولد السماء ، فان بؤس الحاضر يعيد توليد الماضي ، والفرق أن التوليد الاول دليل على اليأس ، في حين ان التوليد الثاني يمور ويتحرك ويندفع الى الامام .

المستوى الثاني ويتضمن شروط الحياة المادية التي تغوص فيها أم سعد والتي تشكل المادة الخام لتملك الوعي ، والتي تنبجس بواسطة الممارسة والعمل الجماهيري . وتشكل شروط الحياة المادية كلية بائسة حيث أن هناك حضورا مستمرا للبؤس على جميع مستويات الحياة اليومية ، هناك قمع متعدد الابعاد .

فالمخيم هو التعبير الاكثر قوة ، انه نبراس البؤس والقمع ، انه نقيض الوطن والكرامة والحرية ، انه يجثم ثقيلا وربما بشكل قاتل لو لم تنطلق منه بندقية . وأم سعد تعيش فضاء المخيم بكل أبعادها » .

حكت الوحل بأصابعها الخشنة ، ثم تركته لشأنه حين أحست انه ما زال طريا ، وقالت :

ـ طاف المخيم في الليل . . . الله يقطع هالعيشة(١٥) .

ـ صرت امرأة عجوزة . صرت اتعب . امضيت كل الليل غارقة في الوحل والماء . عشرون سنة . . .(١٦) .

ـ لا أريد أن أموت هنا ، في الوحل ووسخ المطابخ »(١٧) .

واذا كان المخيم هو المجال الاول للقمع ، فان مكان عمل أم سعد هو المجال الثاني للقمع « كانت أم سعد قد وصلت ، نازلة ، الى الطابق الثالث ، لاهثة وراء الماء ورغوة الصابون وبرد الشتاء يقرص قدميها الحافيتين . بلحم كفيها المضرجتين بآثار أحذية الصاعدين والهابطين »(١٨) .

واذا كان المخيم هو رمز فقدان الهوية القومية المحددة ، فان مكـــان العمل رمز الاستغلال . وهكذا فأم سعد تضحو لاجئة (معنى قومي) وعاملة مستغلة (معنى اجتماعي) . قمعان مترابطان ديالكتيكيا .

هذه الشروط البائسة تمهد لخلق المستوى الثالث ، مستوى تملك الوعي. فسنوات الخيام والتشريد والاستغلال أعطت تجربة متراكميـــة غنية كفيلة بخلـــق شخصية فلسطينية جديدة، وهكذا فان التاريخ يسحب معه الفلسطيني (شكل ـــ ذات) ويجعله يعبر مسار تجارب طويل . وبعد هذا المسار تبدأ لحظة جديدة ، لحظة فاعلة كسرت كل جسورها مع اللحظة السلبية الجامدة . فأم سعد هي اذن المحصلة التاريخية ـــ الاجتماعيه لكل هذه السنوات من القمع المتعدد الاشكال . ونلمس هنا ديالكتيك الذات والموضوع في التاريخ . ففي البدء كانت الذات (أو بشكل أدق شكل ـــ الذات) تشكل جزءا خاما من الموضوع ، تتكامل مع شروطها دون أن تستطيع ان تفعل بها او تغيرها، بعد ذلك ومن خلال الممارسة «انخلعت» الذات عن موضوعها وطفت على السطح أي اصبحت قادرة على رؤية مساحـــة البؤس الشاسعة التي تعيش فيهـــا ، واصبح الفلسطيني بدون أوهام ، ولم يعد يكتفي برحيله الصامت والصوفي الى أرض الوطن ، بل أضحى واعيا لعمق مأساته ، لكن هذا الوعي مع ذلك لم يكن مرتبا ودقيقا ليدفعه بنهج الطريق السليم لتحرره. في اللحظة الثالثة لم يعد الفلسطيني مراقبا بوعي لحاضره فقط ، بل بدأ يتسيد على واقعه بمعرفة السبل والادوات الضرورية للتحرير ، وهكذا وبعد أن كان الموضوع هـــو السيد في اللحظـــة الاولى ، أصبح شكـــل ـــ الذات (الفلسطيني) هو المسيطر(١٩). وعملية التسيد هذه هي عمليه تطور Processus وليست معطى مباشرا ، فأم سعد هي محصلة طويلة تتضمن عجوز ١٩٤٨ وابنهـــا المتمرد أيضا .

في هذا المسار المتضمن لتسيد الذات على الموضوع ، يبقـــى البراكسس Praxis هو الحلقة الاساسية ، حيث ان بدء المسار وتصحيحه وتحديد هدفه مشروط بشكل جوهري بالممارسة والحركة الفاعلة ، ذلك أن صحة المشروع مهما كان نوعه سياسيا أو اجتماعيا لا تتأتى من صحة الافكار المركبة له بل من صحة هذه الافكار بعد امرارها على حجر التجربة .

بعد كل هذا تصبح أم سعد وعيا جمعيا شفافا قادرا بتراكم تجربته على محاكمة الامور . ويتلاشى عالم سلبي بقيمه ليظهر عالم جديد وبقيم جديدة . كما تتوارى رموز لتحل محلها رموز جديدة « كان المختار يحكي لي القصة وكنت أضحك بعبي ، وقلت له اخيرا « مليح اللي ما ضربوك ، احمد ربك عالسلامة ! « غزعل » . فالمختـــار ذلك الرمز الساقط يعطي مكانه وليس طوعا للفدائي الذي بدأ يعـــد نفسه ليخلق عالمه الجديد »(٢٠). أنا أعرف أن سعد سيخرج من الحبس . الحبس كله ! أتفهم ؟

يتغير هنا طعم الاشياء وتختلف دلالاتها ، فخيمة الفدائي ليست ذلا كخيمـــة المخيم « خيمة عن خيمة تفرق » . ويجب أن لا ننسى هنا بأن الممـــارسة هي التي تجاوزت واعادت بناء خيمة المخيم لتجعل منها خيمة فدائي .

يتغير طعم الاشياء ليس بتعال صوفي وتسام روحاني عقيم بل من خـــلال اعـــادة صنع الاشياء « لما مضيت من توي الى المخيم ، وفي مستنقع الوحل شهدت ام سعـــد واقفة مثل شارة الضوء في بحر لا نهاية له من الظلام »(٢١).

نلمس هنا على جملة متغيرات تعبر عن مرحلة جديدة ، من خـــلال ثنائيات عدة :

المختار / الفدائي ، خيمة اللاجي / خيمة الفدائي ، المخيم / المعسكر ، اللاجيء / المقاتل ، « سيرجع / سيذهب » ، الحجاب / الرصاصة .

بدلا من تحسر عقيم على ماض اخضر ، نرى عالم البنادق والمقاتلين ، عالم الصحو والثورة ، حيث يتحرر الانسان من كرت الاعاشة وسقف الزينكو وبسطار الدولة .

ان المستويات الثلاثة السابقة ليست منفصلة بل تشكل مستوى واحدا خلق وتموضع وتبنين خلال الممارسة التاريخية ، ان يمثل ديالكتيك القمع والثورة ، عملية صنع الانسان المناضل .

ان المسار الطويل الذي تضمن الجحيم والمطهر والذي القى بالفلسطيني في كلية بائسة ثم أعاد صياغته بحيث لا يكون حلقة ساكنة في « التاريخ » بل يصنع ذاته ، وبصنع ذاته يتطابق ويتماثل بالحركة التاريخية فيصنع تاريخه الحقيقي ، تاريخ محكوم بالصراع وليس مجرد امتداد زمني بارد .

---

١ — Littérature No. 13, p. 17-19.

٢ — « سنتبع هنا الترقيم حسب المخطوطة المطبوعة على الآلة الكاتبة وليس حسب الطبعة العراقية » ص ١ .

٣ — ص ١ .

٤ — ص ٥ .

٥ — ص ٩ .

٦ — ص ٤ — ٩ .

٧ — ص ٢٢ .

٨ — ص ٣٦ .

٩ — ص ٣٤ .

١٠ — المادية الديالكتيكية — مؤلف جماعي — دار الجماهير — دمشق ، ص ٢٦٨ .

١١ — غسان كنفاني : الآثار الكاملة ، ص ٢٤٢ .

١٢ — المرجع نفسه ، ص ٢٤٩ .

١٣ — المرجع نفسه ، ص ٢٥٠ .

١٤ — المرجع نفسه ، ص ٢٥٣ .

١٥ — المرجع نفسه ، ص ٢٦٩ .

١٦ — المرجع نفسه ، ص ٢٧٠ .

١٧ — المرجع نفسه ، ص ٢٧١ .

١٨ — المرجع نفسه ، ص ٣١٦ .

١٩ — B. Kedrov: Dialectique, logique, gnoséologie; Eds: Moscou, p. 349-355.

٢٠ — غسان كنفاني: الإعمال الكاملة، ص ٢٥٤ .

٢١ — غسان كنفاني: الإعمال الكاملة، ص ٢٧٣ .

ثقافة

الياس خوري

من أجل الشعر والحياة

يعود نيرودا الينا ، في مذكراته ، وكأنه مات لحظة ، ليستفيق الى الابد . فالبيت الذي نهبه الفاشيون وبداخله رجل يحتضر ، يتحول الى قصيدة جديدة ، يحفظها فقراء العالم ، وهم يمارسون باصرارهم على الحياة ، بناء حياة جديدة ، لا تستطيع الاقدام الفاشية تحطيمها . نيرودا هو الشاعر ، الذي يلخص في شعره وموته ، لحظة التقاطع بين الحلم الثوري الجميل الذي تصوغه الاغاني حين ينشدها الفقراء ، وهم ينحنون على التراب او على النحاس والممارسة الثورية التي تغير الواقع . ثم حين تنكسر تحت ضربات الضباط تنحني لتلتقط ابناءها وتعاود المسيرة . جراح الشعر ، هي جراح العمال والفلاحين والحالمين ، الذين يمسكون بأوراقهم يحولونها الى طائرات من ورق ، يحملون طفولتهم باليد التي ترسم طفولة المستقبل .

« هكذا كل يوم ، اكثر من عشرين يوما ، كنت آخذها الى النهر وأحملها الى بيتنا . كانت البجعة كبيرة ، حجمها حجمي . ذات مساء كانت غارقة في التفكير . سبحت قربي لكنها ما اهتمت بالذبابات التي أردت بها تعليمها الصيد من جديد . مكثت هادئة فأخذتها الى حضني من جديد بنية أن أحملها الى دارنا،وما أن اوشكت أن ترتاح في صدري حتى شعرت ان شريطا قد انحل . ان شيئا كأنه ذراع سوداء ، قد لمس وجهي وكشطه فالتفت واذ بعنقها الطويل الملتوي يتهاوى . آنذاك تعلمت ان البجع حين تموت لا تغني » .

يكتب نيرودا طفولته ، وكأنه يرسم مستقبله . لكن البجع حين تموت كانت اغانيها تملأ الارض . فالعمال الذين لم يسيروا في جنازة الشاعر لانهم كانوا نزلاء السجون ، غنوا اغنيات البجع الجميل وهو يموت مستسلما للارض التي أحبها ، وللحقول التي تغنى بعناصرها،فحين مات البجع من الحرقة الى جانب الوحدة الشعبية التشيلية التي دمرها الفاشيون بأقدامهم وبأسلحة اميركية ، كانت كل العصافير في فضاء التشيلي الواسع وفي سماء اميركا اللاتينية ، تردد الاغنية الثورية التي لم تكتشف جسدها ، فبقيت حول جسد غيفارا وكأنها مدخل الى بداية تغيير العالم .

ماذا يقدم النقد لمذكرات نيرودا ؟

يقف على هامشها ، ليشهد للشعر . موت نيرودا هو شهادة جديدة للشعر ، لاغاني الفرح والامل ، وهي تكتب لحظة العشق ، وترسم شريطا طويلا ، للحياة ، بتفاصيلها الجميلة ، وقد استحالت الى ذاكرة شبه جماعية . هكذا نعيش مع الشاعر في تفاصيل حياته ، لنلتقط لحظات مفتتة في الماضي ، لحياة ثقافية بالغة الغنى ، انتجت اجمل الشعر الاسباني المعاصر — لوركا ، البرتي، نيرودا ... هنا ندخل الى بيت الشاعر ، الى اشيائه الخاصة جدا ، ولا نخرج بنتيجة نهائية . فالمذكرات ، ليست اكثر من تحايل على الواقع والفن في آن . فهي توحي لنا بأنها تقدم الواقع

---

* **مذكرات بابلو نيرودا** ، ترجمة د. محمود صبح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، حزيران ١٩٧٥ .

بشكل روائي او شبه روائي . لكنها لا تقدم الواقع ولا الرواية . تقدم نصا يقع بينهما . فهي ليست الواقع : لان النص ، أي نص ، لا يستطيع ان ينقل الواقع . الواقع مفتت في الذاكرة ، يأخذه النص ويعيد تنظيمه ، يعيد تركيز مفاصله ويقدمه بشكل جديد . وبقدر ما يستطيع النص اكتشاف جدل الواقع الحقيقي ، يقترب منه ويتسمى بالواقعية ، لكنه حتى في هذه الحالة ينتخب من التفاصيل يشذبها ويعيد ربطها بتفاصيل اخرى . هكذا النص هو شكل آخر من الممارسة . يقدم الواقع كي يقدم نفسه . أي انه حين يقدم الواقع، يغلفه ، ويعيد تنظيمه بعناصر جديدة تحيله الى شكل جديد . والمذكرات ليست رواية ، لانها شديدة الالتصاق بحياة كاتبها . انها محاولة اعطاء صورة منتخبة عن حياة فرد وعلاقاته . لكنها لا تنضبط بالبناء الروائي ، فالبناء الروائي هو شكل يضبط اعصارا حياتيا ، يفتح له قنوات يربطها بمجرى واسع هو جسد الرواية. اما في المذكرات ، فنحن امام اعصار دون قنوات . نحن امام حكاية متقطعة ، تروي لتخدم هدفا مباشرا ، اعادة صياغة الماضي من اجل تقديم شهادة . فينحل البناء الروائي امام الشهادة ، ليبقى اعصار الحياة في تفجره وامتلائه ، هذه هي العلامة الوحيدة التي يخرج بها الكاتب والقارىء في الوقت نفسه .

هكذا لا تقدم المذكرات الواقع ، ولا تقدم الفن . تقدم مزيجا منهما ، يتجاوزهما الى لحظة الابتلاء التي تسبق الكتابة الفنية ، الى الاشكال وهي تتكون ، لتنقل من الواقع لحظة توهج فنية ، تلبسه وتعيد صياغة بعض عناصره . فالمذكرات ، هنا هي شهادة . شهادة مرحلة ثقافية وسياسية كاملة ، لكنها شهادة بلا شكل ، لذلك تأخذ شكل الشاعر . تصبح كقصيدة ملحمية طويلة ، بلا اوزان . تترك نفسها لصدفة الخلق ، وتعيد تجميع عناصر الذاكرة الشعرية وكأنها عناصر مفتتة في المكان والزمن . هنا اهمية هذا الكتاب . انه نيرودا الشاعر الذي احببنا دون اشكاله ، دون اللباس الذي يضعه الشعراء حاجزا بينهم وبيننا. لكن الشاعر ، لا يستطيع الغاء لغته . فهو لا يعرف نفسه خارجها . لذلك تأتي كتابته على ذاته بلباس شعري ، وتكتب المذكرات بلغة تقترب من لغة القصيدة .

بعد هذا ، لا معنى لنقد شكل الشاعر . فالنقد هو علاقة موضوعية بالاشكال الادبية . انه محاولة لاكتشاف العناصر الداخلية التي للشكل الادبي وربطها بواقعها الايديولوجي والسياسي ، ثم كشف علاقتها باشكال الممارسة الاجتماعية التي تتمثل في الصراع الطبقي . لا تأخذ هذه العلاقة شكلها الفعلي ، الا داخل ممارستها . اي داخل الكتابة النقدية التي تستعيد ماضي العمل الادبي لتكشف حاضر الممارسة الادبية باسرها . لكننا هنا لسنا امام امكانية ممارسة ، فالنص الذي امامنا . هو شكل الشاعر البريء من الاشكال ، الذي يحاول ان يقدم لنا صورته الطفلية ، طفولته حواجزه ، ومشاكله ، دون اي ادعاء مسبق . فتأخذ هذه الصورة ، شكل قصيدة بلا ضوابط ، لان الشاعر يبقى في نهاية المطاف هو القصيدة التي تحاول كتابة نفسها فلا تستطيع .

لذلك نقف على عتبة هذه الحياة البرية المليئة بالازهار والاشواك ، لنستعيد حياة احد كبار شعراء هذا العصر ، الذين كتبوا ملحمة الانسان، نشيدا شاملا ، يستعيد الماضي ، ليضع يده على عتبة المستقبل .

« في بداية تعلمي الكتابة ، شعرت ذات مرة بشعور عارم يغمرني فسطرت بضع كلمات شبه مسجوعة، عجبت لها ومنها فقد كانت مختلفة متميزة عن الحديث اليومي والكلمات الانيقة . اعدت نسخها في خط انيق بعد ان شذبتها ، كنت حينذاك أسير جوى عميق ، سجين شعور ما كنت شعرت به من قبل البتة ... اخذتها الى والدي ، كانا في غرفة الطعام غارقين في حديث من احاديثهم هذه التي كانا يهمسان بها همسا وبصوت خفيض جدا ، احاديث تفصل اكثر من نهر بين عالمين ، عالم الصغار وعالم الكبار . وكان ذاك الحديث على ما يبدو خاصا بعالم الكبار . مددت لهما الورقة ذات السطور ، وكنت ما زلت ارتعد من هول زيارة الوحي الاولى ، تناولها والدي وهو ساه غافل ، فقرأها وهو ساه غافل ، اعادها لي وهو ساه غافل ، ثم قال :

— من أين استنسختها ؟

وتابع حديثه مع امي في صوت خفيض عن شؤونهما العاجلة والاجلة . هكذا ولدت اولى

قصائدي وهكذا تلقيت اولى عينات النقد الادبي الغائل الساهي » .

مدخل الشعر هذا يبقى ناقصا اذا لم نضف اليه ، حب الطبيعة الذي يبلغ حدا كبيرا ، ينظر نيرودا الى الطبيعة بوصفها امتدادا للانسان . هكذا تصبح الاشجار والنباتات البرية والحقول والادغال وحدة كونية كبرى ، يقف الانسان في وسطها ، ابنا لها ، وطفلا يتدرج في محبتها . نكتشف في هذا الكتاب جميع انواع النباتات التي تحفل بها جبال تشيلي الجميلة والتي في منحدراتها ، كتب نيرودا قصة هربه من الطغيان بعد طرده من البرلمان ، ثم لاجلها ، كتب اجمل قصائده .

يقود هذا الوله بالطبيعة الى وله آخر . حب السفر الذي يؤمنها منصب دبلوماسي يحصل عليه الشاعر ، نتيجة شهرته الشعرية المبكرة . في رانغون وسنغابور ، في مدن الهند الداخلية ، يكتشف نيرودا الانسان المسحوق . انسان الشرق الذي تستعبده الامبريالية وتمارس سحق روحه الثورية . هنا يصبح نيرودا مناضلا ديمقراطيا . يزداد احساسه بالظلم الاجتماعي والسياسي الذي يمارسه الامبرياليون . لكنه لن يصبح ثوريا الا في اسبانيا ، حيث عين قنصلا في مدريد . هناك سيلتقي بلوركا والبرتي وسيعاين سقوط الجمهورية الاسبانية بيد الكتائب الفرنكوية الفاشية . وسيكتب ديوانه الجميل « اسبانيا في القلب » .

في اسبانيا ، بدأت صداقة نيرودا ولوركا ، لتنتهي بمرثية كتبها نيرودا بعد مقتل صديقه الشاعر الاسباني الجميل : « وأي شاعر ! ابدا لم أر شاعرا مثله اجتمعت فيه اللطافة والعبقرية ، القلب المجنح والشلال الشفاف . لقد كان فيديريكو غارثيا لوركا العبقري المسرف في وحيه والهامه ، بؤرة الفرح التي تشع كالكوكب بسعادة الحياة . كان نابغة وفكها ، كونيا وريفيا ، موسيقيا فذا ، ممثلا رائعا ، فزعا ومعتقدا بالخرافات ، لامعا ونبيلا ، كان خلاصة اعمار اسبانيا وعهودها ، صفوة الازدهار الشعبي ، نتاجا عربيا — اندلسيا ينير ويفوح مثل أيكة ياسمين على مسرح اسبانيا ، كان كل هذا ... »

كان مقتل لوركا المفجع ، علامة على الزمن الفاشي الذي يسحق الثقافة ويقتل الكادحين بهمجية . لذلك كانت الثورة الاسبانية ، ثورة جنود الجمهورية والفصائل الاممية تحمل النقيض الفعلي للدمار الفاشي . هكذا ولد ديوان نيرودا « اسبانيا في القلب » طبعه الجنود في الجبهة بعد أن صنعوا ورقه بشكل حرفي وحملوه على اكتافهم في رحلة الهزيمة الى فرنسا . هذا المعنى ، الذي يقدمه الجنود في الصف الامامي من القتال ، يؤشر الى الدور الذي يستطيع الشاعر ان يلعبه في مراحل التوهج الثورية ، حين تصبح كلماته ، سلاحا آخر في جبهة القتال .

في لهب اسبانيا ، تعمدت الثقافة الغربية بأسرها في دماء الشعراء والعمال . وأصبح الانحياز السياسي والطبقي عنوان مرحلة ثقافية كاملة . وفي هذا اللهب خرج نيرودا مناضلا في صفوف الطبقة العاملة ، ليلعب دوره بوصفه شاعرا ومناضلا أمميا . هنا نتعرف مع نيرودا على العالم بشكل جديد ، من خلال العلاقة بالادباء الثوريين في الخارج . كما نتعرف على التشيلي بنضالات عمالها ، ويدور الشاعر بوصفه نائبا في البرلمان ، لاكثر قطاعات تشيلي فقرا . حتى نصل الى النهاية المفجعة ، الى تجربة الوحدة الشعبية التي أنهاها الفاشيون حين قصفوا قصر الرئاسة ، وقتلوا اليندي : « لقد كان لهم ان ينتهزوا هذه الفرصة النادرة ، كان لا بد من افراغ الرصاص من الرشاشات في جسده فهو لن يتخلى ابدا عن منصبه . فدفن ذلك الجسد سرا في مكان ما . لقد مضى ذلك الجثمان الى اللحد لا يصاحبه الا امرأة واحدة وحيدة تحمل في نفسها الم العالم كله ، ان تلك الشخصية المجيدة كانت تمضي وهي مخرقة برصاص رشاشات عساكر تشيلي الذين خانوا تشيلي مرة اخرى » .

وبعد ايام قليلة سوف تطوى حياة نيرودا ، وينتهي هو الاخر الى جانب صديقه ، في جوف الارض ، تاركين تشيلي مرة اخرى للعصبة الفاشية ، لكنهما يتركان هذه المرة تجربة غنية لعرس الموت الجماعي ، الذي سوف يدشن بداية ثورية جديدة .

نخرج من مذكرات نيرودا ، من مأساوية النهاية ، لنكتشف البداية . هذا الوله الغريب بالحياة . حب الحياة بشكل جنوني ، هو القوة السحرية التي جعلت من هذا الشاعر احد عناوين عصرنا . يقذف نفسه الى بحر الحياة بلا خوف ، يعارك الموج ،

ينتصر وينهزم ، لكنه يحافظ على ايقاع الطبيعة داخل ايقاع دمه . هنا يشمخ الشاعر ويستطيل ، حتى يصبح عنوانا لفصل خاص من فصول اللغة . « انا امضي أعمل بالمواد التي أملك والتي هي انا . اني التهم كل شيء : المشاعر ، المخلوقات ، الكتب ، الاحداث ، المعارك ، لو استطيع لاكلت الارض كلها ولشربت البحر جميعه » .

داخل هذا النزق يضحك الشاعر ، يسكر ، يلتقط النباتات والحيوانات البحرية ، لكنه يكتشف في غمرة هذا الحب ، ان الحياة حين تفصلها البرجوازية على حجم قامتها ، تصبح ضيقة وبحاجة الى تهديم واعادة بناء . هذا هو سر انتمائية اجمل شعراء عصرنا . انهم وهم يرسمون على اوراقهم خريطة ذواتهم ، يكتشفون ان الحدود التي تفرضها البرجوازية على العالم ، تقتل الخيال ، وتحيل الانسان الى سلعة او الى جثة . تفرض الخيار بين السلعة والجثة ، لكن الشاعر يختار شيئا ثالثا ، يختار هدم العالم القديم ، تغييره بالكلمة والممارسة . في نقطة التناقض الداخلي هذه انتجت البرجوازية الغربية اجمل ادبها الحديث ، وانتجت الطبقة النقيض التي ستغير العالم . هكذا يصبح الاختيار الثالث انتماء طبقيا وسياسيا ، ويصبح الشعر في اكثر لحظاته فردية نشيدا جماعيا لعالم يولد من الانقاض . ما نقوله هنا لا علاقة له بالبرامج السياسية او بالظروف المرحلية ، انه يرتبط فقط بالاختيار التاريخي الاساسي الذي كان نيرودا شهادة عليه .

« اجيب على سؤال آخر وجهه الي الصحفي . كما فعلت في السنوات الاخرى فانني سأنشر كتابا جديدا في الثلاثمائة وخمسة وستين يوما . انا متأكد من ذلك . اني أداعب الكتاب ، ازعجه ، اكتبه كل يوم .

— ماذا تعالج فيه ؟

ماذا أستطيع أن أجيب ؟ يعالج دوما في كتبي الموضوع نفسه ، دائما اكتب الكتاب ذاته . فليغفر لي أصدقائي ان ليس ما اقدمه لهم في هذه المرة الجديدة في هذه السنة الجديدة الا اشعاري ، الاشعار الجديدة ، الاشعار نفسها . »

بهذه البساطة ، يجيب نيرودا على أكثر الاسئلة الادبية صعوبة . ما هو موضوع الشعر ؟ الموضوع نفسه ، انه الشعر . ان النقد الخارجي الذي يقف بعيدا عن الشعر — الممارسة ، يغرق نفسه في بحث هذه المسألة : موضوع الشعر . فلا علاقة للشعر بمسألة تطرح من خارجه . موضوع الشعر هو الشرارة الخارجية ، الملاحظة البسيطة أحيانا ، التي تشكل عالما داخليا متكاملا . انه شرارة فقط ، لان القصيدة العظيمة هي كل المواضيع دفعة واحدة . لا تتوقف عند التفاصيل الا بوصفها دلالات : تأخذها وتعيد صياغتها في عالم رؤيوي جديد . هكذا لا تكون القصيدة واقعية الا بهذا المعنى . أما التبسيط الواقعي الذي ينتقده نيرودا في مذكراته ، فانه تحويل للشعر الى مجرد مادة دعاوية تستخدم الاوزان ، لتعيد انتاج العالم القديم الذي يفترض بها تغييره من داخله ، واقتراح بدائله . ثم يروي لنا نيرودا ، صفحات جميلة من معاناته الشعرية . وخاصة معاناته مع صغار النقاد . هذه العلاقة التوترية التي عاناها جميع الادباء الكبار ، لانهم احيطوا بعالم قديم لا يفهم ولا يريد أن يقبل موته ، تأتي هنا بلغة تمزج المرارة بالفكاهة . تتوقف عند موت مياكوفسكي الفاجع ، لتكتب أهجية النقد الذي لا يواكب الشعر ويسيء فهمه . « لقد قذفت بنفسي الى الحياة وانا اكثر عريا من آدم لكنني كنت مصمما على المحافظة على طهارة شعري . لم يكن هذا الموقف غير المزحزح نافعا لي فقط بل كذلك اهدف منه ان يردع التافهون الاستهزاء من الشاعر . فكان هؤلاء التافهون ، أن كان لهم قلب وضمير ، يستسلمون امام شعري القيم وما يوقظه فيهم من معان انسانية ، وأما الذين هم اشرار فقد بدأوا يتخوفون مني » . هكذا وبكبرياء الفنان الذي يختزل في لغته طموحات مرحلة شعرية كاملة ، يحل نيرودا هذه المسألة . لا يسقط ولا يستسلم . يكتب شعرا كثيرا ، يمتحن حبه لشعبه بالكتابة ، ولا يسقط أمام اغراءات الخيانة . يقبل جائزة نوبل دون أن يتنازل عن حرف كتبه . ترتفع هامته وهي مجللة بالكلمات ولا تنحني الا لتلتقط حبات تراب الوطن الذي أحب .

غير ان نيرودا ، يحل مسألة جماهيرية الشعر ، بشكل يبدو لنا سريعا ومبالغا فيه . فهو حين يرفض الواقعية ، « اني امقت الواقعية حين يتعلق الامر بالشعر . وأكثر من هذا ليس هناك ما يفرض على الشعر ان يكون فوق الواقعية او تحت الواقعية

لكن يمكن له ان يكون ضد الواقعية . وهذا الامر الاخير ، بالمعقول كله وباللامعقول جميعه ، اي بالشعر » . يؤكد على ضرورة العلاقة الواسعة بين الشاعر وجمهوره . يبسط هذه العلاقة في اقاصيص يرويها عن تجاربه الشخصية وعن علاقاته بقرائه . هذه الظاهرة التي تبدو لنا تبسيطية ، تعبر في الواقع عن احتمالين مترابطين : فهي من جهة اولى تشير الى المدى الذي يستطيع شاعر القضية ان يتحرك داخله ، حين يصبح في مرحلة ما ، صوتا فنيا لمرحلة كاملة . وهذه هي حالة نيرودا . فهو صوت الشعر التشيلي الاساسي ، لانه لخص في شعره البساطة الى جانب الحلم ، داخل قضية الشعب . كما انها تشير من جهة ثانية الى ظاهرة ثقافية عامة . ظاهرة الدور الثقافي الذي لعبه شعراء وادباء الطبقة العاملة في الثقافة الغربية بوصفهم مؤهلين وحدهم لحمل اجمل عناصر التراث الثوري الثقافي البرجوازي ، ودمجه بتطلعات ثقافية تحملها الطبقة العاملة . فالثورة ، هي محاولة الطبقة الثورية انقاذ المجتمع بأسره وهذا يتضمن بالضرورة انقاذ تراثه الثقافي . هذا ما يفسر دور اراغون وايلوار وغيرهما في الثقافة الفرنسية الحديثة . هنا بالضبط يقع صوت نيرودا . انه آخر ادباء الطبقة العاملة « النبلاء » الذين حاولوا مخلصين ، انقاذ تراثهم وتاريخهم ومجتمعهم بالثورة . لكن محاولتهم الابداعية ، اصطدمت بحائط مسدود ، فأتت الثورة من مكان اخر . وجاء الصوت الفني الجديد لا لينقذ ، لانه لا يقوم على تاريخ متواصل بل ليؤسس . هكذا تنفجر اليوم الثقافة الغربية الثورية . لانها تعيش في مجتمع ينفجر ولا مخرج له الا بالاختيار الذي رسمه نيرودا ورفاقه . وهذا الاختيار يصطدم بصعوبات كثيرة . لذلك لا تطرح المسألة خارج دائرة الثقافة الغربية بمثل الوضوح الذي يطرحها به نيرودا ورفاقه الشعراء . انهم لا يبسطون المسائل ، لكننا في المقابل لا نعقدها . نحن وهم وجهان لمسألة واحدة.

في اللحظات الاخيرة ، كان الفاشيون يمزقون الكتب واثاث المنزل ، فيما كان الشاعر نائما بهدوء في سريره . لقد رسم الطريق ، وهم ، البرجوازيين الفاشيون ، يقتلون الثقافة ويدمرون انفسهم . لذلك كان موت نيرودا شهادة لزمن قادم . زمن الجماهير التي تكتب الشعر لانها تكتب صفحة جديدة من تاريخ العالم .

مأزق النقد الاكاديمي

يشكل النقد الاكاديمي ، اكثر مناطق الحركة النقدية العربية بروزا . فمنه خرجت أهم المدارس النقدية التي طبعت الادب العربي بطابعها المميز في هذا القرن ، طه حسين ، محمد مندور ، لويس عوض ، احسان عباس ... لكن هذا النقد كان يواجه دائما بصعوبة تكونه في العلاقات الداخلية التي تحكم البناء الاكاديمي العربي ، حيث تنمو الروح المحافظة التي تقف بوجه كل جديد . واذا كان كبار النقاد الاكاديميين قد استطاعوا بنسب متفاوتة كسر رتابة الجمود الجامعي، ودفعوا مقابل ذلك الكثير ، فان هذا لا ينسحب بشكل مطلق على جميع الدراسات الاكاديمية ، التي تبقى ممثلة اخلاصا لاصالة ليست اكثر من خليط عجيب لمدارس نقدية متفرقة ، اخذت بنتائجها وليس بمقدماتها .

واذا أخذنا الدراسات النقدية الفلسطينية كنموذج ، فاننا نجد ان نقد الصوت الادبي الفلسطيني ، لا يزال في مجمله أسير انطباعية نقدية فرضها توسع الصحافة السريع ، وتحول الموضوع الفلسطيني الى موضوع اساسي يشغل القارىء العربي بعد ولادة الثورة المسلحة . وتحاول بعض الدراسات المتفرقة الخروج على هذه الانطباعية ، بمحاولة دراسة الصوت الادبي الفلسطيني ككل . وحتى الان لا يوجد نماذج لهذه الدراسات الجامعة الا في محاولات الكتب الاكاديمية

---

* د. عبد الرحمن الكيالي : **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٥ .

د. عبد الرحمن ياغي على وجه الخصوص ، اقامة بناء متكامل للادب الفلسطيني او في بعض الدراسات النقدية المتفرقة التي تحـــاول تأسيس نقد ادبـــي يقترب من العلمية .

كانت هذه المقدمة السريعة ، ضرورية لمناقشة كتاب د. عبد الرحمن الكيالي ، **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين** . لان هذا الكتاب هـو محاولة اكاديمية جديدة لدراسة الشعر الفلسطيني منذ بداياته وحتى اليوم . ولقد بذل الكتاب جهـدا تجميعيا هائلا ، لجمع عناصر الشعر الفلسطيني منذ بداياته . دواوين شعرية ، مخطوطات غـير منشورة ، رسائل شخصية ، اتصالات ... وخرج بحصلة هامة لجميع الشعراء الفلسطينيين ، بشتى مدارسهم وبمختلف قيمتهم الفنية . لكن هذا الجهد ، وظف من خارجه ، اي وظف بالموضوعة السياسية التي تحكم عنوان الكتاب ـــ نكبة فلسطين ـــ ولم تتحول هذه الموضوعة الى عنصر داخلي في استقراء الشعر ونمذجته ودراستـه . ان الموضوعـة الخارجية ، هي موضوعة النقد الاساسية . فالنقد لم يجد تبرير وجوده التاريخي ، ودوره المتميز في الحقل الادبي ، الا لانه يستطيع ان ينقل تجربة الابداع الخاصة من دائرتها الى الدائرة الادبية العامة . فتصبح دراسة الاثر الادبي النقدية مدخلا الى تحليل جميع الاثار الادبية ، وربطها ببعضها ، تمهيدا لوضعها داخل مستويي الممارسة : المستوى الايديولوجي العام ، وعلاقة هذا المستوى بحقل الممارسة الاجتماعية . فموضوع النقد اذن ، يأتي أساسا من خارج العمل الادبي ، مـن ضرورة اجتماعية وفكرية مختلفة عـن مكونات العمـل الابداعي نفسه . لكن نقطة الانطلاق هذه ، لا تعني ضرورة بقاء العمل النقدي خارج العمل الابداعي . انه داخله وخارجه في آن : داخله ، لانه يلتقط مفاصله الاساسية ، يدرس بنيته الداخلية ، شكله وموضوعاته ، لغته وايقاعه . حتى يستطيع ان ينتقل الى الخارج : حيث تتم هذه التجربة الخاصة داخل حقل التجربة الادبية العامة ويجري ربطها بحقل الممارسة الاجتماعية . هذه العلاقة المعقدة التي تشير اليها الممارسة النقدية ، تعني تجاوزا لنقطة الانطلاق الى حقل ممارسة واسعة ، تعيد صياغة موضوعات العمل الادبي بشكل جديد ، ولا تقع أسيرة الموضوع الخارجي ، الذي يصبح جزءا من سوسيولوجية الادب ، أي من المرحلة الاخيرة في دراسة العمل الادبي .

نقد الموضوعات Critique Thematique : اذا اخذنا كتاب د. عبد الرحمـن الكيالي في بنيتـه العامة ، فاننا نجده يقسم دراسته الـى ثلاث مراحل : ١ ـــ مدخل الى الشعر الفلسطيني في مرحلة الصراع الوطني : حيث يعالج الشعـر الفلسطيني قبل النكبة والدور الـذي لعبه . ٢ ـــ في مرحلة النكبة : حيث يعالج الاصوات الشعرية التي خرجت بعـد النكبة ومحاورهـا الاساسية . ٣ ـــ شعر المقاومـة في الوطـن المغتصب : حيث يعالج الشعر الفلسطيني القادم من خلف اسوار الاحتلال الاسرائيلي . ان هذا التقسيم يأخذ في اعتبـاره عاملين اساسيين : الشروط التاريخية العامة التي تحكم وضع الشعب الفلسطيني ، وتعاقب الاجيال الشعرية الفلسطينية . وهو نمذجة ممكنة ، لكنها تتجاهل محورا رابعا في الشعر الفلسطيني ، وهو شعر المخيم الذي ولد فعليا بعد الثورة الفلسطينية . فالمؤلف يدمج هذا المحور بالمحور الثاني ولا يتكلم الا عن شاعر واحد منه هو القيسي . وهذا تعسف نقدي ، لا يشفع به الطابع الاكاديمي الذي للكتاب ، اذ يتجاهل الكتاب مجموعة كبيرة من الشعراء الفلسطينيين : أحمد دحبور ، عزالدين المناصرة ، وليد سيف ...

اذا درسنا هذه النمذجة بشكل تفصيلي ، فاننا نجد الى جانب المقدمة التاريخية العامة في مطلع الكتاب ، نمذجة لكل محور الى عدة موضوعات . فيقسم المحور الاول الى اربعة فصول : الوطن القومي الصهيوني . الجبهة الوطنية الداخلية . المقاومة الوطنية والثورة المسلحة . الدراسات الادبية . وكل فصل يقسم بدوره الى موضوعات . ان النقطة الاساسية التي يثيرها هذا التقسيم هو الموضوعات الخارجية ، وهي موضوعات سياسية ، تجري نمذجة الشعر على اساسها ، **فيصبح النقد مجرد نثر للنص الشعري** . لا يضيف اليه شيئا ، ولا يتوقف الا عند نقطته الايديولوجية . أي يجري اختيار الموضوعات السياسية من داخل القصائد ، ثم تنثر القصائد على اساس هذه الموضوعات . حتى نصل الى الفصل الرابع : الدراسات الادبية . حيث نبدأ بمقدمة صغيرة تدرج الشعر الفلسطيني داخل الشعر العربي وتؤكد على اهمية تصيدة

طوقان « الثلاثاء الحمراء » ، بوصفها كانت فتحا جديدا وظاهرة تغير شعري ملموسة » . ثم تكشف عن مصدري التأثير في الشعر الفلسطيني: الواقعية والرومانسية ، لتعود الى تلخيص الفصول السابقة بما تسميه « اغراض الشعر الفلسطيني في مرحلة الانتداب » . ثم يفرد صفحة واحدة لما يسميه « الشكل والملامح الفلسطينية » .

يقود هذا المقترب النقدي الكتاب بأسره الى مأزق لا مخرج منه . فتحويل الشعر ، وهو بناء فني اساسا ، الى مجرد عنصر ايديولوجي وحيد الجانب ، يسحق الشعر ، ويحوله الى مجرد اطار ايديولوجي، لذلك يتحول النقد الى راصد خارجي، ويجري الفصل التعسفي بين الشكل والمضمون . يأتي هذا الفصل من منظور نقدي يرفض النقد العروضي والبياني ، يستبدله بدراسة الشعر من خلال موضوعاته . لكن هذه الموضوعات لا تستخرج من بنية القصيدة او من علاقاتها الاساسية ومناطق تركيزها ، بل تجري استعارة الموضوعات من اللغة السياسية المباشرة ، ويصبح النقد مجرد تنويع على هذه اللغة يسقط موضوعاتها الشعر ، فيقوم بنثره . وكأن الشكل الفني ، القصيدة ، ليس أكثر من عرض ، لجوهرها : مضمونها . هكذا تمحي الفوارق بين المستويات ، وتصبح اللغة ، وحيدة الجانب ، وتتحل دلالة اللغة الفنية الى دلالة واحدة ، هي الدلالة السياسية المباشرة.

ان هذا النقد الذي نوجهه للمقترب النقدي لكتاب الكيالي ، لا يقلل من قيمته ، كأثر تجميعي تحتاجه المكتبة الفلسطينية . لانه يقدم وثيقة كاملة للتيارات الايديولوجية التي حكمت الشعر الفلسطيني . غير ان نقدنا ، ينطلق من كون نقد الموضوعات ، يستطيع ان يتمحور داخل القصيدة، ليكشف بنيتها واسلوبيتها من خلال كشفه لموضوعاتها الداخلية . اذا اخذنا قصيدة السياب « انشودة المطر » . فاننا اذا تبعنا منهج الكيالي فاننا ندرسها من خلال محورين : ١ ــ مقدمة عامة للوضع السياسي والاقتصادي الذي كان يعانيه العراق . ٢ ــ ثم نثر أبيات القصيدة تحت عناوين : القرية ، الموت ، الجوع ، المطر ... هكذا يفتت جسد القصيدة، وتصبح نصا سياسيا ــ اجتماعيا ، كأي دراسة جيدة عن الوضع في العراق . اما اذا درسنا موضوعاتها الداخلية ، فاننا سنأخذ موضوعة الخصب ندمجها بالتضاد الذي تحفل به القصيدة ، لتتوقف عند الموت بوصفه النقطة المفصلية التي توحد الجدب بالمعاناة الجماعية . هكذا تصبح الموضوعات مدخلا الى دراسة بنية القصيدة وكشف اضافتها الفنية على الشعر العربي الحديث . قد يكون النموذج الذي نقترحه سهلا ، لان قصيدة السياب تنتمي الى مدرسة شعرية اخرى وتسهل مناقشتها بالمقاييس التي نقترح. لكن اذا اخذنا قصيدة طوقان « الثلاثاء الحمراء » او « الشهيد » فانه يمكن مناقشتها بالمقترب الذي نقترح . اذ تؤخذ الموضوعات الداخلية . الموت في « الشهيد » لتجري مناقشة تعبيراتها المختلفة حتى نصل الى بنية القصيدة .

ان نقد الموضوعات ، اذا لم يندرج داخل علاقات القصيدة الداخلية، فانه يقوم عمليا بالغاء المستوى الفني . يكتفي بنثر القصيدة واسقاط معان وحيدة الجانب على لغتها . حتى تصبح القصيدة مجرد كتابة ايديولوجية لا علاقة لها بالشكل الفني الذي هو سبب وجودها كقصيدة . لذلك يجب الفصل بدقة بين المستويات ، تمهيدا لاعادة ربطها ببعضها جدليا عند دراسة علاقتها بحقل الممارسة الاجتماعية . هذا الفصل الذي نقترحه هو الذي يميز الدراسة الادبية عن علم الاجتماع السياسي . فمادة الدراسة الادبية هي النص بمستوياته المختلفة . اما علم الاجتماع السياسي ، فهو علم مستقل ، قد يستخدم دراسة النصوص في سبيل تأكيد حقل دراسته الاساسية .

الشعر الفلسطيني والشعر العربي : لا يمكن دراسة الشعر الفلسطيني بمعزل عن الحركة الشعرية العربية . يأتي افتراضنا هذا ، من وحدة الزمن الثقافي والادبي العربي في العصر الحديث . « فالنهضة » بمركزيها مصر ولبنان ركزت على مفاهيم ابعاث ادبية طبعت الحركة الشعرية الحديثة بطابعها . هكذا لا يمكن تجزئة الحركة الشعرية العربية جغرافيا ، كما جرى تقسيم الوطن العربي جغرافيا . ان هذا يعني وحدة مفهومية للمدارس الادبية التي عصفت بالشعر الحديث . وهذا لا يمنع بالمقابل بروز خصوصيات لشعر الاقطار المختلفة نتيجة ظروف سياسية مختلفة . لكن هذه الخصائص لم تنتج مدارس فنية متميزة . نوعت ضمن تطور المدارس الادبية

العربية . هنا مصدر الخطأ الذي يقع فيه النقد حين لا يدرس الشعر الفلسطيني بوصفه جزءا عضويا من الحركة الشعرية العربية . فكيف يمكن مثلا فهم الاتجاه الكلاسيكي الممزوج بالسخرية في شعر طوقان ، اذا لم نربطه بالتأثر الواضح بشوقي وباتجاهه الشعري الكلاسيكي . وكيف يمكننا فهم دخول القصيدة الحديثة ، قصيدة وحدة الموضوع والتفعيلة الى الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة دون حدوث معارك ادبية كبيرة كالتي شهدها المشرق العربي في الخمسينات ، اذا لم تكن هذه القصيدة انعكاسا لمفهوم رسخ اقدامه في الخارج . وكيف يمكن دراسة بنية القصيدة عند محمود درويش دون ربطها بمراحل مختلفة لتطور القصيدة العربية المعاصرة : قباني ، السياب ، البياتي ، ادونيس . فقصيدة درويش هي محاولة لاختصار تاريخ الشعر العربي المعاصر في لحظة شعرية غنية واحدة . هذا الارتباط العميق الذي يجعل من الشعر الفلسطيني شعرا في زمن الشعر العربي المعاصر ، لا يلغي خصوصيته ، هذه الخصوصية التي تنبع من المكان ، ومن اشكال صدامية فرضت على شعب بشكل خاص — الاقتلاع من الارض — مما اعطى لهذا الزمن الشعري اطارا نضاليا خاصا . فأصبح الشعر الفلسطيني هو المدخل الى توحيد جميع العناصر الفنية في بؤرة نضالية تعيد تكوين دور القصيدة .

هذا النمط من الدراسة ليس غائبا عن كتاب الكيالي بشكل كلي . لكنه لا يأخذ حجمه الفعلي ، نتيجة ضيق المساحة التي يفرضها اطار الدراسة النقدية في هذا المجال . فالنكبة عام ٤٨ ، ليست حدثا فلسطينيا فقط . فلقد كانت العامل المباشر في حدوث الانقلاب البرجوازي في حياتنا العربية . ولعبت دورا بالغ الاثر في جميع تيارات التحديث الثقافية ، ومن ضمنها تيار ما اطلق عليه « الشعر الحديث » . لذلك تصبح دراسة الحركة الشعرية الفلسطينية بشكل مستقل ، عملا ناقصا ، لاننا حين نهمل العلاقة العضوية بالشعر العربي ، ونختصرها الى مجرد التفاتات عابرة ، فان النقد يسقط في شرك الوهم الايديولوجي الذي يركز على الطابع الفلسطيني الخاص في كل شيء .

القصيدة : ان المنهج النقدي الذي حكم دراسة الكيالي ، قام عمليا بالغاء القصيدة كمفهوم . اذ أنه فرض تفتيت القصيدة الى أبيات تخدم دراستها من خارجها اي دراسة اغراضها . واذا كان هذا المنهج ممكنا في دراسة القصيدة العربية القديمة التي تستند الى وحدة البيت الشعري (رغم ان هذه القصيدة تحمل بنية خاصة بها ومليئة بالدلالات) . أما في دراسة القصائد الحديثة والمعاصرة التي تستند الى وحدة القصيدة ، فان هذا المنهج ، يقودنا الى تدمير مفهوم القصيدة ، ويصبح النقد الادبي ، مجموعة تنويعات على مضامين جرى خلعها من سياقها . ان الانجاز الاساسي الذي قدمته الحركة الحديثة هو القصيدة كمفهوم . أي القصيدة كوحدة عضوية تتناوب فيها الدلالات ، وتقيم علاقات داخلية ، تحول الشعر من مجرد لحظات متفرقة الى حالة متكاملة . عند دراسة القصيدة ، يجري ربط الشكل بالمضمون في وحدة متدرجة ، لا تدمجهما بشكل اعتباطي ، لكنها تكشف دلالاتهما وعلاقاتهما ببعضهما . وهذا ما نفتقده في هذا الكتاب . فلقد قام المؤلف بالغاء القصيدة ليؤكد على **دور الشعر** . ومفهوم دور الشعر هو مفهوم مبسط رغم انه في الحالة الفلسطينية بالغ الوضوح ، اذ انه قد يقود الدراسة الادبية الى التركيز على الشعر من عناصره الخارجية . أي على المدلول مع حذف الدال . وهذا يقود إلى منزلق آخر . اذ ان العوامل التي تتحكم بالمدلول ليست هي نفسها عوامل الدال . فبنية القصيدة قد تقدم مدلولات مختلفة في شروط اجتماعية مختلفة ، لكن عناصرها الداخلية تبقى واحدة . يقودنا هذا المفهوم الى ضرورة مناقشة اللغة الشعرية بوصفها العامل الاساسي الذي يحكم بنية القصيدة .

يندرج المجهود الكبير الذي بذله د. كيالي ، تحت باب آخر ، انه اضافة جدية الى ما سنطلق عليه اسم النقد الوثائقي ، الذي يقوم انطلاقا من موضوعة معينة ، بتوثيق الشعر على اساسها . وهو بهذا المعنى ، كتاب هام يضيف الى المكتبة الفلسطينية معلومات جديدة وشبه ملموسة عن تاريخها الشعري . وهو بذلك يسمح بالانتقال من التوثيق الى النقد الفني . هذا الانتقال هو الذي سيقوم بعملية الدراسة المعقدة للاضافات التي قدمها الصوت الفلسطيني الى شعرنا العربي .

ان النقد الجديد ، النقد الداخلي ، هو المؤهل

ان يقوم بهذا الدور . وهو بهذا لا يقوم بعملية الغاء اعتباطية لما سبقه . يقوم بعملية انقطاع منهجية ، تسمح له بأن يعيد دراسة موروثنا الادبي بشكل جديد . وعلى ضوء التطورات الواقعية والثقافية التي عصفت بمجتمعنا .

الكتابة الانقلابية !!

ربما كانت الكتابة على أدب نزار قباني انطلاقا من كتابه النثري الجديد « الكتابة عمل انقلابي ». مدخلا جزئيا لا يستطيع استيعاب تجربة احد اكثر شعراء العرب رواجا . فنزار قباني قد ادخل الى الشعر العربي الحديث لهجة مختلفة تقف بين الماضي والمستقبل في لغة بالغة البساطة والشعبية، تحافظ على بريق الكلمة الشعرية ، وتدمجه بأحد امكانيات التحرر — قضية المرأة والحرية الجنسية. شاعر اوقف حياته الشعرية على نفس المقترب الفني ، ضمن قاموس ضيق ، لا يمل من تكراره . لكنه ادخل في المقابل صوته الخاص الى خريطة الشعر المعاصر الذي يجمع الرومانسية الى أحلام البرجوازي الصغير في التحرر والانعتاق . الاهمية الاساسية التي لقباني في أدبنا الحديث ، هي لغته الخاصة ، لغة الموسيقى التي تجمع عناصر كلاسيكية الى عناصر حديثة ، لتقدم خليطا متميزا لاحلام التحرر والانعتاق . وهو بهذا المعنى ليس اديبا محافظا بشكل مطلق ، كما انه في المقابل ليس اديبا تقدميا . انه نقطة الوسط . يثور عليه المحافظون ، لانه يفضحهم ويرفضه التقدميون لانه يبشر بحرية كاذبة . والاهم من ذلك أن جمهوره يحبه . وانه يستطيع ان يلعب بلغته نفسها ، يعيد القصيدة الواحدة عشرات المرات ، دون ان يمل أو يرفض . أهم ما في لغته الشعرية عنصران :

البساطة : التي تجمع اللغة الكلاسيكية الى طراوة المدينة . فقباني هو شاعر المدينة الاساسي في الشعر الحديث . ينوع على اللغة الكلاسيكية، بالايقاع الجديد ، فتأتي قصيدته دائما طازجة ، فيها الطرافة الى جانب فكرة واحدة تدور حولها القصيدة . هذه البساطة غير المفتعلة ، هي تعبير عن تمرس طويل بأصول العربية ، وبقدرة اللغة على الانحناء . فتأتي لغته منحنية ، لا أثر فيها للنتوءات المتوترة التي نلاحظها في اكثر الشعر الحديث . بساطة هذا الشعر هي انعكاس لضيق رقعة تجربته ، فهو يقف على ارضية الشعر الغزلي ، ليلتقط منه مواد اساسية يعيد صياغتها على ضوء المعطيات الواقعية. فتأتي قصيدته وكأنها صوت البرجوازي الدمشقي الصغير وهو يبحث عن مكان لحبه وكبته في مجتمع لا تزال تقوده القيم القديمة . هذا النزوع الى نوع من التحرر يسكب في صيغة تأخذ من التجربة الشعرية المعاصرة بساطتها لتعيد كتابتها على ايقاع الشعر القديم . تتوحد القصيدة دون ان ينكسر العمود الشعري . هذه الصيغة التوفيقية التي انتجتها اسلوبية قباني ، استطاعت عبر لجوئها الى **الايقاع** الخارجي والصورة البسيطة بجميع اوجهها — تشبيه ، استعارة — والتي تبقى بسيطة مهما اخذت من اوجه لانها تقيم علاقة بين عنصرين واضحين ، يخدمان كتأكيد لدلالة نقطة انطلاقها ان تقيم قصيدة متمايزة . هكذا أتت القصيدة النزارية وكأنها تخرج من ذاكرة بعيدة وكأنها بلا ذاكرة في آن . انها نقيض ما يسمى بعصور الانحطاط من حيث الشكل ، دون ان تدخل قضيته الى الشعر العربي فعليا . نوعت على القضية الازلية — الحب — وألبستها لباسا اجتماعيا معاصرا .

الموضوع الواحد: الحب الذي لا ينفذ (لا يوجد فعليا موضوعات تنفذ) . يجيب هذا الموضوع على تطلعات جيل جديد (نحن في الخمسينات) بدأ يعي التناقض بين نمط حياته المديني — الذي غزاه الانتاج الرأسمالي — وبين الافكار السائدة في مجتمعه . عند نقطة التناقض هذه ، استطاعت القصيدة النزارية ان تعبر عن طموحات مرحلة . لكنها في المقابل بقيت تراوح عند نقطة واحدة .

نزار قباني : **الكتابة عمل انقلابي** منشورات نزار قباني . بيروت . الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

ففي عصر سقوط الهيمنة الرأسمالية ، عصر الحروب والثورات ، تدمج قضية التحرر بالتحرر العام . او تبقى مجرد انقلاب يريد اجهاض ثورة. اي تبقى مجرد تحرر كاذب ، يتستر بقضية جانبية لكي يخفي القضية الاساسية ، هكذا لم يعرف شعر قباني المرارات الا في المناسبات ، العدوان الثلاثي ، ثورة الجزائر ، هزيمة ٦٧ . وبقي يدور وكأنه فلك مستقل لا يخضع الا لجاذبية تاريخه الشعري . يختفي خلف قدسية الشعر وجماليته الخاصة ، او يرفض هذه الجمالية ، لكنه في قبوله او رفضه لا يطرح قضية فنية . الا قضيته الاولى، جماهيرية الشعر ، انطلاقا من قدرة الشاعر على صياغة موضوعه الجماهيري داخل لغة القصيدة المختلفة .

داخل هذين العنصرين ، تقوم بنية القصيدة النزارية ، ترفض الشكلية لتبقي على الاساس في الشكل القديم . وترفض الجاهز لتقيم هي تقليدها الجاهز. فدخلت قصيدة نزار قباني التاريخ الشعري العربي المعاصر ، بوصفها لحظة في تطور القصيدة العربية . دخلت بانحناءاتها وطراوتها وبكلاسيكيتها الجديدة ، بهدوء . لم تثر نقاشات فنية بقدر ما اثارت نقاشات سياسية واخلاقية . هكذا ينجح الشاعر وتسقط القصيدة. ويصبح نزار قباني ظاهرة شعرية خاصة في مبلغ جماهيريته .

من الفئة الى اللافئة : تخدم هذه الملاحظة التي رفعناها ، كمقدمة لدراسة تفصيلية لشعر قباني ونتاجه . لكنها هنا ، تكشف العنصر الاساسي الذي للغته الشعرية ، أي للعنصر الايديولوجي . واذا كانت دراسة هذا العنصر داخل القصيدة عملية بالغة التعقيد ، فان قباني يكشف لغته ، حين يعيد كتابتها نثرا . داخل ايقاع القصيدة ، تختبيء العناصر الايديولوجية وترفض الظهور ، لذلك تحتاج دراستها الى تفكيك صبور لبنية القصيدة . اما في النثر ، فتتكشف اللغة . تأتي عارية من ايقاعيتها ، لا يشفع بها سوى كلمات ترن في الذاكرة . فتنهار ، تكشف نفسها وتفضح اسرارها .

لذلك كانت قراءة كتاب قباني النثري الجديد عملية ضرورية ، لانها تساعد على الاقل ، في فك دلالات لغته الشعرية . حيث تأتي اللغة محشوة بالبعد الايديولوجي اليومي ، الذي لا تستطيع الافلات منه ، والواقع ان بعض مقالات هذا الكتاب (كان ولدي .. فصار ولدكم ، عن موت البجع والاطفال ، هل احترق بنار الشعر ؟ عيد ميلاد جرح ..) تخرج عن اطار هذه المناقشة ، لانها تنبع من ألم حقيقي ، لا نستطيع سوى احترامه وتقديره .

الاساسي في لغة قباني هو الانتقال الى اللالغة. اي انه يفرغ بشكل منظم اللغة من دلالاتها .تصبح الجملة بلا دلالة حقيقية في الوقت الذي تدل فيه على كل شيء . هذا الانتقال الى اللادلالة ، لا يعني الخروج على اللغة . بل استخدامها من اجل افراغها من مضمونها . تصبح اللغة مائعة وصابونية ، تثرثر ، تقفز من موضوع الى اخر ، وتقول كل شيء ، وترضي جميع الاطراف .

ان عملية الانتقال الى اللالغة ، ليست خاصة قبانية بشكل متميز ، انها تيار عام يجد قاعدته في التصور الخدماتي الصحفي الذي تعانيه « بيروت » بصحفها الكثيرة التي تريد ان ترضي جميع انواع الانظمة ، لذلك لا تقول شيئا . وفي القمع الفكري الذي يمارس داخل اكثر الانظمة، حتى تستحيل اللغة وسيلة تتحايل على نفسها ، تشير الى جميع الدلالات وتترك للقارىء حرية اختيار الاتجاه الذي يريد . لا يعني هذا ان لغة اللالغة هي لغة حيادية . انها لغة بكماء ، لكنها في الوقت نفسه لغة الهيمنة الطبقية بامتياز . اذ انها تقود الى نقطة الفراغ حيث تختفي المقاييس يجد أي شيء تبريره ، هكذا نقفز من مدح هذا النظام الى مدح عدوه . ومن التغني بالمقاومة الى اكتشاف اخلاقية وزير الاردن الذي قدم بيده باقة زهر الى الشاعر ، هذه اليد التي لم تجف عنها بعد دماء الاطفال والمقاتلين في معركة ايلول ١٩٧٠ في الاردن . القفز على حبال الواقع ، هو الوصول الى تبني الشيء ونقيضه في نفس اللحظة . الجلاد والضحية يحاكمان بنفس الروحية . هذه هي لغة اللالغة . انها ليست على الحياد ، لانها تبرىء المجرم من دماء الضحية ، وتضع على عروتها اوسمة مغمسة بدماء الشعب .

تختفي الهيمنة الطبقية الرجعية خلف الصمت . انها تريد نزع سلاح لغة النقد من الشعب ، وتستبدلها بلغة مائعة . حيث تفقد العلاقة بين

الشيء ورمزه اللغوي ، ويضيع القارىء حين تضيع مقاييسه .

« للمرة الاولى .. اشتري زجاجة بترول .. واهديها لحبيبتي .

وللمرة الاولى .. تأخذ حبيبتي الهدية باعتزاز .

وتضع قطرة نفط تحت الاذن اليمنى ..

وقطرة نفط تحت الاذن اليسرى ..

وتشكرني لانني اعدت اليها الثقة بأنوثتها .. واهديتها عطرها المفضل : النفط .

الانوثة العربية ، بعد حرب تشرين ، تخلت عن ادوات التواليت القديمة . الخ .. »

هذا نص نموذجي لما تحويه محاولة قباني الانقلابية !! هذا نثر شعري او نثر شاعري على الاصح ، اي نثر يكتبه شاعر كي لا يقول شيئا يسقط في موضوع ، يريد الخروج منه ، فيستعيد اكثر اشكال الكتابة مباشرة . فيهرب من المباشرة الى الصورة التي تفرض عليك موقفا مسبقا ـ تقدير الدول النفطية ، دون ان نقول هذا بشكل مباشر . تختفي حول شكل شبه شاعري ؟ لتدعونا الى تقدير النفط والتزين به . هذا التحايل على الموضوع هو جوهر النثر القباني ، يأتي الى موضوعه من الخلف ، ليفرض على القارىء قناعات لا تحتاج الى براهين ، وهذه أفضل طرق تسلل الايديولوجية السائدة . او قد يلجأ الى الديماغوجية بشكل اذاعي كما في مقاله « الشركة السورية الفلسطينية للتحرير » .

هناك ميزة اخرى للغة اللالغة هذه . انها تختفي خلف اللغة الثورية ، تدعو الى رفض الذاكرة ، والى القدرة . لكنها ليست ثورة شعراء السبعينات كما انها « ترفض وضع قنبلة موقوتة تحت سرير كونفوشيوس بعد خمسة الاف سنة من وفاته » . انها ثورة « متمدنة » ثورة التطور. لا تحب الغرباء والصعاليك ، وتعتز بالنابغة الذبياني . هكذا تستطيع هذه اللغة اللجوء الى جميع الاشكال الممكنة ، فهي تارة « ثورية » وطورا محافظة . لكنها في الحالتين تحافظ على ثابتها الاساسي : الغاء الدلالة ، والبقاء في فراغ ، حيث تستطيع الايديولوجية السائدة ان تقمع دون رقيب .

ان النصوص النثرية في هذا الكتاب ، ليست اكثر من مؤشرات بالغة الدلالة ، لمرحلة قادمة ، تبشرنا بها القوى المسيطرة . مرحلة الغاء الكتابة الفعلية بتحويلها الى كتابة استهلاكية بشكل مطلق، وهنا تناقضها مع نفسها ، لاجل ذلك تستفيق في بعض النصوص لتعود الى الكتابة ، ثم تنام مرة اخرى في شكلها الحالي .

أما لغة قباني الشعرية ، فهي موضوع شائك واكثر تعقيدا ، لكنها فيما عدا بداياتها وايقاعها الذي اكتشفته في هذه البدايات ، تندرج تحت هذا العنوان الكبير ، الذي يريد افراغ النص من مضامينه الصراعية . هكذا فنحن لسنا امام كتابة انقلابية ، نحن فقط امام محاولة انقلابية ، تريد سرقة شعارات الثورة واجهاضها .

جدلية الوطن

في مجموعته الشعرية الاولى « جدلية الوطن »، يأتي صوت علي الخليلي ، بالغ التواضع والطموح، ليبحث بين الكلمات عن جسد القصيدة. يحاور مأساة شعبه ، يتغلغل داخلها ، ويخرج منها بحصاد قليل ، لكنه حصاد البحث عن لغة واحدة تضم شتات الصور والانفعالات لتسكبها في اطار يوحدها ، ويعيد ترتيب معانيها : في القصيدة . فاللحظة الشعرية ، بوصفها لحظة انفعالية ، يبلغ فيها التوتر اللغوي درجاته القصوى . لا تستطيع ان تتكون خارج شبكة علاقات ، تكون وحدة في الموقف والرؤيا . فشعر المنفى ، الذي تكون كصوت فني خاص بعد هزيمة ١٩٦٧ ، لم يبق عند لحظات بداياته ، بل استطاع بالتجربة والممارسة ان يؤسس ، لحظة رؤيا متكاملة داخل الصوت الشعري الفلسطيني . فقد استطاع بهذا المعنى ، ان يلم شتات لحظاته الانفعالية المتفرقة ويسكبها داخل معاناة المخيم

علي الخليلي : **جدلية الوطن** دار العودة ، بيروت .

الشاملة . فأتى « طائر الوحدات » ، ليرسم بخفقاته ، صوت لحظات تناقض الواقع ، وارتباطها بالحلم الفلسطيني المحمول على دمـاء « خضرة » . وهي تعبر الحلم الى الواقع . هكذا تتأسس القصيدة ، ولا تبقى داخل جدل الوطن ، الا لترسم القصيدة التي تكتب كل شيء دفعة واحدة . في « جدلية الوطن » ترتسم هذه البدايات من جديد ، دون ان تستطيع ان تكون شكلهـا الخاص . نحن امام الحلم الفلسطيني الذي ينزف دماء ، لكنه لا ينضب . يسقي شجيرات الوطـن وغاباته الخضراء بالوانه . يمتد حول الارض بنبرة لا تزال تحمل توتر اللحظات الاولى وصداميتها . لكننا بعد أن نفرغ من قراءة المجموعة ، نكتشف اننا ما نزال امام بدايات ، لم يتبلور فيهـا سوى حسها الفاجع ، فبقيت تدور حول نفسها . تلتقـط لحظات ، ولا تلتقط الحركة التي تحيط ببنيـة القصيدة .

صوت الاحتجاج

« غير العشاق الان هم العشاق ،
غير القتلة فيك هم القتلة .
يا وطنا يغرق في الرمز الصوفي وفي الدم .
يا مفقودا ،

علمنا ان نوجد في عصر الاشياء المفقودة »...

بهـذه النبرة الاحتجاجيـة ، يفتتح الخليلـي محاوراته للوطن . انه يناجيه بنبرة غنائية ، دون ان يذوب صوته في داخله، تبقى بينهما مسافة،هي مسافة القدرة على الرؤية من الداخل والخـارج في آن.تسكب هذه النبرة ايقاعها في لهجة غنائية، غير ان ما يعطل على هذه الغنائية قدرتها علـى الامتداد هو غرقها في البحث عن القوافي كما في هذه القصيدة . تأتي القافية لتجيب على ضرورات من خارج اشكال التواتر الذي تقودنا اليه علاقات الشاعر بموضوعه . فنغرق معه في البحث عـن القوافي وكأننـا لا نزال داخـل اطر الشعـر القديم .

« نكتشف الغيمة والوردة فيك ،
نفجر كل الطبقات المكدودة !! »

غير ان هذه الغنائية تستطيع ان تصل الى لحظة صفاء ، حين تتداخل في تداعيات ، تتموسق على ايقاع الاوجاع التي تصاحب الولادة . فيأتي المقطع الشعري ، وكأنه امتداد للحظات تتداخل.

والجذور تهزني ، عطشى نفير عروقها
وانيق من غبش الطريق : قطاف من اهـوى قريب » .

ان النبرة الاحتجاجيـة الواضحة في شعـر الخليلي ، تأتلف داخل قصيدته ، في عنصـر التداخل . فهو يحاول بناء قصيدته على قاعـدة التداعيات التي تتشابك فيها اللحظات . هنا تختلط المعاني ، وتصبح الدلالات ، دلالات احتمالية في الغالب . لكن هذا التداخل الذي تقطعه الفواصل والخطوط المستقيمة ، يقطع النفس الغنائي الـى لحظات . فهو لا يستطيع بحكم اتجاهه الاحتمالي، ان يستوعب الدفـق الغنائي ويوظفه داخـل القصيدة . هكذا تتقطـع اوصال القصيدة الـى اشارات غنائية ، لا ينقذها الا قدرة الشاعر على استعادة صوته الغنائي ، كما في قصيدة « الـى بابلو نيرودا » ، حيث يستطيع الشاعر توحيـد عناصر صوته في انسياب شعري جميل :

« لم يقتلوه حبيبي .
اذا رقص البحر هل يقتلوه ؟
يدي نجمة ، عشبة ، موجة لا تموت ؟ »

من الشعر الى القصيدة . في رحلته الشعرية الاولى ، يطرح علي الخليلي اسئلة على تجربتـه الفنية ، دون ان يجيب عليها . والسؤال الملـح الذي يخرج به قارىء الشعر الفلسطيني المعاصر، هو المدى الذي استطاع فيه الشعر ان يتحـول الى قصيدة . هنا يصبح السؤال المبرر الوحيـد للمحاولة . فمحاولة الشعر في ظروف الانفجـار الدموي الفلسطيني ، هي استشراف لتغيير العلم. وعالم القصيدة ، هو العالم مكثفا في قدرته علـى التحول ، داخل الرؤيا الفنية الى حقل ممارسة . فحين يرفع الشاعر صوت احتجاجه الى اقصـى درجاته ، يكون ضمن هذا الصوت ، يبحث عـن مخارج لبناء عالمه .

بشارة الولادة ومعاناتها التي تأتي في هـذا المقطع الشعري ، متدرجة ، متوثبة ومائلة ، هي معاناة الخلق الشعري . فالخارطة الحمراء هـي الوطن الذي يرسمه المقاتلون ببنادقهم، وبقصائدهم الدموية ، التي تساهم في تغيير العالم .

مراجعات

مصطفى عبدالله بعيّو ، **المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا** ، (الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ١٩٧٥) .

تقدم دار النشر على صفحة الغلاف الاخيرة هذا الكتاب الى القراء بقولها : « من كان يعلم ان الحركة الصهيونية قد حاولت ان تتخذ من برقة ومن الجبل الاخضر بالذات مشروعا للوطن القومي لليهود في اوائل هذا القرن ؟... في هذا الكتاب يكشف الاستاذ مصطفى عبد الله بعيّو ، الذي يعرف جمهور المثقفين ابحاثه العديدة في التاريخ الليبي ، عن هذه الحقيقة التي حرصت الحركة الصهيونية على اخفائها ، ويلقي عليها من الاضواء ما يجعل الجميع على بينة مما كان يخطط لليبيا ».

ولعل هذه الكلمات ، تعرفنا بفضل الكاتب في الكشف عن هذا الجانب الهام من تاريخ الحركة الصهيونية وتحركها في سبيل ايجاد وطن قومي لليهود ، ويدحض المزاعم التي نسجتها الحركة الصهيونية حول الارض الموعودة في فلسطين . لقد كان همّ الحركة الصهيونية تنفيذ اقامة الوطن القومي (الدولة اليهودية) على نسق الاستيطان الاستعماري في اي مكان ، فسعى زعماؤها الى الاتصال بكافة الدول الامبريالية ، وتوجهوا الى العراق والعريش وسيناء وبرقة وقبرص واوغندا والارجنتين . وانقسمت الحركة الصهيونية بذلك احزابا وشيعا كانت انعكاسا للصراع بين الدول الامبريالية داخل المنظمة الصهيونية .

والاستاذ بعيو يلقي في كتابه (مقدمة وستة فصول) ضوءا على احدى هذه المحاولات ، وهو يشرح في مقدمته عن الدافع الذي جعله يلتفت الى دراسة اليهود والحركة الصهيونية ، وما اثاره في نفسه طغيان الدراسات اليهودية التي تخدم الصهيونية في الولايات المتحدة اثناء دراسته هناك . وقد وقع في اثناء بحثه على تقرير بعثة (منظمة الاراضي اليهودية)(١) التي ارسلت الى برقة لدراسة امكانية انشاء وطن قومي لليهود في برقة ١٩٠٨ . وقد افاض المؤلف بالحديث عن العناء الذي لقيه للحصول على التقرير او (الكتاب الازرق) ، وعن سريته ، مع ان التقرير ، كسائر أوراق منظمة I.T.O. في خزائن المتحف البريطاني ، وهي مفتوحة للجميع ، وقد قام مركز الابحاث باستنساخ صورة عن التقرير وضعها تحت تصرف الباحثين ، واشار اليه الدكتور اسعد رزوق في كتابه « اسرائيل الكبرى » ، واعتمدت عليه في فصل من فصول رسالتي للدكتوراه ١٩٧٢ .

شيء اخر ، اشار اليه المؤلف كثيرا ، هو لوم غيره من الدارسين العرب باهمال محاولة الصهيونية في برقة ، ولا ريب ان هذا الاهمال قد وقع على محاولات اخرى كانت هامة وخطيرة ، كمحاولة سيناء والعريش والعراق ، برأيي لان المحاولة الاساسية في فلسطين استقطبت الانتباه وكادت تطمس غيرها .

في الفصل الاول من الكتاب (توطين بعض الجماعات العثمانية في ليبيا) يعرض المؤلف باسهاب لمحاولات عثمانية في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن من اجل توطين بعض الجماعات في ليبيا (مسلمي كريت وبعض الاسر الكردية من شمالي العراق) . ويلاحظ ان المؤلف لا يفرق بين توطين هذه الجماعات وتوطين اليهود ، هذا التفريق المبني على وعي عميق لبنية الدولة

---

١ — الاصح تسميتها المنظمة الاقليمية Jewish Territorial Organization وتعرف اختصارا بـ I. T. O.

العثمانية ، ففي صفحة ٢٥ مثلا يقول ان توطين هذه الجماعات هي « ظاهرة تاريخية قامت بها الدولة العثمانية لتجعل من ليبيا وطنا قوميا لبعض الجماعات المسلمة التي كانت تضمها الامبراطورية العثمانية ، وان اختلفت ظروف كل منها » . ولا ريب ان عبارة (وطن قومي) لم ترد في ذهن احد آنذاك .

ويعقد المؤلف بحثا تاريخيا في الفصل الثاني (اليهود في ليبيا) عن اصل وجود اليهود منذ عهد البطالسة مستعرضا الوان حياتهم الاجتماعية والسياسية متجاوزا فترته التاريخية (زمن البعثة) واصلا الى ايام الاستعمار الايطالي وما بعده . ويعتمد في كثير من جوانب هذا الفصل على ما جاء في تقرير الدكتور ناحوم شلوش مرافق بعثة الاستيطان ، مع ان غايته واضحة : هي ايجاد المرتكز التاريخي للوطن الذي يريد اليهود تحقيقه . وعلى الرغم من انتباه المؤلف الى ذلك ، فان رده لها يعتمد التعليق الخاطف السريع ، وقد يعرض رأيين فيهما شيء من التضارب دون ان يرجح احدهما ، كما هو الحال في صفحة ٣٣ حين يعرض اسباب ما لحق ببرقة من خراب ، فيذكر رأي (الن ويس) استاذ الآثار القديمة بجامعة كمبردج الذي يرى ان سبب الدمار ما ارتكبه اليهود في ثورتهم ايام الرومان من فظائع ، ويذكر رأي شلوش الذي يعيد الخراب ، الى الرومان الذين (قاموا بتخريب البلاد وحولوها الى صحراء) . ولكن اهمية هذا الفصل تكمن في اعطاء صورة واضحة عن الحياة التي كان يحياها اليهود في البلاد العربية حيث نعموا برخاء لم توفره لهم البلاد الاخرى .

في الفصل الثالث (توطين اليهود في ليبيا) يحدثنا المؤلف عن عطف الدولة العثمانية على اليهود منذ نهاية الحكم العربي في الاندلس ، وهذا العطف أطمعهم فطلبوا وطنا قوميا في فلسطين ايام عبد الحميد ، فرفض طلبهم . فاشترك رجالهم في التخلص من عبد الحميد . ثم وافقت الدولة العثمانية امام الضغوط على فكرة اسكان اليهود في بعض المناطق سوى فلسطين . واذا كان من ملاحظة على هذا الفصل ، فهي بعض التشويش والانتقال غير المنظم من العثمانيين الى الفاطميين .. الى الملك فؤاد ... كذلك فالمؤلف لم يقدم لنا بوضوح الاسباب التي كانت وراء قبول العثمانيين فكرة التوطين في ليبيا ، ولا أظن ان حاكم طرابلس (رجب باشا) كان « يخفي نواياه في مساعدة اليهود .. » كما قال المؤلف . لقد كانت وجهة نظر رجب باشا تقدم مصلحة الدولة العثمانية على كل شيء . فوجد ان الاتيان باليهود يحد من اطماع ايطاليا التي باتت تتربص بليبيا الدوائر .

لقد استغرقت الفصول الثلاثة الاول خمسا وخمسين صفحة قبل ان ينتقل المؤلف الى موضوعه الاساسي : تقرير البعثة الصهيونية . لذا كان الاجدى ان يعرفنا في هذه الفصول عن الظروف التي أدت بفئة من داخل الحركة الصهيونية بعد المؤتمر الصهيوني السابع في بال ١٩٠٥ (وهو المؤتمر الذي عقد بعد موت هرزل ، والذي قرر التخلي عن فكرة استعمار اوغندا البريطانية والعودة الى البرنامج الاولي الذي حدد فلسطين هدفا للاستيطان الاستعماري الصهيوني) الى الانشقاق بقيادة زانجويل ، وانشائها المنظمة الاقليمية التي كان هدفها التفتيش عن اقاليم لاستيطان اليهود في اي جزء ملائم من العالم . وذلك لان صلة هذه الدراسة بموضوع الكتاب اوثق من توطين بعض الجماعات العثمانية في ليبيا ، في تاريخ اليهود في ليبيا القديمة .

يبدأ الفصل الرابع (البعثة اليهودية الى برقة يوليو — اغسطس ١٩٠٨) وهو محور الدراسة ، عن اوضاع اليهود في ليبيا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في ظل الدولة العثمانية ، ووسط التنافس البريطاني الفرنسي . ثم ينتقل الى ذكر سبب ورود فكرة برقة في ذهن (زانجويل) اثر اقتراح قنصل بريطانيا في تونس ، ولانها ، حسب رأيه (اي زانجويل) تفضل سائر الاماكن . حتى فلسطين ، فهي ليست بلادا مقدسة ، وعدد سكانها الاصليين اقل . ثم ما تبع ذلك من نشاط ناحوم شلوش لدراسة تاريخ يهود المغرب ، ثم عن استعداد العثمانيين (بشخص رجب باشا) حاكم طرابلس لقبول فكرة انشاء وطن قومي في برقة في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية ترفض توطين اليهود في فلسطين . ويبدو ان زانجويل حاول

الاستفادة من ايطاليا « بأن مهمة احياء برقة التي تسعى اليها ايطاليا من توسعها في ليبيا يمكن أن تتحقق على ايدي المستوطنين ، اذا اعطيت لهم الفرصة » .ورغم حماس زانجويل لمفاوضة حكومة الباب العالي، كان الحذر يخيم على مجلس المنظمة I.T.O. بحجة عدم استقرار الاوضاع في شمالي افريقية ، فكان ان قامت المنظمة باختيار بعثة علمية لدراسة المشروع برئاسة استاذ الجيولوجية بجامعة غلاسغو . وجاءت النتائج مخيبة للامال بسبب نقص المياه ، وقررت المنظمة — رغم بقاء زانجويل على حماسه الاول — عدم القيام باي عمل اخر بالنسبة الى تحقيق الوطن القومي في برقة .

وجاء عرض تقارير البعثة في الفصل الخامس (الكتاب الازرق) الذي اصدرته المنظمة الاقليمية بلندن في يناير ١٩٠٩ . ويبدأ بمقدمة تاريخية وسياسية لاسرائيل زانجويل ويرد المؤلف اتهاماته للعثمانيين بانهم فرضوا العزلة على ليبيا مستشهدا بالرحلات الكثيرة التي قام بها الاوربيون ، كما يرد تهمة ما حمّله زانجويل للعرب وللاتراك من مسؤولية الاوضاع السيئة التي آلت اليها برقة . كذلك تكشف المقدمة بعض اسرار الاطماع الصهيونية في الوطن العربي ومؤامرتها على الدولة العثمانية، وصلتها بانقلاب الاتحاد والترقي ، وتلى المقدمة مجموعة الدراسات التي اعدها اعضاء البعثة (الموقع والحدود، جيولوجية المنطقة وتضاريسها، الموارد المائية ، دراسة للتربة والانتاج النباتي وتصنيف للاراضي وانواعها ، الامطار ، المناخ الحيوانات ، الطيور والحشرات ، تقرير صحي ، عدد السكان وما يمكن ان تستوعبه المنطقة بادخال الزراعة الحديثة) . وتتخلل هذه الدراسات العلمية اشارات سياسية هامة غايتها تقديم الخطوات الاساسية الضرورية لتوطين اليهود مع جملة انطباعات عامة عن السكان المحليين وعلاقاتهم بالاتراك وتسلحهم وطبيعتهم القتالية مما يجعلهم على غير استعداد للترحيب بالقادمين الجدد . والحق بهذه الجوانب العلمية دراسة ناحوم سلوش عن اليهود واليهودية في برقة القديمة ، وغرضه ، كما ذكر من قبل ، ابراز الخلفية التاريخية التي تبرر فكرة انشاء الوطن القومي اليهودي ، وهو يعتبر برقة امتدادا لفلسطين فيما وراء النيل ، وليبيا ، في رايه ، تنتظر اصالتها وسكانها الاصليين من اليهود :

ويعرض المؤلف في ختام الفصل لصدى لصدور الكتاب عالميا ، ولا سيما في ايطاليا ، التي افادت كثيرا مما جاء فيه ، ويبين ان نتيجة التقرير كانت صرف النظر عن ليبيا والعودة الى فلسطين.

لقد قدم المؤلف في هذا الفصل ابرز ما في التقرير تقديما جيدا ، رغم انه اهمل ارفاق التقرير بخريطة توضح خط سير البعثة والمواقع التي درستها مع ان التقرير الاصلي ، كما نوه اليه ، مرفق بخريطة جغرافية ، ومقطعين جيولوجيين ، وخريطة طوبوغرافية و ٣٣ صورة . وقد بالغ بعض الشيء في قيمة التقرير ، حين جعل الكتاب الازرق مصدرا اساسيا لمعرفة جغرافية وتاريخ برقة ، ذلك ان ما ورد في التقرير انما كانت له غايات اخرى غير الغاية العلمية المحض ولا سيما الجوانب التاريخية . كذلك فان المدة القصيرة التي قضتها البعثة والظروف التي احاطت بها لم تكن كافية باي حال لدراسة علمية متأنية . وهذا النقد وجه الى التقرير من قبل عدد من كتاب الغرب انفسهم .

وقد لا تكون الجوانب العلمية الصرف هامة بالنسبة الى كثير من القراء العرب الذين وجه اليهم الكتاب ، وتطلعوا الى ان يروا فيه تحليلات سياسية توضح طبيعة الحركة الصهيونية واساليبها وما بينها من تشابه سواء كانت في برقة او في فلسطين . وهذا ما نجده في المقدمة السياسية للتقرير التي كتبها زانجويل وفي بعض اشارات رئيس البعثة وفي الخلفية التاريخية لشالوش ، لكن المؤلف مضى عند كثير من هذه المواقع دون ان يوليها عنايته الكافية ، او انه التفت اليها التفاتات خطابية عاطفية ، ولا سيما الجوانب التاريخية، فخرج في كثير من تعليقاته عن الروح العلمية الهادئة المخللة الى طبيعة انفعالية .

في الفصل الختامي (الفكرة من جديد) يكشف المؤلف عن ان تشرشل اشار في مؤتمر بوتسدام اثناء النقاش حول مصير المستعمرات الايطالية السابقة الى امكان منح اليهود جزءا منها دون ان يحدد ليبيا بالذات . لكن اليهود كانوا قد قطعوا شوطا بعيدا في فلسطين فلم يكن لهذا الرأي اي اثر عملي . هذه الاشارة غير المحددة لا يمكن ان

توحي ببعض ما وصل اليه المؤلف من تخمين في ان اليهود حاولوا احياء الفكرة من جديد ، كما انه لم يعطنا تعليلا للاسباب التي دفعت تشرشل الى هذا الاقتراح وظل الامر مجرد تخمين .

واذا كان هناك من كلمة شكر اخيرة فهي شكر المؤلف على ما قدم للقارىء الذي غابت عنه كثير من الخبايا التاريخية ، وان كان الذي تدمه بحاجة الى تبويب جديد ، والى تركيز وتحليل وتخلص من الاستطراد .

د. خيرية قاسمية

Bichara et Naïm Khader, **Textes de la révolution palestinienne, 1968-1974.** (Paris, La Bibliothèque Arabe Sindbad, 1975).

في فترة التصاعد الثوري التي سبقت احداث ايلول ١٩٧٠ ، اصدرت دار الطليعة للطباعة والنشر مجموعة من بعض الوثائق الخاصة ببعض منظمات الثورة الفلسطينية ، (خاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين) وكانت هذه الكتب عبارة عن جمع لعدد من وثائق كل منظمة ، دون شروح او تحليلات ، وكان الكتاب السنوي الذي تصدره فتح يضم بين دفتيه وثائق هامة غير محللة . ومن المؤكد ان وسائل الاعلام في منظمات الثورة كانت تحلل وثائقها وتطرح ذلك على الجماهير وعلى قواعدها في كتيبات او مقالات ، ولكن لم يصدر عنها نشرات تضم النصوص والشروح معا ، ولم تصدر المكتبات العربية او منظمات الثورة كتبا تضم سجلا كاملا أو شبه كامل يعرف بالمنظمة ويحدد المبررات التاريخية لتشكيلها ، ويقدم وثائقها الفكرية المركزية ، ويحدد موقعها داخل الثورة الحالية ، وموقع الثورة الحالية داخل المسيرة النضالية الطويلة للشعب الفلسطيني لينتقل بعد ذلك الى تقديم جدول زمني لاهم مؤتمراتها وعملياتها الاساسية والمنعطفات التي مرت بها . وبسبب هذا النقص الاعلامي التوثيقي، يمكن اعتبار كتاب « نصوص للثورة الفلسطينية ، ١٩٦٨ — ١٩٧٤ » الذي كتبه بشاره ونعيم خضر عملا قريبا من العمل التوثيقي المطلوب ، فهو يبدأ بمقدمة تاريخية تحتل ثلث الكتاب تقريبا ، وتطرح مسيرة النضال الفلسطيني منذ العام ١٩٠٠ حتى العام ١٩٧٤ ، وتلقي الضوء على الارضية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبشرية لهذا النضال في كل مرحلة من مراحله ، وتحدد موقع الثورة الفلسطينية الحالية على خط المسيرة النضالية الفلسطينية الطويلة ، وعلى خط الصراع العربي — الاسرائيلي المتفاعل جدليا مع خط الصراع الفلسطيني ضد الغزوة الصهيونية . ثم يعرف بالمنظمات ويقدم بعض وثائقها ، ويضيف الى نهاية الكتاب جدولا زمنيا يفيد الباحثين .

ويقسم المؤلفان مسيرة النضال الفلسطيني الى ثلاث مراحل : **المرحلة الاولى** ، وتبدأ منذ مطلع هذا القرن وتنتهي مع نهاية حرب ١٩٤٨ . ولقد كان الشعب الفلسطيني خلالها مقيما على ارضه يناضل ضد الصهاينة والبريطانيين معا . **والمرحلة الثانية** ، وتشمل الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، وتتميز بتشتت جزء من الشعب الفلسطيني خارج ارضه ، وبقاء جزء اخر تحت الاحتلال او في منطقة خاضعة للحكم الاردني ، وقيام الحكومات العربية بالوصاية على النضال الفلسطيني . **والمرحلة الثالثة** ، الواقعة بين حرب ١٩٦٧ والعام ١٩٧٤ ، وتتميز بقيام الشعب الفلسطيني بأخذ المبادرة النضالية وشن الكفاح المسلح تحت قيادة منظماته الثورية .

ويركز المؤلفان على أن أهم نقطة في المرحلة الاولى ، هي أن مقاومة الشعب الفلسطيني للغزوة الصهيونية لم تتوقف يوما منذ بداية قدوم الموجات الاولى للاستيطان الصهيوني ، وان عجز هذه المقاومة عن ايقاف المخطط الصهيوني يعود

الى التحالف البريطاني ــ الصهيوني من جهة ، وعجز القيادات الفلسطينية والعربية التقليدية عن قيادة النضال بشكل حازم ضد العدو الثنائي ، وتبنيها لخط مساوم كان يجهض الهبات والانتفاضات الجماهيرية ، ويمنعها من التحول الى ثورة تحريرية . ويدعم المؤلفان هذه الفكرة بعدة استشهادات تاريخية كأحداث القدس ويافا (١٩٢٠ ــ ١٩٢١) ، والمؤتمرات الوطنية الفلسطينية (١٩١٩ ــ ١٩٢٨) ، وثورة ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦ . ويؤكدان على ان وقوف القيادات التقليدية الى جانب مصالحها المتناقضة مع مصالح الجماهير ، جعلها اقل ثورية من هذه الجماهير ، وغير مؤهلة لقيادتها ، ومستعدة للمساومة على تطلعاتها العادلة ، كما ان عدم وضوح الرؤية لدى هذه القيادات بالنسبة الى معسكر العدو ، وفصلها بين الصهيونية وبريطانيا ، جعلها تتساهل مع سلطات الانتداب ، وتطبق مخططات التهدئة البريطانية وتكتفي بتوجيه نقمة الجماهير نحو الصهاينة ، بدلا من ان تعبئها ضد البريطانيين والصهاينة معا .

ويختلف نضال المرحلة الثانية في طبيعته عن نضال المرحلة الاولى ، لان الشعب الفلسطيني فقد بعد حرب ١٩٤٨ هويته ، ولم يعد له قيادة سياسية توجهه او حركة سياسية تجمعه وترسم له طريق النضال اللازم لتحقيق اغراضه ، الامر الذي أدى الى ضعف زخم الحركة النضالية الفلسطينية . ويرد المؤلفان هذه الحالة الى ثلاثة عوامل : ١ ــ قيام الانظمة العربية بتبني القضية الفلسطينية رغم عدم كفاءتها لحمل اعباء هذه المهمة ، وتبنيها لشعار «التحرير يمر من الوحدة» ، ٢ ــ انشاء منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة احمد الشقيري ، والاعلان عنها في ٢٨ ايار ١٩٦٤ ووقوف الخلايا الثورية الفلسطينية المصممة على خوض الكفاح ضد هذه المنظمة ، والنظر اليها وكأنها « وزارة خارجية بلا دولة » ، او « قطعة اسفنج لامتصاص الزخم الثوري للفلسطينيين » . ٣ ــ سياسة القمع والاحتواء التي طبقتها اسرائيل على العرب الفلسطينيين .

ثم جاءت المرحلة الثالثة بعد حرب ١٩٦٧ التي كسرت القيد الذي كان يكبل القوى الفلسطينية وعرفت الثورة الفلسطينية مرحلة نهوض ثوري ، وأخذت العمليات العسكرية الفدائية تضغط على المجتمع الاسرائيلي ، وتذكر العالم بوجود الشعب الفلسطيني ، وكانت بندقية الثائر الفلسطيني السلاح العربي الوحيد المرفوع في وجه العدو الصهيوني المنتصر . وعرفت الثورة الفلسطينية فترات نهوض وفترات كبوات . وحصلت على المساعدة العربية ، كما تعرضت لضربات عربية من الخلف ، ولكنها تابعت مسيرتها باصرار . ويأخذ المؤلفان على الثورة خلال هذه المسيرة انها لم توحد صفوفها ، وبقيت موزعة الى عدة منظمات ، وهما يعتبران ان وراء تعدد المنظمات عدة عوامل اهمها ــ كما يذكر المؤلفان ــ سياسة الدول العربية التي شجعت التعدد وغذته بغية احتواء الثورة والتأثير عليها وضبط خطواتها . وساعدها على ذلك توزع الشعب الفلسطيني داخل الاقطار العربية ، وتبنيه لمختلف التيارات الايديولوجية . ويصل المؤلفان في نهاية المقدمة الى حرب ١٩٧٣ التي كانت منعطفا هاما بالنسبة الى القضية الفلسطينية ، والى موقف الدول العربية من الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وموقف دول العالم من القضية الفلسطينية . وهما يركزان على نقطتين: تتمثل اولهما في الانعكاسات الايجابية للحرب على المعسكر العربي ، وانعكاساتها السلبية داخل اسرائيل . اما الثانية فهي اهمية اعتراف العالم بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، والمعاني السياسية لدعوة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ياسر عرفات الى الامم المتحدة في العام ١٩٧٤ ، وربط كل حل للصراع في الشرق الاوسط بايجاد حل يضمن حقوق الشعب الفلسطيني . ويختم المؤلفان الطرح التاريخي بالتأكيد على ان نضال الشعب الفلسطيني الذي يكافح اليوم سيستمر ويتصاعد حتى ينتزع هذا الشعب حقوقه كاملة على أرضه .

ويلي المقدمة مجموعة من النصوص المختارة من وثائق منظمة التحرير الفلسطينية ، وفتح ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين . وقد اراد المؤلفان عند اختيار النصوص الرد على خمسة اسئلة هي : ١ ــ اندلاع الثورة وهدفها ، ٢ ــ تصورات مهمات ما بعد حرب ١٩٦٧ ، ٣ ــ كيفية

حل ازمة الثورة بعد مجازر الاردن في ايلول ١٩٧٠ ، ٤ ــ مهمات الثورة بعد حرب ١٩٧٣ التي بدلت الوضع بشكل جذري في الشرق الاوسط ، ٥ ــ الحل الديمقراطي للقضية الفلسطينية ، والعلاقة المستقبلية بين العرب واليهود .

وبالاضافة الى المقدمة التاريخية التحليلية ، فان علينا ان نذكر للكتاب ايجابيتين : تتمثل اولاهما في الاسهام بتعريف القارىء الغربي بمنظمات الثورة الفلسطينية ، عن طريق المقدمات التي سبقت النصوص ، وحددت ظروف نشأة كل منظمة من المنظمات الاربع ، ومراحل تطورها ، وطبيعتها التنظيمية وتوجهها الايديولوجي ، بالاضافة الى وجود فصل في نهاية الكتاب حول نشأة وتطور منظمات : الصاعقة ، وجبهة التحرير العربية ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) ، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين ، ومنظمة فلسطين العربية ، والمنظمة الشعبية لتحرير فلسطين ، والانصار ، وقوات التحرير الشعبية ، وايلول الاسود . اما الثانية ، فتتمثل بالجدول الزمني المذكور في نهاية الكتاب ، والذي يحدد اهم احداث النضال السياسي ــ العسكري للشعب الفلسطيني ، والاحداث العسكرية في المنطقة منذ العام ١٨٩٦ حتى العام ١٩٧٤ .

والى جانب هذه الايجابيات ، فقد وقع الكاتبان في اربع سلبيات تتعلق بتحديد ماهية الكفاح المسلح الفلسطيني ، واختيار المنظمات ، واختيار النصوص ، واختيار الموضوعات .

١ ــ **ماهية الكفاح المسلح الفلسطيني** : لقد اختار المؤلفان لكتابهما اسم « نصوص للثورة الفلسطينية » . وكان هذا الاختيار يعني انهما تبنيا المقولة التي تؤكد ان الكفاح الفلسطيني المسلح الذي اندلع في العام ١٩٦٥ وتصاعد بعد العام ١٩٦٧ ، حتى حول قضية الشعب الفلسطيني من قضية انسانية الى قضية سياسية ، ومن قضية لاجئين الى قضية شعب يطالب بحقوقه الوطنية ، هو عبارة عن ثورة مقابل المقولة التي تؤكد ان هذا الكفاح هو مقاومة دون ان يذكر سبب هذا التبني ، ودون التعرض للحوار الذي دار بين منظمات الثورة الفلسطينية حول هذه المسألة بعد العام ١٩٦٧ . وكان من الممكن تجاوز هذا الاختيار واعتباره موقفا لو ان المؤلفين استخدما تعبير « ثورة » وحده في جميع ما كتباه . ولكن من الملاحظ انهما استخدما تارة تعبير «ثورة» ، وتارة اخرى تعبير « مقاومة » ، الامر الذي يخلق لدى القارىء الغربي بعض التساؤلات حول طبيعة هذه الحركة النضالية المسلحة ، وهل هي ثورة ام مقاومة ؟ وما هو موقف المؤلفين من هذه المسألة الهامة ؟ ولو عاد المؤلفان الى كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية ــ فتح (من منطلقات العمل الفدائي) ، ومجلة الثورة الفلسطينية عدد ١١ (فتح) ، وكراس الكادحون والثورة (ج.ش.ت.ف) ، وكراس المقاومة ومعضلاتها (ج.ش.ت.ف) ، وكتاب حركة المقاومة في واقعها الراهن (ج.ش.د.ت.ف.) ، وكتاب حول ازمة حركة المقاومة الفلسطينية (ج.ش.د.ت.ف) ، وتقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ (ج.ش.د.ت.ف.) ، ومجلات ونشرات المنظمات الثلاث المذكورة ، ومجلة شؤون فلسطينية الاعداد ٢ و ٤ و ٧ (احاديث مع قادة منظمات الثورة) ، للاحظا الى اي مدى تختلف نظرة المنظمات الى هذه المسألة ، والى اي مدى يتباين تقييمها لطبيعة النضال الدائر منذ العام ١٩٦٥ ، وهل هو نضال وطني او وطني ــ اجتماعي . ولامكنهما بعد ذلك اختيار التعبير الذي يتبنياه ، واستخدامه بشكل موحد في جميع صفحات الكتاب .

٢ ــ **اختيار المنظمات** : ان مما لا شك فيه ان المنظمات التي اختارها المؤلفان هي منظمات اساسية وفاعلة . ولكن هذا الاختيار الذي اقتصر على منظمتين تمثلان تجمعا وطنيا (منظمة التحرير وفتح) ومنظمتين تتبنيان الماركسية ــ اللينينية وتطمحان الى التحول الى حزب البروليتاريا ، قد تجاهل طرح افكار ونصوص منظمتين تتبنيان الفكر القومي ــ الاشتراكي ــ الوحدوي (الصاعقة وجبهة التحرير العربية) . وفي هذا اغفال لجانب اساسي من الافكار المتفاعلة داخل الثورة الفلسطينية .

٣ ــ **اختيار النصوص** : يذكر المؤلفان انهما اختارا أهم النصوص القادرة على توضيح الافكار

الاساسية للمنظمات الاربع ، ولكن النصوص المختارة لتوضيح افكار منظمة التحرير الفلسطينية اسقطت مقررات المجالس الوطنية الفلسطينية وتجاهلت النصوص المختارة بالنسبة الى فتح ، كراسات سلسلة دراسات وتجارب ثورية التي تعطي صورة واضحة عن اسباب اندلاع الثورة واهم افكارها ومنطلقاتها ، وتجاهلت بالنسبة الى ج.ش.ت.ف. كراس الاستراتيجية السياسية والتنظيمية (١٩٦٩) ، والنظام الداخلي (١٩٧١)، وكتاب الهدف « الكادحون والثورة الفلسطينية » (١٩٧٠) ، وكتاب الهدف « المقاومة الفلسطينية ومعضلاتها » (١٩٧٠) ، وكراس « الثورة والعمال » (١٩٧٠) ، وكراس « نحو التحول الى تنظيم بروليتاري ثوري » (١٩٧٠) ، وكراس « النهج الثوري في مواجهة التحديات » (١٩٧٤). رغم اهميتها كنصوص تحدد افكار (ج.ش.ت.ف.) اما بالنسبة الى (ج.ش.د.ت.ف.) فقد تجاهل المؤلفان كراس « مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة » (١٩٦٩) ، وكراس « حملة ايلول — دروس ونتائج » (١٩٧٠) ، وتقرير المكتب السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين (١٩٧٠/٨/٢٢). وبالاضافة الى ذلك ، فقد اسقط المؤلفان نصوص الاحاديث التي اجرتها مجلة « شؤون فلسطينية » مع قادة منظمات الثورة ونشرتها في الاعداد ٢ ، و ٤ ، و ٧ ، رغم اهميتها الفكرية وقيمتها التاريخية .

٤ — **اختيار الموضوعات:** ان اختيار الموضوعات امر يخص المؤلفين . ولكن الموضوعات الخمسة التي اختار المؤلفان النصوص المذكورة للقاء الاضواء عليها لا تمثل ، رغم اهميتها ، اهم الموضوعات الفكرية التي طرحتها الثورة. ولا يمكن اعتبارها بالتأكيد اهم من تحديد العدو والصديق ، والموقف من الجماهير ، والبعدين العربي والطبقي للنضال الفلسطيني ، والوحدة الوطنية ،والحزب، والطبقة التي تقود الثورة ، وموقع الثورة الفلسطينية داخل الثورة العالمية ، والحل السلمي ، والرفض . وكلها موضوعات طرحتها الثورة في ادبياتها ، ودار حولها حوار طويل بين المنظمات ، وكان لبعضها دور في تحديد مسيرة الثورة في مختلف مراحل نموها وصعودها وتعثرها.

ويمكن ان نوجه الى الموضوعات الخمسة المختارة نقدا اخر هو انها تدور حول المقولات السياسية ، دون التعرض للمقولات العسكرية ، مع ان الثورة الفلسطينية ثورة سياسية — عسكرية، تستخدم الاسلوبين السياسي والعسكري بتناسق تام لتحقيق الهدف . واذا كانت السياسة ترسم الخط الاستراتيجي ، فان القتال هو الاداة لتنفيذ هذا الخط ، وهو وسيلة لتدمير قوى العدو المادية والمعنوية ، بالاضافة الى انه اعلام مسلح. ولقد كان من الضروري تعريف القارىء الغربي بالصورة الكاملة للثورة الفلسطينية عن طريق ذكر النصوص التي تبين سبب تبنيها للكفاح المسلح ، وحرب التحرير الشعبية ، وحرب العصابات ، ورأيها في العنف الثوري في مجابهة العنف القمعي، والسبب الذي دفعها الى تشكيل الميليشيا الشعبية المسلحة ، وموقفها من العمليات الخارجية ، ومفهومها للعلاقة بين الجيوش النظامية وقوات الثورة نظرا للتداخل العضوي بين الحرب النظامية العربية وحرب العصابات التي تشنها الثورة الفلسطينية .

ورغم سلبيات الكتاب فهو بمجمله كتاب جيد يسد نقصا في المكتبة الفرنسية التي تفتقر الى كتب وثائقية حول الثورة الفلسطينية ويعطي القارىء الغربي صورة شمولية لنضال الشعب الفلسطيني، ويرد من خلال الوثائق على بعض تساؤلاته حول افكار الثورة الفلسطينية التي رسم شهداؤها بدمائهم الطريق الى التحرر ، وشدوا انظار دول العالم الى قضية شعبهم ، واجبروها على الاعتراف بقضيتهم العادلة .

سلمى حداد

محمد عبد الرؤوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ — ١٩١٨ ، قسمان . (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤) .

مضمون ومادة هذا الكتاب أوسع من عنوانه ، وأضيق من العنوان في نفس الوقت . ومن الناحية الاولى ، فان الكتاب لا يقدم فقط تاريخا للحركة الصهيونية خلال الفترة المذكورة ، وانما يتناول تاريخ « الحركة اليهودية » أو تاريخ أغلب روافدها ما بين ١٨٩٧ و١٩١٨ . ومن ناحية ثانية ، فان فترة الدراسة أضيق كثيرا من الفترة المحددة في العنوان ، وتكاد تكون مركزة فيما بين ١٩١٤ و١٩١٨ ، بحيث يكون تناول ما قبل ذلك مجرد تمهيد لدراسة التيارات اليهودية — صهيونية وغير صهيونية — من سنوات الحرب العالمية الاولى . وقد أشار الى ذلك الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم [الذي أشرف على هذه الدراسة الجامعية الممتازة] فذكر ان الموضوع تناول « فترة زمنية قصيرة ، هي فترة الحرب العالمية الاولى ، بعد تمهيد قصير للفترة السابقة منذ اجتماع المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ حتى قيام الحرب » . ومن الافضل ان تسمى الاشياء بأسمائها ، فالاخذ بعنوان الكتاب يؤدي الى الحكم على الجزء الخاص بما قبل الحرب العالمية الاولى بأنه ضعيف للغاية ، حين نقارنه بالبحث العميق ، والتقصي الشامل لاحداث السنوات ١٩١٤ — ١٩١٨ ، مع أن الامر ليس كذلك حين نرى في ذلك الجزء مجرد تقديم وتمهيد لصلب الموضوع .

وأيا كان الامر ، فان الفصل التمهيدي ، الخاص بمجالات التحرك الصهيوني قبل الحرب العالمية الاولى ، يعتبر مع الخاتمة أضعف حلقات هذا السفر الضخم الذي يقع في قسمين الاول يتكون من ٣٩٨ صفحة والثاني يضم حوالي ٣٠٠ صفحة ، بالاضافة الى ٢٧٨ صفحة من الملاحق . وينقسم الكتاب الى اثني عشر فصلا ، قد يغني ايراد أسمائها عن محاولة العرض والتلخيص ، وتحمل الفصول العناوين التالية : تطور اوضاع اليهود الروس قبيل الحرب العالمية الاولى واثناءها ، التشكيلات الصهيونية واليهودية في وسط وغرب اوربا والولايات المتحدة الامريكية اثناء الحرب ، يهود فلسطين قبيل الحرب العالمية الاولى واثناءها ، دوافع التقارب البريطاني الصهيوني ، التحرك الصهيوني نحو الدوائر البريطانية ، المباحثات البريطانية الصهيونية غير الرسمية ، موقف اليهود المعارضين للصهيونية ، المباحثات البريطانية الصهيونية الرسمية ، الاصداء العالمية لتصريح بلفور ، العرب وتصريح بلفور ، لجنة وايزمان الى فلسطين ، أصول التكوين العسكري الصهيوني .

وسبقت هذه الفصول مقدمة كتبها المؤلف عبارة عن تلخيص للكتاب وتعريف بالمراجع التي استند اليها والمنهج الذي اتبعه ، كما سبقها الفصل التمهيدي عن الحركة الصهيونية قبل نشوب الحرب العالمية الاولى . وتلت الفصول خاتمة سريعة لا تتلاءم بأي حال مع مثل هذه الدراسة القيمة ، وما يمكن استنباطه من دروس مستفادة من خلال هذه القراءة المتمعنة والفاحصة للعمل الصهيوني خلال فترة من أكثر فترات النشاط الصهيوني جهدا ، ومثابرة .

ونظرة واحدة الى محتويات الكتاب كما ذكرت اعلاه ، تجعل صاحبها يضع يديه على ملاحظتين هامتين في هذه الدراسة العلمية الرصينة :

الملاحظة الاولى : صعوبة تلخيص الدراسة ، وذلك بسبب غزارة معلوماتها ، وكثرة التشعبات في الرصد والعرض . وقد جمع الكاتب مادة علمية غزيرة حول موضوعه ، خاصة في أغلب الامور الفرعية ووضع يده على جوانب وقضايا قلما درسها باحثون عرب بهذا القدر من التوسع والاستيعاب . ولكن بعض الجوانب غطيت بشكل أفضل من جوانب أخرى . وفي كل ذلك ، اتبع المؤلف جانب السرد ، وايراد الحقائق وربطها في تسلسل او تتابع تاريخي ، بحيث طغى ذلك في أغلب الاحوال على جانب التحليل . والسبب في ذلك هو المنهج التقليدي الذي اتبعه المؤلف ، بحيث ان اطار التقسيم فرض عليه ضعف الجانب التحليلي ، مما أوقعه — دون قصد — في عثرات كان يمكن أن يتجنبها .

مثال ذلك ، ان المؤلف يتابع موقف كل دولة او كتلة من الدول تجاه الحركة الصهيونية . ومن خلال

السرد والشرح يبين ان كل دولة سعت الى استخدام الصهيونية أداة لتحقيق أهدافها — أي أهداف هذه الدولة — مع خدمة الاهداف الصهيونية . في مقابل ذلك ، يختفي الوجه الاخر من العملة . وهو سعي الصهيونية لاستخدام كل دولة وتوظيفها لخدمة الاهداف الصهيونية ، ولا مانع في ذلك من التحالف مع الدولة وعدوها في نفس الوقت . فقد برعت الدبلوماسية الصهيونية براعة ميكيافيلية لا مزيد عليها ، كما ان تقسيم الادوار مبدأ صهيوني ثابت في التعامل الدولي وفي العلاقات الدولية . وأحداث السنوات الاربع ١٩١٤ — ١٩١٨ ملأى بالعديد من الشواهد على ذلك .

الملاحظة الثانية : ان هذه الدراسة الممتازة افتقدت جانبين كان يجب أن لا يغيبا عن ذهن المؤلف . الجانب الاول هو الاطار الدولي الذي تمت وجرت فيه الاحداث ، والصراعات الدولية التي أدت الى قيام الحرب العالمية الاولى . ان هذه الدراسة هي بالاساس دراسة في تاريخ حركة ذات طابع دولي ، أي أنها — في النهاية — دراسة في تاريخ العلاقات الدولية . فكيف تكتمل هذه الدراسة دون تسجيل الاطار الدولي الذي صاحب هذه التطورات ، ان غياب هذا الجانب أدى بالمؤلف الى التكرار من ناحية والى عدم وضوح او توضيح التطورات بشكل كاف من ناحية اخرى . والجانب الثاني هو تطور الهيكل التنظيمي للحركة الصهيونية الذي غاب تماما واختفى كلية من هذه الدراسة .

وبالطبع ، فان هاتين الملاحظتين لا تقللان كثيرا من الجهد الكبير الذي بذل في تقديم مثل هذه الدراسة الرائعة ، التي يكفي اي كاتب فخرا ان ينتج مثلها في عمره . فما بالنا وهذه هي باكورة أعمال المؤلف . لا شك انه يعد بتقديم الكثير .

وبالمثل لا يقلل من شأن هذه الدراسة بعض الملاحظات الاخرى او الخلاف في وجهات النظر . من ذلك ، تصوير نجاح الصهيونية في الحصول على وعد بلفور من بريطانيا على انه نجاح دعائي (القسم الاول ص ٣١٨) . وهذا خطأ لا يجوز ان يقع فيه باحث مدقق مثل الاستاذ عبد الرؤوف سليم . وهو ما كان ليقع في ذلك لو انه تابع العلاقات الصهيونية مع القوى الرأسمالية الكبرى، حيث لم يكن هدفة ان تصريح بلفور كان بريطانيا ولم يكن فرنسيا او ايطاليا او حتى امريكيا . لقد كانت بريطانيا أكبر قوة امبريالية في ذلك الوقت ، وأكبر قوة امبريالية طامعة في احتلال الوطن العربي .

وبالمثل أيضا ، يجانب المؤلف الصواب في تصويره (ص ٨٥ و٨٩ من القسم الاول) ان اصدار تصريح بلفور كان محاولة بريطانية لكسب اليهود الروس . ربما يكون هذا العامل قد لعب دورا ، ولكنه بالتأكيد ليس العامل الاهم ، ولا الاول وراء الوعد البريطاني « لليهود » بوطن قومي في فلسطين .

ويورد المؤلف (القسم الاول ص ١٤٩) قول كاتب صهيوني هو فينكلشتين : « أحسن البريطانيون استعمال امكانيات اليهود ، ولكن هدفهم الاول كان تقديم المصالح الاستعمارية على الاماني القومية اليهودية . لقد تطابقت المصالح الاستعمارية استقرار الشرق الاوسط بوجود سكان وحكومات سهلة الانقياد » ، وهذا صحيح ، ولكنه لا يدعم ما ذهب اليه المؤلف من تفسير النجاح الصهيوني على انه نجاح دعائي ! بالاضافة الى ان الكاتب لم يشرح بالشكل المطلوب — كما سبق القول — التلاقي (أو التعانق على حد التعبير الشائع هذه الايام) بين الاستعمار البريطاني والاهداف الصهيونية ، واكتفى بالحديث عن المصالح البريطانية في فلسطين وعن موقع فلسطين الجغرافي.

والتاريخ في النهاية ليس وقائع صماء . انه حي دائما وغير قابل للنسيان . وفي هذه الدراسة يورد المؤلف صفحات عن التأييد الامريكي للصهيونية منذ البداية ، ودور الصهاينة الامريكيين في صدور وعد بلفور ، ودور الرئيس الامريكي ويلسون صاحب المبادىء الاربعة عشر (والمناضل من اجل السلام !) في اصدار هذا الوعد . وأحيانا نكون مطالبين بأن نقرأ التاريخ برؤية الحاضر . وهذا يصدق على دراسة الاستاذ رؤوف سليم ، خاصة حينما تعلو نبرة الحديث عن ابتعاد امريكا عن اسرائيل ، وامكانية الضغط الامريكي على اسرائيل .

يقول الكاتب [القسم الثاني ص ١٠٦ — ١٠٧] : « ان الحكومة البريطانية عملت على

استغلال علاقاتها بالصهيونيين كعامل لتحقيق مآربها ، فكانت كل فكرة تولد في لندن توضع محل اختبارات مسبقا في واشنطن ، كما كان كل اقتراح يصدر في واشنطن يلقى اهتماما بالغا في لندن ... كما ان النتائج الحاسمة للمباحثات البريطانية الصهيونية تدين بوجودها بشكل او آخر الى عناية الرئيس الامريكي ويلسون — بالشؤون الصهيونية. فقد كانت اللجنة التنفيذية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة قد جذبت انتباه الرئيس ويلسون — وكانت قد شكلت في نيويورك في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٤ برئاسة براندیس . ويذكر فيليب جريفاز في كتابه : « فلسطين أرض العقائد الثلاث » أن عطف الرئيس ويلسون على الاهداف الصهيونية أثر على كل من الحكومتين الفرنسية والايطالية اللتين كانتا حتى ذلك الوقت لا تبديان عطفا على الحركة الصهيونية . وأدى الى تضامن هاتين الحكومتين مرحليا مع الحكومة البريطانية بهذا الشأن » .

وتكاد الليلة تشبه البارحة ، بل وتماثلها ، طالما ان المصالح الاساسية للقوى الاساسية التي رسمت صورة البارحة لا تزال هي التي ترسم صورة الليلة !

ولعل ذلك يبدو أوضح ما يكون في دور أمريكا في التكوين العسكري الصهيوني خلال سنوات الحرب العالمية الاولى ، ويتلخص هذا الدور أساسا في عبارة واحدة يوردها المؤلف [القسم الثاني ص ٢٨٠] : « .. ان الصهيونيين الامريكيين أظهروا صراحة ان الغرض من التكوين العسكري اليهودي تكوين نواة لجيش الدولة اليهودية المرتقبة ، بعكس اليهود البريطانيين الذين أظهروا مجرد الاستعداد للاشتراك في التحرير ، وأخفوا الاتجاه الى ترك المجندين اليهود في فلسطين بعد طرد الترك منها » .

وبالطبع ، فان بعض الملاحظات التي تؤخذ على هذه الدراسة والتي ذكرت أهمها ، لا تقلل بأي حال من القيمة العلمية والعملية لكتاب الاستاذ رؤوف سليم ، الذي أستطيع أن أزعم أنه من أفضل ما كتب باللغة العربية حتى الآن عن هذا الموضوع . ويجب أن يشار هنا ، ويشاد أيضا ، بالدور الذي لعبه مركز الابحاث الفلسطينية ومؤسسة الدراسات في توفير المصادر لهذه الدراسة ، التي لم تكن لترقى الى المستوى الذي صدرت به بدون هذه المساعدة ، حيث أن القاهرة لا تزال تعاني حتى الآن — وبكل أسف — نقصا في المراجع الاصلية عن الحركة الصهيونية ، وجذور القضية الفلسطينية ، فضلا عن سوء الخدمات المكتبية ، اذا توافرت الكتب ، بحيث أصبح أي باحث مصري جاد لا يملك الا أن يشفق بأظافره في الصخر .

وقد أشار الكاتب الى ذلك في المقدمة ، وأشار الى قضية يجب ان توضع تحت انظار الباحثين ، وهي احتفاظ الامانة العامة لجامعة الدول العربية بصورة فوتوغرافية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، التي افرج عنها بعد مرور خمسين عاما على تحريرها . ويقول المؤلف (القسم الاول ص ٩) انه لم يتمكن من الاطلاع على هذه الوثائق « الا بعد توسط الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم (المشرف على الرسالة) لدى الدكتور سيد نوفل الامين المساعد لجامعة الدول العربية » . الى هذا الحد ، أصبح الاطلاع على وثائق بريطانية مصورة يحتاج الى وساطة ، وأين في جامعة الدول العربية وبخصوص قضية نردد كثيرا أنها قضية العرب الاولى . وأبسط الواجبات نحو قضية هذه مكانتها ، ان تتاح وثائقها وكتبها وصحفها وجميع مصادرها لكل الباحثين الجادين ، بدون عوائق او قيود روتينية .

وما دمنا بصدد الحديث عن المصادر والوثائق ، فان هناك أكثر من ملاحظة حول الوثائق التي ألحقها المؤلف بدراسته . وأهم ملاحظة بهذا الخصوص هي ان الكاتب لم يستثمر الوثائق بشكل كامل في صلب الدراسة ، بحيث أصبحت الوثائق وكأنها — رغم أهميتها — مجرد ملحق اضافي للدراسة . مع ان دور الوثائق في مثل هذه الحالة ليس كذلك . وقد أحسن الاستاذ عبد الرؤوف سليم صنعا حين قدم لكل وثيقة ، وحاول ان يستخلص أهم ما فيها ، ولكن أين صدى هذه الوثائق في صلب الرسالة او في « متنها » على حد تعبير الاقدمين ؟ ان الوثيقة تضاف لاي دراسة من أجل اثبات وجهة نظر جديدة مخالفة لما سبق الاخذ به ، او اضافة شيء جديد لم يسبق لاحد الاخذ به ، او انها تلقي أضواء جديدة على وجهة نظر معروفة.

هذه — في حدود ما أعرف — وظيفة الوثيقة حين تضاف كملحق لاي دراسة ، على ان يقوم الباحث باستخراج ما يريد قوله استنادا لهذه الوثيقة واضافته الى دراسته . لقد اتبع الاستاذ رؤوف سليم المنهج العلمي الصحيح في تسجيل الوثائق وفي التقديم لها ، ولكنه لم ينجح بالشكل المطلوب في القاء ظلال ذلك على دراسته الرفيعة المستوى ، أقصد في صلبها أو في متنها .

مرة اخرى ، كل هذه الملاحظات لا تنقص كثيرا من تقويم هذه الدراسة . واذا كان عرض اي كتاب او نقده لا يمثل اكثر من وجهة نظر شخصية للعارض او الناقد ، فاني لا املك نفسي من القول بأن هذه دراسة جديرة بأن توصف بأنها لا يمكن ان تغيب عن مكتبة اي مهتم — فضلا عن أي باحث — في الشؤون الصهيونية ونشأة الحركة الصهيونية وتطورها . انها تعتبر بأي مقياس دراسة رفيعة المستوى ، لم يكن ينقص صاحبها الا بعض الاجادة في « صناعة » الكتابة وفنها ، ليقدم لنا دراسة فريدة في موضوعها .

عبدالعال الباقوري

Stewart, Desmond : **Theodor Herzl.** (Doubleday - New York 1974).

قبل ان احصل على هذا الكتاب ، قرأت في احدى الصحف البريطانية مراجعة له بقلم حاييم بيرمانت ، كان ابرز انتقاد فيها يدور حول ما اعتبره بيرمانت تركيزا زائدا على الناحية الجنسية في حياة هيرتزل . الا ان قراءتي للكتاب اثبتت لي تجني بيرمانت على ستيوارت ، وكذلك اوضحت لي اسباب الامتعاض الذي استقبل به المعلقون الصهيونيون هذه السيرة الجديدة . فان ستيوارت قد وجه الضوء الى الزوايا المظلمة في حياة هيرتزل ، وهو اذا لم يكن قد استكشف خفاياها كلها ، فهو على الاقل قد اخرج مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة من هالة التمجيد التي احاطه بها سائر المؤرخين ومؤلفي السيرة ، وقدمه الى القراء بدون رتوش .

ذكر ستيوارت في مقدمة كتابه انه استوحى فكرة تأليف كتاب عن حياة هيرتزل من دراسته لتاريخ الشرق الاوسط في الحقبة الممتدة بين افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ وعصرنا الحالي (وهي الفترة التي الف عنها ستيوارت كتابا يدعى : معبد جانوس) . فقد استحوذ هيرتزل على اهتمامه البالغ ، وذلك للغموض الذي احاط بشخصيته . فقرر ان « يستكشف حياة هذا الانسان الذي عاش من ١٨٦٠ الى ١٩٠٤ ، والذي جمع في شخصه صفات الحالم ورجل العمل الى درجة فريدة ، دون ان يساهم (اي ستيوارت) في الجدل الدائر حول الحركة السياسية المرتبطة بهيرتزل ، فيدلي برأي لها او ضدها » .

والواقع ان هيرتزل يشكل مادة فريدة لكاتب السيرة ، لا سيما اذا جاء الاخير بعد سلسلة من المؤلفين الذين قاموا ، بحكم انتمائهم السياسي ، بعملية تنقيح وترتيب في الوقائع والدوافع ، غازلوا واخافوا ، وتلاعبوا بالاخذات ، وكل ذلك لكي يخرجوا بصورة لبطلهم تختلف اختلافا كبيرا عن الواقع . وقد اخطر ستيوارت الى ان يلعب دور المخبر ومقتفي الاثر من اجل ان يصل الى الحقيقة ، او الى جزء منها ، على الاقل . فزار بودابست حيث ولد هيرتزل ، وزار فيينا حيث اقام معظم حياته . كما طاف بباريس ولندن ونيويورك والقاهرة ، يجمع المعلومات ويدرس خلفية الموضوع . والنتيجة هي كتاب عميق يخلو من الافكار المسبقة بقدر ما هو غني بالمعلومات التي تساهم في استجلاء الغموض حول حياة هيرتزل ، وبالتالي حول العقلية التي انجبت العقيدة الصهيونية الحديثة .

ولد هيرتزل في مدينة مجرية تابعة لامبراطورية يغلب عليها الطابع الجرماني ، فأطلق عليه ابوه يعقوب اسما المانيا شائعا هو : تيودور (وهي كلمة مشتقة في الاصل من الاغريقية وتعني : هبة الله) فنشأ في كنف عائلة ميسورة الحال ، ثقافتها المانية بحتة ، وممارستها لشعائر عقيدتها اليهودية ليست شديدة التعصب . لذا لم يكن مستغربا ان يحصل على درجات سيئة في درس الدين ، فان اهتمامه كله كان منصبا الى دراسة الادب والحضارة الالمانية . وكان عظيم الاعجاب ببسمارك ، وبالدولة البروسية . وكذلك تأثر كثيرا بالمشاريع الهندسية الكبرى التي كان المهندس الفرنسي ده ليسبس يقوم بها ، فاصبح طموحه الاول ان يصبح مهندسا . ولانه الابن الوحيد (كانت له اخت تدعى باولينه ، تكبره بسنة) فقد نشأ مدللا ، ومنذ البداية رأت فيه امه « سيماء العبقرية » ، وباركت فيه طموحه الزائد . وعندما انهى دراسته الثانوية ، التحق بالجامعة ليدرس القانون ، بعد ان اكتشف ان الهندسة ، حلم طفولته الاول ، لم تكن بالدراسة المتلائمة مع امكاناته الفكرية .

ونحن نلاحظ معالم انفصام الشخصية في هيرتزل منذ شبابه الباكر . فهو مثلا لا يصادق الا اليهود ، لكن شريطة ان يكون هؤلاء من غير المتدينين ، اي مثله . وهو يبذل جهده كي ينتمي الى احدى الجمعيات الطلابية التي تمارس المبارزة ، مع انه يحس في قرارة نفسه بان هذه الجمعيات تضم اناسا ينظرون الى اليهود بترفع آري . انه مفتتن بالشخصية الجرمانية ، لكنه يشعر بانه لا يستطيع الانتماء الى عالمها الخاص ، حتى وان مارس عاداتها وتقاليدها كالمبارزة . ان كبرياءه وشعوره بيهوديته تدفعانه الى خوض غمار مبارزة واحدة ، ولكنه لا يكرر هذه التجربة* . وهو اثر تخرجه يلتحق بسلك القضاء ، ولكنه بعد ذلك ينصرف الى العمل الصحفي في صحيفة يمتلكها يهود ، بحجة ان يهوديته لن تسمح له ابدا بان يرتقي سلم الوظيفة الى ان يصبح قاضيا .

وفي هذا الموقع من الكتاب ، يكشف ستيوارت عن سر اخفاه سائر المؤلفين الذين سبقوه في الكتابة عن هيرتزل . فهو ينشر رسالة كتبها هيرتزل الى احد اصدقائه وفيها ذكر لاصابته بمرض زهري .

لقد تزوج هيرتزل من فتاة جميلة غنية بعد علاقة حب ، الا ان الزواج كان فاشلا من البداية . ولما كانت المراسلات بين الزوجين قد اختفت دون أثر ، فالمعتقد ان مرض هيرتزل هو الذي حطم حياته الزوجية ، فقضى أيامه في تنقل مستمر بين مدينة ومدينة ، وبلاد وبلاد ، وكأنه مدفوع برغبة لا تقاوم في الابتعاد عن اسرته .

ويقول ستيوارت بأن « يهودية » زوجة هيرتزل كانت أمرا مشكوكا فيه . فهي لم تبد أي اهتمام بمشاريعه الصهيونية ، ولم تنشىء اولادها نشأة دينية ، ولم تهتم بختان ابنها هانس** ، فنشأ غير مختون . الا أنها سمحت لزوجها بأن يبدد دوطتها على طموحه السياسي ، وعندما مات ابوها وترك لها ثروة كبيرة ، وضع هيرتزل يده على هذه الثروة بحجة انه يخشى عليها من تبذير زوجته !

والى جانب فضحه للاسرار التي حرص اتباع هيرتزل على كتمانها ، يقوم ستيوارت ايضا بنسف بعض الاساطير التي حاكها هيرتزل حول بعض دوافعه . فهو يقضي على الاسطورة القائلة بأن هيرتزل اصبح صهيونيا اثناء تغطيته لمحاكمة الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس في باريس . ففي ١٨٩٤ — ١٨٩٥ ، وهو تأريخ هيرتزل لبداية صهيونيته ،

---

* ان جمعيات السلاح المنتشرة في جامعات المانيا والنمسا منذ أوائل القرن الماضي تعتبر المبارزة بالسيف بمثابة رياضة ، كالملاكمة ، تثبت الرجولة والشجاعة ، ولذا فان اعضاءها يمارسون المبارزة عدة مرات اثناء دراستهم الجامعية ويفخرون بالندوب التي تتركها في وجوههم . وهذا النوع من المبارزة ليس مرتبطا بالرغبة في الدفاع عن الشرف وغير ذلك ، فالتحدي ، والاستجابة له ، يبقيان على المستوى الرياضي ، ولذا فالمبارزة لا تترك الا جروحا بسيطة ، ولا تخلف اية مشاكل بين المتبارزين .

** هانس او جون (بالانكليزية) هو احد الاسماء القليلة التي لا يطلقها اليهود على ابنائهم وذلك لارتباطها بالمسيحية ، ولكن هيرتزل اختار هذا الاسم المسيحي لابنه ، وكذلك لم يختنه .

لم يكن بامكان المراقب المحايد أن يحكم على دريفوس بالبراءة من تهمة التجسس لحساب المانيا التي وجهها القضاء اليه ، وبالتالي يقفز الى الاستنتاج بأن الموجود في قفص الاتهام هو الشخصية اليهودية التي طالما لحقها الاضطهاد عبر التاريخ . لقد كان دريفوس مظلوما ، الا ان براءته التامة من تهمة الخيانة العظمى لم تظهر الا فيما بعد . اذن فان صهيونية هيرتزل تسبق المحاكمة الشهيرة التي هزت فرنسا .

لقد عقلن هيرتزل صهيونيته عندما أشار الى انها جاءت كرد فعل طبيعي على موجة المعاداة للسامية التي جرفت فرنسا يومذاك ، لكنه لم يشر أبدا الى الحركة المضادة لهذه الموجة ، وهي الحركة التي تزعمتها مجموعة من ابرز رجالات فرنسا ، ضمت جورج كليمنصو وانا تول فرانس واميل زولا ، واستطاعت ان تحصل لدريفوس على التبرئة التامة ورد الاعتبار الكامل . ان ستيوارت يبين بوضوح ان الطموح العارم للوصول الى السلطة واحراز المجد والشهرة ، هو الذي غرس في نفس هيرتزل العقيدة الصهيونية . انه في هذه المرحلة من حياته يربي لحية كثيفة ذات شكل آشوري ، ويبدأ في التبشير لعقيدته ، ويسمع الناس ابنه وهو يسأل امه : ماما ؟ هل علي ان اداوم في المدرسة اذا اصبح بابا ملكا ؟

هل كان هيرتزل سينصرف الى التبشير بالصهيونية لو انه احرز النجاح كمؤلف يا ترى ؟ لقد قضى شبابه كله باحثا عن المجد كأديب ، فألف الروايات والمسرحيات ، لكن النجاح الوحيد الذي حاز عليه كان كصحفي يتمتع بأسلوب شيق ، لا سيما في كتابة المواضيع الخفيفة . ولذا يستشهد ستيوارت بعالم النفس الاميركي (اليهودي) لوينبرغ الذي كتب دراسة تحليلية عنوانها : تيودور هيرتزل — دراسة نفسية تحليلية في الزعامة السياسية الجماهيرية ، وفيها يقول لوينبرغ : « ان هيرتزل الذي أخفق في المسرح حول السياسة الى مسرح ، فأصبح المخرج ومدير المسرح وحجز لنفسه دور البطولة . أما المسرحية فكانت تدور حول انقاذ شعب ... »

وقد حاول المؤلفون الصهيونيون ان يضفوا على بطلهم ملامح الروحانية الدينية ، فكتب احدهم (اندريه شوراكي) عن حاجة هيرتزل للصلاة ، وزيارته للمعبد في باريس، بينما يستشهد ستيوارت بمذكرات هيرتزل التي تبين بأن نظرة هيرتزل الى المصلين في المعبد كانت كنظرة مرشح النيابة لابناء دائرته الانتخابية . ان مذكرات هيرتزل مليئة باشارات الاحتقار والازدراء للشعب الذي يريد ان يتوج نفسه ملكا عليه ، وكأن الكاتب هو آري عريق لا يطيق رؤية الانوف المعقوفة والوجوه الشاحبة . والواقع ان هيرتزل لم يستطع الفكاك ابدا من بيئته وحضارته الجرمانية . ولستيوارت ملاحظة ثاقبة في هذا الشأن ، فانه يستشهد بفقرة من كتابات هيرتزل يقول فيها : عندما يصل اليهود ، الى «بلادهم الجديدة»، سيقفون حاسري الرؤوس ليحيوا رايتهم . والطريف هنا هو ان اليهودي ، كالمسلم ، يغطي رأسه كاشارة احترام ، بينما الذي يعري رأسه احتراما هو المسيحي ! وهكذا نرى ان هيرتزل كان بعيدا كل البعد عن الحضارة اليهودية وتقاليد الشعب الذي يريد انقاذه .

وينسف ستيوارت اساطير اخرى في سياق روايته لحياة هيرتزل . فكتابات المعجبين تستفيض في التحدث عن حنوه على اولاده ، بينما يبين ستيوارت بأنه بالرغم من اشارات هيرتزل المتعددة الى ابنائه في يومياته ، فمن مجموع خمس اشارات الى اعياد ميلادهم ، نجد ثلاثا منها تتضمن خطأ في تعيين أعمارهم ! ثم هناك الاسطورة المتعلقة بحاييم ماكوبي ، احد مشاهير رجال الدين اليهودي بين معاصري هيرتزل . فان ماكوبي قضى حياته كلها يعارض الصهيونية السياسية ويندد بدعوة هيرتزل . ولكننا نجد اسمه اليوم في عداد مؤيدي هيرتزل الاوائل وهناك قاعة في احدى الجامعات الاسرائيلية مكرسة لذكراه !

اما رحلة هيرتزل الى فلسطين ، وقد استغرقت تسعة ايام بالتمام والكمال ، وكانت الزيارة الاولى والاخيرة ، فان يوميات هيرتزل نفسها تقضي على الاسطورة التي حاكها المؤرخون حول حالة النشوة التي انتابته وانتابت صحبه عندما اقتربت السفينة التي تقلهم من « الساحل اليهودي »*. فهو كان يعاني من سوء الصحة ، وقد أتعبه حر فلسطين ، وهذا كله عكر له مزاجه . الا ان الزيارة التاريخية

---

* يذكر ستيوارت القارىء بأن العبريين القدماء لم يسكنوا ابدا الساحل الفلسطيني .

أصبحت جزءا لا يتجزأ من الميثولوجيا الصهيونية ، فزورت صورة لتظهره واقفا امام القيصر الالماني الذي كان يزور فلسطين في ذلك الحين . لكن الحقيقة بقيت ثابتة ، وهي ان هيرتزل رجل اوربي صميم ، يخشى الحر الشديد ، ويرتبط الشرق في ذهنه بالمستنقعات والثعابين وبالاقوام الهمجية التي لا تتردد في هجر وطن اجدادها في سبيل المال . فبالنسبة اليه ، القومية هي مفهوم اوربي لا يفقهه الشرقي . وهو متأثر بذلك الامبريالي البريطاني الشهير : سيسل رودس ويريد ان يقتفي خطواته في تأسيس مستعمرة اوربية في الشرق . الا ان التطورات داخل الحركة الصهيونية تثير شجونه ، فان يهود اوربا الشرقية الذين لم ينعموا ببركة الحضارة الجرمانية يريدون تأسيس دولة عبرية تستمد روحها من التوراة وليس من بسمارك او رودس . كما ان علاقته مع زوجته تزداد سوءا ، لا سيما وانه انفق الجزء الاكبر من ثروتها وهجرها . وهي ايضا معتلة الصحة ، ولعل ذلك يعود الى اصابتها بالعدوى منه . ولكن ذلك كله لا يطفىء جذوة الحماس في نفسه ، بل انه يفكر في القيام بغارة على قصر يلدز في الاستانة لعزل السلطان عبد الحميد ، وتعيين سلطان آخر مكانه يكون على استعداد لمنحه فلسطين ! وهو اينما ذهب يهمس في آذان الناس منوها بقوة اليهود الكبيرة ونفوذهم الممتد في كل مكان ، ومحذرا من النتائج الوخيمة ان لم تستجب الدول الكبرى لمطالبهم في انشاء دولة لهم . وفي هذا السياق ، يشير ستيوارت الى كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ، ليذكر بأن هذه التهديدات بقوة اليهود الخفية قد أعطت مصداقية لهذا الكتاب الذي ما زال العالم يجهل هويـة مؤلفه .

وأخيرا يموت هيرتزل .. لقد قتله طموحه . ومع ان وايزمن كتب بعد ذلك في مذكراته :: التجربة والخطأ ، يقول بأن هيرتزل لحسن حظه مات في الوقت المناسب ، الا ان طاحونة الدعاية الصهيونية ظلت تنتج المزيد من الاساطير . انها اولا اسدلت الستار على المرض الذي انهى حياته ، اذ هناك اشارة مبهمة الى ان قلبه المريض الذي كان قد ادى الى اعفائه من الخدمة العسكرية في شبابه ، هو الذي كان السبب في موته . ولكن ستيوارت لم يتمكن من العثور في سجلات وزارة الحرب النمساوية على الاسباب التي ادت الى اعفـاء هيرتزل من اداء واجبه العسكري، ولذا فالافتراض ما زال قائما بأن موت هيرتزل جاء نتيجة للمرض الزهري الذي اصيب به في مطلع شبابه .

وماتت زوجته بعده بثلاث سنوات وكانت قـد أوصت بوجوب حرق جثمانها . ويميل ستيوارت الى الاعتقاد بأنها ذهبت ضحية للعدوى التـي اصابتها من زوجها . ولمـا كان السر في خلاف الزوجين كامنا على الارجح في رسائلهما المتبادلة ، فقد اختفت هذه الرسائل دون اثر .

الا ان مأساة آل هيرتزل الحقيقية كانت في حياة الابناء . فان ابنته باولينه ادمنت المخدرات وفشلت في حياتها الزوجية وماتت في بوردو بفرنسا عام ١٩٣٠ . أما هانس فقد درس في انكلترا واقام بها واعتنق الكاثوليكية ، ولكنه كان عرضة للامراض العصبية ، فلم يتزوج . وقد عانى من الفقر ، ولم يكن يطيق ان يذكر اسم ابيه امامه . وكان شديد التعلق بأخته باولينه ، وبعد مدة قصيرة من وفاتها انهى حياته بيده . أما تروده ، فقد تزوجت رجلا تشيكيا ، الا انها ظلت طول حياتها تعاني مـن الاختلال العقلي ، واخيرا ماتت في معسكر نازي للاعتقال في عام ١٩٤٣ ، تاركة ابنا وحيدا يدعى ستيفان تيودور نويمان ، خدم كضابط في الجيش البريطاني اثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم عين ملحقا تجاريا في السفارة البريطانية بواشنطن ، ولكنه قفز منتحرا من جسر في العاصمة الاميركية ، وكان في الثامنة والعشرين من عمره وآخر سلالة هيرتزل . ويقول ستيوارت انه اوضح دوافعـه للانتحار في اوراق سلمها الى الياهو ايلات ، مندوب الوكالة اليهودية في واشنطن ، ولكن هذه الاوراق لم تنشر ابدا . ويكتب ستيوارت : من الجائز ان يكون قد اكتشف سرا متعلقا بعائلته ، فأدى هذا الاكتشاف الى الاخلال بتوازنه العقلي . ما هو هذا السر ؟ لا ندري .

فارس المنصوري

Tahar Ben Jelloun, **Le discours du chameau,**

(Maspero, Paris, 1974).

انه يؤرخ لحركة العالم ابداعيا . هذا ما يفعله بن جلون هنا مستغرقا في الحاضر المجلل بالفاجعة العربية ، باحثا في هذا السواد عن مفتاح يشرع له باب الافق .

في قصيدة واحدة تشبه المطولة الملحميـــة ، وكصور في شريط سينمائي تمتد حبال هذا الشعر امام قارىء عربي معني بكل حرف يقال له . وبعيدا عن جغرافيا الذات الانانية ، تتفتح اثلام القصيدة الجلونية مرتوية بماء الـــذات ـــ الجماعة التـــي تتمثل هنا بالجمل العربي .. أعرق مطية لها منذ فجر الزمن ، وباعتبار هذا الجمل اول جسر عبر عليه العربي من نوم الصحراء الذي كانت تســدر فيه الى الواحات والحواضر ، حيث يخرج الزمن من وحدانيته الى الشرك الابدي .

الاف من القوافل اعتلت ظهـر هذا المسافـر الدائم المحتفظ مع الماء في اعماقه باسرار الاعراب الرحل وآلامهم ؛ وهـا آن الاوان لينضح هـذا الجمل بذاكرة الصحراء ، وليعلن على الملأ انه الجندي المجهول والفارس المغامر والامام الواعظ وراء المحراب .

مأزق الذاكرة العربية

انها « موعظة الجمل » هذا الملك المتوج على الذاكرة العربية تطفو على وجوده ، يقتلها فتبعث . وهي المأزق المختمر . واذا كان فتجنشتاين يقول : « ان حدود لغتي هي حدود عالمي الخاص » فـان لسان حال بن جلون يقول : « ان حدود ذاكرتي هي حدود عالمي الخاص » . وبما ان الشاعـر يجهد للافلات من هذه الخصوصية ، فمن الطبيعي ان يجهد لتدمير الذاكرة .. هذه الذاكرة التـي يخصص لها الشاعر جزئين من مطولته ، يلقي بها سارية الكلام ويعود الى المرفأ بواسطتها ايضا .

أول البحر هو هذه « الذاكرة الاثمة » والافـق هو « الذاكرة المجربة » ومـا بينهما يعلو مـوج الكلام ويهبط ، وسدى ينجو من هذين الحدين : البدء والخاتمة . في احـدى وظائف الشعـر الاساسية هنا « تقيؤ الذاكرة عند الفجر » .

الشعر هنا لا يعاني ، لان الماضي سـد لا يمكن تقويضه ، بل ان المعضلة الكبرى في نظره هي منع زيت الذاكرة من تلويث بحر الحاضر حيث تبـدأ طلائع الثورة في الايناع . وبعكس بروست الـذي امضى حياته بحثا عن الزمن الضائع لدرجة انـه تنسك في سبيل الذاكرة ـ الجنة ، فان بن جلون لا ينفك عن اطلاق ابشع الالقـاب عليها . انهـا الذاكـرة التعسة التي سوف نغطيها بالرمـاد « الذاكرة المجنونة » « الذاكرة الخاوية في جليد الصباح » . بل انه يذهب الى حد التهكم مـن اسرارها وجمالاتها ، فهي مجـرد « حجاب بـلا لغز » ..

الاغتراب في شعر بن جلون ايضا يكمن في ان الانسان العربي ينضح بالماضي ، وهو من اكـثر الاغتربات اشكالا ، علمـا بان الذاكرة هـي المرفوضة ، ولكنها الجذر المتمسك بأرضه . ان اصرار بن جلون هنا على نفيها يسير بهذا الشعر على طريق معاكس للشعر الرومانسي المتمحـور حول الذات الطاغية وعقدها . ان خضرة الصحو هنا هي النافذة التي يطالـب بن جلون بفتحهـا ليكتب للانسـان التغيير ، باعتبار ان الذاكرة نوم مؤبد :

« الاطفال يطالبون بفقدان الذاكرة
هم لا يصدقونكم ابدا
هم ينامى العصر الذهبي
والشرخ في الذاكرة التعبة »

وكمنبه يقرع لايقاظ السادرين ، او لاحاطتهـم بالخطر المحيق بهم ، ترجع كلمة « ذاكرة » تكرارا في القصيدة . ان ثقل الاتهام يقع عليها من خـلال التكرار ، اذ ان بن جلون يعتبرها الفاعل الاول في الزمن الانساني . ومن موقع الاتهام هذا يحمل بن جلون على « الاجداد الذين شربوا العار في آنية من رماد ، وصادروا احلامنا » انهم هاجس الرعب يهدد الكيان العربي الذي ما يزال مخدرا بأم كلثوم « النهر الذي لا يستيقظ » « النيل المنتظم في حروف تنازع على جنس مريض » . بل ان تبجح الماضـي

يدفع بين جلون الى رؤية الرموز الجماعية ضمن ثباتها وسلبيتها . وهكذا يبدو الحمام عصفورا من البلاستيك .

دون هوادة تشتعل حرب بن جلون على الماضي — المسخ الى ان تسقط كل اصنامه ، ويحتضر الزمن بشكله العمودي . آنذاك يصح القول ان بن جلون تخلص من الذاكرة الآثمة والذاكرة المحنكة .. وكانت بداية الخلود ، باعتبار ان كل احتضار للذاكرة هو نوع من الولوج الى الابد : « وضعت حجاب الموت الابيض على ذاكرتي » ..

رويدا، رويدا ، ينتشر الشاعر في عوالم الافق، متخلصا من جرثومة الزمن « روحي ازرق .. لا ليست هذه بصورة . كجمال ناظم حكمت ، صرت ملاكا .. انا خفيف . خفيف جدا ، فالى بوابة الجنة احرسها » .

مع ولادة الخلود ، صار الجمل الواعظ غير جمل الصحراء ، باعتبار ان الكائن هو انعكاس ما للمكان . صار جملا زمانه فضاء . وتحول الرمز الى اعرق ما في الحياة العربية ، واكثرها اتصالا بالارض ، تحول الى طائر ابتكرته موهبة الرفض. هو بين الارض والسماء مزيج من براق وجمل .

البتر اسلوبا ثوريا

لان الماضي الذي يجهد بن جلون في التخلص منه ماض قريب ، غير ماضي الامجاد والفتوحات، فان الشاعر لا يخلص تماما من مأزق الذاكرة التي تعبر عن « ذاكرة النكبة » . بل انه يمكننا القول ان الحاضر هو شكل من اشكال الماضي ، لان فلسطين تشده الى الماضي القريب . فلسطين هذا الخيط اللامرئي الذي يجعل الحاضر ماضيا بالقسر ، فهو وهذا الماضي توأمان : ٤٨/٦٧/٧٢ .. ثلاثة تنويعات على الفاجعة العربية .

ولكن هل تتوقف مهمة الشاعر عند نفض الغبار، غبار الغموض عن الانظار ، ومسح الظلال ، واعطاء الاشياء حجمها الحقيقي ؟ لو كان الامر كذلك لما كان هناك شعر ثوري . ان غنائية النفي وحدها لا تكفي لايقاظ بذور الثورة في القلب العربي .

من هنا كان لا بد للشاعر ان يكون ايضا محرضا . اي ان ينتقل من مستوى الوصف الى مستوى الحركة . ومن البديهي ان يكون الحوار مدخلا لهذه الحركة . الحوار بكل درجاته ، تتوسع به دائرة الكلام . ندخل به انا وانت وهو، عسى يبرق في الافق بلقائنا بصيص امل عربي . اكثر ازمنة الحوار ترددا في هذه المطولة ، هو زمن المخاطب حيث يجهد الايقاع بكل ما يملك من وسائل عنف الى ان يكون ايجابيا . وليس من شك بان ضمير المخاطب هو اكثر الضمائر اهلا بالحضور .

« تعودتم صنع التاريخ / مداخنكم تبصق دما اسود في السماء / دما غريبا / كلابكم تعرفه / خائفون انتم من الجمال المتدفقة من الجزيرة العربية / في بطونها يضج اطفال ولدوا تحت الخيام / اطفال قرروا تصحيح التاريخ وتحريك اسفلت طمأنينتكم » .

في منطقة المخاطبة ، يصير الوعي اكثف واكثر واقعية ، الشعر هنا يقترب من المواجهة ، او بتعبير اخر من المسرح ، وندا لند يتلاقى الشاعر والقارىء . ضمن هذا التحرك الثنائي ، يمضي الشاعر في ايضاح المسؤوليات وتوزيع التهم . وكلما كان القارىء المفترض ابعد منالا (الانسان الغربي بالتحديد) انهال سوط الشعر بعنف اكبر :

« لا وقت لديكم للحلم
لا وقت لديكم لاكتشاف شعب مشرد
دفنتم مذابحكم
قبل العودة الى اجسادكم » .

لا شك في ان هذا التهديد والوعيد آنيان ، يمران بسطح الكيان دون ان يقتربا من زلزلة الاعماق ، في حين ان المطلوب هو ايجاد بديل للذاكرة ، اي اعطاء الحاضر بعد الزمن كله . وليس سوى الدهشة بالمعنى البريختي للكلمة قادرة على اقتحام سكة الذات الملتوية ، وانتاج الانتباه للحاضر .

« ثمة جسد متبرج
وجه يبكي لونا
يصعد في عربة
يمد لسانه
برجم بالحجارة واللهب رجلا في كيس

هذا الرجل ورث خيمة وحبلا

انه عربي »

بقدر ما يقحم الشعر هذه الذات في الواقع الصلف ، ينتبه القارىء الى المأساة المرابطة في كل جزئيات وجودنا . الحوادث اليومية ترتبط مباشرة بالفاجعة حين تستسلم لجبر من جلسون اللغوي . والاستشهاد بها كوسيلة من وسائل المقاطعة البريختية ، يوقظ الملل النائم والمقترن باليأس .

« قررت الحكومة

تقديم احتجاج لمجلس الامن ، بعد الهجوم الاسرائيلي

الذي وقع ليل الثلاثاء الاربعاء

يبدو ان العملية خلفت ضحايا كثيرة في صفوف الفلسطينيين

الذين خسروا اكثر من مائة قتيل وجريح »

طبعا ، لا ينجو الشاعر من فخ النثرية وهو يجهد للتحريض . بل ان التآلف مع القضية يصل الى ذروته حيث يغتني الرمز ، ويزدهر النص بالصور التي تصل الى القارىء بسرعة اكبر من سرعة قصاصات الجرائد .

جسر التناقض

ما بين الغنائية الاراغونية الصافية تنبع من نهر القلب ، والمقاطعة البريختية كوسيلة من وسائل الاخراج ، وكنتيجة للعنف الخلاق ، تتمايل المطولة بين هبوط وصعود ، بين خطين شكليين : عمودي يسيطر عليه زمن الوصف الموضوعي (بنسبة ما هنالك من موضوعية في الشعر) وافقي يمسك بزمامه ضمير المخاطبة (احيانا الغائب) ، ففيما تتلاحق الصور والاوصاف في سيل منتظم عموديا ، نراها تتهاوى فجأة في ايقاع عجل ومتوتر .

تبتدىء المطولة بان يوجه الشاعر العدسة نحو الكلام الذي يزخر بالتفاصيل كلما دخله الضوء اكثر ويموج بالعصبية مما يهز عمود الكلام ، ويلقي به في الايقاع الافقي ، بل في الايقاع المتناثر بتعبير ادق ، حيث ان العنف يعجز عن اعطاء هوية للسقوط .

« انا /

الجمل /

الدم السامي /

لا احسدكم على شيء

اعرف /

تعلمت ان فضيلتكم تقبع في بطن ضفدع /

ضفدع او غار » .

عند زواج النفي بالتأكيد ، يصل الشعر الى الذروة ، حيث تلتقي جميع الاضداد في واحد لتعود تتوزع من جديد في ديالكتيكية ابدية ، بين نفي وتأكيد ، بين ثبات وحركة ، بين وصف ووعظ ، اذ ان الجمل بين محطة كلامية واخرى يسدى لنا النصائح . وهنا ايضا لا تخلو المطولة من لهجة خطابية تسيء الى الغنائية الصادقة ، وحكم تجهد لتقليد اللافتات في قصائد بريخت ، ولكنها تبقى اقل نفاذا منها الى سلبية القارىء . ولحسن الحظ ما تلبث هذه الخطابية ان تذوب في التماكس الدائم بين الموت والحياة :

« يعرف الذين يموتون

لن يكون حداد

ولا بكاء

ولا مراث

بل ولا صلاة الغائب »

ولكن

« لكن » التناقض تجهز فورا على الاستسلام والهزيمة بشكل علني ، خاصة وان بن جلسون يفسح لها مساحة كالعنوان في القصيدة . اي بديل تطرح « لكن » سوى :

« الكبرياء الهائلة

الموؤدة على المنحدرات

والتي تعبر المدينة المعدنية اليوم دون ان تسمي السلطة القاتلة ، دون

ان تحدد المكان السري للجرح » .

« لكن » تعلن افتتاح الحدث في مناطق تتشكل مقابلة لمناطق الماضي . هنا وهناك ينساب النهر الشعري دون ان توقفه حصى الفواصل وحجارة النقط ، مما يحصر الزخم في مساحات متراصة تبدو للعين القارئة كمقاطع من مسرحية متمحورة حول المونولوغ الجماعي المنطوي على شعاع من

الامل ، اذ ان كـل تشاؤم مبالغ لا يمكن الا ان يشكل خيانة للثـورة التي هي في نهاية الامـر ديالكتيكية الفرح واليأس :

« دم فلسطين ترك ندوبا في الاسفلت
حيث الياسمين نابت في الخريف
دم الاطفال يخصب الارض
ويحرك الذاكرات »

نصوص مختارة

١ —

الجمل المولود قبل الهجرة بثلاثين عاما / هذا انا / وانا الكلم الضائع في التاريخ / المعجون بدم الشجر
لا جذر لي / لا وطن
واحنو على اطفال ولدوا
في مضاجع الرماد
وانا الجمل / رافعا عقيرتي :
مشروع عنف الفلسطينيين / عنف هذى النجمة الجامحة / الامل
القصي / اسمعوني
انا الجمل وهذى واحة وحشتي

٢ —

النجر :

مرة واحدة اسمعوا نشيد النبع في عروقنا
نشيد النجم المزروع في الطين
انصتوا لسيول السماء تقول لا
للنسيان / انظروا اليد تتقدم / تهدى هـلالا /
انصتوا لقلب غسان كنفاني / نصف برتقـالة ومدهش
قلب .. كتاب والامل غزال بين دفتيه
وفيه امرأة جالسة عند النجر المكتمل / انصتوا
فرس الموت العجوز تروى الاسطورة / انصتوا
تصوغ لنا السماء سرير زهر / وتدمر الشمس
شمس تمنحنا العمى الابدي
وعيوننا ليل وفجر مصبوغ بالالم / انصتوا
عصفور تشرد بين المنفى والرمل يغرد / انصتوا
صحراء ترتد عن احلامكم
وفي الصحف اخبار عن الثأر / اجساد منسوفة
تشعل الحقد الذي يعصر صدوركم
وفي محاجركم ليل يئس ونام /
ونهار تمزق وانطوى
في الزبد الوقور
ناهض هو النسيان مع الشمس
وكان المطر رمادا هذا الصباح فوق ميونيخ

٣ —

قصيدة مهداة الى محمود الهمشري

لا تبكوا الموتى
علمني الرمل / الشجر / الشمس
ان الموتى اغنياء / عن عبراتنا / شهداء كانوا او ربيعا او كوكبا / هذا قول امرأة عرافة كـل ذاكرة / مع نجر القلب الصامت / شيعت اطفالها برغيف شعير وحفنة زيتون .
شيعتهم / لم تبك / ارتحلوا ابدا / لم تبك / سكنت حنايا زينته احلام الجبال المتسولـة / سكنت زهرة تتفتح
بين شواهد القبور .
الغيم طوته بنسيان / وللنسيم ترهف :
محمود قضى بجراحه
محمود ولد في طولكـرم قبل بضع سنين مـن مجزرة دير ياسين
محمود مات في الخريف
وعلى ضفة الصمت الثانية هوت شجرة
في عذاب الذاكرة المثلومة
لا تبكوا الموتى
آت زلزال الذاكرة المتهمة

٤ —

موجوع بوحدتنا/موجوع بموت شموس صغيرة/ اشتات سماوات صرن / تنائرن على قمة رابية
لم تعد الصباحـات تذكر الصمت / وكالطـل تساقطن حروفا عجماء .
موجوع بنهار كالسد ناهضا / كرمل ارتفـع حجابا بيننا

ونزعم اننا اخوة ولسنا رفاقا / وهم يطلقون الاتهم المتقنة على الايدي التي تتفتح على الحياة
وبوجه العاصم تطالب بالارض والشجر والهوية
موجوع بالاهمال يتساقط من نجمة لا اعرفها
موجوع بأجساد مدن مدهونة وعارية / مدن بلا قلب / واراهم غرقى في حساباتهم / وجوههم مطلية بالزبدة يسترون بها رعبا يلون الجباه
اراهم : وجوههم جامدة وراء الزجاج / انهم ندوب
زمان يكتب مصير احلامهم / ينبئهم بالزلزال
واراهم يحلبون ظلاما لمصالحة التاريخ
لكل شيء تبرير / ولكن حذار ان
تعبث الطفولة بالهدنة / وحذار
هنالك ما هو ألعن / الاشقاء حفارو قبورنا
الراقدون على سرير الحنان / ويحط على ذاكرتهم ذباب ونمل
القصيدة الولادة تصرخ بالاطفال
اطفال يمشون على رغوة البحر :
فليتوقف هذا السرب الحوام من النجم
الى العار ومن العار الى النجم
اي رماد في جمجمتي/مؤمنة ما زالت بحلم ممكن
اي دم تدثره هذه الغبراء
اي زيتون يموت مع الفجر الباهت
اية اشعار يلجمها الموت الابيض
دعوني اتمرغ بالرمل لعلي افقد الذاكرة/انسى الناس / اموت .

الدمع في المحاجر / هكذا الاشقاء حفارو القبور
يذبحون الرفاق ينظفون العاصمة / يغسلون جنسهم
هكذا يقيمون الصلاة وينسون

ولماذا اقول كل هذا ؟
لست اشكو
يموت منهم / كل يوم / في الحقول / في الرمال
والشمس والزيتون يعرفان
للارض الجريح اقول وللازرق والاخضر تشرعهما
ابواب السماء لي / وليشهد البحر وحده على جرحنا
اقوله حتى يرى الاطفال الفجر طالعا من احلامهم
وليعرف الملأ ان التاريخ مزور
اقول ...
ولكن سدى يعظ الجمل
اقوله للصحراء اقول وبلون وحدتي دثار الرمل
صوب عمان تزحف الصحراء / الشفقة / العاصفة
تختنقان الارواح النتنة مصعوقة بعريها
اقول ...
وكلامي يضيع في الكثبان
ايسمعونني / رحمي ليس مني / رحمي دهري كعصفور
يرتعد على غصن ناحل /
رحمي صديق فاجأني في هذياني / غفر لي جنوني
وغادر الخيمة رحمي / لست اغني
غير جدير بموتي الليل والمنبعثين فجرا
حقير ما اغنيه / ما انا سوى جمل / قدر يتم
حزين بدون يأس
هل ينسى التاريخ رفاقي / الاشقاء وغيرهم يصرون
والاشقاء وغيرهم يجهلون خبايا الصحراء
في الفضاء حلم / في راحته الحق
وفي الفضاء نجمة جريئة تشرق على معاركه / وحبه
تشرق على زواج الغاب والشجر / وعلى الحياة
تذبل التيجان / هذا تعبير الرؤيا
تنفجر في الشوارع العربية / تنشد الموت / تناديه
الموت الهاطل من السماء

مراجعة وتعريب : **أميرة الزين**

تقارير

التربية القومية في المدارس اليهودية في اسرائيل

المقصود بالتربية القومية في المدارس اليهودية في اسرائيل ، هو ما تبذله أجهزة التعليم الحكومية الاسرائيلية ، الممثلة أساسا بوزارة المعارف والثقافة ، لخلق أجيال اسرائيلية تؤمن بالمعتقدات الصهيونية ، التي اعتنقها « جيل المؤسسين » الصهاينة ، وتعمل من أجل تحقيق اهداف الحركة الصهيونية في المنطقة .

ان اكثرية الطلاب اليهود في اسرائيل خاضعة لبرامج التعليم الحكومية ، بموجب قانون التعليم الحكومي لسنة ٥٧١٣ــ١٩٥٣ . والمدارس الحكومية تكاد تكون المسيطرة الوحيدة في حقل التعليم . ففي السنة الدراسية ٧٤/١٩٧٣ بلغ عدد الطلاب اليهود في معاهد التدريس اليهودية ، وعددها ٥٫٩٩٣ معهدا : ٨٤٤٫١٥٠ طالبا ، موزعين في مراحل الدراسة المختلفة ، بين المدارس الحكومية والمدارس الخاصة ، بحسب الجدول التالي(١):

توزيع الطلاب في المدارس الحكومية والخاصة في السنة الدراسية ٧٤/١٩٧٣ (بالنسبة المئوية)

	تعليم حكومي	تعليم حكومي ديني	تعليم مستقل
معاهد ابتدائية	٦٩٫٨	٢٤٫١	٦٫١
معاهد اعدادية	٦٩٫٢	٣٠٫٠	٠٫٨
معاهد توجيهية	٧٣٫٣	٢٢٫٧	٤٫٠
معاهد اعداد المعلمين	٦٣٫٦	٢٥٫٤	١١٫٠

يتبين من الجدول أعلاه ، ان أكثر من ٩٥٪ من طلاب المدارس الثانوية الاسرائيلية ، واكثر من ٩٣٪ من طلاب المدارس الابتدائية ، يتلقون العلم في مدارس رسمية . واذا لاحظنا ان معاهد « التعليم المستقل » تابعة لحزب « اغودات يسرائيل »(٢) نجد أن كل طالب يهودي تقريبا في اسرائيل خاضع ، منذ دخوله مرحلة الروضة الى ان يتسرح من الجيش ، لبرنامج التعليم الصهيوني الرسمي ، خاصة وان تيار التعليم الحكومي الديني ادخل بتأثير الحزب الديني القومي (المفدال) ، المشترك في الحكومة .

وبالاضافة الى خضوع الطالب الاسرائيلي الى برامج التعليم الصهيونية الرسمية في هذه المدارس الحكومية ، هناك مختلف النوادي الثقافية والرياضية ومعاهد الشباب ، التي تتحكم بمقل هذا الطالب في اوقات فراغه . وهذه المعاهد والنوادي تملكها وتديرها مختلف الاحزاب الصهيونية ، مثل منظمات بني عكيفا والبتسور وغيرهما التابعة لحزب المفدال ، ومؤسسة بيت جابوتنسكي التابعة لحركة حيروت ، وكذلك مختلف النوادي التابعة للمجالس البلدية والتي تتحكم فيها الاحزاب الصهيونية ايضا .

وفي عام ١٩٧٠ تأسس « المجلس الصهيوني في اسرائيل » بهدف « العمل في ميادين الاعلام والتربية الصهيونية ، ولتشجيع روح التطوع لدى الجمهور الاسرائيلي ، وبشكل خاص لدى الشبيبة »(٣). ويضم هذا المجلس ٩٦ مؤسسة شعبية ومنظمة ، بما فيها كل الاحزاب الصهيونية، وينظم كل سنة مئات المحاضرات والندوات الدراسية في مجال « التوعية الصهيونية » خاصة في المدارس الثانوية . وبالاضافة الى ذلك ، هناك اقسام التعليم و« التوعية الصهيونية واليهودية » في مختلف وسائط الاعلام الرسمية والحزبية وغيرها ، مما يخضع الطالب الاسرائيلي منذ حداثته لجهاز هائل ومتشعب للتربية والتثقيف الموجه ، بهدف خلق اجيال اسرائيلية تؤمن بأهداف الصهيونية ، كما وضعها آباء هذه النظرية .

تربية صهيونية موجهة ومفروضة

يتضح من مراجعة برامج التعليم في المدارس الاسرائيلية ، ومناقشات رجال الفكر والمتخصصين في شؤون التربية ، وكذلك من مناقشات الكنيست حول مهام وزارة المعارف والثقافة ، ان التعليم في اسرائيل موجه الى اقصى الحدود . وتنطلق خطة التعليم هذه من الافتراض ان « الحل الصهيوني » هو الحل الوحيد لمشاكل اليهود في اسرائيل وخارجها ، بحيث لا يوضع الطالب اليهودي امام الخيار الفكري: اعتناق الايديولوجية الصهيونية او سواها ، اذ أن هذه الايديولوجية تفرض عليه بشكل مباشر . والحوار القائم في اسرائيل حول التربية لا يدور حول اعتناق المبادىء الصهيونية او سواها ، بل حول اختيار افضل مواد الدراسة وافضل الاساليب والسبل لتلقين هذه المبادىء للشباب ، والعمل على تحقيقها من وجهة نظر واضعي سياسة التربية الصهيونية . ويتبع هذا الاسلوب في التربية تحت شعارات « التربية على اسس القيم القومية » و« تعميق الوعي اليهودي والصهيوني » .

ظهر هذا التوجه بشكل واضح من الحوار الدائر في اسرائيل على ارضية ظهور بعض الشكوك وعلامات الاستفهام لدى الشبيبة هناك، بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبشكل خاص بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، حول جدوى « الحل الصهيوني » وجدوى العيش على الحراب الى الابد . وقد اتهم البعض وزارة المعارف والثقافة بأنها مسؤولة عن ظهور هذه الشكوك ، بعد ان قصرت في مجال « التربية على اسس القيم والمثل القومية» . الا ان المسؤولين في حقل التربية والتعليم دافعوا عن سياسة وزارة المعارف وأكدوا ان المدرسة الاسرائيلية لم تقصر في هذا المجال . فقد أعلن ، مثلا ، الدكتور دان روبين ، مستشار وزير المعارف والثقافة : « ليس صحيحا ان المدرسة لم تربّ على أسس القيم والمثل القومية. انها تدرس قيم البطولة اليهودية ووجوب انقاذ الارض ويهود الشتات ... »(٤). وفسر المستشار ردود فعل الطلاب الذين ابدوا ملاحظات لا تروق لمفكري الصهيونية ، بأدعائه انها غير ناجمة عن تقصير المدرسةفي التربية على اسس القيم القومية، بل ان « هذا هو رد فعل كل جيل شاب يكتشف تلون الكبار ، ويرى الهوة بين أقوالهم وافعالهم ... ان الصهيونية لم تضع بعد قيام الدولة امام الجيل الجديد الا مجالا واحدا فقط ، هو الخدمة في جيش الدفاع الاسرائيلي .. وتطبيق الصهيونية اليوم هو الخدمة في الجيش . ان الجيل الشاب لا يكفر بالاساس ، والاسئلة التي يسألها الشبيبة تنم عن القلق على مصير الشعب اليهودي ، ويجب أن لا تكون سببا لهجوم شامل عليهم ، بل حافزا لتربيتهم »(٥).

وكتب وزير المعارف والثقافة ، اهرون يدلين ، رسالة الى احدى الصحف الاسرائيلية ، عبر فيها عن موقفه من التعليم والتربية «على اسس القيم»، بقوله : « لا يراودني أي شك حول واجب التعليم في غرس القيم ، وفي التربية على اسس القيم والمثل القومية والاجتماعية والاخلاقية . التعليم في الحقيقة موجه الى الفرد ولكن بدون التربية على اسس القيم لن ينمو الطالب ليصبح انسانا ... انني أصر على وجوب وجود اتفاق قومي عام في مجتمعنا »(٦).

وكان يغئال الون ، وزير المعارف والثقافة سابقا ووزير الخارجية حاليا ، قد اوضح دور جهاز التعليم في تنفيذ المشروع الصهيوني ، بقوله في خطاب له في الكنيست عام ١٩٧٠ : « ... ان لجهاز التربية والتعليم ولبناء القيم في المجتمع الاسرائيلي ، دور حاسم في قدرتنا على الثبات ،

وخاصة قدرة الجيل الشاب على تحمل العبء الكبير الذي القاه التاريخ اليهودي المعاصر على عاتقه ... ان تعميق الجذور الروحية والفكرية لجيل الدولة ، يتطلب تعميق معرفته وتضامنه مع تلك الفترة المجيدة في ارض اسرائيل التي سبقت قيام الدولة ، والتي لا تقل في مدلولها القومي عن اهمية الخروج من مصر او عودة صهيون . وعندما يتعمق [في هذه المواضيع] سيعلم [الجيل الشاب] جيدا من اين جئنا ، ماذا كان هنا قبلنا ، لماذا نحن هنا والى اين نتجه . هذه المهمة ليست ملقاة فقط على عاتق جهاز التربية والتعليم، ولكن على عاتقه في الدرجة الاولى ....»(٧).

وافرد الون في خطابه مكانا بارزا لاهمية «المدارس الزراعية ـ الاستيطانية » قائلا ان سياسة التربية والتعليم في هذه المعاهد قائمة على اسس ثلاث : « ١ ـ تقوم البلاد على الاستيطان ، وما تزال فيها مناطق شاسعة تنتظر المستوطنين ، ٢ ـ هناك مستوطنات صغيرة متعطشة للمزيد من المستوطنين ، ٣ ـ كل تقدم وتطور في هذه المستوطنات يعزز قوة الاستيعاب فيها(٨).

ولعل افضل وصف لاسلوب التربية الصهيونية الموجه والمفروض في اسرائيل ، ما كتبه عميد كلية الاداب في الجامعة العبرية في القدس ، تسفي ادار ، في كتابه « التربية اليهودية في اسرائيل والولايات المتحدة » . وجاء في هذا الكتاب قول ادار : « بينما تكتسب التربية القومية الطبيعية عن طريق التعرف على الثقافة القومية ، تسعى خطة التوعية اليهودية الى اكساب هذه التربية بصورة مباشرة عن طريق الوعظ والتوجيه . وبينما تقوم التربية القومية على اساس التربية الانسانية الواسعة ، فان خطة التوعية اليهودية تسعى الى الخصوصية [خصوصية الشعب اليهودي]... وكنتيجة لذلك تشوه التربية اليهودية في جهاز التربية العام ، وتتحول الى تربية من اجل التعصب القومي ، تربية شعورية عدوانية وموجهة . وهي بهذا تتناقض مع جوهر التربية ... ان فكرة التوعية اليهودية وبرامج التدريس الجديدة تعيد تدريس التوراة الى انماطه التقليدية [التلمودية] ... »(٩).

ويظهر مدى الوعظ والتوجيه في حقل التربية والتعليم ايضا مما قاله النائب موشي تسفي نيريا (المفدال) في النقاش الذي دار في الكنيست حول نشاط وزارة المعارف والثقافة في حزيران ١٩٧٠. وشدد نيريا في حديثه حول واجب جهاز التعليم في تلقين الطلاب اليهود بأنهم يملكون ، دون غيرهم ، القدس العربية وغيرها من المناطق العربية المحتلة : « ... يجب ان لا يكون ولد واحد في اسرائيل ، من دان الى بئر السبع ، ومن كريات شمونه الى ايلات ، ومن جبل الشيخ الى السويس مستعدا للتخلي عن القدس ... »(١٠).

وكشف الاديب الاسرائيلي يزهار سميلانسكي النقاب عن حقيقة ان جهاز التربية والتعليم الصهيوني يعتبر الولد « مادة خاما » يريد واضعو « القيم » الصهيونيون ان يصنعوا منها الالة التي يريدونها ، بقوله : « ... ماذا يريدون من التربية على اسس القيم ؟ ارادوا منها ان تخلق شخصية مستقلة ، وفي الوقت نفسه جماعية ، صوروا فكرة تخليص الارض والشعب على انها غاية الكمال . ارادوا تقديس العمل ، وفي الوقت نفسه ارادوا تطوير القوة بأسلوب الحياة المعاصرة . ووعظوا من أجل الاستعداد للخدمة المتواصلة والخلق ومن اجل الاخلاص للوطن ولحركة العمل ، من أجل استعادة ميراث الاجداد وعودة الشعب المختار ... كل هذا موجود في برامج التعليم ... التربية تتقرر بواسطة قوى الضغط المتنافسة بسلطتها ، وعلى سلطتها ... ان هذه التربية ما هي الا عملية تجنيد لجنود مبتدئين ، لكي ينضموا غدا لصراعات الكبار المتعبين . هذه التربية هي قوة محكومة وموجهة لخدمة مستخدميها ، وهي من القوة بحيث تستطيع التغلب على كل ما يناسبها . ان هذا الاسلوب من التربية يحول الانسان الى مادة خام طبيعية ، ويتجاهل العنصر الانساني وجوهره ... ثم ما هي القيم ؟ انهم لا يعرفونها ... والقوى [الحزبية] هي التي تسجل قائمة هذه القيم... ومتى ينجح التعليم على أسس هذه القيم ؟ عندما يكرر الصغار ما يقوله الكبار بصوت خافت ضعيف ... »(١١).

ووصف هذا الاديب ، الداعي الى التربية الحرة ، اسلوب التربية الصهيونية على انه « خليط من الضغط والاغراء بهدف الحصول على تغيير مقصود في الانسان ... ان هذا التعليم

الموجه ليس الا عمليات غسل دماغ ، تكريه ، ارغام واغراء ، واغلاق عقول ... »(١٢). اي ان اسلوب التربية الصهيونية ، بحسب راي سميلانسكي ، يجعل الطالب اليهودي ، باختصار منغلقا على نفسه وعاجزا عن التفكير الحر ، وأداة في ايدي القوى الحزبية المسيطرة على الكيان الصهيوني لتحقيق اهدافها .

وأكد هذا الاتجاه أيضا البروفيسور يعقوب لورخ ، الذي اطلق على وزارة المعارف والثقافة اسم « وزارة الخنق » ، قائلا : « يوجد لدينا ما اعتبره « المؤامرة الكبرى » في التعليم التي تقتل متعة الدراسة . في الصف الاول يجبرون الولد على حمل حقيبة تزن ٥ كغم لكي يسلبوا منه حرية الحركة . بعد ذلك ، وخلال ١٢ سنة يقضيها في المدرسة الابتدائية والثانوية ، يسلبون منه حرية الحركة النفسية — العقلية . وعندها يتحول الطلاب الى ما يسمونه عندنا « شباب طيبون » ... لا توجد لدينا ، في هذه البلاد ، عادات دراسة ، بل عادات اداء الوظائف المدرسية ... »(١٣).

ونجد دعما لهذا الكلام من قبل بعض الطلاب ايضا ، اذ أعلن بعضهم امام احد مراسلي الصحف : « لا يتيحون للطالب فرصة التفكير ، لا في المدرسة ولا في الجيش ، لانني اذا فكرت ، لن احارب جيدا ... في هذه البلاد تبدأ حياتك في سنة ما بعد العشرين من العمر [أي بعد انهاء الدراسة الثانوية وفترة الخدمة الالزامية في الجيش] ... ان الجيش لا يهمني وانا ادرس فقط لكي أنجح في الامتحانات . لا يوجد معلم كفوء أسأله لماذا انا موجود هنا ، بدون أن يبدأ بالثرثرة حول الحق التاريخي والميراث اليهودي. انني لا اريد ان اتعلم تقديس شيء ... اعتقد أن الجميع يفكرون مثلي ويخافون من التعبير عما يشعرون . وانا أيضا اقول ما اقوله في ساعات الضعف فقط ... »(١٤).

يتبين من هذه النماذج من الحوار ، حول دور التربية القومية في الكيان الصهيوني واساليبها ، ان سياسة التربية القومية هذه تعتمد اسلوب الفرض والتوجيه . والاهم من ذلك ، يتضح من مضمون هذا الحوار ان هدف سياسة التربية الصهيونية الاساسي هو خدمة اهداف الحركة الصهيونية . ومع ان هذه الاهداف ذات طبيعة عنصرية وغير انسانية ، فان ما يسمى التربية القومية في اسرائيل يقوم على اسس عنصرية وغير انسانية . وأكد ذلك النائب الاسرائيلي مئير فيلنر بقوله ، في خطاب القاه في الكنيست عام ١٩٧٠ : « ان التربية الصهيونية في اسرائيل تسعى لترسيخ مشاعر التعالي القومي والعنصرية ومعاداة العرب والروح العسكرية وانكار حقوق الاخرين ... ان كل سياسة الحكومة الاسرائيلية غير انسانية ، بما في ذلك سياستها تجاه تربية اولادنا ... »(١٥).

التربية القومية في برامج التعليم

لكي نتعرف على مدى اتباع سياسة التربية الصهيونية اسلوبا موجها ، مفروضا من فوق وقائما على اسس العنصرية والشوفينية والتعصب القومي والروح العسكرية العدوانية يكفي ان ننظر الى برامج التعليم المقررة في المدارس الاسرائيلية ، التي تدرس بموجبها مواضيع مثل التاريخ واللغة والدين والادب والوطن ، حيث ان هذه المواضيع هي التي تمس القضايا القومية ، خاصة في مرحلة الدراسة الثانوية .

برنامج تدريس التاريخ للمدارس الثانوية

يسجل برنامج تعليم التاريخ للصفوف الثانوية في المدارس اليهودية ، الاهداف التالية من تدريس هذا الموضوع :

الهدف الاول : « ان يتوصل الطالب الى اعتبار أن الحضارة الانسانية ثمرة للجهود المشتركة لليهود وشعوب العالم ، اثناء العصور، وان يقدروا تقديرا صحيحا ما ساهم به شعبنا، وما ساهمت به الشعوب الاخرى في تكوين هذه الحضارة . هذا بالاضافة الى تقوية وعي الطلاب بروابط المشاركة الانسانية ، وتنمية رغبتهم في المساهمة في الاعمال المؤدية الى تقوية اواصر الاخوة والسلام بين الشعوب »(١٦).

ان روح التعالي القومي والعنصرية ظاهرة بوضوح من صياغة هذا الهدف . فهذه الصياغة تضع « اليهود » في احدى كفتي الميزان ، وتضع شعوب العالم كلها في الكفة الاخرى ، ثم انها

تضع « اليهود » في المرتبة الاولى وبعد ذلك تأتي كل شعوب العالم ، تمشيا مع شعار « شعب الله المختار » . ويتأكد هذا الاتجاه أكثر عند مقارنة هذا الهدف بالهدف الموازي في برنامج تدريس التاريخ للمدارس العربية الثانوية في اسرائيل : « ان يتوصل الطلاب الى اعتبار الحضارة الانسانية ثمرة للجهود المشتركة لكافة شعوب العالم خلال العصور ... »(١٧).

الهدف الثاني : « غرس الوعي القومي اليهودي في قلوب الشبيبة ، وتقوية شعورهم بالمشاركة مع المصير اليهودي ، وزرع الحب لليهود في قلوبهم — حب اليهود في البلاد وفي انحاء العالم وتقوية ارتباطاتهم النفسية مع كافة أبناء هذا الشعب »(١٨).

ان هذا الهدف يقوم على أساس النظرية الصهيونية الداعية الى وحدة الشعب اليهودي وخلق القومية اليهودية الواحدة . فالطالب اليهودي مطالب بحب اليهود اينما كانوا ، على اعتبار انهم شعب واحد ، وعلى اعتبار ان هذه « الامة الواحدة » سيكون مصيرها ، ويجب أن يكون مصيرها ، الهجرة والاستيطان في « أرض الاجداد » . ونلاحظ ان مثل هذا الهدف غير موجود في برنامج تعليم التاريخ في المدارس العربية في اسرائيل ، مع العلم ان وزارة المعارف والثقافة نفسها هي التي تضع البرامج العبرية والعربية .

الهدف الثالث : « ان يفهم الطالب أهمية دولة اسرائيل من أجل تأمين الوجود البيولوجي لليهود ، واستمرار وجودهم التاريخي وان ينمي به شعور المسؤولية الفردية تجاه توطيد اركان الدولة وتطورها ، واثارة روح الاستعداد لخدمتها والقيام بمطالبها »(١٩).

أي أن الطالب اليهودي في اسرائيل مطالب بأن يقتنع انه بدون دولة اسرائيل وتوطيد اركانها وتطويرها ، لا يمكن ضمان وجوده ووجود شعبه اليهودي ، بيولوجيا وتاريخيا ، وانه يجب ان يقوم بكل ما تطلبه منه هذه الدولة دفاعا عن وجوده . ويلاحظ عند الاطلاع على البرنامج العربي لتدريس التاريخ للطلاب العرب في اسرائيل انهم ايضا مطالبين بالاخلاص لدولة اسرائيل وخدمتها ليس لانها تخدمهم وتخدم شعبهم ، بل فقط «بدافع الشعور بالمصير المشترك للشعبين العربي واليهودي في الماضي والحاضر »(٢٠).

الهدف الرابع : ان تنطبع شخصية الشباب بسمات الرجال المشهورين للامسة اليهودية والعالم »(٢١). والملاحظ هنا ان الطالب اليهودي مطالب بأن يتضامن اولا مع الشخصيات اليهودية المشهورة وبعد ذلك مع شخصيات عالمية . ولكنه غير مطالب بالتضامن مع شخصيات عربية مشهورة رغم الحديث عن « المصير المشترك للشعبين » في البرنامج العربي لتعليم التاريخ . أما الطالب العربي فانه مطالب ، كما ينص الهدف الموازي في برنامج التاريخ للمدارس العربية ، بالتماثل مع شخصيات يهودية مشهورة ، وعليه « ... ان ينطبع بسمات الرجال المشهورين في العالم ولا سيما العرب واليهود »(٢٢).

أما الهدف الخامس والاخير فهو : ان يتعلم الطالب ويعتاد البحث في مشاكل المجتمع الانساني والحكم فيها عن طريق التحليل والاستنتاج ، وان يعمل على حلها بواسطة التفكير الذاتي الانتقادي. فالواضح ان هذا الهدف خال من النزعة القومية. ولكونه كذلك نجد انه ورد ايضا في برنامج تعليم التاريخ للمدارس الثانوية العربية في اسرائيل .

توزيع حصص تعليم التاريخ : يخصص برنامج التاريخ للمدارس الثانوية (الفرع الادبي) ، اليهودية والعربية ، ٤١٦ حصة (الصف التاسع: ٩٦ حصة ، العاشر : ٦٤ حصة ، الحادي عشر: ١٢٨ حصة والثاني عشر : ١٢٨ حصة ، وفي الفرع العلمي ٣٨٤ حصة ، وهي موزعة من حيث المواضيع حسب الجدول التالي »(٢٣).

ويظهر من الجدول التالي ان نحو ٤٠ ٪ من حصص التاريخ للطالب اليهودي تخصص لدراسة تاريخ اليهود ، بينما يدرس تاريخ العرب خلال اقل من ٢٪ من مجموع الحصص . كما يظهر من هذا الجدول انه حتى الطالب العربي يتعلم ، من ناحية عدد الحصص ، عن تاريخ الشعب اليهودي اكثر مما يتعلمه عن تاريخ شعبه العربي .

توزيع حصص تدريس التاريخ في المدارس الثانوية الاسرائيلية
(بالنسبة المئوية)

	ثانوية يهودية (أدبي)	ثانوية عربية (أدبي)	ثانوية يهودية (علمي)	ثانوية عربية (علمي)
تاريخ اليهود	٣٨،٨	٢٠،٢	٤٠،٩	٢٠،٦
تاريخ العرب	١،٤	١٩،١	٢،١	١٩،٥
التاريخ العام	٥٩،٨	٦٠،٧	٥٧،٠	٥٩،٩
المجمـــوع	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠
(عدد الحصص)	(٤١٦)	(٤١٦)	(٣٨٤)	(٣٨٤)

تعليم اللغة : يضع البرنامج العبري لتدريس اللغة في المدرسة الثانوية ، سبعة اهداف منهـا اثنان (الاول والرابع) يركزان على القضايـا القومية ، وهما (٢٤): « أ ــ اكساب الطالـب مثل الامة العليا واراءها ومشاعرها اثناء مراحل تطور الامة [اليهودية] في فتـرات مختلفـة ، وتقوية الرباط التاريخي الـذي لم ينفصل بـين الشعب وبلاده وثقافته . ويجب الكشف بشكـل خاص عن جهود وانجازات هذا الجيل والاجيـال القريبة منه ، من اجل النهضة القومية والبعـث الحضاري والثقافي والاجتماعي وتقريب ذلك مـن نفسه » . « د ــ اعداد الطالب لاتصال حي مع القضايا والتيارات الفكرية التي الهبت عالمنا في عصور مختلفة ، ومع حوافز ومذاهـب شعبنـا [اليهودي] ومسالكه في مسيرته التاريخية » .

وواضح من هذين الهدفين مدى التركيز القـوي على القضايا القومية ، وعلى استخدام تعليـم اللغة ايضا كوسيلة لخلق وتقوية الرابطة بـين الطالب اليهودي و « بلاده » . فبموجـب خطـة القيمين على جهاز التعليم هذه يجد الطالب مبررا لوجوده في فلسطين ولا ينظر الى نفسه كمحتـل لارض الغير . فهدف تعليم اللغة وادابهـا هو ، اذن ، « تقوية الرباط التاريخي **الذي لم ينفصـل** ... » مع « أرض الميعاد » ، في حين لا يشـير البرنامج العبري وحتى العربي الى الرابطة بـين الشعب العربي الفلسطيني وارضه .

وفي مقارنـة اجراهـا بعـض الباحثين الاسرائيليين(٢٥) بين برامج تعليم اللغة وآدابها في المدارس اليهودية والعربية توصلوا الى نتيجة مفادها ان في البرنامج العبري مكانا بارزا « لمـا قدمه التراث اليهودي للحضارة الانسانية » بينما لا يوجد اي ذكر لما قدمه العرب لهذه الحضارة . وحتى بالنسبة للاداب العالمية ، فان تعليمهـا للطالب اليهودي يؤكد على الاتجاه القومي بينمـا لا يفعل البرنامج العربي ذلك . فالطالب اليهودي، مثلا ، يتعلم الادب الكلاسيكي ، واما الطـالب العربي فيتعلم الاداب القديمة لمصر وفارس واليونان والهند والصين . وفي الشعـر يتعلـم الطالـب اليهودي انتاج الشعراء الصهيونيين القوميـين ، مثل بيالك وتشرنيحوفسكي وغيرهما واما الطالـب العربي ، فلا يجد في الانتاج الشعري الذي يتعلمه الا الطبيعة والتأمل والحب ، وهو ايضا يتعلـم شعر بعض الشعراء الصهيونيين القوميين « بينما لا يتعلم شيئا عن الشـعر النضـالي العربي والفلسطيني ، لا في اسرائيل ولا خارجها »(٢٦) .

تعليم الديـن : يعلم موضوع الدين في اسرائيل ضمن مواضيع الادب واللغة ، ولكن هناك فروقا تلفت الانتباه بين برنامج تعليم الديـن للطـلاب العرب وبرنامج تعليم هذا الموضوع للطلاب اليهود ... ومن اهم هذه الفروق :

أ ــ تركز اهداف تعليم الدين للطالب اليهودي على « تنمية الوعي القومي » و « وحدة الشعب اليهودي » وغير ذلك . بينما لم يرد ذكر لاي هدف من تعليم القرآن ، مثلا ، للطالب العربي .

ب ــ ان حصص تعليم الدين لليهود والعرب في المدرسة الثانوية موزعة بشكل جائر ، كما يظهر من الجدول التالي(٢٧) :

	تعاليم دينية اسلامية	تعاليم دينية يهودية
المدارس اليهودية	صفر	٦٤٠ حصة
المدارس العربية	٣٠ حصة	٢٥٦ حصة

ويظهر من برنامج تعليم الدين ان الطالب اليهودي يتعلم الكثير من تعاليم التوراة والتلمود، الذي وصفه البروفسور الاسرائيلي التقدمي ، يسرائيل شاحاك ، بقوله : « ان قوانين النازية اكثر اعتدالا من تعاليم التلمود »(٢٨). وبينما لا يدرس الطالب اليهودي شيئا من تعاليم الديانتين الاسلامية والمسيحية ، فان الطالب العربي يتعلم الديانة اليهودية ، اذا قيس ذلك بعدد الحصص فقط ، اكثر بنحو ٧ ـ ٨ اضعاف مما يتعلمه عن دينه .

والبرنامج العبري لتعليم الديانة اليهودية للطالب اليهودي يركز ايضا على النواحي القومية. ومن بين الاهداف التي يسجلها هذا البرنامج(٢٩):

« (١) ان يتعرف الطالب على آباء الامة وقادتها وانبيائها وابطالها ، وعلى تاريخ الشعب في بلاده . (٢) ان يتعرف الطالب الى ارض اسرائيل ، طبيعتها واثارها وان يقف على الرابطة بين الشعب وبلاده . (٣) ان يتعرف الطالب على الاسس التي تقوم عليها مبادىء التوراة وما قدمته للحضارة الانسانية ... » .

والملاحظ في هذا البرنامج انه يؤكد بشكل خاص على سفر يشواع بن نون (الذي اباح قتل الاطفال والنساء وهدم بيوت اريحا)(٣٠)، حيث ان هذا الكتاب يدرس في الصف الرابع الابتدائي ويعاد تدريسه في الصف الثامن الابتدائي(٣١).

ومن الجدير بالذكر ان القيمين على تربية الطالب اليهودي يحاولون ان يغرسوا في نفسه ، منذ حداثته ، اين تقع « حدود ارض اسرائيل » . ففي نقاش حول نشاط وزارة المعارف والثقافة اجراه الكنيست عام ١٩٧٠ ، قال النائب مئير فيلنر ، منتقدا مواضيع التعليم التي تربي على الشوفينية والروح العسكرية والتعصب القومي ، انه يتوجب على ابنه ، وعمره ١٢ سنة ، دراسة وحفظ الفقرة التالية من سفر التثنية (١١ : ٢٤ ـ ٢٥) : « كل مكان تدوسه ابطان اقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان ، من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم . لا يقف انسان في وجهكم . الرب الهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الارض التي تدوسونها كلما كلمكم »(٣٢).

وبعبارة أخرى ، ان « أرض اسرائيل الكبرى » ليست موجودة فقط في عقول غلاة الصهاينة ، بل انها موجودة ايضا في برامج تعليم الاولاد اليهود التي تضعها وزارة المعارف والثقافة .

وتؤكد المحامية التقدمية فليتسيا لانغر ، التي تخرجت هي ايضا من المدارس الاسرائيلية ، ان سياسة التربية الصهيونية تركز على تعليم الطالب اليهودي فن الحرب وترسخ فيه مشاعر التعصب القومي والحقد على العرب « لكي يحاربهم جيدا ، ولكي لا ترجف يداه عندما يضغط على الزناد ... »(٣٣).

ان سياسة زرع الحقد على الشعب العربي تتم ايضا عن طريق تجاهل الحضارة العربية ، وتحقير دور الشعب العربي الحضاري ، وتزييف صورة العربي عند الاشارة اليه . واذا كانت اللغة العربية تدرس في المعاهد الاسرائيلية ، فليس الهدف من ذلك التفاهم مع العرب والتقرب اليهم، بل « لان حرب تشرين اثبتت افتقار الجيش الاسرائيلي الشديد الى جنود يعرفون اللغة العربية »(٣٤).

ازمة تربوية ام ازمة صهيونية ؟

يحظى جهاز التربية والتعليم بالرعاية البالغة ، ماديا ومعنويا ، من قبل المؤسسة الصهيونية . « فالتربية هي « صناعة » دقيقة جدا ، لانها تعمل على تكوين اثمن كنز لدى الدولة ، وهو جيل الشباب »(٣٥). وهذا الجهاز خاضع للاصلاحات المستمرة . ففي عام ١٩٦٨ بدأ تطبيق « اصلاح

في التربية » ، بحيث استحدثت المرحلة الاعدادية في المدارس الثانوية ، والتي يستمر تطبيقها حتى الان . وكان لهذا الاصلاح من ناحية النوعية هدفان : (١) رفع مستوى التعليم ، (٢) تحسين وتطوير عملية الدمج الاجتماعي(٣٦).

ولكن على الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من التركيز على التربية الصهيونية في برامج التعليم وغيرها ، ظهرت اصوات كثيرة في السنوات الماضية تنتقد بشدة جهاز التربية والتعليم ، وتتهمه بالفشل والتقصير في مجال التربية القومية. وقد نشأ هذا النقد عن شكوك الشبيبة بجدوى العيش على الحراب وجدوى « الحل الصهيوني » فبعد حرب حزيران ، التي قال عنها المسؤولون انها خاتمة الحروب ، جاءت حرب الاستنزاف وعمليات المقاومة الفلسطينية الموجعة بحيث اخذ بعض طلاب صفوف الثاني عشر يودعون بعضهم في حفلة الختام قائلين : «الى اللقاء في قائمة القتلى»، معبرين عن عدم حماسهم للخدمة في الجيش . وظهر عدد من الشباب الذين رفضوا فعلا الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة ، وكان ابرزهم غيورا تويمان الذي دخل السجن بسبب رفض الخدمة العسكرية في سنة ١٩٧١ . ثم جاءت حرب تشرين فعمقت شكوك الشبيبة . وبدأ بعض الطلاب يطرح الاسئلة التالية : « الى متى سنحارب في هذه البلاد ؟ لماذا يكرهوننا ولماذا يقف كل العالم ضدنا ؟ هل كتب علينا العيش على الحراب الى الابد . وما جدوى هذا كله »(٣٧) .

وفي مقابلة تلفزيونية ، اجريت بين طلاب المدرسة الثانوية في ايلات (ام الرشراش) ومجموعة من الكتاب الاسرائيليين وجه الطلاب اسئلة « مذهلة » ، هذه نماذج قليلة منها :(٣٨).

* الطالب يغئال لفنشتاين (الصف الثاني عشر) : « هل يوجد للحق التاريخي اية قيمة ام انه مجرد حيلة سياسية ؟ » .

* الطالب اران عيدان (الحادي عشر) : « ان حقنا على ارض اسرائيل يتناقض مع التطلعات القومية للشعب الفلسطيني ، فكيف يمكن في نظركم حل هذه القضية ؟ »

* الطالب عوفر تلسون (الثاني عشر) : « ما هو حق اسرائيل التاريخي على منطقة الساحل التي لم يسكنها اليهود قديما ؟ »

* الطالبة حافا بيت ــ هلحمي (الثاني عشر) : « هل حقنا الادبي ، النابع من محاولة القضاء علينا في الحرب العالمية الثانية ، يعطينا الحق في اقامة دولة مستقلة لليهود ؟ »

* الطالب يائير ارمون (الحادي عشر) : « هل احتلت ايلات بسبب الحق التاريخي ام بسبب مصالح اخرى : سياسية او اقتصادية ؟ » ...

ووصفت اجابات الكتاب على هذه الاسئلة بانها « كانت متلعثمة ومرتبكة ، تشبه اجابات عالم الرياضيات الذي لا يستطيع الاجابة لماذا ٢ + ٢ = ٤ ! ، لانه يعتقد ببداهة الاجابة »(٣٩).

يتضح هنا ، الى حد ما ، ان سياسة التربية الصهيونية المفروضة والموجهة بدأت تفشل في مهمة اقناع الشبيبة بالمسلمات الصهيونية ، بسبب ازمة الحركة الصهيونية ذاتها ، والتي كشفت عنها حرب تشرين . ويتضح ، من جهة اخرى ، ان الاوساط الصهيونية تتهرب من الاعتراف بالازمة الايديولوجية والسياسية التي تواجه الحركة الصهيونية ، وبدلا من انتقاد النظرية الصهيونية ، توجه اللوم الى اجهزة التربية والتعليم . « ... فالمذنب الرئيسي هو وزارة المعارف والثقافة ، فهي المسؤولة عن ظاهرة رامي لفنيه(٤٠)، وقد تؤدي في المستقبل الى ظواهر اخطر »(٤١).

ومع ان بعض المفكرين الاسرائيليين دعوا الى التخفيف من المبالغة في التربية القومية الموجهة والمفروضة ، مثل الاديب يزهار سميلانسكي(٤٢)، الا ان جهاز التعليم الرسمي عمد الى المزيد من المبالغة في هذا الاتجاه . فقد شكلت لجنة خاصة لدراسة وضع « الوعي اليهودي لدى الشبيبة » وقدمت تقريرا « مقلقا » لوزير المعارف والثقافة ، عما تبين لها من افتقار الشبيبة لهذا « الوعي » . وبموجب هذا التقرير وضعت خطة لتعميق «الوعي اليهودي » تقوم على الاسس التالية(٤٣) : « ١ ــ الاغتراف من المنابع الروحية للشعب اليهودي على امتداد اجياله ، ٢ ــ تعميق دراسة تاريخ الصهيونية وتاريخ الشعب اليهودي ، ٣ ــ ادراك وحدة الشعب اليهودي عالميا، ٤ ــ السعي

لبناء مجتمع قدوة عادل في اسرائيل ، كما اراده انبياء اسرائيل ، ٥ ـ تعميق الوعي بمركزية أرض اسرائيل والقدس في تاريخ الشعب اليهودي وحياته » .

من ناحية ثانية ، بدأت وزارة المعارف بطبع كراسات عن قضايا سياسية راهنة لتدريسها في مختلف المراحل الدراسية ، مثل « النزاع ـ العربي ـ الاسرائيلي ـ صراعات ، لقاءات ، وبحث عن سبل » ، «الميثاق الوطني الفلسطيني»، « قرارات الامم المتحدة »(٤٤) وغيرها . ومن الواضح ان وزارة المعارف والثقافة تريد ان تفسر هذه المواضيع وان تجيب على اسئلة الطلاب من وجهة النظر الصهيونية الرسمية .

ولوحظ ايضا ان بعض المنشورات الاسرائيلية بدأت تنشر ترجمة لبعض الادباء والشعراء العرب، وان الاختيار يقع على قطع الانتاج العربي الاشد نقمة ضد الصهيونية واسرائيل . ممثلا بقول الاديب الشاب اهود بن عزار انه قرأ ترجمة لبعض انتاج نزار قباني ومحمود درويش في نشرة « اسرائيل والعرب » التي يشرف عليها يهوشفاط هركابي ، وتوزع على المدارس الاسرائيلية ، واتضح له بعد قراءة هذا الانتاج انه « لا يوجد مع من نتكلم »(٤٥)، اي انه بعد هذه المطالعة فقد الامل بجدوى الحوار مع العرب .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الادب الصهيوني الذي يتأثر به الطالب اليهودي في المدرسة ، او عن طريق المطالعة الحرة ، مليء بالتحريض على العرب . وقد شهد على ذلك مؤخرا الشاعر أبوت يشورون ، بقوله ان « الادب العبري لم يقم بوظيفته الرئيسية وهي تقريبنا من المشكلة العربية والشعب العربي في هذه البلاد . انه لم يخبرنا انه يوجد شعب عربي هنا ولم يعدنا لذلك ... »(٤٦).

ومن الامور التي يشكو منها بعض الاسرائيليين ويلومون جهاز التربية والتعليم عليها ، فقدان الروح الطليعية لدى الشباب ، مع العلم ان « قانون التعليم الحكومي لعام ٥٧١٣ ـ ١٩٥٣ » ينص على ضرورة « الاعداد الطلائعي »(٤٧)، ويتجلى هذا من اقتناء المستوطنات في الاراضي المحتلة الى اعداد كافية من المستوطنين ، ومن ابتعاد الشباب عن العمل في الزراعة وسيطرة العمال العرب على اعمال الزراعة والبناء وغيرها ويعبر احد المربين عن قلق المؤسسة الصهيونية من هذه الظاهرة قائلا : « اعتقد انه اذا فلح العرب معظم اراضي الدولة فاننا سنفقد حقنا على هذه البلاد »(٤٨).

هناك اذن ازمة في التربية الصهيونية القومية ولكن السؤال هو : هل تكمن هذه الازمة في جهاز التربية والتعليم ، ام انها تكمن في النظرية الصهيونية ذاتها ؟.

وفي اعتقادنا ان هذه الازمة تكمن في الايديولوجية الصهيونية واهدافها .

من ناحية ثانية ، لم تستطع الحركة الصهيونية، منع الشبيبة من الوقوع في تناقضات أساسية . فمن الناحية الاولى تعمل الصهيونية على اقناع الشباب باساطير دينية وتاريخية قديمة : « حقنا على هذه البلاد نابع من الجذور اليهودية ، وبدون هذه الجذور لن يكون لنا حق والعرب سيكونون على حق ... فاذا لم نبرز خصوصية الشعب [اليهودي] وخصوصية رابطته مع هذه البلاد ، التي لا مثيل لها في اي مكان في العالم ، فان الحجة العربية ستكون قوية وسيتأثر بها كل من هو بعيد عن الجذور الروحية اليهودية ... »(٤٩). ولكن ، من جهة ثانية ، تريد الحركة الصهيونية اقامة مجتمع غربي مادي ، وتقيم جهاز التربية والتعليم على اسس المجتمع المادي الغربي . فهذا التناقض ، والازمة التي تواجهها الحركة الصهيونية اليوم كان لا بد لهما ان يولدا التمزق في نفوس الشبيبة في اسرائيل ، واي جهاز تعليمي لن يستطيع التغلب على هذه الازمة ، ما دامت الحركة الصهيونية تسير في نفس الطريق .

خلاصة

من كل ما تقدم يمكن اجمال الملاحظات التالية حول التربية القومية في اسرائيل :

١ ـ ان التربية القومية في الكيان الصهيوني لها معنى خاص، نابع من طبيعة الحركة الصهيونية واهدافها التي تبني التربية القومية على اسس التعصب القومي والعنصري والشوفينية والروح العسكرية العدوانية والعداء للعرب والتوسع ،

بحجج دينية وتاريخية وانكار الحقوق المشروعة لشعوب اخرى .

٢ ــ يضع الكيان الصهيوني جهاز التربية والتعليم من حيث الاهمية في المرتبة الثانية بعد الجهاز العسكري والامني ويعتبره مكملا له .

٣ ــ تفرض التربية الصهيونية على الشبيبة اليهودية بشكل قسري مباشرة ولا تترك له مجال الاختيار الفكري ، جريا على قاعدة « افعل [هذا] ولا تفعل [ذاك] » ، « اعمل ولا تعمل » والدولة هي المسيطرة ، بدون منافس ، على اجهزة التربية والتعليم .

٤ ــ تمر التربية القومية الصهيونية بازمة تابعة من الازمة التي تمر بها الحركة الصهيونية ايديولوجيا وسياسيا واجتماعيا .

٥ ــ المؤسسة الصهيونية تواجه « ازمة التربية القومية » ليس عن طريق اعادة النظر في النظرية الصهيونية وسياسة الحركة الصهيونية بل عن طريق لوم جهاز التربية والتعليم وترسيخ نفس الخط التعليمي الذي بدأت تظهر عليه علامات الفشل ، مما سيؤدي بالضرورة الى ازمات اشد في المستقبل .

---

١ ــ **كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي**، ١٩٧٤، ص ٦١٧ .
٢ ــ **المصدر نفسه** .
٣ ــ **قاموس المصطلحات الصهيونية** ، اصدار « بيت معاريف » تل ابيب ، ١٩٧٣ ، ص ٤٣ .
٤ ــ **دافار** ، ١٩٧٤/٨/٦ .
٥ ــ **المصدر نفسه** .
٦ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٤/٨/٢٠ .
٧ ــ **محاضر الكنيست** ، ١٩٧٠/٦/١٥ ، ص ٢٠٨٢ .
٨ ــ **المصدر نفسه** .
٩ ــ حسب اقتباس **هآرتس** ، ١٩٧٠/٣/١٥ .
١٠ ــ **محاضر الكنيست**، ١٩٧٠/٦/١٥ ص٢٠٩٨ .
١١ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٤/٩/٣٠ .
١٢ ــ **المصدر نفسه** .
١٣ ــ **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٤/١/١٨ .
١٤ ــ **ملحق هآرتس** ، ١٩٧٤/٤/٢٦ .
١٥ ــ **محاضر الكنيست** ، ١٩٧٠/٦/٣٠ ، ص ٢١٠٤ .
١٦ ــ وزارة المعارف والثقافة الاسرائيلية : **البرنامج العبري لتعليم التاريخ في المدرسة الثانوية** ، ص ٣٥ .
١٧ ــ **برنامج تعليم التاريخ المدرسة الثانوية العربية** ، ص ١٠٢ .
١٨ ــ أنظر الملاحظة (١٦) أعلاه .
١٩ ــ **المصدر نفسه** .
٢٠ ــ أنظر الملاحظة (١٧) اعلاه .
٢١ ــ أنظر الملاحظة (١٦) أعلاه .
٢٢ ــ أنظر الملاحظة (١٧) أعلاه .
٢٣ ــ عن دراسة للدكتور يوحنان بيرس وآخرين، مجلة « **مغاموت** » تشرين الاول ١٩٦٨ .
٢٤ ــ **البرنامج العبري لتعليم اللغة في المدرسة الثانوية اليهودية** ، ص ٢٥ .
٢٥ ــ **هآرتس** ، ١٩٧١/٢/١٩ .
٢٦ ــ **المصدر نفسه** .
٢٧ ــ الدكتور يوحنان بيرس وآخرين ، **المصدر السابق** .
٢٨ ــ **معاريف** ، ١٩٧٥/٤/٨ .
٢٩ ــ **برنامج تعليم التوراة** (الروضة ــ الثاني عشر) القدس ، ١٩٧١ ، ص ١ .
٣٠ ــ أنظر مقال **الاتحاد** ، ١٩٦٧/٤/٧ ، حول دراسة لجورج تمارين كان نشرها في مجلة « **نيو اوتلوك** » سنة ١٩٦٦ .
٣١ ــ **برنامج تعليم التوراة** ، ص ٥ .
٣٢ ــ **محاضر الكنيست** ، ١٩٧٠/٦/١٥ ، ص ٢١٠٥ .
٣٣ ــ فليتسيا لانغر ، « **بأم عيني** » ، اصدار المؤلفة ، تل ابيب ، ١٩٧٤ ، ص ١٢ .
٣٤ ــ مجلة « **بمحانيه** »، ١٩٧٥/٣/١٩، ص٤ .
٣٥ ــ دانكه هنريش ، **دافار** ، ١٩٧٤/٨/٢٣ .
٣٦ ــ **المصدر نفسه** .
٣٧ ــ **معاريف** ، ١٩٧٤/١/٢٨ .
٣٨ ــ **معاريف** ، ١٩٧٤/٣/٢٤ .
٣٩ ــ **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٤/٣/٨ .
٤٠ ــ شاب اسرائيلي معتقل بسبب انتمائه الى « الجبهة الحمراء » .

٤١ ــ **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٤/٣/٨ .
٤٢ ــ **ملحق دافار** ، ١٩٧٤/٩/١٣ .
٤٣ ــ **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٤/١/١٣ .
٤٤ ــ **دافار** ، ١٩٧٤/٨/٧ .
٤٥ ــ أهود بن عزار ، **يديعوت أحرونوت** ، ٢١/٣/١٩٧٥ .
٤٦ ــ **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٤/١٠/١١ .
٤٧ ــ الوقائع الاسرائيلية ، **كتاب القوانين** ، ١٩٥٣/٨/٢٠ ، المادة ٢ (النسخة العربية) .
٤٨ ــ شلومو يتسحاقي ، **معاريف** ، ٢٨/٣/١٩٧٥ .
٤٩ ــ دكتور يهودا موريئيل ، **معاريف** ، ٢٨/٣/١٩٧٥ .

يوسف حمدان

هل بدأت تتحقق نبوءة توينبي في عودة الاسرائيليين الى « المهجر » ؟

●

في عام ١٩٧٢ ، عندما بلغت الهجرة الى اسرائيل قمتها بعد هزيمة ١٩٦٧ (٥٦ الف مهاجر) ، كانت مفاجأة ان يتنبأ ارنولد توينبي ، المؤرخ البريطاني الشهير ، بأن الاسرائيليين سيعودون في النهاية الى المهجر بالشتات . ولكن لم تمض شهور حتى بدأت النبوءة تتحقق ، فقد بدأ عدد المهاجرين يهبط بسرعة ، وعدد النازحين يرتفع بسرعة ، حتى ان وزير الهجرة ، شلومو روزن ، ذكر ، في منتصف مايو (ايار) الماضي ، ان عدد النازحين هذا العام سيفوق عدد المهاجرين . وقد وصف ذلك بانه « كارثة »(١).

صحيح انه كانت هناك نكتة اسرائيلية مشهورة ظهرت قبل حرب يونية ١٩٦٧ مباشرة وكانت تقول : « على اخر شخص يغادر مطار اللد ان لا ينسى اطفاء النور » . وكان سبب هذه النكتة هو أن عدد النازحين من اسرائيل قد ازداد بحيث أصبح في عام ١٩٦٧ ، يتعادل تقريبا مع عدد المهاجرين اليها(٢). ولكن ما يحدث هذه الايام اخطر من ذلك بكثير . فلاول مرة في تاريخ اسرائيل تشير التوقعات والتقديرات المبدئية الى ان عدد النازحين سيفوق عدد المهاجرين اليها هذا العام . وستترتب على ذلك نتائج سياسية مصيرية جسيمة ، ذلك ان الهجرة ليست مسألة اجتماعية واقتصادية ، وانما هي عند اسرائيل قضية امن . بل ان الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل يؤكد ان الهجرة « اكثر العوامل حسما واهمية في امن اسرائيل »(٣).

وكان اول من أشار الى هذا ، بصورة غير مباشرة ، هو بنحاس سابير رئيس الوكالة اليهودية ، حين ذكر أن من المتوقع ان يتراوح عدد النازحين هذا العام بين ١٥ ــ ٢٠ الف اسرائيلي مقابل ٢١ الفا في العام الماضي ١٩٧٤ ، و١٣ الفا عام ١٩٧٣ ، بينما كان المعدل السنوي قبل حرب اكتوبر ٧٥٠٠ نازح(٤).

وللوهلة الاولى يحسب المرء ان النزوح هذا العام سيكون ، مبدئيا ، أقل قليلا من العام الماضي ، ولكن التجربة أثبتت ان التقديرات الاسرائيلية تميل ، غالبا ، في هذه النقطة بالذات الى تقدير الحد الادنى . ففي العام الماضي مثلا قدر مكتب الاحصاء المركزي في اسرائيل ان عدد النازحين عام ١٩٧٤ سيتراوح ايضا بين ١٥ ــ ٢٠ الفا بينما بلغ ، بشهادة سابير مؤخرا ، ٢١ الفا ، بل ان دايان ، المشهور بصراحته ، قدر عدد النازحين خلال الشهور الخمسة من بدء حرب اكتوبر حتى نهاية فبراير عام ١٩٧٤ بحوالي ٦٧ الف نازح يهودي(٥).

أما بالنسبة للمهاجرين الى اسرائيل فمن المتوقع ، طبعا ، ان تكون الارقام الحكومية اقل

دائما من التقديرات المبدئية الرسمية ، وهذا الفرق يتراوح بشدة من عام لاخر ، فقد كان الخطأ في التقدير ١١ الفا عام ١٩٦٨ وخمسة الاف عام ١٩٧٠ والفين عام ١٩٧١ . ثم قلت المبالغة في التقديرات المبدئية بعد حرب اكتوبر ، حفاظا على البقية الباقية من ثقة الاهالي بالبيانات الحكومية، خصوصا بعد أن تبين لها منذ عام ١٩٧١ ان عددا كبيرا من المهاجرين يعودون في نفس العام . وقد قدرت اذاعة اسرائيل هذه النسبة عام ١٩٧١ بحوالي ٤٠٪(٦).

وعلى اية حال فان عدد المهاجرين لاسرائيل بدأ ينخفض بشكل حاد بعد حرب اكتوبر ، فبينما كان عددهم ٥٦ الفا عام ١٩٧٢ ، هبط عام ١٩٧٣ الى ٤٥ الفا ، ثم الى ٣٢ الفا عام ١٩٧٤ . ومن المتوقع ان يصل هذا الرقم عام ١٩٧٥ الى ١٦ الفا فقط . فقد اذيع رسميا ، ان الهجرة خلال الربع الاول من هذا العام قد هبطت الى النصف بالمقارنة مع نفس الفترة من العام الماضي (من ٩٦٠٠ الى ٤٨٠٠)(٧).

وهذا ما جعل شلومو روزن ، وزير توطين المهاجرين ، يقول في ١٩٧٥/٥/١٥ ، ان الاسرائيليين النازحين سيفوقون عدد المهاجرين هذا العام . واضاف أن المشكلة ليست فقط في انخفاض معدل الهجرة ولا في نسبة المهاجرين الجدد الذين يغادرون اسرائيل مباشرة ، ولكنها في عدد الاسرائيليين المقيمين في اسرائيل منذ مدة طويلة والذين يريدون مغادرتها « وهو عدد وصل الى معدلات مخيفة » (٨)، على حد قوله .

والطريف هنا ان اثنين من كبار المسؤولين في الوكالة اليهودية عن تشجيع هجرة اليهود من استراليا وولاية كاليفورنيا بأمريكا قد هاجرا أيضا من اسرائيل هذا العام ، كما هاجر سفيرا اسرائيل في بون وفيينا ، واستقر الاول في لندن والثاني في فيينا(٩).

ويرجع انخفاض الهجرة الى اسرائيل ، أساسا ، الى انخفاض الهجرة من الاتحاد السوفييتي . فقد وصل الى اسرائيل في شهر ابريل (نيسان) هذا العام ، مثلا ٧٠٠ مهاجر فقط ، وهو رقم يقل عن نصف عدد من هاجر في نفس الشهر من عام ١٩٧٣ (اي قبل الحرب الاخيرة بشهور)(١٠).

ومن سخرية القدر ان مشكلة هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل ، التي كانت سبب الازمة الرئيسية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي وكادت تحطم سياسة الوفاق او التهدئة بين القوتين العظميين ، قد تحولت الى مهزلة . ذلك ان سابير يتوقع ان يتحول نصف المهاجرين اليهود ، تقريبا ، من الاتحاد السوفييتي الى غير اسرائيل (امريكا واوروبا الغربية) بعد أن كانت النسبة ٤ ٪ عام ١٩٧٢ ، و١٨ ٪ عام ١٩٧٣ كما ان عدد المهاجرين السوفييت الى اي مكان عموما في انخفاض شديد . ففي يناير (كانون الثاني) من هذا العام قدم اليهود لموسكو ١٥٠ طلبا للهجرة فقط . كما ان ١٥٠٠ شخص ممن حصلوا على تصريح بالسفر من موسكو خلال عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤ قد اوقفوا سفرهم بالفعل .

وقد جاءت الى موسكو بعثة خاصة من الكونجرس الامريكي لفحص ظاهرة التناقص هذه بعد ادعاء اسرائيل ان السبب هو رفض روسيا اخراج اليهود منها ، ولكنها اكتشفت على الطبيعة وعلى لسان رئيسها اليهودي جوشوا ايلبرج ، ان اليهود السوفييت « أصبحوا أقل رغبة في الهجرة للخارج وان عدد طالبي الهجرة يقل كل عام وان هذا التناقص سوف يستمر »(١١).

والذي يقلق حكومة اسرائيل ، اكثر من ذلك طبعا ، هو أن معظم النازحين منها من قدامى المهاجرين . وتقدر جريدة الجارديان البريطانية(١٢) هذه النسبة بحوالي ٧٥ ٪ بينما ترى جريدة يديعوت احرونوت(١٣) الاسرائيلية رأيا مخالفا ، وهو أن ٨٥ ٪ من النازحين في العام الماضي من مواليد اسرائيل (الصابرا) . وتؤكد ذلك بقولها أن معظم النازحين من الاطباء والمهندسين والاقتصاديين الذين تتراوح اعمارهم غالبا بين ٢٥ ـ ٣٠ سنة ، وهم غالبا ما يتجهون الى امريكا وكندا واستراليا(١٤).

وسواء كان هذا أم ذاك صحيحا ، فأن القاسم المشترك بين هاتين الفئتين هو انهم « من الاسرائيليين المقيمين في اسرائيل منذ مدة طويلة » كما يقول روزن وزير الهجرة . وهو أمر له دلالات بالغة الاهمية خصوصا وان من بين النازحين اعضاء في الحكومة ووفود رسمية .

وفي البداية كان النزوح يتم بتكتم شديد وكأنه « خيانة » للدولة والدين(١٥). وهكذا كانت الارقام الحقيقية للنازحين تختلف عن الارقام الرسمية ، لان الاخيرة كانت تمثل فقط النازحين الذين أعلنوا عن رغبتهم ، وقدموا طلبات نزوح ، وصفوا حساباتهم مع الحكومة . والارقام التي نشرها مكتب الاحصاء المركزي باسرائيل تبين مثلا أن عدد النازحين بصورة صريحة عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ ، كان ٢٤٢٠٠ و٢٤٨٠٠ على التوالي ، بينما كان الرقم الفعلي للنازحين ٧٤٨٠٠ و١٠٤٥٠٠ على التوالي(١٦).

والخوف من الاتهام الصامت بالخيانة ليس هو السبب الوحيد لتكتم عدد النازحين ، فهناك أسباب اخرى تماثلها أهمية ، منها أنه يجب على النازح صراحة أن يصفي حساباته ، ويدفع الضرائب المستحقة ، ويسدد ديونه تجاه وزارة الاستيعاب والمهاجرين والاخرين ، أضف الى ذلك انه لا يستطيع ان يخرج بأكثر من ٤٥٠ دولارا كما عليه أن يدفع ضريبة سفر مقدارها ٧٠٠ ليرة و١٥ ٪ ضريبة اضافية على قيمة تذكرة الطائرة ، الامر الذي يجعل تكاليف السفر باهظة للغاية . وعلى هذا الاساس يفضل الكثيرون (ان لم يكن الاغلبية) ان يغادروا البلد كسائحين لفترة قصيرة ثم لا يعودون ابدا(١٧).

وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ أصبح الناس اكثر جرأة في التعبير صراحة عن رغبتهم في الهجرة امام أصدقائهم ولكنهم استمروا مع ذلك في اسلوب التكتم والسرية ، حتى ليقال أن في الولايات المتحدة وحدها حوالي مائتي الف اسرائيلي(١٨) بينما تقدرهم الاحصاءات الرسمية بحوالي خمسة وعشرين الفا فقط .

وبشكل عام أصبح الشباب بعد الحرب يعبر بصوت عال وبأسلوب لاذع عن عزمهم على النزوح نهائيا ، ولم يعد ذلك عندهم هربا من الدولة او خيانة لرفاق السلاح . يؤكد ذلك ان استفتاء اجراه معهد بوري الاسرائيلي في أكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٤ دل على ان ٨٠٤ ٪ من مجموع السكان و١٦٠٨ ٪ من الشباب يفكرون في النزوح خلال العامين المقبلين .

ولمواجهة ذلك اتخذت الحكومة احتياطات اضافية للحد من النازحين ، فقد طلبت من سلطات كل بلد يهاجر اليه الاسرائيليون بعدم تجديد فترة الاقامة الاولى لاجبارهم على العودة الى اسرائيل. كما يدور البحث حول اصدار قانون يلزم المهاجرين المقيمين مؤقتا بتسجيلهم كمهاجرين دائمين بعد ثلاث سنوات على اقامتهم في اسرائيل .

أما بالنسبة للمتساقطين من اليهود السوفييت الذين يغادرون الاتحاد السوفييتي بحجة الهجرة الى اسرائيل ثم يهاجرون الى دول اخرى غيرها، فقد بدأت اسرائيل تحاول منع الهيئات اليهودية وغير اليهودية من تقديم اي نوع من المساعدات لهم . كما انها دأبت على استرداد اجرة الانتقال وسائر المساعدات التي قدمتها لهم السفارة الاسرائيلية في فيينا عند وصولهم اليها ، هذا فضلا عن الاعتداء المتكرر على من غادر منهم اسرائيل وعاد الى فيينا في انتظار السماح له بالعودة الى روسيا ، بل انه عثر على بعضهم تتلى على قضبان السكك الحديدية في النمسا .

أما بالنسبة لزيادة المهاجرين الى اسرائيل من روسيا فقد بلغ من اسفاف الحكومة الاسرائيلية انها كانت تزور خطابات بأسماء اليهود المفقودين خلال الحرب العالمية الثانية وترسلها الى اقاربهم في روسيا فيهرعون الى اسرائيل مهاجرين لرؤية أعزائهم ثم لا يلبث ان يكتشفوا الخديعة ولكن بعد فوات الاوان وبعد أن يكونوا قد باعوا كل ممتلكاتهم في روسيا وأصبحت عودتهم الى وطنهم الاصلي شبه مستحيلة . واليوم نجد في اوروبا والمانيا والنمسا بالذات الالاف من هؤلاء ، وقد اتخذ وضعهم شكل الازمة ، بسبب ضغط اسرائيل التي تطالب بعدم تجديد اقامتهم .

وقد كانت ضربة سياسية بارعة من بعض الدول العربية حين أعلنت انها تعتبر هؤلاء ضحايا الوهم والتغرير وانها ترحب بعودتهم اذا كانوا اصلا من ابنائها كما أعلنت حكومات اليمن والسودان والعراق . وقد أعلن الرئيس السوداني جعفر نميري مثلا اكثر من مرة دعوته لليهود السودانيين للعودة الى أوطانهم « وقد استجاب لها بعض المواطنين السودانيين اليهود ممن نزحوا عن السودان . وهي دعوة سأواصلها لكي افتح باب الخلاص لهؤلاء الذين ضللهم الوهم يوما فعاشوا بشاعة التمييز العنصري »(١٩).

من الملاحظات الهامة ان العوامل الاقتصادية كانت السبب الاول وراء متغيرات الهجرة والنزوح قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن بعد الحرب أصبحت مشكلة الامن هي السبب الاول ، يليها تدهور الاوضاع الاقتصادية من بطالة وارتفاع في الاسعار ، وازدياد الشعور بالاغتراب وصعوبة الاندماج في المجتمع الاسرائيلي خصوصا بالنسبة لليهود السوفييت ، والفساد الاداري ، خاصة في الجيش ، وبشكل عام « فقدان الثقة بالقادة وبالمستقبل »(٣٠).

اما عن مشكلة الامن فقد كانت حرب اكتوبر زلزالا قوميا ، ليس فقط بسبب فداحة الخسائر البشرية فيها ، والتي قدرها هنري كيسنجر ، وزير خارجية امريكا ، خلال وجوده في الكويت ، بحوالي ١٢ الف قتيل و٢١ الف جريح ، بل أيضا بسبب اهتزاز الثقة بالجيش والحكومة وقدرتهما على حماية الاهالي . وقد عزز ذلك تصاعد العمليات الفدائية بعد الحرب ، وخاصة الانتحارية منها ، في عمق اسرائيل ، حتى أصبح الاقبال على شراء متاريس ابواب المنازل ظاهرة ملحوظة . ومن الطريف ، في هذا الصدد ، ان الصحف اليهودية قد ذكرت ان المتاجر والبنوك في مدينة بير السبع في جنوب اسرائيل قد أغلقت ابوابها يوم ١٢ ديسمبر (كانون اول) ١٩٧٤ عندما تجول ثلاثة من الفلسطينيين فيها لمجرد أنهم كانوا يرتدون الكوفيات العربية على رؤوسهم .

وقد أيد شلومو هيليل وزير الشرطة الاسرائيلية ذلك ، حين ذكر ، يوم ١٩٧٥/٥/٢٠ ، ان الاسبوع السابق قد شهد ١٨ عملية فدائية في الضفة الغربية وحدها ، وان نصف عمليات الدوريات الاسرائيلية موجهة حاليا ضد الارهاب والتخريب الذي ساعد بدوره على تفشي الجريمة(٣١). وهو اعتراف اسرائيلي جديد من نوعه ، ويستحق دراسة مستفيضة مستقلة . فقد قال هيليل ان عدد القتلى من ضحايا العمليات الفدائية عام ١٩٧٣ بلغ تسعة فقط ، بينما بلغ في العام المنتهي في شهر مارس (آذار) الماضي من هذا العام (١٩٧٥) ٨٢ قتيلا ... وأضاف قائلا أن جرائم السرقة خلال نفس المدة زادت بنسبة ٥٠ ٪ وازداد الفساد والجرائم الاقتصادية بنسبة ١٢٠ ٪(٣٢).

تدهور السياحة

اما السبب الثاني فهو تدهور الاحوال الاقتصادية ، فقد خفضت قيمة الليرة الاسرائيلية مرتين منذ نوفمبر (تشرين ثاني) حتى يونيو (حزيران) في خلال عام واحد وتسع مرات منذ قيام اسرائيل بحيث هبطت قيمتها من جنيه الى عشرة قروش ان لم يكن أقل . ثم ان اسرائيل فيها أعلى نسبة ضرائب دخل في العالم كله ، فضلا عن الارتفاع الجنوني في الاسعار عامة ، وفي السلع الاستهلاكية خاصة . وكان اكثر ما أضر بالاقتصاد الاسرائيلي هو هبوط السياحة بنسبة ٦٣ ٪ خلال الشهور الثمانية الاولى من عام ١٩٧٤ . (السياحة هي مصدر اسرائيل الاول من النقد الاجنبي) .

وعندما قام الفدائيون في اسرائيل في ٧٥/٣/٦ بعمليتهم الانتحارية في قلب تل ابيب ونسفوا فندق سافوي على انفسهم بعد ان قتلوا وأصابوا معهم نحو ١٥٠ شخصا في الفندق وفي دار سينما مجاورة ، ألغى ٢٥ ٪ من السواح رحلاتهم الى اسرائيل فورا . وأسوأ من ذلك ان الاهالي تزايدت شكوكهم في استهانة الحكومة بأرواحهم لانها ترفض في كل عملية انتحارية مطالب الفدائيين بالافراج عن زملائهم المسجونين ، وتلجأ دائما الى مهاجمة الفدائيين متحملة بهذا مسؤولية ما يحدث بعد ذلك دائما من قتل جماعي للرهائن يقوم به الجيش والفدائيون على السواء . وكان هذا من اكبر الاسباب التي جعلت الاهالي يشكون في قدرة الدولة على حمايتهم .

العامل الثالث وراء متغيرات الهجرة والنزوح هو صعوبة الاندماج وازدياد الشعور لدى المهاجرين بالاغتراب وخاصة بين يهود الاتحاد السوفييتي ، الذين يمثلون حاليا الغالبية الساحقة من المهاجرين ... وقد كانت مفاجأة ان يشير استفتاء بين الشباب الاسرائيلي مؤخرا الى ان ٦٤ ٪ منهم لا يؤمنون بصحة حث اليهود على الهجرة الى فلسطين المحتلة(٣٣). وقد ذكرت وكالة اليونايتدبرس انه ظهرت في عام ١٩٧١ منشورات معادية للمهاجرين الجدد بتوقيع جماعة تصف نفسها بأنها من « الصابرا الساخطين » . والتفرقة العنصرية في اسرائيل ضد اليهود الشرقيين والسود غنية عن التعريف، ولكن الغريب هو ان المهاجرين الاوروبيين

الجدد يشكون من نفس المعاملة السيئة حتى ولو كانوا من أمريكا .

تقول المهاجرة الامريكية أنيتا شاجام أنها وجدت الاسرائيليين « شرسين وكريهين وغير ودودين»(٢٤). ويقول روبرت جولدي ، أستاذ الفلسفة الامريكي اليهودي في جامعات امريكا الذي أقام في اسرائيل فترة ، في رسالة له بجريدة دافار في ١٩٧١/١١/١٩ « اننا لا نستطيع العيش مع هؤلاء الناس ، ليس فقط لانه يصعب التعامل معهم ويميلون للشجار ، وصاخبون وعنيدون ، وانما أيضا لانهم لا يريدوننا هنا ولا يتورعون عن غشنا في المطاعم والتاكسيات والمتاجر » .

العامل الاخير ، (وهو محصلة لكل ما سبق) هو اهتزاز العقيدة الصهيونية وصحة نظريتها في أن تكون المكان الآمن الوحيد ليهود العالم ، وانهم لا بد ان يهاجروا يوما ما الى اسرائيل . فبغض النظر عن ان اسرائيل لا تضم سوى عشرين في المائة تقريبا من يهود العالم ، فقد اكتشف اليهود خارجها وداخلها ان اليهود ليسوا شعبا متجانسا يسهل اندماجه واستيعابه في « ارض الميعاد » وان المجتمع الاسرائيلي ليس مجتمع المساواة والرخاء او الحل الوحيد « للمشكلة اليهودية » . وقد هز العالم تصريح برونو كرايسكي ، مستشار النمسا (وهو من أب يهودي) ، خلال زيارة الرئيس السادات للنمسا في شهر يونيو (حزيران) الماضي حين قال إنه « ليست هناك مشكلة يهودية ، بل مشكلة فلسطينية » .

ومما زاد من غيظ الشباب الاسرائيلي الصهيوني المتحمس للهجرة هو انه ظل يرى كبار الصهاينة في الخارج لا يهاجرون الى اسرائيل، بل وينزحون عنها . وكذلك فقد كان الموضوع الرئيسي في المؤتمر الصهيوني العالمي الثامن والعشرين ، الذي عقد في اوائل عام ١٩٧٢ ، هو تشجيع الهجرة بحيث انه قرر اسقاط العضوية عن كل صهيوني لا يهاجر الى اسرائيل بعد مضي سنتين من عضويته في المؤتمر ، وقد صدر هذا القرار بأغلبية ضئيلة جدا (١٠٤ أصوات ضد ٩٨) ومع ذلك لم تكتب له الحياة ، لان منظمة هداسا النسائية ، وهي من اكبر الجهات التي تجمع التبرعات لاسرائيل، قد هددت بالانسحاب من المؤتمر . وهكذا أوقف العمل به ، سرا . وقد حاول موشي ريفلين المدير العام السابق للوكالة اليهودية ان يبرر ذلك بطريقة طريفة ، حين قال « صحيح ان يهودا كثيرين ليسوا مستعدين للحياة في اسرائيل ، ولكنهم على استعداد للموت في سبيلها » .

خلاصة القول ان هناك عوامل كثيرة جسيمة ظلت تؤثر على حركة الهجرة قبل ان تفجرها حرب ١٩٧٣ . فقد قال البروفسور روبرت جولدي في رسالته السابقة الى جريدة دافار : « انني وزوجتي قد قابلنا خلال العامين اللذين قضيناهما في اسرائيل مئات المهاجرين من روسيا وبولندا ورومانيا وامريكا الجنوبية والهند وكندا وسنغافورة والولايات المتحدة طبعا ... واستطيع القول بصدق ودون مبالغة اننا لم نجد واحدا منهم مهتما بالبقاء في البلد ، فكل مهاجر ان لم يكن قد عاد الى دياره فهو يخطط للعودة » .

وهكذا ، فان كل الشواهد تشير الى ان وضع اسرائيل هذا العام سيكون أسوأ مما كان عليه قبل حرب ١٩٦٧ مباشرة ، وهي لا يمكن ان تسكت على زيادة عدد النازحين عن المهاجرين لاول مرة بمقدار ستة آلاف هذا العام (١٦ الف مهاجر مقابل ٢١ الف نازح على وجه التقريب) ناهيك عن ١٢ الفا نزحوا من مناطق خط النار الى الداخل بسبب الامن ، لان هذا سيؤدي الى نتائج خطيرة جدا ، عقائديا وعسكريا واقتصاديا وماليا ، وهذه عينات منها :

(١) ابراز الفشل الحضاري لاسرائيل وفشل الايديولوجية الصهيونية في وحدة الشعب اليهودي (٨٧ ٪ من طلبة المدارس الثانوية في اسرائيل يعتبرون أي يهودي يعيش خارج إسرائيل غريبا عنهم وفق احصائية اجريت عام ١٩٦٦)(٢٥). وفي مارس (آذار) ١٩٧٤ تفاقم هذا الشعور بين الشباب الى أبعاد خطيرة ... ففي اجتماع حضره ١٥٠ طالبا وطالبة في المرحلة الثانوية لمناقشة كيف هزت حرب اكتوبر « القيم القومية والصهيونية لدى الشباب » ، والتي سجلها الكاتب الاسرائيلي يزهار سميلانسكي ، في وثيقة أصبحت تعرف باسم وثيقة سميلانسكي ، ظهرت عبارات نقد عنيفة متشائمة مثل « لقد انتهت الدولة » ... « ليست لدينا ايديولوجية ولا مطامح » ... « عندنا شكوك في

حقنا في الوجود على هذه الارض » ... « لماذا نحن هنا ، وما المستقبل الذي ينتظرنا ؟ » ... « التاريخ اليهودي لا يعني شيئا بالنسبة لنا »... « هل أرض اسرائيل هي الامكانية الوحيدة المتاحة أمامنا للحياة ؟ » ... « انهم يدعوننا الى الحرب ، ويسوقوننا ونحن مغمضي الاعين ، ولكن لاي سبب نموت ؟ » ... ومعنى هذا ان الشخصية القتالية للشباب الاسرائيلي أصبحت موضع شك وأصبحت النظرية الصهيونية في فرض الصلح على العرب بالقوة موضع شك أيضا ، ولو بين المتعلمين فقط .

(٢) تمثل الاستيطان في المناطق المحتلة ، وخاصة في منطقة المرتفعات السورية (الجولان) التي لا يعيش فيها الآن أكثر من ٥٠٠ يهودي ، رغم ان المشروع الاصلي الذي نشر في يناير عام ١٩٦٩ كان يستهدف توطين ٥٠ ألفا هناك قبل عام ١٩٧٩ ، وقس على ذلك سائر المستعمرات العسكرية التي تزيد عن الستين في المناطق المحتلة .

(٣) قد تؤدي زيادة النزوح عن الهجرة الى تعادل تعداد العرب مع اليهود في المناطق المحتلة خلال ثلاثين عاما ، حسب تقدير مكتب الاحصاء المركزي بالقدس للسكان عام ١٩٦٨ على اساس بقاء معدل تزايد السكان الطبيعي العرب واليهود على حاله ، حينذاك ، وهو ١٦ في الالف بين اليهود و٤١ في الالف بين العرب ، مع بقاء الهجرة على معدلها في ذلك العام (٢٠ الفا من المهاجرين مقابل نصف هذا الرقم من النازحين) . وكان من رأي شاؤول فريدلاندر(٢٦) « ان هذا سيخلق مشكلات أمن معقدة في حالة نشوب حرب جديدة مع العرب ، فضلا عن كافة المخاطر التي تميز الدولة ذات القوميتين اللتين سيزيد تعداد كل منهما في هذه الحالة عن مليونين » . ولكن هذه المعادلة تغيرت بعد أن أصبح النازحون أكثر من المهاجرين فضلا عن انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية بمقدار الثلث .

(٤) الانخفاض المستمر في عدد المواليد نتيجة قلة الاقبال على الزواج ، وقلة الرغبة في التناسل. فقد هبطت نسبة التكاثر الطبيعي (الفرق بين المواليد والوفيات) بين يهود اسرائيل من ٢٠ في الالف عام ١٩٧٠ الى ١٧ في الالف عام ١٩٧١ الى حوالي ١٣ في الالف عام ١٩٧٤ اي حوالي ٣٢ الفا . وفي هذه الحالة سيكون الفرق بين زيادة السكان (من الهجرة والتناسل) وعدد النازحين ضئيلا جدا (حوالي ٢٧ الفا فقط) هذا العام . وفي العام الماضي ازداد اليهود ٣٦ الفا وعرب فلسطين المحتلة كلها ٦١ الفا(٢٧). واذا استمر هذا التناقص في الهجرة والتناسل مع تزايد النزوح وبقاء الاحتلال فان هذا سيؤدي بعد سنوات الى اكثر من « كارثة » على حد تعبير وزير الاستيعاب روزن . لان معناه تجمد عدد السكان اليهود ان لم يكن تناقصهم كما يحدث في كثير من الدول المتقدمة ، مع فارق هام هو ان النزوح من اسرائيل سيكون أكثر من غيرها للاسباب التي سبق ذكرها ، ومعنى هذا ان استمرار الوضع (وهو سيستمر على الارجح) قد يؤدي على الاقل الى تفوق عرب المناطق المحتلة على يهود اسرائيل في التعداد قبل نهاية هذا القرن (التعداد الحالي ٢٫٩ مليون يهودي و٥٫١ مليون عربي) .

(٥) نزيف اسرائيل أساسا من النازحين من حملة الشهادات العليا والمهنيين كالاطباء والمهندسين والاقتصاديين ، وهؤلاء الكبار المؤهلون لا يعوضهم في الخبرة المواليد الجدد ولا المهاجرون الجدد (ومعظمهم من الاتحاد السوفييتي) لان الاخيرين لا يستطيعون التعامل مع الحكومة والاهالي بسهولة ، حتى ولو كانوا مهنيين خبراء في بلادهم ، وذلك بسبب مشاكل اللغة واختلاف تخصصهم ، فالذي كان محاميا في روسيا لا يستطيع ان يعمل مثلا في القضاء الاسرائيلي ، لانه لا يعرف عنه شيئا ، وقس على ذلك . ولذلك فهم يعملون غالبا في مهن بعيدة عن مجال تخصصاتهم .

(٦) قد يؤدي استمرار ظاهرة النزوح — كما يقول تقرير للجامعة العربية — « الى سيطرة فئة الصابرا على المجتمع ، بما يمثلون من تطرف في السياسة الخارجية وعنصرية تجاه اليهود الشرقيين ، وعلى الرغم من ان غالبية الصفوة الاقتصادية والسياسية من يهود روسيا وبولندا ، فانها تفسح المجال تدريجيا بسبب عامل التقدم في السن لمثلي الصابرا الاكثر شبابا ، الذين يشكلون الآن نسبة عظمى من الصفوة العسكرية ، ونحو نصف سكان اسرائيل » .

(٧) النتيجة النهائية لكل ما تقدم ، هو ان حكومة رابين الضعيفة (وهو من الصابرا) ستكون

اكثر تشددا في سياستها الخارجية تجاه العرب ، وخاصة في محادثات جنيف المقبلة ، لاستعادة هيبة الدولة وسمعتها في التفوق العسكري مثلما فعلت عام ١٩٦٧ . وقد سبق أن أدى تشددها في محادثات كيسنجر الى انهيار مهمته ... وبالتالي الى دعم موقف الحكومة الاسرائيلية ازاء المعارضة ودعم موقف رابين ازاء معارضيه في داخل حزب العمل . وقد دل استفتاء قامت به جريدة دافار على تاييد ٨٤٫٦ ٪ من السكان لسياسة الحكومة المتشددة التي لا تملك أكثر من ٦٦ مقعدا من مجموع ١٢٠ من مقاعد الكنيست . وهذا يفسر قول ايجال الون، وزير الخارجية ، مؤخرا ان تشدد الحكومة يرجع الى « أسباب داخلية » .

ونحن قد نفهم سبب تشدد الحكومة الصهيونية ولكن تأييد السكان الشرقيين المطحونين لها بهذه النسبة غير مفهوم . فقد صدرنا الى المجتمع الاسرائيلي — كما قال الرئيس السادات أكثر من مرة — كل مشاكلنا السابقة من ضياع وانهيار معنوي ، وهذا كفيل بأن يدفع سكان اسرائيل للحرص على السلام بأي ثمن بعد الثمن الفادح الذي دفعوه من دمائهم في حرب عام ١٩٧٣ .

ولكن الحكومة قد استطاعت غسل مخ الاهالي تماما . ومن هنا جاء قول الرئيس السادات ان اسرائيل لا تريد السلام ولا تقدر عليه ... وانتهى في مؤتمره الصحفي في الكويت يوم ١٩٧٥/٥/١٤ الى ان « احتمال الحرب ليس بعيدا أبدا واحتمال محاولة استعادة خرائة اسرائيل التي لا تقهر وجيشها الذي لا يقهر وسيطرتها وسيادتها كلها أمور واردة في كل وقت وفي كل دقيقة ... ونحن مستعدون لها » .

خلاصة القول ان الهجرة اكثر العوامل حسما وأهمية في أمن اسرائيل . وحيث ان الامن هو عجل اسرائيل الذهبي المقدس ، فيجب ان نتوقع من اسرائيل قريبا رد فعل مضاد عنيف قبل ان ينتهي الامر بسكانها الى الشتات والعودة الى المهجر ، كما تنبأ بذلك ايضا توينبي ، واغلب الظن انها ستنتهز فرصة اول انفجار جديد في المنطقة لطرد اكبر عدد ممكن من عرب المناطق المحتلة لحفظ التوازن السكاني بين اليهود والعرب المقيمين فيها قبل فوات الاوان .

---

١ — وكالة الانباء الفرنسية (**و.أ.ف.**) ، ١٥/ ١٩٧٥/٥ .
٢ — جريدة **دافار** ، ١٩٦٨/٦/١٨ .
٣ — الكتاب السنوي لاسرائيل عام ١٩٥١ .
٤ — و. أ. ف. ، ١٩٧٥/٥/١٥ .
٥ — تقرير ادارة الهجرة بالامم المتحدة عام ١٩٧٥ .
٦ — اذاعة اسرائيل (عبري) ، ١٩٧١/١٠/١٨ .
٧ — وكالة انباء المانيا الغربية (**د.ب.أ.**) ، ١٩٧٥/٤/١٨ .
٨ — و.أ.ف. ، ١٩٧٥/٥/١٥ .
٩ — مجلة « **كل شيء** » اللبنانية ، ٢٤ أيار (مايو) ١٩٧٥ .
١٠ — **و. أ. ف.** ، ١٩٧٥/٥/٢٣ .
١١ — وكالة **الاسوشيتد برس** ، ١٩٧٥/٥/٣٠ .
١٢ — وكالة **وفا** ، ١٩٧٥/١/١٤ .
١٣ — وكالة **وفا** ، ١٩٧٥/١/٢٤ .
١٤ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٤/٣/١٥ .
١٥ — « ظاهرة النزوح من اسرائيل » ، تقرير الجامعة العربية ، مايو (أيار) ١٩٧٢ .
١٦ — **دافار** ، ١٩٦٨/٦/١٨ .
١٧ — **و. أ. ف.** ، ١٩٧٤/١٢/١٨ .
١٨ — جريدة « **الرأي** » الاردنية ، ١٩٧٥/٣/٢٧ نقلا عن وكالة نوفوستي السوفييتية .
١٩ — « **المصور** » القاهرية ، اول يونيو (حزيران) ١٩٧٥ .
٢٠ — وكالة **وفا** ، ١٩٧٥/١/١٤ نقلا عن جريدة **الجارديان** البريطانية .
٢١ — وكالة **الاسوشيتد برس** ، ١٩٧٥/٥/٢٠ .
٢٢ — نفس المصدر .
٢٣ — « **الاهرام** » القاهرية ، ١٩٧٥/٥/١٢ .
٢٤ — جريدة « **اليوم** » اللبنانية ، ١٩٧١/١١/٢٦ نقلا عن جريدة معاريف .
٢٥ — **الاهرام** ، ١٩٧٥/٥/١٢ .
٢٦ — شاؤل فريدلاندر ، « **تاملات في مستقبل اسرائيل** » ، ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة ، ١٩٦٨ .
٢٧ — **و.أ.ف.** ، ١٩٧٥/١/١ .

محمد أحمد رمضان

المستشرقون ومعاهد الاستشراق في اسرائيل

بدأ تطور الدراسات العربية في اسرائيل مع اهتمام العلماء اليهود ، في اماكن متعددة من العالم بالاستشراق ، وخاصة في المانيا في القرن التاسع عشر . واحتل هؤلاء العلماء اماكنهم في عدد كبير من الجامعات في العالم ، ووضعوا خدماتهم تحت تصرف الصهيونية العالمية . ثم قدم البعض منهم الى الجامعة العبرية في القدس ، حيث قاموا بتطوير قسم الدراسات الشرقية ، الذي أخذ يخرج دفعات من الطلبة اليهود في هذا الميدان .

وهنا لا بد من الاشارة الى الاهمية التي تعلقها اسرائيل على الاستشراق والى الحوافز التي تدفعها للاهتمام به ، وخير ما يشير الى ذلك ما كتبه البروفسور اوريال هايد ، احد اساتذة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية . يقول هايد : لقد لعبت العلوم الشرقية والاسلامية دورا هاما في تاريخ شعبنا الثقافي ، ومنذ العصور الوسطى عندما كان اليهود يساهمون في نقل فلسفة الاسلام الى اوروبا ، وحتى يومنا هذا ظهر كثير من العلماء اليهود المتخصصين بدراسة الشعوب الاسلامية وثقافتها وحضارتها وتاريخها. وهناك في ايامنا هذه ، نسبة لا بأس بها من المستشرقين اليهود وان مجرد وجود مكتبة اجنتس جولد تسيهر ، وهو يهودي هنغاري ومن كبار المستشرقين في الاسلام ، في مكتبة الجامعة العبرية يمكن من استخدامها كرمز لهذا التتابع التاريخي(١).

ويستعرض البروفسور هايد المزايا التي يتمتع بها المستشرقون اليهود بالمقارنة مع المستشرقين الغربيين فيعزوها الى العوامل التالية :

أ — ان الكثيرين من الطلبة اليهود ، الذين يلتحقون بالجامعة يلمون باللغة العربية ، ومنهم من درس العلوم الشرقية في المدرسة الثانوية .

ب — على الرغم من اغلاق ابواب البلدان العربية في وجه طلبة الاستشراق اليهود ، فانهم يستعيضون عن ذلك بالسفر الى تركيا وايران وغيرها من بلدان الشرق القريبة من اسرائيل خلافا للمستشرقين الغربيين الذين تبعد عنهم هذه البلدان .

ج — ارتباط اليهود والعرب التاريخي والحضاري مع الشرق الاسلامي ، ثم ان تعلم اللغة العبرية وقواعدها ومفرداتها يحتاج الى معرفة مبدئية باللغة العربية حتى على مستوى المدرسة الثانوية . وكذلك فان فهم الشعر والادب الديني والفلسفي اليهودي خلال العصور الوسطى يتطلب دراسة خلفية الاسلام . ويضيف هايد قائلا : ان هذه المعرفة لتلك القومية التاريخية تتطلب دراسة واسعة وعميقة للغة العربية وآدابها في الجامعة العبرية . وينعكس ذلك ايضا على الابحاث التي تجري فيها ، فهناك طلاب مثلا يعدون قاموسا عربيا — عبريا ضخما بتوجيه من اساتذتهم . واخرون يعدون الكتب غير المتداولة لاستخدامها في الابحاث التاريخية والاجتماعية لبلدان حوض البحر المتوسط خلال العصور الوسطى(٢).

ويواصل هايد شرحه لدوافع الاهتمام بالاستشراق فيقول : لعل التحدي الاساسي لعملنا انه لا ينبع من مشاركتنا في تاريخ الشرق الاوسط في الماضي ، بل من واقعنا في الحاضر والمستقبل. فقضية انتماء اسرائيل للغرب او للشرق نوقشت كثيرا دون ان يوصلنا هذا النقاش ، حتى الان ، الى اراء متبلورة ومقبولة . ومهما يكن توجهنا الادبي ، وعلاقاتنا السياسية مع جيراننا ، فانه ليس هناك من ينكر ان مستقبلنا القومي مرتبط بمستقبل الشرق الاوسط ، والى حد ما بمستقبل دول اسيا وافريقيا الاكثر بعدا . فهذه الحقيقة ينبغي ان تضفي على اهتمامنا بالشرق الاوسط اهمية خاصة وحيوية ووعيا يزيد عما لدى المستشرقين من بلدان الغرب(٣).

ان اهتمام اسرائيل بالاستشراق لا يعود الى دراسة العرب فقط ، بل ايضا دراسة اليهود الذين تجلبهم الصهيونية من بلدان الشرق الى اسرائيل ، حيث كان من الصعب اندماج هؤلاء اليهود مع الطوائف الغربية في اسرائيل ، الامر الذي خلق مشكلة التفرقة بين الاشكناز ، اي اليهود الغربيين وبين السفارديم ، اليهود الشرقيين . ويقول هايد في هذا المجال : ان استيعاب العدد الكبير من المهاجرين من دول

الشرق يتطلب فهما واسعا للظروف السائدة في بلدانهم الاصلية ودراسة تقاليدهم الخاصة ، في الوقت نفسه مساعدة هامة لمعرفتنا العلمية وللفهم والتقريب المتبادلين بين الطوائف(٤) .

مؤتمرات الاستشراق

يتمثل اهتمام اسرائيل والصهيونية بالاستشراق بحرصها على الاشتراك في مؤتمرات المستشرقين الدولية التي تعقد بين الحين والاخر . فقد اشتركت اسرائيل في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في باريس عام ١٩٤٨ ، حيث وفد اليه مستشرقون يهود من بلدان مختلفة . كما اشتركت ايضا في المؤتمر الدولي للمستشرقين ، الذي عقد في اسطنبول عام ١٩٥١ ثم في كامبردج في صيف عام ١٩٥٤ . حيث اشترك في هذا المؤتمر مجموعة كبيرة من المستشرقين اليهود من اقطار مختلفة . وقد ادخل اعضاء الوفد موضوعات عن اسرائيل واليهود والتوراة وتعاليم التلمود وحضر المؤتمر مجموعة من المستشرقين الاسرائيليين منهم ايلوية وبنحاط وجوطشطاين وجويكين وغيرهم. كما حضر المؤتمر ايضا يغئال يدين ثاني رئيس اركان للجيش الاسرائيلي الذي القى محاضرة حول « الاحتلال العسكري بين مصر وفلسطين منذ القدم »(٥).

كما بعثت اسرائيل الى مؤتمر المستشرقين الدولي السادس والعشرين الذي عقد في نيودلهي خلال شتاء عام ١٩٦٤ ، وفدا من الجامعة العبرية يرأسه البروفسور ايلون والاساتذة اوريال هايد وخاييم رابين وبيسح شتعاز وطوبيا جلبلوم وجفريال بير . وساهم الاساتذة الاسرائيليون بابحاث ومحاضرات عن الاسلام والحضارة والاداب العربية والتوراة . ويقول الدكتور بير ان رئيس الدائرة الاسلامية في المؤتمر قال له ، ان الاعضاء الاسرائيليين قدموا ابحاثا ممتازة عن الاسلام . هذا وتستغل اسرائيل هذه المؤتمرات للدعاية وكسب صداقة الوفود . ويقول الدكتور جلبلوم : اعتقد ان زيارة الوفد كانت حملة اعلامية هامة بصورة غير مباشرة(٦).

معاهد الدراسات العربية والشرقية في اسرائيل

تركز اسرائيل على خلق جيل من الباحثين والخبراء في الشؤون العربية والاسيوية والافريقية لتحقيق مطامعها التوسعية . وتدرك اسرائيل ان المواجهة مع العالم العربي تتطلب فريقا من المتخصصين في الشؤون العربية يتوزعون في جميع دور الصحف والنشر والمؤسسات الحكومية والجامعات . كما ان التغلغل الاسرائيلي في اسيا وافريقيا يتطلب بدوره جيلا من الشبان يلم بمشاكل هاتين القارتين ولغاتها وتقاليدها .

ولهذا السبب طورت اسرائيل قسم الدراسات الشرقية واقامت معاهد متعددة لتخريج الباحثين واعداد الدراسات ، واهم هذه المعاهد :

١ — **معهد الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية** . وقد تأسس عام ١٩٢٦ . ومما يدرسه هذا المعهد ، بصورة خاصة ، اللغة العربية وادبها الكلاسيكي ، وكذلك الحضارة العربية التي شملت الديانة الاسلامية والتاريخ العربي في القرون الوسطى ، وكذلك الفلسفة والقانون وعلم الآثار والفنون وتاريخ العلم في الاسلام ثم اللغة العربية الحديثة وآدابها واصولها اللغوية(٧).

وخلال عام ١٩٣٥ ، قام هذا المعهد بمشروعين، الاول : اعداد ديوان ضخم عن الشعر العربي القديم . وفي سبيل ذلك تسجل كل كلمة تظهر في هذا الشعر على بطاقة خاصة مع ذكر اصلها . وقد تم تسجيل اكثر من مليوني بطاقة حتى الآن . ويستخدم هذا الديوان ، كمرجع اساسي في البحوث حول تطوير اللغة العربية . والمشروع الثاني هو اعادة طباعة كتاب البلاذري وهو موسوعة كبرى للتاريخ العربي القديم .

ومن اهم محتويات هذا المعهد مجموعة من الصور والرسومات لمبان اسلامية وتحف فنية تربو على اربعة الاف. وقام المعهد بابحاث عدة في مجال العلوم الشرقية . منها بحث اعده البروفسور ويل عن الحديث والقرآن وبحث اخر عن تاريخ اللغة التركية . ومنها ايضا ترجمة القرآن وابن هشام وسيرة محمد والف ليلة وليلة الى اللغة العبرية ، ومنها ايضا الابحاث التي اعدها الدكتور بولتسكي عن اللغة القبطية والادب العربي الحديث(٨).

وبعد اقامة اسرائيل اخذ المعهد يعد الباحثين في الشؤون المعاصرة للشرق الاوسط ، وذلك بتكليف من الحكومة ، حيث توسع المعهد بتدريس اللغة

العربية ، الفصحى والعامية . ويقوم هذا المعهد بتسجيل جميع اللهجات التي يتحدث بها الفلسطينيون ، حيث يختارون طلابا عربا من كافة القرى لتسجيل لهجاتهم وحصر كل لهجة سائدة في القرى والمدن الفلسطينية .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان معهد الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية يصدر مجلة فصلية تدعى « همزراح هيحداش » ومعناها بالعربية « الشرق الجديد » . حيث تنشر هذه المجلة دراسات عن العالم العربي في كافة المجالات والحقول . وفيها ابواب دائمة عن الاخبار السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في كل بلد عربي . وحتى انها تترجم الاشعار والقصص والروايات العربية الى اللغة العبرية.

٢ ــ **معهد شيلواح** : يعتبر معهد شيلواح في تل ابيب من اهم المعاهد الاسرائيلية لجمع المعلومات عن الشرق الاوسط . فقد انشيء عام ١٩٥٩ عندما شعر الاسرائيليون بضرورة استغلال المعلومات الغزيرة عن الشرق الاوسط المتوفرة لديهم . ومن رواد الدعوة الى تأسيس هذا المعهد المستشرق اليهودي رؤبين شيلواح* والذي سمي المعهد باسمه ، ويهوشفاط هركابي الذي عمل رئيسا للاستخبارات العسكرية في الجيش الاسرائيلي واسحق اورن من كبار ضباط الجيش والذي تولى ادارة المعهد اثر تأسيسه . واستطاع اورن ان يوفر للمعهد منذ بدايته مادة ارشيفية نادرة وهي عبارة عن مجموعة من الصحف العربية منذ عام ١٩٤٨ . والمشروع الرئيسي لهذا المعهد هو اصدار كتاب سنوي شامل عن الشرق الاوسط حيث يتضمن التحليلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط .

هذا ويحرص المعهد على جمع الاعداد اليومية لاكثر من مائتي صحيفة تصدر في الشرق الاوسط . ويقول الدكتور حاييم شاكيد احد المسؤولين في المعهد ، والذي اصبح الان رئيسا له : « يختلف معهدنا عن معاهد الابحاث في العالم ، اذ اننا لا نتابع الاحداث حسب تتابعها التاريخي ، بل نحاول ان نرى ما يشغل الشرق الاوسط اليوم . وربما نحتاج الى الرجوع للوراء ٢٠٠ ــ ٣٠٠ سنة او اكثر في بعض الاحيان ، ونؤمن اننا عندما نتناول المشكلات الحاضرة نستطيع الافادة من الماضي وتوقع ما سيحدث في المستقبل . اننا لا نعمل في التنبؤات ولكن معرفة الوضع الحالي ، ومعرفة الاحداث التي أدت اليه ، تمكننا من معرفة ما سيحدث في المستقبل »(٩).

ولدى المعهد مصادر وفيرة من المعلومات ابتداء من الصحف والنشرات الطبية التي تصدر في العالم العربي وانتهاء بما تذيعه محطات الاذاعة العربية ، وكل هذه تدخل كقصاصات في ارشيف خاص . ويترأس معهد شيلواح شمعون شمير ، (حل مكانه الدكتور حاييم شاكيد) ، ويساعده خمسة باحثين يتناوبون على متابعة ما يجري من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية في البلد الذي يشرف عليه . ويضم المعهد ستة اقسام ، يترأس كل قسم « باحث » يحمل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية ، مع مراعاة وضعه في القسم الذي يختص بالبلد الذي تناولته دراسته الجامعية . وهو يتقن لغة هذا البلد وله دراية باللهجات المختلفة المتداولة فيه . ويضم كل قسم مجموعة من الباحثين يتقنون ايضا اللغة العربية .

وينقسم المعهد الى ستة اقسام :

١ ــ دائرة مصر : يشرف عليها رئيس المعهد الدكتور شمعون شامير ، ويبدو ان اصله مصري.

٢ ــ سوريا : يشرف عليها الدكتور افيجدور ليفي ، وهو احد الباحثين البارزين في معهد شيلواح . درس في قسم الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية في القدس .

٣ ــ دائرة العراق : يشرف عليها الدكتور اوبرمال وان . وهو مؤلف كتاب عن العراق في عهد عبد الكريم قاسم .

(٤) دائرة السودان ، يشرف عليها الدكتور حاييم شاكيد (الذي أصبح رئيسا للمعهد) وهو خريج الجامعة العبرية . حاز على درجة الدكتوراه من لندن ، اثر تقديم رسالته حول تاريخ المهدية في السودان(١٠).

(٥) دائرة ايران : يشرف عليها باحث آخر هو اريه شموئيلفيتس ، وهو من مواليد فلسطين

ومختص بمشكلات تركيا وايران.

(٦) دائرة العلاقات العربية ويشرف عليها الدكتور دافيد شيرون وهو يختص بالعلاقات بين البلدان العربية وتطورها(١١).

وتكمن أهمية معهد شيلواح في ان الاجهزة الرسمية في اسرائيل تعتمد عليه لمدها بالمعلومات عما يجري في العالم العربي . وهو على اتصال دائم مع وزارة الخارجية وجهاز الاستخبارات . كما يهتم المعهد ايضا بالمقاطعة العربية ووسائل مكافحتها . وأصدر معهد شيلواح مجموعة من الكتب عن العالم العربي اهمها كتاب سوريا تحت حكم البعث وكتاب السياسة العربية في المرآة السوفياتية وكتاب مثقفون في العالم العربي(١٢).

٣ ــ مركز الدراسات العربية والافرو ــ آسيوية : اقيم هذا المركز في معهد جفعات حبيبة في المثلث . واعلن هذا المركز عن غايته وهي « خدمة قضية محددة ، اي قضية التفاهم والتعاون بين اليهود والعرب في اسرائيل والمنطقة . ويعمل من اجل تثقيف ابناء الشعبين كي يفهم كل واحد آمال الشعب الاخر ، كما يعنى بالنشاط الاجتماعي لتطوير المجتمع العربي في اسرائيل » . ويخضع المعهد لاشراف حزب مبام الصهيوني اليساري ولهذا يكثر من تشدقه عن السلام .

ولكن ليست هذه هي الاهداف الحقيقية لهذا المركز ، اذ ان هدفه الاساسي هو اعداد دراسات عن العرب في اسرائيل لا من اجل تطوير الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للعرب ، بل من اجل رصد تحركاتهم في اسرائيل ، ومتابعة ميولهم وفهم عقليتهم ، وبالتالي محاربة اية ظاهرة لا تستسيغها السلطات . كما انه يسعى بطريق ذكي وخبيث لاستيعاب الشباب العربي هناك ، بعد ان غطى نفسه بلباس يساري مزيف.ويقوم هذا المركز بنشر سلسلة من دراسات عربية وافرو ــ اسيوية ، منها دراسة عن التركيب المهني والمشكلات الاقتصادية للسكان العرب في اسرائيل .

٤ ــ المعهد الافرو ــ آسيوي للدراسات العمالية والتعاون : تأسس هذا المعهد في تل أبيب عام ١٩٦٠ لتدريس التنمية والتعاون والمشكلات العمالية للطلبة الافرو ــ آسيويين . ويترأسه الياهو ايلات ، الرئيس السابق للجامعة العبرية. وتضم مكتبة المعهد ٧ آلاف مجلد ، وتخرج منه عام ١٩٦٩ ، ٢٢٣٣ طالبا من ٨٥ دولة .

٥ ــ المدرسة الاميركية للدراسات الشرقية : تشتمل على مكتبة تضم ٤٥ ألف مجلد . تقوم بأبحاث عن اللغات السامية والاداب والتاريخ والاثار .

٦ ــ دار ويلفرد اسرائيل للفنون والدراسات الشرقية : تاسست عام ١٩٤٧ في كيبوتس هازوريع بالقرب من حيفا . افتتحت عام ١٩٥١ . وهي مركز للمطالعة والدراسة والمعارض الفنية .

٧ ــ اللجنة الاكاديمية الاسرائيلية الخاصة بشؤون الشرق الاوسط : ذكرت « جيروزاليم بوست » في عددها ١٩٧١/١/٨ ، انه تألفت في اسرائيل لجنة اكاديمية تعنى بشؤون الشرق الاوسط برئاسة شارل برادو . وقالت الصحيفة ان هدف هذه اللجنة ، هو اعداد المعلومات المتعلقة بالصراع العربي الاسرائيلي ، ووضعها تحت تصرف الاساتذة والمثقفين الامريكيين الذين يزورون اسرائيل . واضافت « تهدف اللجنة الى تزويد المئات من الاكاديميين الاصدقاء الذين يزورون اسرائيل بالمعلومات والافكار التي تمكنهم من مهاجمة اعداء اسرائيل بعد عودتهم الى بلادهم . وتعمل اللجنة من خلال جمعية الاساتذة الامريكيين من اجل السلام في الشرق الاوسط ».

٨ ــ معهد اسرائيلي لجمع الوثائق والبحث في تاريخ الشعب الفلسطيني : وقد اقيم هذا المعهد على جبل المكبر في القدس بهدف جمع المادة الوثائقية الوفيرة في البلاد مثل افلام مايكروفيلم لوثائق محفوظة موجودة في الخارج تتعلق بتاريخ عرب البلد خلال الاجيال الاخيرة . ويشرف على هذا المعهد الدكتور موشيه معوز . ويقوم هذا المعهد بتصنيف المادة حسب مجالات رئيسية : عرب فلسطين في عهد الانتداب ، عرب الضفة الغربية خلال العهد الاردني ، وعرب قطاع غزة خلال فترة الحكم المصري ، و« عرب اسرائيل » منذ ١٩٤٨ ، عرب الضفة والقطاع منذ ١٩٦٧ ، الفلسطينيون والنزاع الاسرائيلي ــ العربي(١٤).

وهناك العديد من هذه المعاهد التي تتبع المخابرات والوزارات الحكومية بصورة مباشرة . وان ما تقوم به هذه المعاهد وتلك ، من ابحاث

ودراسات علنية وسرية والتي يقوم باعدادها الخبراء الاسرائيليون في الشؤون العربية تستغل استغلالا تاما ، فعلى الصعيد الرسمي توضع تحت تصرف مخططي السياسة والقائمين على الاجهزة التنفيذية كي تكون مخططاتهم مبنية على تحليلات علمية دقيقة . ولا شك ان اسرائيل تعتمد على التخطيط للمدى البعيد ، لادراكها انها تعيش في منطقة تنبذها ، ويهمها ان تعرف كل شيء عن العالم العربي . ولهذا فهي تتابع باهتمام دراسة التطورات في العالم العربي . ومن اهم الامور التي تهتم بها اسرائيل كثيرا هو حجم وسرعة التطور العلمي والتكنولوجي في البلاد العربية . كما تهتم اسرائيل بتعليم وتثقيف الشبان ، عن العالم العربي . ولهذا فالدراسات الشرقية تحظى في اسرائيل باهتمام كبير في جميع الاوساط وخلال مراحل التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية . ويبدأ الاهتمام بهذه الدراسات بتعميم دراسة اللغة العربية في بعض المدارس تمهيدا لمتابعة الدراسات الشرقية الجامعية في المستقبل . ففي العام الدراسي ١٩٦٩ / ١٩٧٠ تم تدريس اللغة العربية في اربع وسبعين مدرسة ثانوية في اسرائيل وبلغ عدد الطلاب الذين يدرسونها حوالي ١٢ الف طالب . وتشتمل عشر من هذه المدارس على فروع للدراسات الشرقية ، يتلقى فيها الطالب دروسا موسعة في اللغة العربية القديمة والحديثة وكذلك تاريخ العرب والاسلام(١٥).

ومن أهم المواضيع التي يقومون بتدريسها وببحثها ، التاريخ الدبلوماسي والسياسي للمشكلة الفلسطينية. وكذلك الحروب العربية — الاسرائيلية والاتصالات الدبلوماسية بين الحركة الصهيونية والحركة القومية العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وكذلك دراسات عن العالم العربي ، منها ، دراسة عن علال الفاسي — خطوط عمله على طريق استقلال مراكش(١٦)، ودراسة عن القبائل اليمنية وكذلك « مسألة الفلسفة القومية في الفكر العربي المعاصر » حيث تم الاعتماد في ذلك على كتاب الدكتور قسطنطين زريق « الوعي القومي » ، وكذلك الاعتماد على دراسات ومؤلفات ساطع الحصري وكتاب حسن صعب « دروب القومية العربية » . وكذلك دراسة مؤلفات قدري طوقان وعبدالرحمن البزاز وهشام شرابي ونقولا زياده وغسان شراره وانيس صايغ وغيرهم .

كما يقوم الاسرائيليون بدراسة الشعر العربي القديم والحديث ، حيث يقومون بترجمة نماذج منه الى اللغة العبرية . ولنأخذ مثلا شموئيل موريه المتخصص في الشعر العربي الحديث الذي قام بترجمة ديوان ادونيس (علي أحمد سعيد) : «كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل»، وديوان محمد الماغوط « حزن في ضوء القمر»(١٧).

كما يقومون بدراسة العرب الذين يعيشون بينهم منذ اكثر من ربع قرن فهم يرقبونهم بعين ساهرة ، واكثر ما يهمهم هو تطور الوعي والمشاعر القومية لدى هؤلاء ، فنرى ان هناك دراسة تحمل عنوان « الانتماء القومي للعربي الاسرائيلي » اعدها الدكتور يوحنان بيرس استاذ العلوم الاجتماعية في الجامعة العبرية ونيره ديفيس وكانت معيدة في الجامعة العبرية(١٨). كما قام ستة من الخبراء في الشؤون العربية باعداد دراسة عن العرب في اسرائيل تشتمل على دراسة المواضيع التالية : السكان العرب في اسرائيل تحليل ديموغرافي ، هجم السكان العرب — التوزيع الجغرافي ، سكان المدن والقرى ، التغيرات التي طرأت على القرية العربية هناك ، الوقف الاسلامي ، وضع الشعر والادب لدى العرب في اسرائيل ، والجيل العربي الناشيء وموقفه من الدين . ومما يؤكد اهتمام الخبراء الاسرائيليين بالشؤون العربية ، ما تحدث به اثنان من رؤساء الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية السابقين ، والمهتمين الان بهذا الشأن . فقد تحدث عن ذلك يهوشفاط هركابي بقوله : هناك امر هام جدا ، لقد تعودنا ان نسأل ماذا يفعل العرب ، لا ماذا يفكرون . كما أرى الان انهم يفكرون بشكل ممتاز ، ايديولوجيتهم اصبحت عقلانية وتصرفاتهم في كل ما يتعلق بالنزاع اصبحت منطقية ، يوجد لديهم مؤسستان كبيرتان لبحث النزاع العربي الاسرائيلي [مركز الابحاث ومؤسسة الدراسات]. واذا ما احتجت الى مادة ما ، وعن اسرائيل ايضا ، اجدها هناك . واما الجنرال (احتياط) حاييم هرتسوغ فيقول : انا مشترك بمنشوراتهم ، ان افضل بحث قرأته عن حرب الاستنزاف نشروه هم ، وكتبه دكتور فلسطيني(١٩).

ماذا كان دور المستشرقين في حرب اكتوبر

كان للتحليلات والمعلومات التي قدمها المستشرقون الاسرائيليون قسط وافر من الانتصار العسكري الذي حققته اسرائيل عام ١٩٦٧ . فانه بالمقدار الذي نظر فيه الاسرائيليون الى دايان عام ٦٧ وبالهالة التي اغدقوها عليه وعلى غيره من العسكريين ، أغدقت الهالة ايضا على المستشرقين الاسرائيليين ، واخذ الطلب يزداد عليهم وعلى مؤلفاتهم ، حيث كانوا يدعون لاجراء مقابلات في الوسائل الاعلامية المختلفة ، كما ان التهافت قد ازداد عليهم في مراكز الابحاث والجامعات المختلفة . ولكن ماذا حدث بعد حرب اكتوبر ؟ فمي غمرة الاتهامات التي تبادلها الاسرائيليون فيما بينهم ، بالنسبة الى مسؤولية التقصير والاهمال في حرب تشرين ١٩٧٣ ، كان للمستشرقين والمتخصصين بالشؤون العربية ، افرادا ومعاهد، نصيب من هذه الاتهامات . وقد كتب الدكتور اوري ميلشتاين مقالا في ملحق دافار (٧٤/٤/١٩) بعنوان : « اين كان المستشرقون ؟ » عرض فيه اراء هؤلاء بعضهم في بعض وفي مسؤوليتهم عن التقصير ، وفي اخفاء حقائق كثيرة تنشأ في العالم العربي عن الاسرائيليين ، والتكييف مع وجهة نظر المؤسسة الحاكمة في اسرائيل . فقد نقل ميلشتاين عن البروفسور يهوشفاط هركابي ، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية سابقا ، والذي ينظر اليه كثيرون على انه الخبير الاكاديمي الاول في اسرائيل ، بمسائل الصراع العربي ـ الاسرائيلي » قوله : « انني لا اعتبر فشل تشرين الاول ١٩٧٣ ، فشلا للسياسيين فقط ، بل هو فشل اكبر ، واذا شئت تقصير ، لرجال الفكر في الدولة . فهم لم يتيحوا للشعب فهم اوضاعه . لقد قال وزير الدفاع انه لا يتوقع حدوث حرب خلال عشر سنوات وجاء متنياهو بيلد (احد كبار المستشرقين) وكتب ان وزير الدفاع يبالغ ، فلن تكون هناك حرب لفترة اطول كثيرا . وكتب عشرة مقالات اخرى ، وقال : لماذا يبالغون في المسألة الامنية . وانا اتساءل : هل تستطيع امة ان تكون مستعدة للحرب عندما يقولون لها صباح مساء ، انه لا يتوقع حدوث حرب ، وان الطرف الاخر قد تنازل عن الحل بالقوة ؟ » ودعا هركابي الى التدقيق في دور بيلد ، وشمعون شمير الاستاذ في جامعة تل ابيب ورئيس معهد شيلواح سابقا ، في « تقصير حرب يوم الغفران » . ورد شمير بانه لم ينصرف الى الكتابة في الصحف ، كما فعل هركابي ، وانه عني بتوضيح « ان في العالم العربي جماعة تسعى للتسوية مع دولة اسرائيل. لعلها جماعة هامشية ، ولعلها لا تمارس اليوم تأثيرا على صانعي القرارات . واعتبر شمير هركابي منظر حالة الركود « التي سادت المجتمع الاسرائيلي خلال السنوات الاخيرة » . فقد وزعت مقالاته على الجيش الاسرائيلي « بعشرات الالاف من النسخ » وأثرت وزارة المعارف والثقافة كتيباته في برامج التعليم في المدارس ، كما مثل امام لجنة الخارجية والامن ، ودعته فولدا مئير الى الاستشارة ، قبل الحرب وبعدها . « وقد وجهت افكاره الخط الحكومي ، وكانت ، بصورة خاصة، اساسا لموقف غولدا » . كما اتهم شمعون شمير، هركابي ، ايضا بانه نشر افكارا مشوهة عن المجتمع العربي ، ادت الى الاستهانة به ، وهو الذي اوجد مصطلح « لا سامية عربية » . وعرض شمير نموذجا للخلافات بينه وبين هركابي ، هو ان هذا الاخير يعتقد بان مصر مستعدة للانتظار طويلا وعدم القبول بتسوية منفردة في سيناء ، بينما يرى شمير العكس . « ولكنني حذرت من الحرب اكثر من هركابي ... فقد قلت ان السادات خارج الى الحرب بسبب سيناء ، وانه لا يجوز الشك في مدى ارتباط المصريين الفعلي بصحراء سيناء » .

كما عرض ميلشتاين رأي الدكتور حاييم شاكد، رئيس معهد « شيلواح » اليوم . وكان الخلاف الرئيسي بين المستشرقين ، بحسب شاكد : « هل يبقى لدولة اسرائيل ان تنطلق من الافتراض بانه لا يوجد اي حل للصراع بين اليهود والعرب ، وان الشرق الاوسط يعيش حروبا دورية لا يمكن الخروج منها ، او انه يمكن اتخاذ العديد من الخطوات للحيلولة دون الحرب . لقد كان رأيي يميل الى الاحتمال الثاني . كان واضحا لي انه اذا توصل العرب الى الاستنتاج ان ثمة وضعا يمكنهم من حل المشكلة بالقوة ، واذا وصلوا الى حالة من اليأس ، فسيحاولون استخدام القوة . ولكنني اعتقدت ان على دولة اسرائيل ان تعمل كل ما في وسعها ، بمفاهيم المبادرة السياسية ،

للحيلولة دون تولد وضع كهذا . وقد اعتقدت فعلا ان هناك خيارات عديدة في يدنا » .

واضاف ميلشتاين ان الجمهور يأخذ على المستشرقين والخبراء بالشؤون العربية ، انهم لم يتنبأوا بحرب تشرين . وتوجه ميلشتاين بسؤال في هذا الموضوع الى الدكتور ايثار رابينوفيتش ، من معهد « شيلواح » فأجاب : نحن لم نسأل ، ولم يكن من مهماتنا ان نتنبأ بحرب تشرين الاول ٧٣ بالذات . نحن جزء من مؤسسة جامعية ، ونعمل داخل جهاز لا يملك معطيات للتنبؤ بالحروب خلال ايام او اسابيع او اشهر . نحن لا نشترك في اجتماعات سرية ، والكثيرون منا ، يبحثون في الحقيقة ، في مشكلات مختلفة تتعلق بالدول العربية ، وليس بالصراع بالذات » .

واستعرض ميلشتاين تاريخ الاهتمام الاسرائيلي ــ الجامعي بالشؤون العربية ، فذكر ان الجامعة العبرية في القدس لم تهتم بها حتى اوائل الخمسينات . ولكنه خلال السنوات الاخيرة فقط تجمع باحثون شبان في الجامعات في القدس وتل ابيب ، وفي الجامعات الفتية ، وكرسوا معظم وقتهم للمشكلات الحاضرة في منطقتنا . كما نقل ميلشتاين عن هركابي قوله : « ان المستوى الثقافي للبحوث العربية حول الصراع يتفوق على ما لدينا الى حد كبير . انني ارى نشراتهم وكتاباتهم ، والمجهود الذي يبذلونه من اجل فهم هذا الموضوع ، بطريقتهم هم طبعا . اننا لا نصل الى رسغ قدمهم » .

كما وصلت الحملة ضد المستشرقين الى اوجها عندما شن اهرون جيفع في دافار (٧٣/١٢/١٠) هجوما على من يعتبرون خبراء بالشؤون العربية في اسرائيل بقوله : « يبدو لي ان زمن الخبراء بالنفسية العربية ، على اختلاف انواعهم ، الذين أثروا فينا بآرائهم وتقويماتهم قبل الحرب ، قد انتهى ومن الافضل لهم ان يفتشوا عن مصدر رزق اخر .

« ويمكن تقسيم خبراء الامس الى ثلاث فئات . منهم من اعتاد ان يعلن : ولدت في العراق وافهم العرب . وتضم الفئة الثانية الذين تذكروا ايام صباهم ، عندما كانوا يعملون مع العرب كمراقبين على العمال العرب في بيارات بتاح تكفا . أما الفئة الثالثة ، وهي اخطر هذه الفئات ، فتضم اولئك المثقفين الذين درسوا الثقافة الاسلامية من الكتب . وللحقيقة فقد اثار اولئك الخبراء ، شكوكي حتى في الماضي . فقد زعموا : « ان العرب ، بسبب ثقافتهم الخاصة ، يتجاهلون الواقع ، ويقعون ضحية خيالهم . وقدموا اكثر من مرة ، الى من طلب برهانا على ذلك ، للابحاث الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨ وحرب الايام الستة . ولم تكن اية كلمة منها صحيحة ، كان كله كذبا وينم عن خيال خصب .

« ولكن الحرب الاخيرة اثبتت ان هذا الادعاء ليس صحيحا دائما . هذه المرة كانت بلاغات الناطق العسكري المصري دقيقة للغاية » .

واضاف جيفع : « لدى خبرائنا ادعاء اخر : ان العرب لا يفهمون الا لغة القوة فقط . لقد كان هذا الادعاء الاساسي للخبراء الذين ولدوا في الدول العربية ، او من القدامى الذين عملوا مع العرب في البيارات . ولكن الواقع لا يثبت ان الخبراء كانوا على حق . لم تكن هناك مظاهرة قوة اكبر من حرب الايام الستة ... وماذا كانت النتيجة ؟ الرضوخ للغة القوة ؟ لقد اعد السادات حربا جديدة . « ان معلقينا ــ وخصوصا في الاذاعة ــ يخبروننا كل يوم عن الانقسامات والخلافات في العالم العربي . وان كل المؤتمرات والمشاورات وزيارات الوزراء المتبادلة ليست الا تعبيرا عن الصراع الداخلي في العالم العربي . وهكذا خلق لدى الجمهور انطباع بان العالم العربي عالم منهار عاجز عن التكتل » .

بعد هذه الحملة العنيفة من الاتهامات ضد المستشرقين الاسرائيليين ، وتحميلهم مسؤولية تشويه الحقيقة ، وخداع الجمهور والاوساط الحاكمة . رأت اوساط اسرائيلية بعدم اقتصار الاطلاع على المعلومات التي تصل من العالم العربي على هؤلاء المستشرقين وحدهم ، بل يجب تقديمها وعرضها على الجمهور الواسع . ولكي يطلع عليها اكبر عدد من الجمهور ، الذين لا يجيدون اللغة العربية ، لذا رأوا اصدار نشرة مترجمة من العربية الى العبرية ووضعها في متناول كل من يريد وكل من يهمه الامر . وقد سميت هذه النشرة « العرب واسرائيل » ، وهي عبارة عن

مجموعة ترجمات من العربية ، صدرت عن مركز للابحاث يختص بعرب فلسطين والعلاقات العربية الاسرائيلية برئاسة البروفسور موشيه معوز . وقد صدر العدد الاول والذي اعده البروفسور يهوشفاط هركابي ، ويحتوي على ١٠٧ صفحات ، ومن بين ما يشمله ، النقاش الداخلي حول النظرة الى قرار مجلس الامن ، باشتراك المفكر الفلسطيني د. غابر صايغ ، والياس مرقص ورد خالد محيي الدين رئيس لجنة السلام المصرية الذي يبرر مبادرة مؤتمر بولونيا . وهناك ما يثير اهتماما خاصا بمذكرات احمد الشقيري حول ولادة « لاءات » الخرطوم الثلاث . ترجم هذه المواد جميعها عن مجلة شؤون فلسطينية التي يصدرها مركز الابحاث الفلسطينية . وتجدر الاشارة الى ان العدد الاول قد طبع قبل حرب تشرين، ولذا فان المجموعة الثانية التي صدرت باشراف البروفسور عمانوئيل سينان قد خصصت للادب السياسي — الاجتماعي العربي بعد هذه الحرب ، وعلى الاخص الى التغير في نظرة العرب الى انفسهم نتيجة لها ، وكذلك للتفسيرات في فهم العرب لاسرائيل ، والعبر العسكرية والسياسية ، والاعلامية والثقافية . وهناك مقال شامل من مجلة مصرية فصلية يبحث في تقصيرات الاعلام العربي فيما يتعلق بالحرب ، ويوصي البروفسور سينان « ان يقرأ وزير الاعلام الاسرائيلي هذا المقال باهتمام »(٢٠).

---

١ — مجلة « **همزراج هحاداش** » (الشرق الجديد) القدس ، مجلد ١١ ، عدد ١ — ٢ ، ١٩٦١ ، ص ١ .

٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٢ .

٣ — **المصدر نفسه** .

٤ — **المصدر نفسه** .

٥ — **المصدر نفسه** ، مجلد ٦ ، ١٩٥٥ ، ص ٣ .

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١١٤ .

٧ — **المصدر نفسه** ، مجلد ١١ ، عدد ١ — ٢ ، ١٩٦١ ، ص ٤ .

٨ — **الجامعة العبرية في القدس ، تاريخها وتطورها** ، القدس ، ١٩٣٩ ، ص ٤٤ .

* كان من كبار المسؤولين في جهاز المخابرات الصهيونية قبل اقامة اسرائيل وبعدها، ومعروف بعدائه للعرب .

٩ — ملحق « **دافار** » ، ١٩٧٠/٧/٢٤ .

١٠ — **المصدر نفسه** .

١١ — ملحق « **هآرتس** » ، ١٩٦٧/٢/١٣ .

١٢ — **دافار** ، ١٩٧٣/١/١٦ .

١٤ — **معاريف** ، ١٩٧٢/١/٣١ .

١٥ — **الكتاب السنوي الحكومي الاسرائيلي عام ١٩٧٠** ، ص ١٥٧ .

١٦ — **همزراج هيحاداش** ، مجلد ٤ (٥٦) ١٩٦٤ ، ص ٣٢٩ — ٣٥٣ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، مجلد ١٨ (٦٩ — ٧٠) ص ١ — ٤٢ .

١٨ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .

١٩ — ملحق « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٤/٧/٢٦ .

٢٠ — **عال همشمار** ، ١٩٧٤/٥/١٥ .

حمدان بدر

النزاع العربي ــ الاسرائيلي في كتب العلــوم الاجتماعيـــة للمدارس الثانوية في الولايــات المتحــدة

تظهر السجلات التاريخية ان الكتب المدرسية كانت قيد الاستعمال منذ وقت طويل . وثمة بعض الادلة التي تشير الى ان الكتب المدرسية كانت تستخدم في مدارس اليونـــان وروما القديمتـين (Encyclopedia of Education ، المجلد ٩ ، ص ٢١٤) . والكتب المدرسية هي اليوم اساس التعليم الرسمي في جميع مستويات المدرسة . ويشعر الدارس الجامعي ضائعا ومتحيرا عندما لا يستخدم الاستاذ كتابا او كتبا مدرسية متعددة . والحالة اكثر بروزا وخطورة في المدارس الثانوية والابتدائية ، حيث تؤلف الكتب المدرسية ، نظريا وعمليا في آن معا ، حجر البناء الاساسي للتعليم . وعند كلا المستويين يعتمد معظم المعلمين (امـــا بسبب عدم وجود التدريب او الاهتمام او الوقت) اعتمادا كبيرا ، ان لم يكن كليا ، على الكتب المدرسية . وليس المعلمـــون الذين يستخدمـــون قراءات اضافية ومكملة الا الاقلية . ويقدر الدكتور بروس جويس ، الرئيس السابق لتعليم معلمـــي المدارس الابتدائية في جامعة شيكاغو ، ان نحو ٨٠ بالمئة من معلمي الامة الابتدائيين يستخدمون الكتب المدرسية كأداتهم التعليمية ومصدر معرفتهم الرئيسيين . ويقول الدكتور جويس : « ان معلم المدرسة الابتدائية النموذجي مدعو لاتقان مجموعة مواضيع تمتد من ادب الاطفال الى القراءة ومن الحساب الى العلوم . وبما ان قلـــة من الناس يمكنها أن تصير خبيرة في حقول كثيرة كهذه ، فان معلم المدرسة الابتدائية النموذجي يعتمد اعتمادا كبيرا على النصوص والكتب الدليلة » . ويضيف ان المشكلة في المدرسة الثانوية هي اكبر من ذلك على الارجح . « لان معلم المدرسة الثانوية يعمل مع عدد من التلاميذ يصل الى ١٥٠ يوميا ، فانه يتعذر عليه ان يحضر مواد مفصلة تفصيلا خاصا لكل ولد او حتى لكل صف . وعليه ان يعتمد على الرزمة الجاهزة ، الكتاب المدرسي »(١).

والكتب المدرسية ــ خصوصا تلك التي لهـــا صلة بالانسانيات والعلوم الاجتماعية ــ هي المصدر الرئيسي الـــذي يكتسب منـــه الطالب المواقـــف والاعتقادات والمشاعر حول شعبه والاقوام العرقية والاجنبية الاخرى . وتعطي الكتب المدرسية الاولاد المعلومات التي يحتاجون اليها حول التاريخ البشري وثقافات العالم الذي فيـــه يعيشون . وتشـــير الدراسات في حقل علم النفس الاجتماعي المتصلة بعملية التنشئة الاجتماعية الى ان التعليم المكتسب في المدرسة الابتدائية والثانوية يميل الى ان يكون له تأثير مستديم . فالمواقف التي يتخذها البالغون ازاء جماعات معينة يمكن تعقبها ، بشكل جزئي ، الى ما تعلمه في المدرسة الابتدائية والثانوية . وستوضح الامثلة التالية ما نقصده . يتناول المثل الاول ادخال نظرية النشوء والارتقاء الى الكتب المدرسية الخاصة بالمدارس الثانوية ، وهو حدث ولد قدرا عظيما من الجـــدل بين الذين يدركون التأثير المستديـــم للتربية على عقول التلاميـــذ . فالخصوم يعترضون على الفكرة على اساس انها ستسمم عقول الاولاد وتجعلهم يشككون في جميع الاديان والمعتقدات التي تقدم خلق الانسان كعمل من اعمال الله ، والمؤيدون يدعون انها ستزيد التفكير العلمي بين التلاميذ فيغني ذلـــك بدوره المدنية المعاصرة المرتكزة على العلم . المثل الثاني ذو صلة بالجدل الذي حصل في كاليفورنيا عام ١٩٥٩ حول كتب العلوم الاجتماعية المدرسية . فان فريقا خاصا مكلفـــا بتقييم الكتب المدرســـية الجديدة ، من الصف الرابع الى الصف الثامن ، شجبها على اساس انها تمثل معاملة مشوهـــة لحياة الاقليات ، مما يمكن ان يفضي الى رفض طفل الاقلية لعين هويته كشخص مـــن الاقلية(٢). وفي الاونة الاخيرة رفعت الحركة النسوية صوتها عاليا في انتقاد الكتب المدرسية كمصدر رئيسي لتطوير صور نمطية سلبية عن النساء . وتدعي النساء ، بحق ، ان معظم الكتب المدرسية تنقل اعتقادا واضحا بأنه لا يوجد أمامهن غـــير اربع مهن ــ ممرضة ، سكرتيرة ، معلمة ، او ام . والاستنتاج الواضح الذي يمكن الوصول اليه من هذه الامثلة وغيرها هـــو ان الكتب المدرسية لها فعلا تأثير مستديم على عقول التلاميذ ، ولذا يجب على المربين ان يكونوا معنيين بكل من تصميم الكتاب المدرسي وانواع المواد التي يحتويها .

والى ذلك ، تمارس معظم حكومات العالم ، ان لم يكن جميعها ، قدرا كبيرا من السيطرة على مؤسسة التعليم ، ولا سيما عند مستويي المدرسة الابتدائية والثانوية . فالتعليم يعتبر اهم من ان يترك لنزوات الافراد الخاصين وحاجاتهم . وتعتمد نوعية الحياة ، فضلا عن معدل ومدى النمو الاجتماعي والاقتصادي ، اعتمادا جزئيا على ما يعلم في المدارس . كذلك ، تستخدم الحكومات الكتب المدرسية لنقل الى التلميذ معرفة تتعلق ببلده وبالامم الاخرى . وبالتالي ، يمكن ان تكون الكتب المدرسية وسيلة لنقل وتطوير صور سلبية عن البلدان الاجنبية . ويتم ذلك بواسطة عمليتين : الاغفال والارتكاب Omission and Commission ويعني الاغفال عدم بحث مواضيع يمكن ان تلقي ضوءا ايجابيا على البلد او البلدان موضع البحث . والارتكاب هو عملية يجري بواسطتها تضمين النص اقوالا خارجة عن الموضوع ، غير كاملة ، غير صحيحة ، متحيزة وخاطئة بغية توليد صورة مشوهة وسلبية عن البلد (البلدان) او الجماعة (الجماعات) موضع البحث .

يجدر بنا في هذا النطاق ان نستشهد بلوثر هـ. اماز : « الكتب المدرسية يمكن ان تكون البذرة الحصاد نهائي من التفاهم والصداقة الدوليين عن طريق تقديم حقائق صحيحة نوعا وكما وفي موقعها الصحيح ، ولكن يمكنها ايضا ان تكون البذرة لمحصول من سوء التفاهم والكراهية والاحتقار بين السكان الوطنيين ونحو طرق الحياة الاخرى عن طريق تقديم اقوال قاطعة ، غير متوازنة وغير صحيحة على انها حقائق » . وكانت هذه الحقيقة هي التي اثارت ، في اعقاب مؤتمر السلام عام ١٩١٩ مباشرة ، قدرا كبيرا من الاهتمام والقلق حول علاقة الكتب المدرسية بالتفاهم والنوايا الحسنة الدولية . ومنذ ١٩٢٦ تبنت عصبة الامم قرارا يحث اعضاءها على مراجعة كتبها المدرسية لحذف الكره والمعلومات المتحاملة والمغرضة . الا ان المحاولة اخفقت لان الدول الاعضاء لم تتخذ خطوات جدية لتنفيذ القرار . وفي العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، قامت عدة بلدان بصورة انفرادية ، كما قامت لجان دولية ، بمحاولات لتشجيع البلدان على تحسين نوعية كتبها المدرسية بغية زيادة فرص السلام وتحسين التفاهم الدولي.

الا ان الجهود الجدية والمخلصة الاولى لازالة المعلومات المشوهة والدعاوة القومية غير الصحيحة من كتب التاريخ والعلوم الاجتماعية المدرسية لم تبذل الا في ١٩٥٠ عندما رعت اليونيسكو حلقتين دراسيتين دوليتين ، احداهما في بروكسيل والاخرى في سيفر . ومنذ ذلك الحين عقدت بضع حلقات دراسية اخرى . ولا بد من القول هنا ان الجهود ليست ناجحة جدا حتى الان . فان دراسة اخيرة قام بها المكتب الدولي للتعليم في جنيف تشير الى ان معظم البلدان ما زالت تستعمل كتبا مدرسية لنشر المشاعر القومية ولتعليم الاولاد معلومات مشوهة ومضللة حول البلدان الاجنبية ، وهو امر لا يسهم كثيرا في السلام والانسانية والتفاهم. مثال ذلك ان مراجعة اخيرة للكتب المدرسية البريطانية كشفت عن الجملة التالية : « الياباني الماكر طور صناعة الكافور ووسعها »(٣).

هذه الدراسة هي محاولة لان أبحث بشيء من التفصيل النزاع العربي ــ الاسرائيلي كما هو معروض في كتب العلوم الاجتماعية المدرسية للمدارس الثانوية المتوسطة والعالية للسنة المدرسية ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ في الولايات المتحدة ، فضلا عن الكتب الاضافية والمكملة المتوافرة للمعلمين والتلاميذ في مكتبات المدارس . وقد وقع الاختيار على النزاع العربي ــ الاسرائيلي نظرا لاهميته في السياسة الدولية ، وتضميناته للسلام والاستقرار العالميين ، وتأثيره على الاقتصاد الاميركي . لقد بقي النزاع معنا خلال الاعوام السبعين الماضية وسيبقى معنا على الارجح لمدة غير قصيرة . وقد أدى حتى الان الى اربع حروب واسعة النطاق ، سقط خلالها الالوف من القتلى والجرحى . ودامت حرب تشرين الاول ــ اكتوبر ، ١٩٧٣ ، ١٧ يوما عمد خلالها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى اعادة امداد المتحاربين بالاسلحة فيما كان القتال محتدما . واقترب كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي من المواجهة : حالة تأهب عالية للقوات المسلحة الاميركية وصفها الرئيس السابق نيكسون بانها أسوأ أزمة منذ مواجهة الصواريخ الكوبية للعام ١٩٦٢ (كونغريشنال كورتولي ، ص ٢) .

والى ذلك ، فان كل حرب عربية ــ اسرائيلية قد صعدت تدفق الدولارات من الولايات المتحدة الى

تدفق الدولارات الى اسرائيل

(لقد دفع حتى الآن ثمن باهظ للعلاقة غير الطبيعية بين الولايات المتحدة واسرائيل !)

١٩٤٨ — ١٩٧٣

معونة اقتصادية من حكومة الولايات المتحدة	١٤٧٣ بليون دولار
مساعدة عسكرية من حكومة الولايات المتحدة	١٤٤٢ بليون دولار
تبرعات خاصة (معفية من الضرائب)	
مؤسسات	٢٤٥٩ بليون دولار
أفراد	١٢٩٠ بليون دولار
سندات اسرائيل*	١٢٠٥ بليون دولار
قروض من مصارف اميركية	١٢٠٥ بليون دولار
المجموع في أكتوبر ، ١٩٧٣	١١٤١٤ بليون دولار
معونة عسكرية خاصة لاسرائيل ١٩٧٣	٢٤٢٠ بليون دولار
تبرعات خاصة وسندات منذ حرب أكتوبر	٢٨٠ بليون دولار
المجموع	١٤٤١٤ بليون دولار
(أي ٤٤٥٠٠ دولار لكل مواطن اسرائيلي)	

* غير خاضعة لضريبة مساواة الفائدة Interest equalization tax كما هي السندات الاجنبية الاخرى .

اسرائيل — على الصعيدين العام والخاص . والجدول اعلاه يفصل المعونة في اكتوبر ١٩٧٣ .

وفي الآونة الاخيرة ، وفيما تواجه الولايات المتحدة صعوبة اقتصادية بالغة ببطالة تبلغ ٨ ٪ ، طلبت اسرائيل معونة عسكرية واقتصادية بقيمة بليوني دولار ، تقريبا ١٫٥ بليون دولار من المعونة العسكرية اما في شكل تسليف او منح ، و٢٥٠ مليون دولار لاستيراد سلع ونحو ٣٠٠ مليون دولار للمعونة المؤازرة . وحجم طلب اسرائيل مساو للمبلغ الذي طلبته اسرائيل ، ٢٫٢ بليون دولار ، بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ (**آراب ريبورت** ، شباط — فبراير ١٩٧٥ ، العدد ٥ ، ص ١) .

يؤكد البحث الوارد اعلاه اهمية النزاع العربي — الاسرائيلي ، لذا ستركز دراستنا على كيفية تعريض تلامذة المدارس الثانوية الحالية، المتوسطة والعالية ، لهذا النزاع ، وهم الذين سيتولون مراكز المسؤولية وسيلعبون ادوارا مباشرة في رسم السياسة الاميركية ازاء هذا النزاع . كيف يبحث في كتبهم المدرسية والى أي حد يزود التلاميذ بمعلومات موضوعية ومعقولة حول النزاع .

النزاع العربي — الاسرائيلي

ان جميع الروايات في كتب الدراسيات الاجتماعية المدرسية حول النزاع العربي — الاسرائيلي هي موالية لاسرائيل اما بشكل صريح او على نحو مقنع . ولا يمكن اعتبار اي من الروايات موالية للعرب حتى بصورة معتدلة. كذلك يخصص لاسرائيل مساحة اكبر مما يخصص للبلدان العربية وتبحث بمزيد من التفصيل . فأحد الكتب المدرسية للصف السادس يخصص صفحتين ونصف الصفحة من النص مرفقة بتسع صور جيدة وحديثة لاسرائيل ، في حين لا يخصص للعربية السعودية الا ثلثي صفحة وللعراق ربع صفحة فقط . ويبحث نص آخر احدى عشرة امة، اثنتان منها مصر واسرائيل . فيخصص المؤلفون ٣٥ صفحة لمصر ، ٦٢ صفحة لاسرائيل ، اي نحو نصف ما هو مخصص لمصر .

والى ذلك ، فان طبعات المعلمين او اقسام الاسئلة في نهاية الفصول تشدد ايضا على تعلم موال لاسرائيل باقتراحها ان يضع التلاميذ تقارير

او يقوموا بمشروع يرتكز على معلومات مستقاة من وسائل الاعلام . فان كتب الصف السابع المدرسية تقترح المشروعات التالية للتلاميذ : « احتفظوا بسجل قصاصات عن التطورات الراهنة في العلاقة العربية — الاسرائيلية في الاراضي المتوسطة » . (ارشدوا التلاميذ للاصغاء الى تقارير في نشرات الاخبار الاذاعية والتلفزيونية ثم اكتبوا مقالة لسجل القصاصات .) « كذلك اطلبوا من التلاميذ ان يجمعوا مواد متعلقة بهذا الموضوع من الصحف ومجلات الاخبار . ابحثوا اية حلول قد تقترحها هذه المقالات مع الصف . ضعوا افضل المقالات في سجل القصاصات »(٤). ويقترح كتاب مدرسي للصف السادس العمل التالي على التلاميذ : « ابدأوا سجل قصاصات او لوحة نشرات اخبار عن الشرق الاوسط . اجمعوا مقالات وصورا من الصحف والمجلات تصف احداثا في مصر واسرائيل وبلدان اخرى في الشرق الاوسط »(٥). وبما ان وسائل الاعلام في هذا البلد متحيزة لاسرائيل ودائما تنشر مقالات تعبر بالتفصيل ، بطريقة او بأخرى ، عن وجهة نظر اسرائيل ، فان هذه المشروعات والاعمال والاسئلة تميل الى تعزيز وجهات النظر الاسرائيلية وزيادة مصداقيتها .

وبالاضافة الى ذلك ، فان معظم مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية المتوسطة تختزن قراءات اضافية عن اسرائيل اكثر مما عن العرب . والى ذلك ، يؤلف معظم هذه القراءات الاضافية كتاب يعطفون على اسرائيل . ولدى احدى المدارس الثانوية المتوسطة في ساكرامنتو خمسة كتب مكرسة لاسرائيل وحدها ، ولكن كتابين فقط عن الشرق الاوسط بوجه عام ، وكلاهما يحتوي على معلومات عن الاسرائيليين والعرب على السواء . وهذا الوجود الاضافي للقراءات الاضافية حول اسرائيل يتيح للمعلمين ان يتعلموا المزيد عن اسرائيل ويشجع التلاميذ على اختيار اسرائيل بدلا من بلد عربي ، كموضوع لتقاريرهم او مشاريعهم الدراسية . واذا رغب التلميذ في اختيار بلد عربي ، عليه ان يذهب الى مكتبة اخرى في مكان آخر ، وهو أمر مزعج لا يثبط من عزم الذين يبلغون الثانية عشرة فحسب ، بل طلاب الجامعات والمعلمين ايضا .

ويتغاضى معظم الكتب المدرسية عن الحق الشرعي للفلسطينيين ، الذين شردوا من ارضهم التي عاشوا فيها منذ عشرات القرون . وتستخدم عدة كتب بصورة متعمدة كلمة عربي بدلا من فلسطيني لكي يظن القارىء النزاع هو بين جليات، الجبار وداود الصغير ، بين العرب والاسرائيليين، وليس بين الفلسطيني والاسرائيلي . وقد جاء في احد كتب الصف السادس : « ان اكبر مشكلة انما سببها العرب الذين فروا من اسرائيل خلال القتال »(٦). ويقول كتاب آخر لنفس الصف : «لدى تأسيس اسرائيل ، فر نصف مليون عربي»(٧) (لاحظ هنا ان المؤلف استخدم عبارة عربي ، بدلا من فلسطيني عربي . كذلك لاحظ انه يبخس تقدير عدد الفلسطينيين الذين أكرهوا على الخروج من ارضهم) . ويقول كتاب مدرسي للصف السابع : « عام ١٩٤٨ شن العرب ، تعاونهم الجامعة العربية ، حربا على فلسطين »(٨). (هنا يفترض المؤلفون بأن فلسطين هي ارض يهودية وبأن العرب كانوا يشنون حربا على فلسطين) . وينشر المؤلف نفسه في الزاوية السفلى اليمنى من الصفحة ٢٥٣ صورة امرأة وفتاة صغيرة . وجاء تحت الصورة : « تتقاسم هذه الام وطفلتها مصير مليون ونصف المليون لاجيء عربي شردتهم الحرب » . واخيرا يقول كتاب مدرسي للصف الثامن : « ان كثيرين من العرب الذين كانوا يعيشون في فلسطين الغربية فروا وصاروا لاجئين »(٩). وهذه الكتب المدرسية تديم بشكل او بآخر تحريف غولدا مئير وغيرها من الزعماء الاسرائيليين الذين يزعمون انه لا يوجد هناك شعب فلسطيني .

وتعرض الكتب المدرسية دائما رواية مؤيدة لليهود ، كما هو واضح من الرواية التالية المعاد سبكها : « كان اليهود يعيشون في اسرائيل لاعوام كثيرة ويحلمون ، رغم التشتت ، بالعودة في يوم من الايام الى ارض الموعد ، التي يسمونها صهيون ، وصار الحلم حقيقة واقعة في ١٩٤٨ عندما أسست اسرائيل » . وفي هذا النطاق ايضا يقول كتاب مدرسي للصف السابع : « الصهيوني يريد تأسيس وطن لليهود . وكان من الطبيعي ان يأملوا في العودة الى وطنهم القديم في فلسطين »(١٠). ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السابع : « كانت الامة الجديدة اسرائيل ... كانت وطنا لليهود . وكان هذا الشعب قد طرد من

وطنه منذ مئات السنين »(١١). وأخيرا ، يقول كتاب مدرسي للصف السادس : « منذ ذلك الحين (العام ٧٠ ميلادي) حلم الشعب اليهودي بالعودة الى وطنه . لكن فلسطين كانت في القبضة المتينة لحكام مسلمين . ولم يكن بامكان اليهود العودة »(١٢). ويقول كتاب مدرسي للصف السابع : « في الازمنة القديمة كانت القدس عاصمة المملكة اليهودية . ولنحو الفي سنة خلت دمرت المملكة . واعتقد كثيرون من اليهود الذين تبعثروا في بلدان أخرى انهم ذات يوم سيعودون الى أرض أجدادهم. وكانوا كل سنة في عيد الفصح يعربون عن الامل : « السنة القادمة في القدس »(١٣). ولا يشرح اي من الكتب المدرسية الاهداف السياسية للحركة الصهيونية في استعمار فلسطين واقامة رأس جسر للدولة الامبريالية .

تشير جميع الكتب المدرسية الى قرار الامم المتحدة الصادر في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٤٧ ، الذي قسمت فلسطين بموجبه الى دولة يهودية ودولة عربية . ويقول احد الكتب المدرسية الخاصة بالصف السادس : « قررت الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى قسمين . فصار نصفها بلدا حرا [لاحظ هنا استخدام المؤلف كلمة « حر » للبلد اليهودي فقط . بهذه الطريقة ينشر التحيز والمحاباة ضد العرب بالاستدلال] للشعب اليهودي . وصار النصف الآخر جزءا من الاردن »(١٤). ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « في التاسع والعشرين من نوفمبر ، ١٩٤٧ ، وافقت الجمعية العامة على تقسيم فلسطين باقتراع ٣٣ الى ١٣ ، مع عدم اقتراع ١٣ أمة على القضية . واقترع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي للتقسيم(١٥). ويزعم كتاب آخر : « كانت الحالة متفجرة الان ، فتدخلت الامم المتحدة وأوصت بتقسيم فلسطين الى دولتين منفصلتين ، عربية ويهودية »(١٦). تزعم الكتب المدرسية الاضافية للصف الثامن ان الامم المتحدة قسمت فلسطين الى دولتين ، اسرائيل والاردن . « في ١٩٤٧ ، قسمت الامم المتحدة فلسطين الى دولتين ، اسرائيل الى الغرب ، والاردن الى الشرق . وصارت اسرائيل بلدا يهوديا والاردن بلدا عربيا » . خلط المؤلف هنا بين الدولة العربية والاردن) . ولم ينشر اي من الكتب المدرسية المحتوى الكامل لقرار التاسع والعشرين من نوفمبر ، ١٩٤٧ ، وبنوع خاص الفقرة التي دعت الى منطقة دولية حول القدس ، كما لا تطلع التلميذ على ان الامم المتحدة خرقت مبدأ تقرير المصير في اتخاذها مثل هذا القرار . لقد تجاوزت الجمعية العامة نطاق سلطتها كما حددها الميثاق . وأخفقت المحاولات العربية لرفع القضية الى المحكمة الدولية ، وخضعت الجمعية العامة لضغط الولايات المتحدة السياسي فأقرت القرار . والى ذلك ، فان أيا من الكتب المدرسية لا يبحث كون الجمعية العامة للامم المتحدة أقرت ، في الرابع عشر من ايار (مايو) ، ١٩٤٨ ، قرارا آخر بواحد وثلاثين صوتا ضد سبعة اصوات ، مع استنكاف ١٦ عضوا عن التصويت ، وهو قرار من شأنه تعليق الجهد لتنفيذ قرار التقسيم . ومنح القرار الجديد السلطة لوسيط ليتفحص الحالة بأكملها ويوصي باجراءات قد يعتبر انه يحسن بالجمعية العامة النظر فيها في ما بعد(١٧).

ويشير معظم الكتب المدرسية ، ان لم يكن كلها، الى ان العرب كانوا المعتدين في النزاع . فقد غزوا دولة اسرائيل الصغيرة لدى اعلان استقلالها. وتدعي بعض الكتب المدرسية ان العرب يعتزمون افناء اسرائيل . وفي ما يلي بضعة امثلة . فان كتابا مدرسيا للصف السابع يقول : « اعلن اليهود دولة اسرائيل في القسم الذي خصصته لهم الامم المتحدة . ونتيجة لذلك غزت الجامعة العربية اسرائيل من ثلاث جهات »(١٨). وفي سياق آخر يشير المؤلفون انفسهم الى « الغزو العربي غير الناجح لاسرائيل في ١٩٤٨ »(١٩). وجاء في كتاب مدرسي آخر للصف السابع : « في الرابع عشر من ايار ، ١٩٤٨ ... أعلن اليهود دولة اسرائيل كأمة جديدة ومستقلة . وعلى الفور شنت الدول العربية الحرب على الدولة الجديدة »(٢٠). ويدعي كتاب مدرسي للصف السادس : « هجمت جيوش عربية من جميع البلدان المحيطة باسرائيل على الدولة الجديدة . وكان متوقعا من مصر قيادة هذه البلدان »(٢١). ويقول نص آخر : « في ١٩٤٨ قام الغرب (يعني الفلسطينيين) تعاونهم الجامعة العربية (مصر ، سوريا ، لبنان ، الاردن ، العراق ، العربية السعودية واليمن) بشن حرب على فلسطين »(٢٢). ويقول المؤلف نفسه في نص

آخر : « قامت قوات عربية من عدد من البلدان ، بينها مصر والاردن وسوريا والعراق ، بغزو اسرائيل . وكان اليهود مصممين على المحافظة على حريتهم . فردوا الغزاة على اعقابهم »(٢٣). ويقول كتاب مدرسي للصف السادس : « لم يرض العرب بالحل (خطة تقسيم الامم المتحدة) . فقامت جيوش مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان والعربية السعودية بغزو اسرائيل . لكن الاسرائيليين هزموا الجيوش العربية شر هزيمة على كل جبهة »(٢٤). واخيرا يقول كتاب مدرسي للصف الثامن : « رفضت امم الشرق الاوسط وشمال افريقيا العربية الاعتراف بأمة اسرائيل الجديدة وكانت مصممة على تدميرها . واندلعت حرب ، في ١٩٤٨ ، بين اسرائيل والامم العربية »(٢٥). مثل هذه المعلومات التاريخية المضللة والمشوهة الى حد بعيد تسمم عقول التلاميذ ضد العرب . وان اي من الكتب المدرسية المذكورة اعلاه لا يخبر التلاميذ الجانب العربي من القصة — علما بأنه هو الجانب الصحيح . كما لا تحاول ان تخبر التلاميذ ان الجماعة الصهيونية احتلت الكثير من القرى والمدن والاراضي الواقعة في « القسم العربي من فلسطين » قبل الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ بوقت طويل . فقد تولت الجالية الصهيونية في فلسطين الامور على هواها بعد قرار الامم المتحدة الصادر في التاسع والعشرين من نوفمبر ولجأت الى القوة ، فهاجمت واحتلت مدنا وبلدانا رئيسية في فلسطين قبل انسحاب القوات البريطانية في الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ ، اي قبل التأسيس الرسمي لدولة اسرائيل . وليس هذا بالمكان المناسب لدعم هذه الحقيقة بالوثائق ، ولكن يكفي ان نستشهد برئيس وزراء اسرائيل السابق بن غوريون : « قبل ذهاب البريطانيين ، لم يدخل العرب او يستولوا على اية مستوطنة يهودية مهما كانت بعيدة ، في حين ان الهاجانا ... استولت على العديد من المراكز العربية وحررت طبريا وحيفا ويافا وصفد ... وهكذا في يوم القدر كان ذلك الجزء من فلسطين حيث تستطيع الهاجانا العمل خاليا من العرب »(٢٦). وفي مقدمة لكتاب يوسف اوليتزكي **من الاضطرابات الى الحرب** ، اعيد نشرها في كتاب بن غوريون « بعث اسرائيل وقدرها » تحت عنوان « بدلا من خلاصة » كتب بن غوريون يقول : « كانت المهمة الاساسية للهاجانا ، كما اقول ، هي حماية مستوطناتنا وخطوط مواصلاتنا ، لكن افضل دفاع هنا هو الهجوم . وعلى هذا النحو جرى توزيع قوات الميدان والبالماخ ، وسرعان ما اظهرت البأس الذي ما لبث ان نفخ الحياة في جيشنا وأوصله الى النصر . وفي عملية (ناخ — شون) فتحت الطريق الى القدس في بداية نيسان (ابريل) ، وتم احتلال القدس الجديدة كلها تقريبا ، وطرد الفدائيون من حيفا ويافا وطبريا وصفد بينما كانت السلطة الانتدابية ما تزال موجودة . واجتاح الامر الى الحصافة وضبط النفس لعدم التصادم مع الجيش البريطاني ... وقامت الهاجانا بمهمتها ، وحتى يوم او يومين قبل الغزو العربي لم تسقط اية مستوطنة ولم تقطع أي طريق »(٢٧).

وتهمل عدة كتب مدرسية ان تخبر التلاميذ لماذا نزح الفلسطينيون عن ديارهم . فأحد الكتب المدرسية يقول : « الا ان هناك ، اليوم ، قلة من العرب في اسرائيل . وقبل تنظيم الامة الجديدة، وقعت حرب بين شعب اسرائيل والبلدان العربية المجاورة ، التي فر اليها معظم العرب في اسرائيل »(٢٨). ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السادس ان العرب « فروا من اسرائيل خلال القتال . كان الوف منهم قد ذهبوا الى الاردن المجاورة »(٢٩). ويدعي كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « لدى تأسيس اسرائيل ، فر نصف مليون عربي »(٣٠). واخيرا جاء في كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « ان كثيرين من العرب الذين فروا من اسرائيل خلال الحرب صاروا الان مشردين ، مقتلعي الجذور ، يعيشون في النقر ، داخل حدود اسلامية »(٣١). واهملت جميع الكتب المدرسية ان تخبر التلاميذ ان الفلسطينيين اكرهتهم على الخروج وطردتهم السياسة الصهيونية الرامية الى افراغ البلاد من سكانها الوطنيين . كما تهمل جميعها بحث السياسة الصهيونية الرامية الى الاستعمال الواسع النطاق للحرب النفسية التي تستهدف خلق الذعر والخوف بين الفلسطينيين كيما يغادروا بيوتهم . فقد كانت الضربة الاكثر تدميرا للسكان الفلسطينيين هي القتل الوحشي لنحو ٢٥٠ شيخا وامرأة وطفلا في قرية دير ياسين المسالمة . وكان تشويه الجثث والتمثيل بها ، وعرض

الفلسطينيين الذين لم يسقطوا قتلى في سيارات شحن مكشوفة عبر القدس المجاورة ليبصق عليهم، والمؤتمر الصحافي الذي عقد للاعلان عن العمل الشنيع، من صنيع احدى وحدات القوة الاسرائيلية السرية ، ارغون زفاي ليئومي . هذا الحادث وغيره خلق مناخا من الذعر والخوف والخيبة دفع الكثيرين من الفلسطينيين الى البحث عن السلامة في البلدان العربية المجاورة . وحتى قبل التأسيس الرسمي لاسرائيل في الخامس عشر من مايو ، ١٩٤٨ ، كان ما يزيد على ٣٠٠ الف فلسطيني قد أخرجوا من فلسطين الى مكان آمن في بلد مجاور .

ان الكثير من الكتب المدرسية تغفل وتخبىء حقائق عديدة قد تؤذي صورة اسرائيل . مثال ذلك ان أيا من الكتب المدرسية التي شملتها هذه الدراسة ، في معرض بحثها اغتيال وسيط الامم المتحدة السويدي برنادوت مع معاونه العقيد الفرنسي في السابع عشر من أيلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ ، في القدس ، لا يذكر ان عصابة شتيرن هي التي قتلته . فأحد الكتب المدرسية للصف السابع يقول : « الوسيط الاول ، الكونت برنادوت من السويد ، قتل »(٣٢). ويقول كتاب مدرسي آخر : « ارسلت الامم المتحدة لجنة وساطة برئاسة الكونت فولك برنادوت السويدي لترتيب هدنة ، وفي سبتمبر ، اغتيل برنادوت في القدس »(٣٣). كما ان أيا من الكتب التي شملتها الدراسة لا يذكر ان جناحا من فندق الملك داود يضم سكريتارية الحكومة وجزءا من مقر القيادة العسكرية نسف في الثاني والعشرين من تموز (يوليو) ، ١٩٤٦ ، مسببا الموت لنحو مئة موظف حكومي ، بريطاني وعربي ويهودي .

وتميل معالجة حرب ١٩٥٦ بين المصريين والاسرائيليين الى ان تكون سطحية ، متحيزة ، وأحيانا تبقى بلا بحث على الاطلاق . فالكتب المدرسية للصف السابع تقول : « انه (أي عبدالناصر) معاد بمرارة لاسرائيل وقد اثارت اصطداماته الحادة مع سوريا خوفا في اسرائيل الى حد انها غزت مصر في أواخر ١٩٥٦ . وكذلك هاجمت مصر كل من بريطانيا وفرنسا ، لتلقمها على سلامة القناة »(٣٤). ويصف كتاب مدرسي آخر للصف السادس حرب ١٩٥٦ على النحو التالي : « جاءت (الحرب) الثانية في ١٩٥٦ ، نتيجة لاغلاق الرئيس عبد الناصر خليج العقبة »(٣٥). وأخيرا يقول كتاب مدرسي للصف الثامن : « في ١٩٥٦ انسحبت القوات البريطانية ، واستولت مصر على القناة واغلقتها في وجه الملاحة الاسرائيلية . ثم أرسلت اسرائيل جيشا ليستولي على القناة ، ونزلت القوات البريطانية والفرنسية للاستيلاء على منطقة القناة . وقد أرادت ان تجبر مصر على ابقاء القناة مفتوحة لسفن جميع الامم »(٣٦). ولم يحاول اي من الكتب المدرسية تقديم الجانب العربي من القصة كما ان أيا منها لم يذكر هجوم اسرائيل على المركز العسكري في غزة في شباط (فبراير) ١٩٥٥ الذي قتل فيه الكثيرون من الجنود المصريين ، وهو حدث ادى الى احياء اهتمام مصر في بناء جيش قوي .

جميع الكتب المدرسية التي تبحث ١٩٦٧ تنحو باللوم بصورة ثابتة على العرب للحرب وعلى الرئيس المصري عبدالناصر بنوع خاص . مثال ذلك ان كتابا مدرسيا للصف السابع يقول : « تضم العرب على شن هجوم على اسرائيل فدمرتها . وكانت مصر قائدة الهجوم » . ويمضي المؤلف قائلا : « هوجمت اسرائيل مرة اخرى من ثلاثة جوانب من قبل جيرانها العرب »(٣٧). « خلال ربيع ١٩٦٧ ، اعترضت مصر سفينة اسرائيلية تتحرك من البحر الاحمر الى خليج العقبة ، فشنت اسرائيل الحرب على الفور ! » (علما انه ليست هناك أدلة تؤيد هذا الزعم. فقد قال عبدالناصر انه لن يسمح لسفن ترفع العلم الاسرائيلي ، او لسفن تحمل مواد استراتيجية ، بعبور مضيق تيران . ولم ترسل اسرائيل اية سفينة لعبور المضيق قبل حرب الايام الستة) . ويقول المؤلف نفسه في سياق آخر : « كانت الحرب الثالثة في ١٩٦٧ ، ومرة اخرى كان السبب المباشر اغلاق خليج العقبة »(٣٨). وأخيرا يقول كتاب مدرسي للصف السادس : « في حزيران ١٩٦٧ سدت الجمهورية العربية المتحدة ، التي كانت ما تزال بقيادة عبدالناصر، منفذ اسرائيل الى البحر الاحمر ونقلت قوات الى حدود اسرائيل. ودعا عبدالناصر جميع الدول العربية الى سحق اسرائيل والمطالبة بها من جديد كأرض عربية.لكن اسرائيل ردت الجيوش العربية على اعقابها»(٣٩). ولم يتحدث أي من الكتب المدرسية عن سلوك اسرائيل العدواني في الاشهر التي سبقت حرب

الخامس من يونيو (١٩٦٧) ، وهو سلوك كان من شأنه تصعيد التوتر الى حد كبير وأفضى الى الازمة التي نجمت عنها الحرب . ففي الثالث من نوفمبر ، ١٩٦٦ ، على سبيل المثال ، كانت اسرائيل قد سددت ضربة برية جسيمة الى قرية السموع الاردنية قتل فيها عدد من المدنيين والجنود الاردنيين . وتهدم قسم كبير من القرية . كذلك فان ضربة جوية ضد سوريا في السابع من ابريل اوصلت الطائرات الاسرائيلية الى مسافة لا تبعد عن دمشق غير بضعة اميال . ولا يأتي اي من الكتب المدرسية على ذكر التصاريح الملهبة للمشاعر التي ادلى بها القادة الاسرائيليون ضد سوريا في شهر ابريل . ومعالجة حرب ١٩٦٧ في الكتب المدرسية هي معالجة مغمة جدا بالفعل ولا تمكن التلميذ من تقدير وادراك تعقيدات المسألة ولا تساعده في اتخاذ قرار قويم فيما يتعلق بأسباب الحرب ونتائجها .

وتفسر عدة كتب مدرسية استمرار العداء في الشرق الاوسط عن طريق الاتحاء باللوم على العرب . فالمرء يتعلم من احد الكتب المدرسية للصف السابع ان « عداء الامم العربية نحو اسرائيل يعقد المسائل ايضا في الشرق الاوسط »(٤٠). ويقول نص آخر : « ان الكراهية المشتركة التي يشعر بها العرب نحو اسرائيل تشكل ما يمكن تسميته ازمة دائمة »(٤١). ولا يهتم اي من الكتب المدرسية باخبار القارىء عن الكراهية الاسرائيلية نحو العربي . ويشرح احد الكتب المدرسية العداء العربي نحو اسرائيل على انه ناجم عن كون الاخيرة بلد ديموقراطي . يقول كوليزون : « ان مثال الديموقراطية في اسرائيل يخلق مشكلة لبعض البلدان العربية . ويخشى الحكام ان تتعلم شعوبهم من الامثلة التي يقدمها اليهود ، وقد تطالب بأن يكون لها صوت اعظم في اختيار المسؤولين وفي ادارة الحكومة . واذا ما نمت هذه الحركة ، فان الخطر قد يهدد الحكم الدكتاتوري في عدة أمم عربية »(٤٢). الا انه لا يصار الى اطلاع القارىء على الاقلية العربية في اسرائيل ومعاملة عرب فلسطين كمواطنين من الدرجة الثانية .

النقطة الاخيرة التي يجب التشديد عليها في هذا البحث هي التصوير والتشديد المتواصلان للكتب المدرسية المذكورة على « انجازات » اسرائيل في جميع مجالات الحياة ، ولا سيما في تحويل الصحراء الخالية الى « واحة مزهرة » . وعلى نحو مغاير ، تشدد جميع الكتب المدرسية على تأخر وتخلف العرب وعجزهم عن التنمية رغم الموارد الهائلة الموجودة تحت تصرفهم . ولا بد ان يؤدي مثل هذا التصوير الى تبني التلاميذ شعورا متعاطفا مع وجهة نظر اسرائيل ومؤيدا لها .وفي ما يلي عدة امثلة مستقاة من كتب مدرسية مختلفة خاصة بالصف الثالث الى الصف الثامن . فان كتابا مدرسيا للصف الثالث يصف « انجازات اسرائيل » على النحو التالي : « لنحو ثلاثين سنة خلت ، قامت أمة جديدة (اسرائيل) في اراضي آسيا الصحراوية » . ويكمل المؤلفون : « عندما وصلوا (أي اليهود) الى اسرائيل ، شاهدوا الارض الجافة المقفرة . ولم يكن يهطل فيها الكثير من المطر . وكانت قلة من الناس تعيش في الصحراء . فبنى الرواد الاوائل مجتمعا في الصحراء . وزرعوا المحاصيل . وشيدوا المنازل ، وببطء صارت الصحراء خضراء »(٤٣). ومؤلف هذا النص يري القراء صورتين ، احداهما تتعلق بالصحراء التي اكتشفها اليهود لدى وصولهم الى فلسطين ، والصورة الثانية تظهر انجاز الاسرائيلي في جعل الصحراء تزهر . ويصف كتاب مدرسي آخر للصف الثالث انجازات اسرائيل على النحو التالي : « كانت النقب صحراء لالاف السنين . وكان يعتقد ذات يوم انه لا يمكن انتاج اية غلال في هذه الارض الحارة الجافة . واستقر شعب اسرائيل في النقب. فروض الصحراء بالعمل المجتهد والماء والعلم » . ويقول كتاب مدرسي للصف الخامس : « اسرائيل هي أمة من الناس يخلقون ، بواسطة التفكير الواسع الخيال والتخطيط الدقيق والعمل المجتهد ، مزارع وكروم عنب خصبة من الاراضي الصحراوية القاحلة والمستنقعات »(٤٤). ويقول المؤلفون انفسهم في سياق آخر : « لم يسبق لشعب قط ان عمل باجتهاد اكبر ، ضد صعوبات اعظم ، لاعادة تعمير ارض أضحت عديمة الحياة وقاحلة بسبب قرون من الاهمال . لكن شعب اسرائيل يواجه التحدي بخيال واسع ونشاط ، وهو بمعونة العلم الحديث يحول أرضا مقفرة خاوية الى أمة نشيطة منتجة »(٤٥). ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « حينما وصل المهاجرون اليهود الى فلسطين في أوائل القرن العشرين وجدوا أرضا من

الصحارى ، جاءوا الى فلسطين بقليل من المال وببضعة موارد . وتجمع المهاجرون معا لمواجهة مشكلات محاولة جعل الصحراء ارضا زراعية » ، The Social Science ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٤). ويقول كتاب مدرسي آخر : « اسرائيل بلد آخر ذو صحراء . لكن خطوط انابيب قد مدت ، مزودة بعض مناطق الصحراء بالماء . وبفضل خطوط الانابيب ، صار الري ممكنا ، وشيدت هنا وهناك مستوطنة زراعية تدعى كيبوتز »(٤٦). وأرفق المؤلف النص بسبع صور جميلة تمثل التغيير والاسلوب الحديث للحياة في كيبوتز في صحراء اسرائيلية . ويصف كتاب مدرسي للصف السابع جهود اسرائيل لجعل الصحراء تزهر على النحو التالي : « ان قناة ونفقا وخط انابيب تحمل الماء الى اراضي صحراء النقب في الجنوب فتجعل من الممكن زراعة ألوف الهكتارات الاضافية من الارض. وهذا مثل جيد على ما يمكن فعله لجعل المناطق الصحراوية مفيدة نافعة »(٤٧). وتحدث كتاب مدرسي آخر للصف السابع عن انجاز اسرائيل على النحو التالي : « عن طريق الري والعمل المجتهد ، حول الاسرائيليون الكثير من المناطق الصحراوية سابقا الى بساتين حمضيات مزهرة ، وحقول قمح ، وبساتين تين وشجر زيتون »(٤٨). ويدعي كتاب مدرسي آخر للصف السابع : «تم ادخال أحدث طرق الزراعة العلمية . فالاسمدة تستخدم لاعادة الخصوبة المفقودة الى التربة . وجففت المستنقعات . ورويت ألوف الهكتارات من الصحراء بالماء من آبار عميقة وسدود جديدة»(٤٩). وأخيرا ، يقول كتاب مدرسي للصف السادس : « التربة جيدة جدا في منطقة النقب بالجنوب ، لكن متوسط سقوط المطر لا يزيد على بوصة واحدة . وتستخدم اسرائيل خطوط الانابيب لنقل نحو ٣٢٠ مليون متر مكعب من الماء سنويا من بحيرة كينيرت (بحيرة الجليل) في الشمال الى النقب الجاف . وفي عشرين سنة زادت اسرائيل الارض التي يمكن استخدامها للمحاصيل بنسبة ٥٠٠ ٪ »(٥٠). وتديم جميع هذه الكتب المدرسية الاسطورة الصهيونية القائلة بأن ارض فلسطين كانت صحراء . وتدحض الادلة التاريخية هذا الافتراض دحضا قاطعا . ففي مقالة لرتشارد بينيز ، استاذ الانكليزية في الجامعة الاميركية في بيروت ، عن جعل الصحراء تزهر ، يستشهد بالكثير من المسافرين الانكليز والفرنسيين وغيرهم من الاوروبيين ، الذين زاروا فلسطين في القرون السابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر ، مما يفيد بأن « أجزاء كبيرة من فلسطين كانت منذ عهد بعيد خصبة ومنتجة »(٥١).

كما ان هذه الكتب المدرسية لا تخبر القارىء بأن مشاريع الري في صحراء النقب تبين انها غير اقتصادية منذ ١٩٥٥ . الا انه ابقي على هذه المشاريع لاسباب عسكرية وسياسية .

لقد أظهر البحث القصير اعلاه ان معالجة النزاع العربي — الاسرائيلي في الكتب المدرسية المستخدمة في كل من المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية المتوسطة في كاليفورنيا وولايات اخرى هي معالجة غير مرضية على الاطلاق . فالكثير منها يحتوي على اقوال هي اما غير صحيحة ، او مشوهة ، او غير كاملة ، او تروي جانبا واحدا من القضية . وبالتالي يميل التلاميذ الى تطوير انطباعات وافكار خاطئة حول هذا النزاع . ويؤدي بهم هذا الى العطف على وجهة النظر الاسرائيلية وتأييدها . وتدعو الحاجة الى بذل جهود عظيمة لتصحيح الوضع . ولتحقيق ذلك نقترح برنامجا يتألف من خمس خطوات :

١) ينبغي جعل المواد الاضافية المكملة حول النزاع ، والممثلة لوجهة النظر العربية، للمستويين الابتدائي والثانوي ، متوفرة لكل من المعلمين والتلاميذ .

٢) ينبغي القيام بمحاولة لاقناع الناشرين بعرض نظرة متوازنة الى النزاع .

٣) واخيرا — وربما كانت هذه هي الخطوة الاهم — على العرب ان يتصلوا بمجالس التعليم في الولايات المختلفة وينصحوها باختيار نصوص تزود القارىء بأبحاث متوازنة للنزاع .

٤) يجب الاتصال بالمعلمين لدعوة محاضرين يمثلون وجهة النظر العربية .

٥) اقامة ندوات خاصة وحلقات دراسية حول النزاع لمعلمي المدارس الابتدائية والثانوية ، لكي تتاح الفرصة امام المعلمين لمعرفة الجانب العربي من المسألة .

الحواشي :

١ — Black, Hillel. *The American School Book*, New York: William Morrow & Co., 1967, p. 5.

٢ — *Los Angeles Times*, December 10, 1973, p. 3

٣ — *Sacramento Bee*, May 27, 1969.

٤ — Yohe, Ralph Sandlin, *et al.*, *Exploring Regions of the Eastern Hemisphere*, Chicago: Follett Educational Corp, 1971, p. 72

٥ — Davis, O., *Learning About Countries and Societies*, New York: American Book Co., 1971, p. 256

٦ — Hunnicott, C.W., *The Great Adventure*, Syracuse: The Lo W. Singer Co., 1963, p. 350.

٧ — Shorter, Bani, *et al.*, *Eleven Nations*, Lexington, Ginn and Co., 1972, p. 237

٨ — Kolevzon, Edward, *et al.*, *Our World and Its People*, Allyn and Bacon, 1968, p. 326

٩ — Wood, L.C., *et al.*, *America, Its People and Values*, New York : Harcourt Brace, Jovanich, 1975, p. 761

١٠ — Roger, Lester, *et al.*, *Story of Nations*, New York, Holt, Rinehart & Winston, Inc., 1965, p. 758

١١ — McKay, S.W., *The Communities We Build, Chicago* : Follet Publishing Co., 1973, p. 164

١٢ — مصدر رقم ٦ ، ص ٣٤٩ .

١٣ — Cooper, Kenneth, *The Changing Old World*, Sacramento, CA. State Department of Education, 1964, p. 67

١٤ — مصدر رقم ٦ ، ص ٣٥٠ .

١٥ — مصدر رقم ٥ ، ص ٢٤٨ .

١٦ — Platt, Nathaniel, *Our World Through the Ages*, New York : Muriel Jean Drummond, 1967, p. 696

١٧ — Sayegh, Fayez. *The Arab-Israeli Conflict*, New York: The Arab Information Center, 1964, p. 19.

١٨ — مصدر رقم ١٦ ، ص ٦٦٦ .

١٩ — المصدر السابق ، ص ٦٩٧ .

٢٠ — مصدر رقم ١٠ ، ص ٧٥٩ .

٢١ — مصدر رقم ٥ ، ص ٢٤٨ .

٢٢ — مصدر رقم ٨ ، ص ٣٢٧ .

٢٣ — المصدر السابق ، ص ٥٥٣ .

٢٤ — مصدر رقم ٦ ، ص ٣٥٠ .

٢٥ — مصدر رقم ٩ ، ص ٧٦١ .

٢٦ — Ben-Gurion. *Rebirth and Destiny of Israel*, New York : Philosophical Library, 1954, p. 530

٢٧ — المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

٢٨ — Barrows, Harlan, *et al.*, *Old World Lands*, Chicago: Silver Burdett Co., 1961, p. 168

٢٩ — مصدر رقم ٦ ، ص ٣٥٠ .

٣٠ — مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .

٣١ — مصدر رقم ٥ ، ص ٢٥٣ .

٣٢ — مصدر رقم ٨ ، ص ٥٥٣ .

٣٣ — مصدر رقم ١٠ ، ص ٥٧٩ .

٣٤ — McCrocklin, James, *The Making of Today's World*, Boston: Allyn & Bacon, Inc., 1962, p. 704

٣٥ — مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .

٣٦ — مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .

٣٧ — مصدر رقم ٥ ، ص ٢٥٣ .

٣٨ — مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .

٣٩ — Okum, Mitchell, *The Challenge of America*, New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1973, p. 735

٤٠ — Wallbank, *et al.*, *Living World History, Atlanta:* Scott, Foresman & Co., 1964, p. 720

٤١ — مصدر رقم ١٦ ، ص ٦٨٩ .

٤٢ — مصدر رقم ٨ ، ص ٥٥٣ .

٤٣ — مصدر رقم ١١ ، ص ١٦٤ .

٤٤ — Gartler, Marion, *et al. Understanding Israel*, Sacramento, CA. State Department of Education., 1969, p. 6.

٤٥ — المصدر السابق ، ص ٧ .

٤٦ — Bacon, Phillip, *Regions Around the World*, Palo Alto: Field Educational Publ. Inc., 1972, p. 123

٤٧ — مصدر رقم ٨ ، ص ٣٢٨ .

٤٨ — مصدر رقم ١٦ ، ص ٦٩٧ .

٤٩ — Ahischwed, Ben, *Exploring the Old World.*, p. 91

٥٠ — مصدر رقم ٥ ، ص ٢١٨ .

٥١ — نشرت المقالة في مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢ في مايو ١٩٧١ ، ص ١٢٣ .

د. اياد القزاز

الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة

تحاول اسرائيل باستمرار ان تدعي بأنها « واحة الديمقراطية » في الشرق الاوسط . وان احتلالها للارض العربية هو « أعدل » احتلال ظهر في التاريخ ، وان العرب يتمتعون تحت ظل الاحتلال الاسرائيلي بامتيازات وحريات لم تكن متاحة لهم من قبل . فهل تنسجم هذه الادعاءات مع منطق الواقع وحقيقة الاوضاع التي يعيشها العرب تحت الاحتلال ؟ مما لا شك فيه ان اسرائيل تستفيد الى حد كبير في مغالطاتها حول الديمقراطية من مظاهر معاداة الديمقراطية التي تتفشى في أكثرية البلدان العربية ، كما أن اوضاع التخلف المترتبة على استمرار التبعية للامبريالية في بعض هذه البلدان، تعطي اسرائيل مظلة مناسبة لتزوير الحقائق عن الوضع الفكري والثقافي والاقتصادي الذي يعاني منه العرب في ظل الاحتلال .

فمن بين كافة أنواع العنف والارهاب تبرز مسألة الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة كأنصع دليل على مدى الانسحاق الذي يتعرض له العرب على أيدي السلطات الاسرائيلية المحتلة . ومدى القهر الذي يجعل حياتهم جحيما لا يطاق . مما يحتم ضرورة التخلص من الاحتلال في أسرع وقت ومواصلة الحياة في حرية وكرامة وسلام .

تغيير المناهج التعليمية

لم تقتصر عملية تزوير الحقائق عن الوضع في الارض المحتلة على أجهزة الاعلام الاسرائيلية الرسمية . ففي عملية مسح قام به فريق من الباحثين من دائرتي جغرافية وتاريخ الشرق الاوسط في جامعة حيفا يحاولون التدليل على أن « هدف السلطات الاسرائيلية بعد الحرب مباشرة كان اعادة الحياة الطبيعية بسرعة الى جميع القطاعات، متبعة في ذلك مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للسكان »(١).

الا ان الواقع يشير الى عكس ذلك تماما . فمنذ الايام الاولى لاحتلال القدس والضفة الغربية أطلقت سلطات الاحتلال الاسرائيلي يدها في مناهج التعليم العربية تغيرها وتشوهها وتملأها بالمغالطات التاريخية التي تخدم أهدافها التوسعية والعدوانية ، دون أي اهتمام بمراعاة المشاعر الوطنية للطلاب العرب ، أو تقدير لمصالحهم وتطلعاتهم ، وبما ان السلطات المحتلة قد اعلنت عن ضم القدس نهائيا الى اسرائيل رغم ارادة المجتمع الدولي وهيئاته ، فقد ألغت نهائيا مناهج التعليم العربية في هذه المدينة واستبدلتها بمناهج جديدة تخدم أهداف التوسع الاسرائيلي ، وتربي الطلبة العرب بروح التسيب واللاوطنية ، ولاثبات ذلك نورد هنا بعض الامثلة التي توضح مدى التلاعب والاستخفاف بالقيم من خلال العبث بالمناهج التعليمية العربية .

في القدس : لقد برز التشويه وتزييف الحقائق على أشده في مناهج التاريخ والاجتماعيات واللغة العربية والتربية الاسلامية ، ومن مطالعة المناهج المفروضة على طلاب القدس نلاحظ الظواهر التالية : أ ـ تكثيف المعلومات عن تاريخ اسرائيل في مختلف العصور وخاصة العصور القديمة منها والتأكيد على انها جزء من المنطقة . ب ـ حشو أدمغة الطلاب بالمعلومات المفصلة عن دولة اسرائيل وتطوراتها واسسها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمثل العليا التي تقوم عليها(٢). ج ـ محاولة خلق اجيال عربية مهزوزة فاقدة لكل صلة حية مع جذورها ، وضعيفة الارتباط بالارض والوطن ، كجزء من مخطط انهاء الوجود الوطني والكفاحي للشعب الفلسطيني .

ان نظرة متأنية الى منهاج التاريخ للصفوف الخامس والسادس والثامن . ترينا الى أي حد يجري الاهتمام بتاريخ اليهود . والى أي حد بالمقابل يجري تشويه التاريخ العربي وعدم التركيز على أية قيمة من القيم الانسانية التي يحويها هذا التاريخ . ففي منهاج التاريخ للصف الخامس الابتدائي يحتل الحديث عن العبرانيين ثلث المنهاج الدراسي بالاضافة الى ان بقية مواد المنهاج تدرس من زاوية علاقتها باليهود في فلسطين ، فلدى دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم يركز المنهاج على انتشار المستوطنات اليهودية المزدهرة في الجزيرة . وفي دراسة الامبراطورية الفارسية يجري التركيز على كورش مبدين تعاطفا شديدا معه . كما يبرزون تصريحه بالعودة الى اسرائيل وبناء الهيكل الثاني ، وفي دراسة اليونان يتناول

المنهاج « مقاومة اليهود في اسرائيل انتشار الديانة اليونانية بينهم وثورتهم على اليونان مستشهدين بالمكابيين ويهودا المكابي وانتصاراته »(٣).

وهكذا نرى أن تدريس التاريخ في الصف الخامس الابتدائي يدور كلية حول العبرانيين ويهدف الى ترسيخ الاعتقاد في أذهان الطلاب ان فلسطين بلد يهودي منذ القدم(٤). وما دام الامر كذلك ، فلا مانع لدى المسؤولين الصهاينة أن يجردوا الطالب العربي من أبسط حقوقه الانسانية، فيطالبونه في كتاب « مدنيات اسرائيل » بالتقيد بأن « علينا التزامات تجاه الدولة التي نعيش فيها ، كل واحد منا عليه أن يحترم الدولة وقادتها . وعلينا ان نظهر الاحترام الواجب نحو علم الدولة وشعاراتها والمحافظة على سيادتها وسلامتها »(٥).

أما منهاج التاريخ للصف السادس الابتدائي ، فان التاريخ الاسلامي يحظى بنسبة ٥٦ ٪ من المنهاج . ولكن عرض هذا التاريخ يتسم بتشويه كامل ، اذ يجري تصويره وكأنه سلسلة من الغزوات والحروب المستمرة ضد الامم الاخرى ، وفي كتاب الجغرافيا لهذا الصف « على الصفحة ٤٩ توصف الفتوحات الاسلامية بالعدوان الاسلامي »(٦).

واما منهاج التاريخ للصف الثامن فان نسبة ٥٠ ٪ منه مخصصة لدراسة دولة اسرائيل مع اشارات اخرى عن اليهود في بقية مواد المنهاج المتعلقة بأوربا ، اما ما يتعلق بالعرب فان المنهاج يمر مرورا سريعا على استقلال الشعوب العربية بعد الحرب العالمية الثانية ويركز فقط على ادخال النفوذ السوفياتي في مصر والشرق(٧).

ولو استعرضنا بقية كتب الاجتماعيات فاننا نلاحظ الظواهر التالية :

أ ـ بروز سياسة التهويد بكل أبعادها من خلال : ١ ـ استبدال اسماء البلدان والانهار العربية بأسماء عبرية . « وحيثما ظهرت كلمة فلسطين فقد غيرت الى ارض اسرائيل او دولة اسرائيل ، وجبال نابلس أصبحت شمرون وجبال القدس اصبحت جبال يهودا »(٨). ٢ ـ ربط الاماكن المغتصبة بتاريخ العبرانيين . ٣ ـ توجيه الطلاب والفرس في نفوسهم وعقولهم ان فلسطين يهودية منذ القدم(٩).

ب ـ اعداد الطالب نفسيا لنوايا اسرائيل التوسعية ، بحيث تظهر هذه النوايا وكأنها طموحات قومية مشروعة ، « ففي كتاب (اسرائيل: جغرافيا وموطن) وعلى الصفحة ٢٣ تحت عنوان (حدود اسرائيل) نقرأ (الحدود الطبيعية لاسرائيل تمتد من نهر القاسمية في الشمال الى ايلات في الجنوب ومن البحر المتوسط في الغرب الى غور الاردن في الشرق) »(١٠). « وعلى الصفحة ١٢٧ من كتاب آخر عن جغرافية اسرائيل ذكر ان غور الاردن يقسم اسرائيل الى قسمين شرق اسرائيل وغرب اسرائيل »(١١). ومن الضروري هنا ان نلاحظ تناقض التحديد السابق مع هذا التحديد ، ومدى النزعة التوسعية التي ينطوي عليها التحديد الاخير .

جـ ـ اضعاف ايمان الطالب العربي بنفسه وبقومه وذلك باظهار تأخرهم والحط من شأنهم اجتماعيا واقتصاديا . « ففي كتاب اسرائيل جغرافيا وموطن على الصفحة ١٨٦ وخلال بحث عن العربية السعودية ذكر ان الماء نادر وعزيز المنال ، وهنالك من لا يغتسلون غالبا ، لانه لا يوجد ماء من اجل الاستحمام . والبدو يمسحون أيديهم في الرمل من اجل تنظيفها من الاوساخ »(١٢).

« يستخدم نفس الكتاب صورا تظهر النواحي البدائية في المجتمع العربي مع تعليقات تحت الصور لتأكيد هذه البدائية ، على الصفحة ١٤٧ مثلا صورة لدمشق تظهرها مجموعة اكواخ طينية»(١٣).

أما بالنسبة لمنهاج التربية الدينية فقد جرى حذف الآيات والاحاديث التي تحض على الجهاد في سبيل الوطن . واما مادة الادب العربي فقد خضعت لاتجاه التعتيم على الشعور الوطني والترويج للاتجاهات اللاوطنية التي تفتقر الى القيم الضرورية لربط الطلاب بأرضهم ووطنهم ، وضرورة التضحية من أجل الوطن اذا ما داهمه الخطر كما يجري بالنسبة لاي شعب من الشعوب .

في الضفة الغربية : لم تقم سلطات الاحتلال هنا باستبدال المناهج التعليمية كلية كما جرى في القدس ، ذلك انه تحت تأثير الاضراب الذي امتد أكثر من شهرين والذي نظمه المعلمون والطلاب ،

فقد اضطر الصهاينة الى التراجع عن قرار الغاء ٧٦ كتابا . واكتفوا بتفريغها من أي مضمون وطني ، ومن أية اشارة الى قضية الشعب العربي الفلسطيني ، كما افرغوا هذه المناهج من اية مادة تحث على التضحية والنضال من اجل استرداد الحق والوطن .

ففي مادة التاريخ حذفت الفصول المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وحيثما وردت كلمة « فلسطين » في أية صفحة من صفحات الكتب فقد حذفت واستبدلت بكلمة « اسرائيل » ؛ وهكذا اصبح الوضع بالنسبة لفلسطين « فليس لها تاريخ وليس للطالب حق في معرفة اي شيء قبل سنة ١٩٤٨ طبقا لما تريده السلطات الاسرائيلية . واذا ذكرت فلسطين قبل ١٩٤٨ فانها تعطى اسم « اسرائيل » . ففي احدى الجمل يعلمون الطالب ان اول مطبعة دخلت اسرائيل كانت في سنة ١٨٦٨ »(١٤).

« كذلك حذفت السلطات الاسرائيلية كل الاجزاء المتعلقة بصلاح الدين الايوبي ، الفتح العربي للاندلس ، استقلال الجزائر ، ومعركة اليرموك . وحذف فصل كامل عن تاريخ القدس من كتاب للصف الثاني الثانوي »(١٥).

يعترف الاسرائيليون بأن « الكتب تراقب وتدقق ويحذف منها كل مادة الكراهية التي تناقض مبادىء حقوق الانسان »(١٦). ولا شك ان هذا الاعتراف صادق في مسألة المراقبة والتدقيق ، ولكنه بعيد عن الصدق فيما يتعلق بمبادىء حقوق الانسان . « فعلى الصفحة ٦١ من كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر اسقطت الجملة التالية (كل نضالات الناس في العصر الحديث موجهة ضد الامبريالية التي عانت منها الامة العربية) »(١٧). فأية كراهية تناقض مبادىء حقوق الانسان يحتوي عليها النص السابق ام انه التماثل التام مع الامبريالية والدفاع عنها الذي ما انفكت تمارسه السلطات الاسرائيلية !!

بالنسبة لمادة اللغة العربية فقد حذفت كل الموضوعات او الجمل التي تحتوي على دلالات وطنية حتى ولو كانت هذه الموضوعات سابقة على الصراع العربي الاسرائيلي بألف عام . فمثلا الشاعر ابن الرومي عاش في العصر العباسي قبل عدة قرون . ولكن السلطات المحتلة لا تطيق ان تبقي هذين البيتين من شعره في المنهاج نظرا لمضمونهما :

ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
وحب أوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا

ولم تقف المسألة عند هذا الحد . فأية جملة في كتب قواعد اللغة العربية تشير الى تعلق الفلسطيني بحقه المشروع في وطنه تعرضت للحذف واستبدلت بجملة اخرى ركيكة وفارغة من أي مضمون ، ان جملة « أحن الى عروس البحر يافا » تعتبر في نظر المحتلين الاسرائيليين تحريضا عدوانيا لا يطاق .

وكما حدث في القدس بالنسبة لمنهاج التربية الدينية فقد حدث في الضفة الغربية حيث جرى حذف كل الآيات والاحاديث التي تحض على الجهاد والتضحية في سبيل الوطن .

ان اقدام السلطات الاسرائيلية المحتلة على تغيير وتشويه المناهج التعليمية في الارض المحتلة يتنافى تماما مع قرار المؤتمر العام لليونسكو الذي أقر في دورته التاسعة سنة ١٩٥٦ رقم ٧٠٨١ الدعوة الى تأمين الظروف الضرورية التي تضمن المحافظة على التراث الوطني والديني والثقافي للناس في كل مكان وعدم تغييره تحت أية اعتبارات سياسية .

كما يتنافى هذا الاجراء التعسفي مع الاعلان العالمي لحقوق الانسان — المادة ٢٦ — التي تنص على ان للآباء حقا طبيعيا في اختيار نوع الثقافة التي يمكن ان تقدم لاطفالهم .

تبرير مفضوح : لقد ادعت سلطات الاحتلال انها قامت بتغيير المناهج دون أي مساس بمشاعر العرب او قيمهم الروحية ، وانها لم تحذف من هذه المناهج سوى « مادة الكراهية التي تناقض مبادىء حقوق الانسان » . ولعل الامثلة القليلة التي أوردناها سابقا تدحض مثل هذه الادعاءات .

ومن ناحية اخرى فان « مادة الكراهية » التي تلصقها سلطات الاحتلال بالمناهج العربية تمارس على نحو واسع ومكشوف في المطبوعات الاسرائيلية

وذلك لتربية الاجيال اليهودية بروح الكراهية للعرب على نحو عنصري بغيض .

فقد ذكرت جريدة الليموند في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٧١ ما يلي : « تعرضت عدة كتب للمراهقين نشرت حديثا في اسرائيل الى حملة نقد خلال حوار نظمه راديو اسرائيل . وقد احتج المشاركون في الحوار ضد العنصرية المعادية للعرب التي تتسم بها هذه الكتب » .

وفي ملحق هآرتس بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٠ كتبت الكاتبة الاسرائيلية تمار مروز مقالا جاء فيه « ان احدى الظواهر المفزعة في مجال أدب الاطفال في البلاد هي الكتب التي تصدر بين حين وآخر . ويتلقفها الاطفال بحماسة ، والتي تروي دائما كيف ينتصر الطفل او الاطفال الابطال على العرب المضحكين والاغبياء »(١٨). وتضيف الكاتبة مقتطفة مقاطع من رسالة بعث بها الى جريدة هآرتس أب غاضب يقول في رسالته « الآن تقع يدي على كتب ، كل مضمونها واسلوب التعبير فيها والرسوم التي ترافقها مفعمة بالغرور ومشاعر التفوق وتساعد أكثر من أي شيء آخر على كراهية الجيران »(١٩).

اجراءات قمعية اخرى

لم يتوقف الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة على موضوعة المناهج التعليمية فقط ، وانما تعداها الى جوانب اخرى في جهاز التربية والتعليم يمكن ايجازها فيما يلي :

أ — اغلاق مكتب التربية والتعليم في القدس نهائيا واعتقال عدد من المسؤولين فيه لعدة اشهر .

ب — تعيين ضباط تربية إسرائيليين في مكاتب التربية والتعليم في الضفة الغربية ، يتحكمون في هذه المكاتب ويمارسون عمليات ضغط وتعسف ضد المعلمين والطلاب .

ج — حرمان المعلمين من تأسيس نقابة علنية تدافع عن حقوقهم وتؤمن لهم شروطا معيشية افضل في ظل الاوضاع القاسية التي يعيشونها .

د — عدم التوسع في تلبية احتياجات المدارس القائمة مثل اضافة غرف جديدة ودورات مياه وغيرها من المستلزمات الضرورية .

هـ — استخدام الابنية القديمة التي تفتقر الى الكثير من الشروط الملائمة لتدريس الطلاب فيها وخاصة في القرى .

و — النقص الفادح في الوسائل المعينة والاجهزة والمختبرات والملاعب .

ز — تقليص المدارس المهنية الى حد كبير مما يؤدي الى ترك الطلاب الذين لا يرغبون مواصلة التحصيل الاكاديمي للمدارس وتحولهم الى عمال ، « فقد كان عدد المدارس المهنية في سنة ١٩٦٦ (١٣) مدرسة وفي سنة ١٩٧٢ تناقصت الى مدرستين فقط »(٢٠).

ح — اغلاق المدارس لفترات طويلة كلما تصاعد النضال الوطني ضد الاحتلال مما يسبب الخسارة للطلاب ولا يمكنهم من انهاء المنهاج المقرر .

ط — ممارسة عمليات الاعتقال والسجن والابعاد ضد الالوف من الطلبة والمعلمين .

طمس التراث الثقافي في القدس كجزء من عملية التهويد

ان التراث الثقافي العربي الذي يميز مدينة القدس ويحفظ لها عروبتها ، يتعرض الآن ومنذ العدوان الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ الى هجمة شرسة ، وذلك لطمس هذا التراث وتضييعه من أجل تسهيل عملية الضم والتهويد التي اعلنت عنها السلطات الاسرائيلية المحتلة ، والتي جوبهت برفض قاطع من غالبية دول وشعوب العالم ، ومن قبل الهيئات الدولية المختلفة أيضا .

ولقد قامت اسرائيل بعدة اجراءات تستهدف تكريس عملية الضم والتهويد ومنها :

أ — « بدأت سلطات الاحتلال الاسرائيلي حفريات في أماكن متعددة من داخل الاحياء العربية المصادرة داخل السور والمناطق الملاصقة للحائط الجنوبي والغربي من الحرم الشريف ، واتخذت من هذه الحفريات وسيلة لتصديع ما فوقها من أبنية سكنية وتجارية ودينية وحضارية ، والتسبب في انهيارها ثم هدمها واجلاء سكانها »(٢١). بالاضافة الى ازالة حي المغاربة وانشاء ساحة كبيرة أمام حائط المبكى وكذلك هدم مئات البيوت في حارة الشرف واقامة عمارات لا تتناسب والطابع التاريخي للمدينة .

ان العقارات العربيـــة التي تهدمها سلطـــات الاحتلال في القدس « هي جزء مـــن أروع الابنية الاسلامية التي بنيت في القرون الوسطى »(٢٢).

ب ــ غيرت سلطات الاحتلال معالم المدينة ، وطوقتها بمجموعات من الاحيـــاء السكنية ذات العمارات العالية مما طمس افق المدينة وشـــوه شكلها ، ودفع بعـــض المهندسين الاسرائيليـــين انفسهم الى انتقادها .

ج ــ تواطأت سلطات الاحتلال على « احراق المسجد الاقصى واستمرار الاعتداءات على الاماكن الدينية الاسلامية في القدس »(٢٣). بالاضافة الى « الاعتداءات علـــى الاماكن المسيحية الدينيـــة والمقدسة »(٢٤).

لقد جوبهت هذه الاجراءات الاسرائيلية بالكثير من الاستهجان والاستنكار لدى العديد من الهيئات الدولية ، فلقد أصدرت الجمعية العمومية للامم المتحدة العديد من القرارات التي تدعو الى الغاء كل هذه الاجراءات التي اتخذتهـــا اسرائيل ، بالاضافة الى قرارات اخرى بنفس المضمون اتخذت من قبل مجلس الامن .

كما أصدرت منظمة اليونسكو عدة قرارات لردع اسرائيل ومنعها من مواصلة الحفريات في مدينة القدس ومن تغيير معالمها وذلك « للمحافظة بدقة على كل المواقع والمباني وسائر الممتلكات الثقافية في الارض المحتلة وخاصـــة في مدينة القـــدس القديمة » . وقد كان آخر هذه القرارات قرار المجلس التنفيذي العام رقم ٤٤١ الذي اتخذ بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٧٤ والذي أدان « اسرائيل لموقفها المناقض للاهداف التي تتوخاها المنظمة ــ أي اليونسكو ــ كما وردت في ميثاقهـــا التأسيسي باستمرارها في تغيير معالم مدينة القدس التاريخية، وفي اجراء الحفريات التي تشكل خطرا على آثارها وذلك عقب احتلالها غير الشرعي لهذه المدينة»(٢٥).

بالاضافة الى موجـــات الغضب الجماهـــيري والنضال المتعاظم الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ضد مخططات الاحتلال عموما ، وضد محاولات تهويد القدس خاصة ، فقد ذكرت جريدة الشعب الصادرة في الارض المحتلة بتاريخ ٢٢/٤/ ١٩٧٥ الخبر التالي « حاول خمسة عشر شخصا من أعضاء طائفة (ناطوري كارتـــا) اليهودية المعادية للصهيونية التدخل لمنع الحفريات الاثرية في منطقة القلعة في القدس العربية ، وقام البوليس بتفريقهم واعتقل سبعة منهم للاستجواب » . ورغم كل ذلك فما زالت سلطات الاحتلال تتحدى الرأي العام العالمي وكل المؤسسات الدولية على نحو أحمق وغير مسؤول .

سرقات مكشوفة

ولا تكتفي سلطات الاحتلال بكل ما أقدمت عليه من تجاوزات في الارض المحتلة ، فهي جاهدة منذ الايام الاولى للاحتلال بالتنقيب عن الآثار في مناطق مختلفة من الارض المحتلة والاستيلاء عليها ووضعها في المتاحف الاسرائيلية .

كما قامت « بوضع اليد على المتحف الفلسطيني والشروع في اتخاذ اجراءات لنقل محتوياته الى اسرائيل ، كما ان السلطات الاسرائيلية تخطط أيضـــا لنقـــل مخطوطات البحـــر الميت الـــى اسرائيل »(٢٦).

اضطهاد المثقفين والكتاب

ان المتتبع لاجراءات السلطات الاسرائيليـــة المحتلة ضد المؤسسات الثقافية والتعليمية ، وضد المثقفين والكتاب في الارض المحتلة ، يدرك الهدف الاساسي الذي تسعى اليه هذه السلطات من وراء اجراءاتها المتلاحقة ، وهو تدمير كل امكانية للنهوض الثقافي في الارض المحتلة الذي يستتبع بالضرورة تنمية الشخصيـــة الفلسطينية وبلورتها على نحو لا تريده سلطات الاحتلال بل تفزع منه .

ففي مقابلة مع صحيفة معاريف بتاريخ ٢٢/١١/ ١٩٧٤ يقول شموئيل طوليدانـــو مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية « ان السؤال هو كيف يمكن العيش على أفضل وجه مع اقلية قومية ليس لرغباتها القومية حل في اسرائيل » . ويضيف طوليدانو قائلا « ان الثقافة تزيد من حدة المشاعر القومية ومن قدرة التعبير عنها وتمنحها قوة ووزنا أكثر »(٢٧).

فالى جانب اغتيال الكتاب والمثقفين الفلسطينيين أمثال غسان كنفاني ، كمال ناصر ، وائل زعيتر ، ومحمود الهمشري الذي تم خارج الارض المحتلة على أيدي عملاء اسرائيليين ، فان الارض المحتلة تشهد صنوفا من الارهاب والعسف تلحق بالمثقفين والكتاب

والصحفيين ، وذلك لشل قدراتهم وتعطيلها ، وتفريغ الارض المحتلة من قادة الراي والفكر الذين يستطيعون التاثير في الرأي العام وقيادة الجماهير .

وتتنوع اساليب الاضطهاد التي تمارس ضد المثقفين والكتاب والصحفيين ، الا ان ابرز هذه الاساليب ينحصر فيما يلي :

أ — استدعاء العديد من المثقفين (كتاب ، صحفيون ، اطباء ، صيادلة ، محامون ، مهندسون ، معلمون) الى مراكز التحقيق حيث يتولى رجال المخابرات استجوابهم وذلك من اجل اشاعة جو من الارهاب لاعاقة هؤلاء المثقفين عن ممارسة أي نشاط خلاق .

ب — فرض أوامر الاقامة الجبرية لاشهر وسنوات على العديد من المثقفين .

ج — النفي داخل البلاد الى مدينة بعيدة وتحديد الاقامة فيها لعدة اشهر ، وقد نفذ هذا الاجراء ضد عدد من المثقفين والقادة السياسيين في اعتاب الاحتلال مباشرة .

د — الاعتقال والسجن وما يرافقهما من تحقيق وتعذيب وحشي ، واسناد مختلف التهم الى المثقفين واصدار احكام جائرة بالسجن ضدهم ، او اصدار اوامر اعتقال اداري بحقهم لعدم ثبوت اية تهمة تدينهم . وفيما يلي اسماء بعض الكتاب والصحفيين الذين تعرضوا للاعتقال والسجن على ايدي السلطات المحتلة : ١ — المؤلف والصحفي بشير البرغوثي ، اعتقل ثمانية اشهر وقدم للمحاكمة وبرىء من التهمة المنسوبة اليه . ٢ — نعيم الاشهب ، عضو هيئة تحرير جريدة الوطن السرية الصادرة في الارض المحتلة ، وعضو هيئة تحرير قضايا السلم والاشتراكية حاليا ، اعتقل اداريا حوالي ثلاث سنوات ثم ابعد خارج الوطن . ٣ — محمود شقير ، كاتب قصة وصحفي ، اعتقل اداريا على فترتين مدة عشرين شهرا وفرضت عليه الاقامة الجبرية مدة ستة اشهر ثم ابعد خارج الوطن . ٤ — الصحفي غسان طهبوب اعتقل لمدة شهر بتهمة اقامة الندوات السياسية في القدس . ٥ — الشاعر خليل توما ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٦ — الصحفي صلاح سالم ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٧ — الصحفي غسان حرب ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٨ — الشاعر الشعبي راجح غنيم ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٩ — محمد البطراوي ، رئيس تحرير صحيفة الفجر حاليا ، اعتقل وافرج عنه . ١٠ — حسيب النشاشيبي ، مدير ادارة صحيفة الفجر ، اعتقل وافرج عنه . ١١ — الصحفي عادل سمارة ، حكم عليه بالسجن خمس سنوات ، ١٢ — الشاعر طلال حماد ، حكم عليه بالسجن سنتين . ١٣ — الصحفي غازي علم الدين ، اعتقل وحكم عدة اشهر وافرج عنه . ١٤ — الشاعر والرسام والصحفي محمد عبد السلام حكم عليه بالسجن اربع سنوات . ١٥ — خليل السواحري ، كاتب قصة وناقد وصحفي ، اعتقل مرتين ثم ابعد خارج الوطن .

هـ — الابعاد : ويعتبر هذا الاجراء غير الانساني من أخطر الاجراءات التي تتبعها السلطات المحتلة ضد الشعب العربي الفلسطيني عامة ، وضد المثقفين وقادة الرأي والفكر من ابنائه على نحو خاص . ويرمي هذا الاجراء الى تفريغ الارض المحتلة من العناصر القيادية الواعية التي تؤثر في بلورة الرأي العام ، ومن الكوادر المثقفة القادرة على اغناء الشخصية الوطنية الفلسطينية .

لقد اقدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلي « حتى عام ١٩٧٤ على ابعاد حوالي ١٥٨٠ شخصية قيادية من مختلف القوى السياسية والمهنية والطبقات الاجتماعية شملت رجال دين ومحامين واطباء ومهندسين وسياسيين ورؤساء بلديات وصحافيين ومدرسين ونقابيين وعمالا وطلابا . وما زالت سلطات الاحتلال تمارس هذه الجريمة على مسمع ومشهد من العالم اجمع »(٢٨) .

ان اكثرية المبعدين هم من المثقفين الذين كانوا يلعبون ادوارا اساسية في الحياة الثقافية والفكرية للشعب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة ، والذين كانوا يشغلون مراكز حساسة في قيادة المؤسسات الثقافية والتعليمية والنقابات المهنية والنوادي والصحف وهيئات الرأي العام المختلفة . ويضيق المجال هنا عن ايراد أمثلة لتأكيد هذه القضية ، ولكن الاستنتاج الرئيسي الذي يكمن وراء هذه الظاهرة الخطرة وغير الانسانية ، يظل استنتاجا صحيحا وأكيدا وهو أن السلطات المحتلة

جادة في تدمير المقومات الفكرية والثقافية للشعب العربي الفلسطيني تسهيلا لتنفيذ مخططاتها التوسعية التي تهدف الى القضاء على هذا الشعب وانكار وجوده القومي والاستيطان فوق ارضه المغتصبة .

ملامح اخرى للاضطهاد

تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلي بممارسة عملية مبرمجة لاضعاف واقع الحياة الفكرية والثقافية في الارض المحتلة ، ومن ثم افقار الحياة الروحية للناس على نحو مريع ، بحيث يتحولون الى مجرد خدم وعبيد ينسحقون يوميا في المؤسسات والمصانع الاسرائيلية .

ثمة هجرة واسعة نسبيا خارج ارض الوطن من بين صفوف خريجي الجامعات الذين ينهون دراستهم في الخارج ويعودون — بوساطة التصاريح السنوية — ليفاجأوا بعدم وجود اية فرصة للعمل أمامهم ، مما يضطرهم الى البحث عن عمل مناسب في احدى البلدان العربية المجاورة او غيرها من الاقطار .

وهنالك ايضا تضييق مستمر على النقابات والاندية التي تسهم الى جانب نشاطاتها المتعددة في تغطية جزء من مهمات التثقيف الوطني لجماهير العمال والطلاب والشباب المنخرطين في صفوفها . ومن هنا نفهم معنى النقمة المستمرة على هذه المؤسسات والتنكيل بقادتها واعتقالهم وابعادهم.

كذلك فهنالك رقابة مشددة على الصحف التي تخطو على بداية الطريق بتهيب وحذر تحت ضغط الارهاب والعسف ، مما يجعلها في أغلب الاحيان عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات الناس وتطلعاتهم المشروعة .

ولعل ما جرى لصحيفتي الشعب والفجر اللتين تصدران في القدس خير دليل على الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة . فلقد جرت محاولتان لحرق جريدة الشعب ، ثم قامت اجهزة المخابرات بتوجيه التحذيرات الى رئيس تحريرها علي الخطيب ، وما لبثت بعد ذلك ان ابعدته من وطنه ليلحق بتوافل المبعدين العديدة .

واما جريدة الفجر فقد تعرض صاحبها الصحفي يوسف نصر الى الاعتقال ، ثم تواطأت سلطات الاحتلال مع بعض المجرمين على اختطافه الى جهة مجهولة حتى الآن .

يضاف الى ذلك كله ، الحاق أشد الضرر بالحركة الادبية والفكرية التي كانت تنمو وتزدهر قبل الاحتلال ، وتراجعها الى ابعد الحدود بسبب قلة مجالات النشر ، الى جانب الرقابة المشددة على الندوات الفكرية والادبية والسياسية ، واستدعاء القائمين عليها للتحقيق وتعريضهم لممارسات ارهابية متنوعة ، مما يؤدي الى تراجع الكثيرين من المثقفين وانزوائهم تحت وطأة العسف الذي تبرع فيه السلطات الاسرائيلية المحتلة ، وللتدليل على واقع الحياة الادبية قبل الاحتلال فاننا نقتطف الفقرة التالية من عملية المسح التي قام بها فريق الباحثين الاسرائيليين « كان الادب متطورا الى حد ما في الضفة الغربية ، حيث ان غالبية الاردنيين من اهل الفكر كانت تتجمع هناك . كان كثير من الكتاب والشعراء يعيشون في هذه المنطقة وكانت تنتشر في جميع المنطقة كثير من المطابع النشيطة »(٢٩).

ان الاضطهاد الفكري والثقافي الذي تمارسه سلطات الاحتلال في الارض المحتلة يعتبر جزءا من ظاهرة اوسع تشمل اضطهادا متعدد الجوانب والمظاهر لشعب يرزح تحت نير الاحتلال ، ولكنه رغم كل العسف والارهاب والاضطهاد ما زال يناضل بكل مثابرة ودأب من اجل تحرير ارضه وانتزاع حقوقه المشروعة في وطنه فلسطين .

---

١ — **التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة** ، نيسان ١٩٧٤ ، ص ١ .

٢ — صبا الفاهوم ، **مجلة الثقافة العربية** ، العدد السابع ، ايار ١٩٧٤ ، ص ٤٦ .

٣ — المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٤ — المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٥ — Ibrahim al-Abid, *Israel and* Human Rights, (Beirut: Palestine Research Center, 1969), p. 146.

٦ — المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

٧ — صبا الفاهوم ، المصدر نفسه .

٨ — العابد ، ص ١٤٥ .
٩ — صبا الفاهوم ، المصدر نفسه .
١٠ — العابد ، ص ١٤٤ .
١١ — المصدر نفسه ، ص ١٤٥ .
١٢ — المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .
١٣ — المصدر نفسه .
١٤ — المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .
١٥ — المصدر نفسه .
١٦ — التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة ، نيسان ١٩٧٤ ، ص ٨ .
١٧ — العابد ، ص ١٤٨ .
١٨ — نشرة الارض ، العدد ٤ ، ١٩٧٤/١١/٧ .
١٩ — المصدر السابق .
٢٠ — التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة ، نيسان ١٩٧٤ ، ص ٢ .
٢١ — روحي الخطيب ، مجلة **شؤون فلسطينية** ، كانون الثاني — شباط ١٩٧٥ ، ص ١٠٠ .
٢٢ — المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
٢٣ — المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
٢٤ — المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
٢٥ — **مجلة الآداب** ، آذار ١٩٧٥ ، ص ٧ .
٢٦ — العابد ، ص ١٥٩ .
٢٧ — ملف **قضايا اسرائيلية** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ٦ آذار ١٩٧٥ .
٢٨ — عبد المحسن ابو ميزر ، تقرير منسوخ عن الابعاد السياسي .
٢٩ — **التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة** ، نيسان ١٩٧٤ ، ص ١٣ .

محمود شقير

صدر عن مركز الابحاث كتاب

مقررات المجلس الوطني الفلسطيني

في مختلف دوراته

اعداد راشد حميد

سعر النسخة ٨ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي . اطلب نسختك من مركز الابحاث

قسم التوزيع ص.ب ١٦٩١ بيروت

رسائل من العالم

[١]

النظام الجديد في البرتغال والصراع العربي الاسرائيلي

قامت في البرتغال في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٤ حركة سياسية جديدة أطاحت بالحكم الديكتاتوري (حكم سالازار وكاتيانو) . واشتركت في هذه الحركة عناصر من قواد الجيش — ومن بينهم الجنرال سبينولا — تعاونت معها الاحزاب السياسية البرية التي كان نشاطها محظورا خلال فترة الحكم الديكتاتوري ، وأهمها الحزب الاشتراكي بزعامة ماريو سوارسن والحزب الشيوعي بزعامة الفارو كونيال .

وعلى الرغم من أن النظام السياسي الجديد في البرتغال ما زال في مرحلة عدم الاستقرار الناتج عن تضارب الاراء والاتجاهات داخل الحركة — خاصة بين الاشتراكيين والشيوعيين — فان هذا النظام قد اتخذ موقفا واضحا تجاه الصراع العربي الاسرائيلي يعد مغايرا تماما لموقف النظام السابق.

ويستهدف هذا التقرير القاء الضوء على علاقات البرتغال بكل من اسرائيل والبلاد العربية ، وموقف النظام الجديد من الصراع العربي الاسرائيلي وقضية فلسطين ، واحتمالات المستقبل بالنسبة للعلاقات العربية البرتغالية .

العلاقات البرتغالية الاسرائيلية

لم تقم علاقات دبلوماسية بين البرتغال واسرائيل وان كان لاسرائيل قنصلية عامة في لشبونة . وهناك علاقات في المجال الاقتصادي ، وعلى سبيل المثال فقد وقعت اتفاقية بين شركة أمكور الاسرائيلية لانتاج الآلات الزراعية وحكومة البرتغال تقضي بقيام الشركة بتصدير ٥٠٠ ماكينة زراعية الى اسرائيل تبلغ قيمتها ٣٠ الف دولار(١).

وعند قيام حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أعلن وزير خارجية البرتغال في مؤتمر صحفي في ٦/٨/ ١٩٦٧ ، ان ازمة الشرق الاوسط مكنت الاتحاد السوفييتي من تحقيق حلمه الاستعماري القديم بدخول البحر الابيض المتوسط(٢).

وفي الدورة الطارئة للجمعية العامة للامم المتحدة في أعقاب الحرب صوتت البرتغال ضد مشروع القرار الالباني الذي كان يسانده الاتحاد السوفييتي الخاص بوقف اطلاق النار وانسحاب القوات الاسرائيلية ، وامتنعت عن التصويت على باقي المشروعات .

واثناء حرب تشرين الاول (أكتوبر) منحت الحكومة البرتغالية للولايات المتحدة الأمريكية حق استخدام القاعدة الكبرى في جزر الازور (التابعة للبرتغال) في عمليات نقل السلاح والعتاد الى اسرائيل . وخلال هذه العمليات تم نقل قرابة ٢٥ الف طن من السلاح لاسرائيل مما كان له أثر كبير في تقوية وتدعيم المجهود الحربي الاسرائيلي(٣).

وبعد قيام النظام الجديد في البرتغال واعلانه عن منع استخدام قاعدة الازور في نقل السلاح الى اسرائيل(٤) اخذت اسرائيل ، والصهيونية العالمية ، في خلق العقبات امام النظام الجديد ، عن طريق مساعدة حركات التمرد في جزر الازور ، والتي تطالب بالاستقلال عن البرتغال ، ومن المعلوم ان مدبري هذا التمرد ، هم من موظفي نظام كاتيانو الديكتاتوري الذين تم طردهم من لشبونه وبعض العناصر من العاملين في القاعدة الجوية . وتقوم بتزويدهم بالسلاح شركات دولية تعمل في تهريب الاسلحة(٥). ويقوم بتمويل هذه

الحركة الليونير اليهودي هاري اوبنهايمر ، الملقب بملك الذهب والماس في جنوب افريقيا ، وهو صهيوني يشترك في كل مؤتمرات أصحاب الملايين التي تعقد في القدس وتل ابيب ، ونتيجة لجهوده تشغل الجالية اليهودية في جنوب افريقيا المركز الثاني في العالم — من حيث تقديم المساعدة المالية لاسرائيل — بعد الجالية اليهودية في الولايات المتحدة(٦).

العلاقات البرتغالية العربية

تعود العلاقات بين العالم العربي والبرتغال الى سنة ٧١١ ميلادية حينما غزا العرب شبه جزيرة ايبريا التي ظلت تحت الحكم الاسلامي حتى منتصف القرن الثالث عشر .

وفي عصر الكشوف الجغرافية احتدم الصدام بين المصالح التجارية البرتغالية والمصالح العربية ودارت بين أساطيل الجانبين معارك عديدة . وكان عامل الدين كامنا وراء الصراع .

وقد قامت الدول العربية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع البرتغال بسبب موقفها من المستعمرات الافريقية ، وذلك تنفيذا لقرارات الامم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية في هذا الشأن .

وبعد تغير النظام السياسي في البرتغال ووضوح تأييده للقضايا العربية واتجاهه الى منح الاستقلال للمستعمرات الافريقية اصدر مجلس جامعة الدول العربية في دورته الثالثة والستين القرار رقم ٣٢٣٦ الذي ينص على ان المجلس لا يرى « ما يحول واعادة العلاقات بين البرتغال والدول العربية الراغبة في ذلك »(٧).

وقد اعادت سوريا العلاقات مع البرتغال في ١٩٧٥/٢/٢٠(٨). كما اعادت مصر العلاقات معها في ١٩٧٥/٢/٢٥(٩). وكذلك تونس والعراق .

موقف النظام الجديد من الصراع العربي الاسرائيلي وقضية فلسطين

يمكن عرض موقف النظام السياسي الجديد في البرتغال من الصراع العربي الاسرائيلي وقضية الشعب الفلسطيني من خلال تصريحات المصادر المسئولة ، على النحو التالي :

١ — اعلن رئيس الحكومة البرتغالية فاسكو جونالفيس ان البرتغال لن تسمح للطائرات الامريكية التي تحمل معدات حربية لاسرائيل بأن تهبط في قاعدة جزر الازور ، واكد ان بلاده « لن تتخذ أي خطوة او توافق على أي اجراء يتخذ ضد الشعب العربي(١٠)».

٢ — كما اعلن رئيس الحكومة البرتغالية ان حل مشكلة الشرق الاوسط يجب ان يتم بالوسائل السلمية التي تضع في حسابها المصالح الشرعية لشعوب المنطقة وعلى وجه الخصوص شعب فلسطين(١١).

٣ — وصف وزير الخارجية البرتغالي السابق — ماريو سوارس — القضية الفلسطينية بأنها « قضية استعمارية اخرج فيها شعب من ديساره وحل مكانه افراد جاءوا من كل اطراف الدنيا»(١٢).

كما اعلنت البرتغال — في بيان مشترك مع رومانيا — انه يمكن التوصل لتسوية عادلة لمشكلة الشرق الاوسط عن طريق الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ممثلا في منظمة التحرير الفلسطينية وانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة(١٣).

٤ — اعلن وزير الخارجية السابق ماريو سوارس ، موافقة بلاده على فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في لشبونة(١٤). وعلى هذا الاساس فان موقف النظام الجديد في البرتغال من الصراع العربي الاسرائيلي وقضية فلسطين ،يتركز في ضرورة التوصل الى تسوية سلمية تقوم على انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ممثلا في منظمة التحرير الفلسطينية .

احتمالات المستقبل بالنسبة للعلاقات العربية البرتغالية

من العرض السابق يمكن القول بأنه اصبح واضحا للامة موقف النظام الجديد في البرتغال من القضايا العربية . بالاضافة الى محاولاته اقامة علاقات ودية مع الدول العربية سواء عن طريق الزيارات التي قام بها المسئولون البرتغاليون لبعض البلاد العربية (ومن بينهم ماريو سوارس وزير الخارجية السابق وزعيم الحزب الاشتراكي

وهو حزب الاغلبية) او عن طريق انشاء جمعية صداقة برتغالية عربية تحت اسم « جمعية اصدقاء الدول العربية » التي اعترفت بها حكومة البرتغال رسميا في ٢٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤(١٥).

وعلى الدول العربية ان تساعد النظام الجديد في البرتغال على الاستمرار في هذا الاتجاه عن طريق دعمه من الناحيتين السياسية والاقتصادية، وخاصة وانه يواجه مؤامرات امريكية وصهيونية تستهدف القضاء عليه واعادة النظام الديكتاتوري القديم . ويمكن للدول العربية استخدام الوسائل التالية :

١ ــ ضمان تزويد الاقتصاد البرتغالي بحاجته من البترول خاصة وان البرتغال سوف تفقد بترول انجولا بعد حصولها على الاستقلال . ويمكن للدول العربية البترولية الواقعة في شمال افريقيا ان تلعب هذا الدور .

بالاضافة الى استثناء البرتغال من اي خطر بترولي قادم فيما لو تم استخدام سلاح البترول مرة اخرى في الصراع العربي الاسرائيلي .

٢ ــ تقديم المساعدات المالية والقروض طويلة الاجل وتوسيع مجالات التعاون الاقتصادي والفني واقامة مشروعات مشتركة .

٣ ــ اعادة العلاقات الدبلوماسية مع البرتغال بالنسبة للدول العربية التي لم تضم تلك الخطوة بعد ، وتقوية العلاقات الثنائية . واقامة نمط جديد للعلاقات بين الجانبين اساسه التفاهم المتبادل والمصلحة المشتركة .

وعلى هذا الاساس يمكن ضمان عدم استخدام قاعدة جزر الازور لمساعدة اسرائيل خلال اي صراع مقبل . بالاضافة الى كسب صوت البرتغال الى جانب القضايا العربية في الامم المتحدة وداخل مجموعة السوق الاوروبية المشتركة اذا نجحت محاولات البرتغال في دخول السوق .

الحواشي

١ ــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد العاشر ، ص ٢٢٦ .
٢ ــ **وكالة رويتر** ، ١٩٦٧/٦/٨ .
٣ ــ **الاهرام** ، ١٩٧٥/٤/١٣ .
٤ ــ وكالة أ ــ ب ١٩٧٥/٤/٣ .
٥ ــ وكالة **نوفستي** ، ١٩٧٥/٣/١٩ .
٦ ــ **المصدر السابق** .
٧ ــ من ٣٢٣٦ / د ٦٣ / ص ٤ .
٨ ــ وكالة **رويتر** ١٩٧٥/٢/٢٠ .
٩ ــ **الاهرام** ١٩٧٥/٢/٢٦ .
١٠ ــ **الاهرام** ١٩٧٥/٤/١٣ ، مصدر سابق .
١١ ــ وكالة **أ.ب** ١٩٧٥/٤/٣ ، مصدر سابق .
١٢ ــ وكالة **أ.ش.أ** ١٩٧٤/١١/٨ .
١٣ ــ وكالة **أ.ش.أ.** ١٩٧٥/١/٦ .
١٤ ــ **الاهرام** ١٩٧٥/٥/٥ .
١٥ ــ وكالة **أ.ش.أ.** ١٩٧٤/٩/٢٦ .

عبد المنعم عباس

[٢]

اسرائيل والحركة الانفصالية في نيجيريا

من اخطر الاحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها القارة الافريقية في اواخر سنوات الستينات ، الحركة الانفصالية في نيجيريا والتي تمخضت عن قيام دولة بيافرا في الاقليم الشرقي المنشق عن اتحاد نيجيريا الفيدرالي ، بزعامة الكولونيل اوجووكو الحاكم العسكري السابق للاقليم الشرقي من البلاد . ولم تعش جمهورية بيافـــرا أكثر من ثلاثين شهرا ابتداء من يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٦٧ الى يـــوم ١٥ يناير سنـــة ١٩٧٠ . ثم حسم السلاح الموقف بين الفريقين المتحاربين . وكانت الغلبة النهائيـــة للقوات الفيدرالية التي تمكنت من ارجاع الاقليم الشرقي الى الدولـــة النيجيريـــة الفيدرالية .

ولقد كان للابعاد الدولية للحرب الاهلية في نيجيريا، اهمية خاصة وأثر عميق في تطور مجريات الاحداث وفي تصاعد هذه الازمة الافريقية . ويلقي هذا التقرير بعض الضوء على السياسة الاسرائيلية تجاه قضية بيافرا منذ بدايتها وحتى نهايتها ، وذلـــك بمناسبة الانقلاب العسكري الاخير في نيجيريا الذي اطاح بالجنرال جوون .

مرت العلاقات النيجيرية الاسرائيلية بأزمـــات حادة طيلة سنوات الحرب الاهلية نظرا للمساندة العسكرية الكاملة التي قدمتها الحكومة الاسرائيلية الى انفصاليي الاقليم الشرقي بنيجيريا ضد الجانب الفيدرالي في الازمة . ووصل الامر بين الدولتين ، نيجيريا واسرائيل ، لدرجة ان اصدرت سفـــارة نيجيريا في باريس ، بعد اندلاع الحرب بشهـــور معدودة ، بيانا رسميا وزعته على السفـــارات الاجنبية في باريس(١) ، يعلن ان اسرائيل تساعـــد المتمردين في بيافرا بالمعدات العسكرية ، وانـــه كانت تجري مفاوضات بين الجانبيـــن بواسطـــة حكومة البرتغال لتوقيع اتفاق بين بيافرا واسرائيل ، تمد اسرائيل بمقتضاه البيافريين بعشرين ألـــف مدفع رشاش من طراز « عوزي » المنتج في مصانع توجـــد في البرتغـــال وفي مقابل ذلك فان بيافـــرا مستعدة ان تمنح اسرائيل امتيازا للتنقيب عـــن البترول في اراضيها بالاقليم الشرقي لنيجيريا .

ولقد اهتمت الصحافة العربية بكشف الـــدور الاسرائيلي في اذكاء الفتنة بين طرفي الحـــرب الاهلية . فنشرت الصحـــافة السورية ان عددا من اصحاب دور النشر في نيجيريا اصدروا بيانا في اواخر اغسطس ١٩٦٧ ، اي بعد اسابيع قليلة من نشوب القتال في نيجيريا ، اتهموا فيه كلا مـــن الولايات المتحدة والمانيا الغربية واسرائيل بالتآمر على سيادة نيجيريا ، والعمل على تقويض دعائـــم الوحدة الافريقية عن طريق تقديم العون العسكري والتحالف مع سلطات جنوب افريقيا وروديسيـــا والحكومة البرتغالية(٢) .

وركزت الصحافة اللبنانية على دور المرتزقـــة الاسرائيليين في الصراع النيجيري وقتالهم كجنـــود وكخبراء عسكريين في صف الانفصاليين ، وكـــان معظمهم يعمل من قبل مع القوات المتمردة بقيـــادة تشومبي في الكونغو(٣) . اما الصحافة الليبية ، فقد ذكرت ان الحكومة الاتحادية النيجيرية قـــد ضبطت مراسلات متبادلة بين بعض الانفصاليـــين في اقليم بيافرا وبنك روتشيلد الصهيوني ، وان تلك المراسلات انما تدل على ان البنك يشـــترك في تمويل عملية الانفصال(٤) .

ولقد دعم صحة الانباء الواردة سلفـــا في الصحف السورية واللبنانية والليبية ما اذاعـــه راديو اسرائيـــل في ٣ اغسطـــس ١٩٦٨ من ان الكولونيل اوجووكو قد بعث برسالة مسجلة الى الحكومة الاسرائيلية يدعوها فيها الى مساعـــدة حركته الانفصالية ، بعد استمرار الحرب الاهلية لاكثر من عام كامل . ولم تحدد الاذاعة الاسرائيلية او رسالة حاكم اقليم بيافرا ماهية المساعـــدات

المطلوبة ولكن بدا منها ان اوجووكو كـــان على اتصال سابق باسرائيل(٥).

وبالرغم من كل ما ورد في الصحف العربية عن السياسة الاسرائيلية اثناء الازمة النيجيرية ، فان الدراسة الموضوعية والنظـرة العلمية المحايـدة تقتضي التقرير بأن الدلائل والشواهد على الدور الاسرائيلي في تأييد جانب الانفصاليين البيافريـين قليلة بالفعل . وتتمثل اهم تلك الدلائل والشـواهد في بعض المظاهر الواقعية المحدودة التي حدثـت اثناء الحرب الاهلية ، ثم فيما بعد انهيار بيافرا ، وهي ما يلي :

اولا : النداءات الانسانية التي وجهتها بعض الشخصيات الدينية اليهودية والمذهبية الصهيونية الى الضمير العالمي ، من اجل تقديم يد العـون الى الاهالي المدنيين ، ضحايا الحرب ، من ابناء الايبـــو . ففي نداء وجهه جاكوب كابلان كبـير حاخامي فرنسا الـى جميع يهـود فرنسا ، حث الحاخام يهود فرنسا على المساهمة الفعالة في اغاثة البيافريين ، قائلا(٦) « نحن الذين كنا ضحية أكبر وافظع مجزرة في التاريخ نشعر بنفس آلام اولئك الذين يتعرضون لخطر من نفس النوع » . وبعد ذلك بأيام قليلة وجه ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي نداء الى كل الطوائـف والمنظمات اليهودية والصهيونية كي تشترك ايجابيا في عمليات نجدة اهالي اقليم بيافرا المنشق فـي نيجيريا(٧).

ثانيا : نشرت مجلة ميدستريم(٨) التي تصدرها مؤسسة تيودور هيرتزل في نيويورك مقالا بقلـم الكاتبة اودري سموك قارنت فيه بين اسرائيـل وبيافرا ، وذهبت الكاتبة الى ان عددا من الزعماء في بيافرا قد اعلنوا انه يوجد نقاط تشابه مشتركة بين اسرائيل وبيافرا ، فجيش بيافرا اقل عـددا وعدة من الجيش الفيدرالي ، مثلما كان الحـال بالنسبة لقوات كل من اسرائيل والدول العربية في حرب يونيو ١٩٦٧ . ولذلك فان انتصار جيـش اسرائيل خلال ستة أيام يمكن ان يتخذ امثولـة لجيش بيافرا . وذكرت الكاتبة ان اسرائيل قـد أرسلت الى بيافرا من المساعدات ما قيمته نصف مليون جنيه استرليني ، وان وزير خارجية اسرائيل قد قال في الكنيست في يوم ٩ يوليو ١٩٦٩ ، ان من واجب الحكومة الاسرائيلية ارسال المساعـدات القصوى لبيافرا .

ثم تعرضت الكاتبة لما درج عليه العديـد مـن المعلقين السياسيين من وصف قبائل الايبو بانهـم « يهود افريقيا » ، ولما كان يردده بعض رجـال قبائل الايبو من اساطير حول كونهم احدى قبائـل اسرائيل الضائعة . وعلقت الكاتبة على هـذا بقولها ان دور قبائل الايبو في نيجيريا يشبـه في بعض النواحي دور اليهود التاريخي قبل اقامـة دولة اسرائيل ، فالايبو كانوا تجارا ورجال اعمال والعديد منهم هاجر الى الشمال وتعرض للمذابح. لهذا فان مطالبة الايبو بالسيادة علـى الاقليـم الشرقي وانشاء دولة مستقلة هو الحل الوحيـد والبديل للمذابح التـي تعرضوا لها، فبيافـرا واسرائيل خرجتا الى الوجود كاجراءات جماعية ضد الموت والدمار .

وذكرت الكاتبة ان البيافريين حاولوا تقليـد استراتيجية اسرائيل في غزو مناطق شاسعة مـن نيجيريا في الاسابيع الاولى للحرب ولكنهم لم ينجحوا في ذلك لانهم لم يمتلكوا قدرة البقاء والقوة مثـل اسرائيل .

هذه المقالة للكاتبة اليهودية تعبر عن الجوهـر الدعائي للسياسة الاسرائيلية في الازمة النيجيرية، حيث بررت اجهزة الاعلام الإسرائيلية ، مساندتها للانفصاليين على اساس تقارب المعطيات التاريخية في كل من التكوين الاسرائيلي والتركيب الاجتماعي لقبائل الايبو في نطاق اتحاد نيجيريا الفيدرالي .

ثالثا : في اواخر شهر يوليو ١٩٦٩ ، اتهـم راديو نيجيريا اسرائيل(٩) بارسال عدد كبير مـن الدبابات والمدافع والصواريخ لبيافرا تحت غطاء المساعدات الانسانية ، كما اذاع ان خبـــراء اسرائيليين يدربون رجالا مـن بيافرا على حـرب العصابات وكان هذا هو الاتهام الرسمي الثانـي من جانب الحكومة الفيدرالية لنيجيريا للحكومـة الاسرائيليـة بالتدخـل غـير المشروع في ضـف الانفصاليين .

رابعا : عندما انهارت القـوات الانفصاليـة وانتهت جمهورية بيافرا بالفعل وعادت الوحـدة الوطنية الى اتحاد نيجيريـا الفيدرالي في يناير ١٩٧٠ ، ظهر التعاطف الشديد سواء في الاوساط

الرسمية او الصحافة الاسرائيلية ، مع الجانب الانفصالي الى المنهزم . ففي يوم ١٤ يناير ١٩٧٠، وهو تاريخ استسلام القوات البيافرية للقوات الفيدرالية ، نشرت جريدة دافار الاسرائيلية(١٠) تحت عنوان « سقطت بيافرا ضحية التقاعس الدولي » ، خبرا قالت فيه ان المؤتمر الثامن لمنظمة نجمة داوود الحمراء قد اعلن ان شعبا جريئا وفخورا سقط الان ضحية ، التقاعس الدولي المصحوب بالنفاق والظلم » . وتلى هذا التصريح بيان اصدره اريه الياب السكرتير العام لحزب العمل الاسرائيلي جاء فيه ان حزب العمل الاسرائيلي يعرب عن تأثره للفاجعة التي حلت بشعب بيافرا ، وكأبناء شعب تعرض للابادة خلال اجيال عدة ، يشعر اعضاء حزب العمل ، كما يشعر مواطنو اسرائيل ، بعطف شديد على مصير ابناء بيافرا .

وفي اليوم التالي مباشرة ، قال وزير خارجية اسرائيل ابا ايبان ، امام الكنيست الاسرائيلي ، اثناء مناقشة موضوع انهيار بيافرا(١١): « ان الامم المتحدة عاجزة عن الاسهام جيدا في تدعيم السلام والامن ، وان الدول الكبرى التي تتصرف على أساس انها تتحكم في مصير السلام العالمي قد حولت هذا المبدأ الى سخرية ، وان التكتل السياسي في افريقيا وقف الى جانب نيجيريا ، ووضع العالم في موقف حرج .

تلك كانت بعض المظاهر الثابتة واقعيا للسياسة الاسرائيلية في الازمة النيجيرية ، ننتقل بعدها الى تحليل اهم الاعتبارات التي حركت تلك السياسة .

ان اول عوامل المساندة الاسرائيلية لانفصاليي الاقليم الشرقي ، تكمن في الاستثمارات الاقتصادية البترولية التي طمعت الحكومة الاسرائيلية في الحصول عليها مستقبلا ، من الدولة البيافرية في حالة استقرارها على تلك الاراضي الغنية بحقول البترول .

ومن النواحي السياسية ، استهدفت اسرائيل تحقيق عدة اغراض اهمها توسيع نطاق نفوذها في افريقيا عامة بما يشمل غرب القارة على وجه الخصوص . كذلك رغبت اسرائيل في وضع العراقيل امام حكومة يعقوب جوون التي تقاربت اثناء سنوات الحرب الاهلية وما بعدها مع الدول العربية عامة نتيجة للعون الفعال العسكري الذي قدمته حكومة مصر الى الجانب الفيدرالي في الازمة النيجيرية . وفي هذا الصدد ينطبق على الموقف الاسرائيلي من تلك الازمة المبدأ الذي ينص على أن « صديق العدو عدو » .

واخيرا كانت من اهم خلفيات المساندة الاسرائيلية للبيافريين ، ما اشتركت فيه اجهزة كل من الدعاية الاسرائيلية والدعاية البيافرية في عواصم الدول الغربية ، من اكساب الحرب الاهلية في نيجيريا لونا عنصريا اذ صورتها على انها حركة سياسية مشروعة ، من الوجهة الانسانية والاخلاقية لابناء اقليم واحد وجنس واحد(١٢) وتراث تاريخي مشترك ، يدافعون بها عن بقائهم والا تعرضوا للفناء من جانب غالبية النيجيريين ، وبعد ان لاقوا اضطهادا اجتماعيا اينما حلوا في المناطق المحيطة بأراضيهم الاصلية.

وبذلك استفادت اسرائيل دعائيا بتقديم الحرب الاهلية النيجيرية ، بشكل يعيد الى الاذهان الاوروبية ، ذكرى الكيان اليهودي المعذب في انحاء اوروبا في القرون الماضية ، ثم الحروب الاسرائيلية الدفاعية في العصر الحديث ، ضد التهديدات العربية المحيطة بالدولة الاسرائيلية من كافة جوانبها .

ولكن رغم تيقن الحكومة الفيدرالية لنيجيريا من الدور الاسرائيلي السياسي والعسكري والدعائي، المؤيد للانفصاليين ، الا انها لم تقدم على اي اجراء رادع فيه فعالية تجاه اسرائيل ، مثل قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كما نادت بذلك الصحافة النيجيرية ، طوال فترات الحرب وما بعدها . وتفسير ذلك يكمن في الانشطة الاقتصادية الاسرائيلية الضخمة التي توجد منذ سنوات في نيجيريا . فاتجاد نيجيريا الفيدرالي يعد من الاسواق الرئيسية في افريقيا ، التي تستوعب صادرات شركة كايزر فرايزر الاسرائيلية ، كما تشترك رؤوس اموال اسرائيلية في معظم شركات استغلال المطاط في نيجيريا . وتقوم المؤسسات الاسرائيلية بتنفيذ الكثير من المشروعات الهامة الاقتصادية في اقاليم نيجيريا المختلفة الشرقية والغربية وتعمل خاصة في ميادين الانشاء والطرق

والتعمير والمشروعات المائية . كما تشرف الشركات الاسرائيلية على ١٢ مزرعة مساحة كل منها ١٥٠٠ فدان ، على نمط مزارع اسرائيل التعاونية . وتسهم اسرائيل بنسبة ٦٠٪ من رأس مال شركتين تعملان في مشاريع المياه وحفر الابار. كذلك تقوم شركة تاهل الاسرائيلية باستصلاح الاراضي الزراعية في شرق نيجيريا . وقد طلبت نيجيريا مؤخرا من شركة ايبر الاسرائيلية ارسال اخصائيين في تنظيم خطوط المواصلات خارج المدن ، كما اشتركت اسرائيل في بناء مركز صناعي في بور هاركورت(١٢).

وبذلك يمكن فهم عدم الاستجابة الذي لاقته صحيفة صنداي بوست الناطقة باسم حكومة نيجيريا الاتحادية ، عندما هاجمت في يونيو ١٩٧٢، اسرائيل ووزير خارجيتها ابا ايبان ، ودعت الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، وذلك بعد ان اعلنت الاخيرة رفضها لقرار منظمة الوحدة الافريقية الصادر في ذلك الشهر ، والذي دعا الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة في يونيو ١٩٦٧ .

وفي أول يونيو عام ١٩٧٣ ، اعلن الجنرال يعقوب جوون ان بلاده : « لن تتردد في قطع علاقاتها باسرائيل اذا اصرت على تجاهلها لنصائح منظمة الوحدة الافريقية » . وجاء ذلك في مؤتمر صحفي عقده جوون لدى عودته من اديس ابابا بعد ان ترأس مؤتمر القمة الافريقي في مايو ١٩٧٣ . وطالب جوون الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية بالتفكير في اتخاذ اجراء سياسي واقتصادي ضد اسرائيل ، اذا رفضت الجلاء عن الاراضي العربية المحتلة . وظهر تأييد الحكومة النيجيرية الصريح للحق العربي في ازمة الشرق الاوسط ، حين اقدمت على قطع علاقاتها الدبلوماسية في يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، مع اسرائيل ، تضامنا مع الدول العربية .

---

١ ــ *LeMonde*, 28 Février 1968.

٢ ــ **البعث** السورية، يوم ٣١ أغسطس ١٩٦٧ .

٣ ــ **الحوادث** اللبنانية، يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٦٧ .

٤ ــ **الرائد** الليبية ، يوم ١٠ أكتوبر ١٩٦٧ .

٥ ــ جريدة **الاهرام** ، يوم أغسطس ١٩٦٨ .

٦ ــ *Le Monde*, 8 Août 1968.

٧ ــ *New York Times*, 13 August 1968.

٨ ــ د. عدنان العمد ، « المخطيط الاسرائيلي ضد تحرير افريقيا » ، **السياسة الدولية** ، ع. ٢٦، س. ٧ ، القاهرة أكتوبر ١٩٧١ ، ص ٢٧ .

٩ ــ *Daily Times*, Lagos, 29 July 1969.

١٠ ــ د. عدنان العمد ، مرجع سابق ، ص ٢٦.

١١ ــ **المرجع السابق** .

١٢ ــ محمد حقي، « انتهت أكثر حروب المستينات تعقيدا » ، جريدة **الاهرام** ، ١٢ يناير ١٩٧٠ .

١٣ ــ *New York Times*, 14 August 1969.

نازلي معوض احمد

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

المعركة من اجل طرد اسرائيل من الامم المتحدة

بعد ان كسبت منظمة التحرير الفلسطينية معركة الشرعية الدولية باعتراف الامم المتحدة بها ممثلة الشعب الفلسطيني وذلك في الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العمومية للمنظمة الدولية في السنة الماضية ، كان من الطبيعي ومنطق الاشياء ان تسعى مرتف الى النضال السياسي من اجل نزع هذه الشرعية عن اسرائيل في ضوء حقيقة واحدة هي استحالة تلاقي الاضداد على صعيد واحد ، باعتبار ان الوجود الاسرائيلي هو نقيض الوجود الفلسطيني ، وان الاعتراف باحدهما ، ان كان هذا الاعتراف منطقيا مع نفسه ومع مقدماته التي يستند اليها ، لا يحمل الا معنى النفي للاخر . وهكذا مع اقتراب موعد انعقاد الجمعية العمومية للامم المتحدة نشطت مرتف مع كل صعيد مؤثر لخوض المعركة الهادفة الى احكام العزلة من حول اسرائيل في الدوائر والمنظمات الدولية توطئة لمعركة فاصلة على صعيد الامم المتحدة تكرس فيها هذه العزلة بطرد اسرائيل من الامم المتحدة وهي خطوة ، ان تمت ، ستكون الوجه الاخر لاعتراف المجتمع الدولي بـ مرتف ، الوجه المستكمل بنزع الشرعية الدولية عن اسرائيل . وكان من الطبيعي ان تقاتل مرتف معركتها على ارض دول العالم الثالث اكثر الميادين خصبا لاثمار النضال السياسي الفلسطيني ضد اسرائيل . وكان انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في جده (افتتح في ١٢ تموز) الفرصة الاولى التي اتيحت من اجل هذا الهدف. وكان ابرز ما استحوذ على اهتمام مؤتمر جده في اليوم الثالث لانعقاده الطلب السوري ـ الفلسطيني بطرد اسرائيل من الامم المتحدة ، وكانت سوريا البادئة في الدعوة اليه في الكلمة التي القاها السيد عبد الحليم خدام ، نائب رئيس الوزراء السوري ووزير الخارجية ، ثم اعقبه الاخ ابو اللطف ، رئيس الدائرة السياسية في مرتف ، الذي حدد المسألة كما يلي : « اننا نعلم ان الامر يرجع الى مجلس الامن الذي يملك الحق في اتخاذ اية توصية بشأن طرد اي عضو من منظمة الامم المتحدة . ولكن هذا لا يمنع الجمعية العامة للامم المتحدة ان تتخذ قرارا بطرد اي عضو من اعضائها خارج قاعة الاجتماعات العامة للجمعية وحرمانه من المشاركة في دورتها . وتستطيع الجمعية العامة ان تمارس هذا الحق في كل دورة من دوراتها حيث لا نص ضمن ميثاق الامم المتحدة يحول دون مثل هذا الاجراء على ان ترفع الجمعية العامة طلبها الى مجلس الامن بطرد اسرائيل من الامم المتحدة كليا . ولذا فان وفد مرتف ... يأمل ان يخرج [المؤتمر] بقرار الموافقة على طرد اسرائيل من الامم المتحدة » .

وقد خرج المؤتمر نتيجة مداولاته بقرار يتفق مع هذا الرأي الذي طرحته مرتف ، فقد جاء في مقدمة القرارات المتعلقة بفلسطين ان المؤتمر « يعتبر ان الابقاء على عضوية اسرائيل في منظمة الامم المتحدة امر يتنافى مع مبادىء الامم المتحدة ويشجعها على التمرد على قراراتها ومواطئها مع الانظمة العنصرية التوسعية العدوانية ». واستنادا الى ذلك قرر المؤتمر « دعوة الدول الاعضاء للعمل في المحافل الدولية والامم المتحدة على طرد اسرائيل من المنظمة الدولية لانتهاكها المتكرر مبادىء وميثاق الامم المتحدة ، ورفضها تنفيذ قرارات هذه المنظمة » .

ان اشتراك اربعين دولة (هي الدول التي

حضرت مؤتمر جدة) في هذا القرار ادخل المعركة من اجل طرد اسرائيل مرحلة عملية تنذر في حال تكرار مثل هذا القرار على صعيد دولي آخر بنتائج ستنعكس حتما لصلحة الهدف من المعركة ، حال انعقاد الجمعية العمومية للامم المتحدة وهي الساحة الرئيسية لجميع هذه المقدمات التمهيدية . وهكذا بدأت الحملة المضادة من جانب اسرائيل والولايات المتحدة لتفريغ الانتصار في مؤتمر جدة من مضمونه وللحيلولة دون ان يصبح مطلبا دوليا . وكان اتجاه اسرائيل في هذه الحملة المضادة موجها الى مصر بشكل مباشر بغرض ابتزازي يربط ما بين طردها من الامم المتحدة والتهديد بوقف المساعي للوصول الى تسوية جزئية في جبهة سيناء . وكان هذا الاتجاه واضحا في التصريح الذي ادلى به « مصدر مأذون » في تل ابيب لبعض وكالات الانباء في (٧/١٧) والذي قال فيه « ان التحرك العربي لطرد اسرائيل من الامم المتحدة قد يسيء الى فرص التفاوض الهادفة للوصول الى حل مؤقت بين اسرائيل ومصر » . وبالتأكيد فان الولايات المتحدة لم تكن بمعزل عن مثل هذا الاتجاه وان كانت قد وسعت دائرة حملتها لتشمل دول العالم الثالث بالتهديد بوقف مساعداتها لها ودعمها للامم المتحدة ، في محاولة لاخضاعها لمشيئتها الاستعمارية . وقد كان هنري كيسنجر ، وزير الخارجية الاميركي ، واضحا في هذه المحاولة في التحذير الذي وجهه (في خطاب القاه في جامعة ويسكنسن يوم ٧/١٤) الى دول العالم الثالث من ان الولايات المتحدة قد تعيد النظر في مساهمتها المالية في موازنة الامم المتحدة اذا استمرت هذه الدول في جعل المنظمة الدولية « مكانا للمواجهة » بدل ان تكون « قاعة يجري فيها التفاهم بين الامم » . وبعدما ذكر كيسنجر بان الولايات المتحدة هي التي تقدم اكبر دعم مادي للمنظمة الدولية قال « ان مساندة الشعب الاميركي قد تسحب اذا لم تحترم الاكثرية العددية وجهات نظر الاقلية » . وقد صعدت الولايات المتحدة حملتها تلك بالقرار الذي وافق عليه مجلس الشيوخ الاميركي في ٧/١٨ والذي جاء فيه « ان مجلس الشيوخ يعيد النظر في مختلف التزامات الولايات المتحدة تجاه دول العالم الثالث المعنية اذا طردت اسرائيل » ، وحذر من ان مجلس الشيوخ « سيعيد النظر جديا في استمرار الولايات المتحدة عضوا في الامم المتحدة تحت هذه الظروف» .

كان لا بد لهذه الحملة ان يكون مصيرها الفشل ان لم تجد الفجوة العربية التي تنفذ من خلالها . فالاجماع العربي ، بالاضافة الى الحق الواضح في هذه القضية ، كان ينبغي له ان يكون ذا تأثير ايجابي في مواقف دول العالم الثالث . واكثر من ذلك فان التهديدات الاميركية كان لا بد لها ان تجد ردود فعل معاكسة ، ان احسنت ادارة المعركة ، تفشل الهجمة الاميركية . وقد نقلت وكالة « الاسوشيتدبرس » (٧/١٩) بعض ردود الفعل على هذه التهديدات فأوردت قولا لاحد السفراء الاوروبيين في الامم المتحدة اكد فيه « ان اي قرار من مجلس الشيوخ الاميركي لن يساعد بل سيكون له مفعول عكسي » . كما ذكر مندوب لاحدى الدول الغربية الصديقة لاسرائيل ان اي قرار من هذا النوع يضر اكثر مما ينفع . وذكرت الوكالة ان هؤلاء الدبلوماسيين يعتقدون انه بسبب تهديد مجلس الشيوخ الاميركي بقطع المساعدات عن الامم المتحدة ، فان الدول الاعضاء في المنظمة الدولية ستقوم بتحركات جماعية من اجل طرد اسرائيل كما ستضطر للانضمام الى الخط المتصلب في المنظمة كي لا تتهم بانها تستسلم للضغط الاميركي.

كان الاختبار العملي لتأثير الحملة المضادة في مؤتمر القمة الافريقية الذي بدأ جلساته في كمبالا باوغندا في ٢٨ تموز . وكان واضحا منذ ما قبل انعقاد المؤتمر ان الحملة المضادة وجدت فجوتها العربية في الموقف المصري .

ففي اليوم السابق للمؤتمر عقد الرئيس أنور السادات مؤتمرا صحافيا في الخرطوم (ا.ش.أ — ٧/٢٧) قال فيه « اذا كنا نطالب اسرائيل بتنفيذ قرارات الامم المتحدة فيجب ان تكون اسرائيل في الامم المتحدة حتى تنفذ هذه القرارات ... ان وجود اسرائيل في الامم المتحدة وتنفيذها قرارات الامم المتحدة أجدى من طردها حتى لا تتحلل من كل شيء » . وكان المقصود من هذا الموقف واضحا وهو لا يتعلق من قريب أو بعيد بضرورة التزام اسرائيل بتنفيذ قرارات الامم المتحدة التي اصبحت مخالفتها والتحلل منها و « من كل شيء » جزءا اساسيا من تراث المنظمة الدولية وتاريخها ،

وانما المقصود كان هو اظهار « حسن النوايا » تجاه اسرائيل واستجابة لموقفها الابتزازي المتعلق بالتسوية الجزئية مع مصر .

مع هذا الموقف المصري الذي رافقته حملات اعلامية مركزية نشطت م.ت.ف. التي كان وفدها المراقب برئاسة الاخ ابو عمار ، مع بعض الوفود الاخرى (كان موقفا وفدي الجزائر وليبيا بارزين في هذا المضمار) لتفشيل الحملة المضادة . وقد أعطى الاخ ياسر عبد ربه ، رئيس دائرة الاعلام في م.ت.ف. وعضو الوفد الفلسطيني ، صورة عما دار في المؤتمر في هذا الصدد : « من مجموع ٤٦ دولة افريقية شاركت في أعمال المؤتمر أعلن رؤساء وممثلو ٤٠ دولة على الاقل تأييدهم بدون تحفظ لقرار طرد اسرائيل من الجمعية العامة للامم المتحدة وسائر وكالاتها . وكانت الدول التي استقلت حديثا مثل موزامبيق وغينيا بيساو من أشد الوفود حماسا لمشروع قرار الطرد . ويكفي ان نقول ان بعض الدول التي كانت تتخذ موقفا مترددا في السابق بشأن طرد اسرائيل قد حسمت موقفها من قرار الطرد في ضوء المناقشات التي جرت والتي ساهم فيها الوفد الفلسطيني بفعالية ... ومن المؤسف حقا ان الدول الخمس [التي شذت عن الموقف الافريقي وهي زئير وغانا وسيراليون والسنغال وليبيريا] لم تجرؤ على اعلان معارضة مكشوفة لقرار طرد اسرائيل بقدر ما حاولت ان تتسلح بالموقف المصري وتتخذه ذريعة للتنصل من تأييد قرار الطرد ... وقد زئير برئاسة موبوتو أعلن صراحة انه لا يستطيع تأييد قرار الطرد ما دام وفد مصر يتخذ موقفا سلبيا منه . [قالت زئير انها ضد مشروع القرار كليا سواء بصيغته الاصلية او بالصيغة المعدلة . أما وفود غانا وسيراليون والسنغال وليبيريا فقالت انها لم تتلق تفويضا واضحا من رؤساء دولها الغائبين عن اجتماع القمة لكنها قد تقبل بها. ولدى التصويت على القرار سجلت الدول الخمس تحفظاتها رسميا] ... ان وزير خارجية افريقيا أعلن صراحة امام المجتمعين ان وزير خارجية دولة عربية قد حرضه على معارضة قرار الطرد ، الامر الذي يستغربه هذا الوزير الافريقي كما قال ، لانه لا يفهم كيف يمكن لدولة ذات اراض محتلة ان لا تطالب بفرض عقوبات حازمة على عدوها ...

ان الطرف العربي الذي عارض قرار الطرد وجد نفسه في نهاية المطاف معزولا تماما عن الاتجاه العام السائد في المؤتمر ولم ينجح سوى في كسب دولة افريقية واحدة تساند موقفه علنا » (وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » ٨/٥).

وقد تسبب هذا الموقف السلبي في ضعف القرار الذي اتخذه المؤتمر بصدد اسرائيل فلم ينص على ذلك صراحة وانما جاء فيه ان المؤتمر « يطلب من كل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية اتخاذ أكثر الاجراءات ملاءمة لتعزيز الضغط المفروض على اسرائيل في الامم المتحدة ووكالاتها المختصة ، بما في ذلك حرمان اسرائيل من عضويتها في هذه المؤسسات ».

وقد علق الاخ زهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في م.ت.ف. ، على هذا الموقف بقوله (في تصريح نشرته « النهار » ٨/١٢) : « أما الادعاءات التي صدرت بعد المؤتمر في محاولة لتبرير الموقف الغريب واللامنطقي الذي وقفته مصر بالذات في معارضة قرار الطرد فكلها ادعاءات لا تستند الى أي منطق ولا تستهدف غير تقديم المزيد من الترضيات والتعبير عن أقصى الولاء للولايات المتحدة ورغباتها ومصالحها وسياستها ... وسيكون لهذا التراجع الجزئي الذي سجله مؤتمر كمبالا انعكاسات سلبية على اجتماع دول عدم الانحياز المقبل في ليما ، وسوف يسجل تاريخيا بأن بعض العرب وقفوا ضد مصالحهم ونشطوا ضد قضيتهم وقدموا لعدوهم خدمة مجانية كبرى ، لم يكن يحلم بها على الاطلاق ومن دون أي مقابل».

على أي حال ، فان نشاطات م.ت.ف. واتصالاتها التي أعقبت مؤتمر كمبالا ، تؤكد انها تعمق مسيرتها نحو طرد اسرائيل من الامم المتحدة، وهي التي بدأ التمهيد لها منذ اختتام الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العمومية ، وسيكون مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المقرر عقده في ليما بالبيرو في ٢٥ آب الخطوة ما قبل الاخيرة لتقرير دخول المعركة الاكثر حسما على ارض الامم المتحدة في دورتها المقبلة .

الموقف من الاردن

تعمدت بعض الصحف العربية في الآونة الاخيرة نشر أنباء احتمال قيام « مصالحة » بين م.ت.ف.

والنظام الهاشمي في الاردن على اساس اقامة بعض قواعد للفدائيين ومكاتب سياسية ضمن اطار معين . وقد صرح مصدر اعلامي مسؤول في الثورة الفلسطينية ، ردا على ذلك بما يلي : « نشرت بعض الصحف البيروتية ووكالات الانباء ، نقلا عن صحيفة الوطن الكويتية نبأ يتعلق باقامة قواعد فدائية مسيطر عليها في الاردن ، وكذلك مكاتب للثورة هناك ، واننا نوضح ما يلي : ان هذا النبأ عار عن الصحة تماما ، وان موضوع التواجد الفدائي فوق الارض الاردنية هو مطروح أساسا كبند في جدول أعمال المؤتمر الرباعي الذي كان مقررا ان ينعقد منذ سبعة أشهر ولم ينعقد حتى الان ، على الرغم من طلب م.ت.ف. المتكرر بضرورة عقده » . (وفا ، ٧/٢١).

وقد كتبت مجلة « فلسطين الثورة » ، الجريدة المركزية لـ م.ت.ف. ، (٧/٢٠) عن الموقف تجاه ما تردد من أنباء عن هذه « القواعد المسيطر عليها » ما يلي « ان قاعدة فدائية معزولة عن شعبها ومحرومة من روافد جماهيرها ، ليست أكثر من وجود مؤقت ، محسوب ومسيطر عليه يتقرر مصيره وفق المخطط الامبريالي الجاري تنفيذه ، في ظل اللهاث المجاني وراء حكمة وحنكة الحكام الامبرياليين في الولايات المتحدة الاميركية . [و] ان الضمانات والتعهدات في ظل المناخ الامبريالي السائد ، وفي ظل الممارسات الخاطئة التي لم تبق ولم تذر لا يمكن ان تشكل قيدا مانعا جامعا ، يغل يد النظام الاردني ويمنعه من التصرف بالقضية الفلسطينية على ضوء اتفاقاته ولقاءاته بالعدو الصهيوني واعلان العدو المتكرر ان الاردن هو الذي يمثل الفلسطينيين وهو الذي يقرر مصيرهم ».

وفي اثناء ذلك كان النظام الاردني يمارس مواقفه ممارسة عملية من المقاومة الفلسطينية فقد نشرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) في ٧/٢٣ أسماء اثنين وعشرين مناضلا فلسطينيا من أصل سبعة وعشرين مناضلا اعتقلتهم السلطات الاردنية خلال الاسبوعين اللذين سبقا نشر النبأ « بينما كانوا في طريقهم الى فلسطين المحتلة لتأدية مهماتهم النضالية » . وعلى الرغم من هذا الدليل الحسي على موقف النظام من المقاومة فقد « انتشرت أخبار من هنا وهناك [كما تقول « فلسطين الثورة » ٦/٢٧] تؤكد على قرب وقوع « مصالحة اخوية » بين الثورة والنظام العميل في الاردن ... وفي الحقيقة فقد نفت الثورة قيام أية اتصالات ، الا ان سيل الاخبار لم ينقطع ، مما يشير الى ان هذه « المصالحة الاخوية » تجد من يدفع ومن يضغط باتجاهها لسبب في نفس يعقوب » ، وقالت المجلة « ان دعوة المصالحة ليست الا محاولة مكشوفة لجر الثورة الى التسوية الامبريالية ، وارغامها على تفويض النظام الاردني لعقد صفقة تصفوية مع العدو الصهيوني وضد الشعب الفلسطيني ».

في هذا المناخ جاءت تصريحات الملك حسين الى بعض الصحافيين الاميركيين (نقلتها وكالات الانباء في ٨ آب) والتي استبعد فيها عودة قواعد الفدائيين الفلسطينيين الى الاردن « مهما يكن نوع الاتفاق العسكري مع سوريا » ، اذ قال « لن أسمح للفدائيين بدخول هذا البلد مرة اخرى . هذا نهائي ». وقد ذكر زيد الرفاعي ، رئيس الوزراء الاردني ، في المناسبة نفسها « ان سوريا تعرف ذلك ومصر تعرف ذلك . وهو أمر غير مطروح للمفاوضة ». ولم يكن هذا الموقف ليخرج عن الخط الذي اتبعه النظام الاردني منذ مجازر أيلول والاحراج حتى الان ، كما ان أي موقف آخر ينبغي الا يكون متوقعا منه . وقد أوضح الاخ ياسر عبد ربه ان تصريحات الملك « تجيء دليلا جديدا وقويا على حقيقة نوايا نظام الملك حسين تجاه قرارات الرباط التي أعلن الملك موافقته عليها شكليا بينما أضمر استمرار عدائه وحقده على الثورة والحقوق الفلسطينية . وتجيء هذه التصريحات الآن في وقت يظن الملك حسين ان علاقاته العربية وبعض التطورات السياسية الاخيرة لدى بعض الانظمة في اتجاه الحل الاميركي يمكن ان تعطيه غطاء مناسبا لتحركاته المشبوهة والمكشوفة العداء للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني » (وفا ، ٨/٩).

ومع وضوح الموقف الاردني لجهة عودة المقاومة الى الساحة الاردنية فقد جاء النفي و « التوضيح » اللذان صدرا بعد أيام قليلة على تصريحات الملك حسين ليؤكدا بصفة جازمة ان استئثار النظام بالساحة الاردنية هو أمر لا يقبل الجدل بالنسبة

اليه . وفي معرض النفي جاء تأكيد هذه الحقيقة . فقد وصف ناطق رسمي اردني (٨/١٣) « ما نسب » الى الملك حسين من أنه لن يسمح للفدائيين بدخول الاردن مرة اخرى بأنه « لم يكن دقيقا ولا صحيحا » . وقال الناطق ان الملك حسين أوضح في لقاء له مع الصحافيين الاجانب ان « علاقة الاردن بـ م.ت.ف. علاقة طبيعية ولا سيما بعد مؤتمر القمة في الرباط حيث أعلن الاردن قبوله رأي القيادات العربية باعتبار م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني » واضاف « وفي معرض الحديث عن الماضي بتجاربه وأخطائه رفض الملك ، باسم كل مواطن اردني ، مجرد السماح بتكرار المآسي الماضية على الساحة الاردنية ، ايمانا منه بوجوب وقوف أهلها صفا واحدا ويدا واحدة في وجه ما يهدد القضية والاردن والعرب من تحديات واخطار » . ومع هذه المزاعم عن « العلاقة الطبيعية » بين المنظمة والاردن أوضح الناطق الاردني انه « عندما تظهر عناصر الخير في المنظمة على عناصر الشر والهدم فيها ، وعندما يثبت صدق النيات ومسعاؤها ، وعندما تصبح القضية هي الغاية السامية الوحيدة ، سيعرف الجميع ان هذا البلد يقف في الطليعة العربية بذلا وتضحية وعطاء » . غير ان السؤال الذي يكشف حقيقة الموقف الاردني والذي يجدد فعلا قبوله « العلاقات الطبيعية » مع المنظمة ، هو ما هي المقاييس والقيم التي يقيس النظام في ضوئها « عناصر الخير في المنظمة » و « عناصر الشر والهدم فيها » ؟ أليست هي المقاييس التي لا تحتمل سوى معنى واحد : « الترويض » وهو الذي ما انفكت الشعوب المعادية عن محاولات ممارسته منذ كانت الثورة ؟

المؤتمر البرلماني الدولي

حضور المؤتمرات الدولية واحد من أساليب النضال السياسي التي تخوضها م.ت.ف. على صعيد دولي . وهي في الوقت نفسه هدف للحملات الاسرائيلية والصهيونية في محاولات ناشلة على الاغلب لمحاصرة هذا النضال . وعلى الرغم من النجاح الذي حققته الصهيونية الدولية في التأثير على كندا بمنع وفد من م.ت.ف. من المشاركة في مؤتمر علم الجريمة الذي كان مقررا عقده هناك ، الا ان هذا النجاح انتقص من قيمته الكلية ومضمونه الفعلي واقع فشل انعقاد المؤتمر نفسه في موعده المقرر ومكانه الاصلي الامر الذي كان بحد ذاته نجاحا لا يقلل من قيمته للاصرار الفلسطيني على حضور المؤتمر .

وقد بدأت « القضية » عندما أعلن النائب العمالي لسلي هاكفياد (٨/٨) ان عريضة ضد حضور الوفد الفلسطيني قدمت الى مجلس العموم وعليها تواقيع نحو ١٠٠ نائب بريطاني وتصف الدعوة الموجهة الى « المنظمة الارهابية » بأنها « غير مقبولة على الاطلاق » . وقد اثار هذا الموقف جدلا في بريطانيه وأوردت وكالات الانباء (٨/٨) انه سبب « احراجا متزايدا لوزارة الخارجية البريطانية » . غير ان الموقف الفلسطيني كان حاسما في هذا الصدد ، فقد أعلن الاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، بتأكيد « ان فلسطين ستشارك في جميع المؤتمرات والاجتماعات الدولية التي تدعى اليها بما في ذلك المؤتمر البرلماني الدولي المقرر عقده في لندن » (وفا ، ٨/١٠) . كما كان الموقف العربي ، في هذا الشأن ، متماسكا فقد أكد مجلس الاتحاد البرلماني العربي ، في بيانه الذي صدر في دمشق يوم ٩ /٨ عن اجتماعاته التي عقدت يوم ٦ و٧ آب ، تمسكه الكامل بحضور المجلس الوطني الفلسطيني كعضو مراقب في مؤتمرات الاتحاد البرلماني ، واستنكر كل المساعي التي تبذل للحيلولة دون حضور المجلس الوطني الفلسطيني مؤتمر لندن ، وناشد المجلس « كل البرلمانيات الصديقة وجميع البرلمانيين ذوي الضمير الحر الذين تفهموا عدالة القضية العربية ووقفوا الى جانبها ان يكونوا على يقظة تامة وحذر كامل من المساعي المعادية المفضوحة للصهيونية وسواها ، والتي تجتهد كي تضع العالم مرة اخرى على حافة الخطر » .

ازاء ذلك حسم روي جنكنز ، وزير الداخلية البريطانية ، الجدل الذي اثير وصرح (٨/١٣) بأنه لا يستطيع ايجاد سبب لرفض دخول أعضاء من المجلس الوطني الفلسطيني الى بريطانيه تلبية لدعوة وجهت اليهم لحضور مؤتمر للاتحاد البرلماني الدولي بصفة مراقبين .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

ما زالت التفاعلات المتعلقة بمحاولات التوصل الى اتفاق جزئي جديد بين مصر واسرائيل تسيطر على التطورات الدولية المرتبطة بالقضية الفلسطينية . ويمكننا ان نلتقط خيط هذه التفاعلات مجددا من خلال التصريحات التي ادلى بها رابين عند عودته الى تل ابيب بعد الزيارة التي قام بها لواشنطن حيث قابل كبار المسؤولين الامريكيين بمن فيهم الرئيس فورد (راجع « شؤون فلسطينية » عدد ٤٨ ، اب ١٩٧٥ ، ص ٢٦٢ وما بعده) . وتأتي اهمية هذه التصريحات من تشددها وطابعها المناطل خاصة بالقياس الى خلفية التفاؤل العام الذي انتشر اثر قمة سالسبورغ بين السادات وفورد والذي وصل الى ذروته في الاخبار التي جرى تداولها بشكل واسع حول توصل مصر واسرائيل الى اتفاقية جزئية جديدة (المرجع السابق ، ص ٢٦٦) .

ذكر رابين في تصريحاته ان عملية التفاوض مع مصر ستكون طويلة ولا يجوز توقع اية تطورات دراماتيكية على هذا الصعيد في الوقت الحاضر . وألمح الى ان هذه العملية الطويلة قد تستغرق « أسابيع او اشهرا او ربما سنة » لان مصر لا تريد « التحدث الينا مباشرة » مما لا يترك اي مجال كي تكون المفاوضات قصيرة وسريعة . وفي هذا التصريح اشارة خفية الى مطلب اسرائيل — الذي سيصرح عنه رابين فيما بعد — باجراء مفاوضات مباشرة وجها لوجه مع مصر كشرط لتحقيق الاتفاق الجزئي . ورفض رابين الموافقة على اي جدول زمني محدد « مفروض من الخارج » او على اية مهل قصوى « تفرض على اسرائيل » لتحقيق الاتفاقية المطلوبة . وبتحديد اكبر اكد رابين ان اسرائيل ترفض اعتبار موعد انتهاء انتداب القوات الدولية في سيناء (٢٤ تموز ، ١٩٧٥) كموعد اقصى للتوصل الى هذه الاتفاقية . واضاف قائلا بأن هناك دلائل تشير الى ان مصر مستعدة لتغيير موقفها من اجل تسهيل الوصول الى اتفاقية جديدة في سيناء ولكن اذا لم يكن هذا التغيير كبيرا لن تتمكن اسرائيل من التجاوب مع رغبات مصر . وفي الوقت ذاته نشرت مجلة « تايم » الامريكية مقابلة مع رابين اشار فيها الى رأي الحكومة الاسرائيلية المعروف بأن اتفاقا جديدا لفصل القوات بين سوريا واسرائيل — على غرار الاتفاق المزمع عقده في سيناء — غير ممكن « بسبب جغرافية الجولان وطوبوغرافيتها » وحث مصر على عدم ترك موقفها يتأثر بهذا الواقع خاصة وان اي اتفاق جديد مع مصر يجب ان تليه « فترة من الانفراج تمتد سنوات عدة من دون اية ضغوط او تهديدات » . واضاف رابين قائلا انه بعد مرور هذا العدد من السنوات ستكون اسرائيل مستعدة للبحث في عناصر اتفاق شامل ومفصل وفقا لتطور الوضع في مصر وبعض الدول العربية الاخرى . ولا يفوتنا ان نذكر تكرار رابين من جديد رفض حكومته التفاوض مع منظمة التحرير .

بطبيعة الحال كان لهذه التصريحات وقعها السيء في الاوساط الحاكمة في مصر اذ انها لا تتجاوب مع الالحاح المصري على ضرورة الاسراع في تحقيق التسوية الجزئية . وكان لا بد للسلطات المصرية من اتخاذ خطوة معينة للرد على الموقف الاسرائيلي المتصلب والمناطل معا . ففي منتصف شهر تموز اعلن اسماعيل فهمي — وزير خارجية مصر — بصورة مفاجئة قرار مصر برفض التمديد لمهلة القوات الدولية في سيناء والتي تنتهي في ٢٤ تموز . وبرر فهمي هذا القرار بقوله ان اسرائيل استغلت الهدوء النسبي السائد على الجبهة لكي تكرس احتلالها للاراضي العربية بدلا من ان تساعد في الجهود الهادفة الى اقامة سلام دائم في المنطقة . وبما ان اسرائيل ترى في وجود القوات الدولية عودة الى حالة اللاحرب واللاسلم فان مصر وجدت نفسها مضطرة لاتخاذ هذا القرار . يضاف الى ذلك ان هدف مجلس الامن من تكوين قوات الطوارىء ليس تكريس الهدوء على الجبهة بحيث تعود حالة اللاحرب واللاسلم والى استقرار الاحتلال مما يجعل استمرار وجود القوة الدولية مناقضا لاهداف المجلس واغراضه في

تشكيلها . كذلك اكد فهمي ان قوات الطوارىء لا يمكن ان تبقى على ارض سيناء بدون موافقة السلطات المصرية . وتبعت مصر هذا القرار بخطوة اخرى هي ابلاغ قرارها الى مجلس الامن والطلب اليه اتخاذ قرار جديد يقضي بانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة . وبينت الحكومة المصرية في طلبها هذا ان بقاء القوات الدولية مرهون بنوعية القرار الذي سيتخذه مجلس الامن حول هذا الموضوع . وكان رد الفعل الامريكي على هذا التحرك تسريب معلومات تقول بأن الحكومة الامريكية ستعارض اي قرار جديد قد يقدم عليه مجلس الامن من شأنه الاخلال بتوازن القرار رقم ٢٤٢ . بعبارة اخرى رفضت الولايات المتحدة طلب السادات الى مجلس الامن اتخاذ اي قرار جديد يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي والاحتلال القائم للاراضي العربية . اما بالنسبة للجانب الاسرائيلي فقد صدرت تصريحات وتلميحات وتعليقات توحي بأن مسألة الوصول الى اتفاق جزئي غير مستبعدة ابدا ، كما انها لا تتطلب كثيرا من الوقت ، لان « عناصر جديدة » قد طرأت على المفاوضات مع مصر ، مع التأكيد بان القرار المصري لا يساهم في تسهيل المفاوضات الجارية . (وكل هذا الكلام الاسرائيلي يتعارض مع ما كان قد قاله رابين حول احتمالات التوصل الى تسوية جزئية سريعة) وبعد محاولات سياسية على اعلى المستويات ومشاورات دبلوماسية وجه رئيس مجلس الامن نداء الى الرئيس السادات يناشده اسقاط اعتراض مصر على تجديد انتداب قوة الطوارىء في سيناء . وصوت ١٣ عضوا في المجلس (من أصل ١٥) الى جانب قرار توجيه هذا النداء العاجل ولم يشترك العراق والصين في التصويت. وشدد النداء على ان تمديد انتداب قوة الطوارىء لفترة اخرى سيساهم في خلق الجو المناسب للتقدم نحو السلام العادل والدائم في المنطقة ، وانه سيمنع حالة الركود من السيطرة على الشرق الاوسط . واستجابت السلطات المصرية لهذا النداء فأعلن اسماعيل فهمي في ٢٤ تموز قرار الرئيس السادات تمديد مهلة القوات الدولية ٣ اشهر اخرى تنتهي في ٢٤ تشرين الاول . وبرر الوزير المصري هذه الاستجابة السريعة (او التراجع عن الموقف القوي السابق) بقوله ان نداء مجلس الامن كان منسجما مع هدف الدبلوماسية المصرية وهو « استمرار التحرك نحو السلام وبسرعة وبدون ابطاء » ورفض النداء اية محاولة لتجميد الموقف في المنطقة . وعلى اثر ذلك اتخذ مجلس الامن قرارا في ٢٦ تموز دعا فيه جميع الفرقاء المعنيين لتنفيذ قرار مجلس الامن الرقم ٣٣٨ لعام ١٩٧٣ وقرر تجديد انتداب قوة الطوارىء الدولية لمدة ثلاثة اشهر اخرى كما طلب من الامين العام لهيئة الامم ان يقدم تقريرا عن الوضع في الشرق الاوسط والخطوات المتخذة لتنفيذ القرار ٣٣٨ قبل انتهاء فترة الثلاثة اشهر المشار اليها .

ما أن تمت تسوية مشكلة تمديد قوات الطوارىء في سيناء حتى عادت الحكومة الاسرائيلية الى تصعيد مواقفها مجددا . وقد اتضح هذا التصعيد في التصريحات الاسرائيلية التالية : (١) اعلن اسحاق رابين بأن اسرائيل لن توقع اتفاقا مؤقتا جديدا مع مصر الا اذا سبقته مفاوضات مباشرة وجها لوجه بين الطرفين لان موافقة اسرائيل على التفاوض مع مصر من خلال مساعي الولايات المتحدة لا يمكن ان تصل الى نهايتها المتوقعة بدون مثل هذه المفاوضات المباشرة . أما اذا رفضت مصر هذا النوع من المفاوضات « فعليها ان تفهم ان عملية التفاوض ستكون طويلة » .

(٢) اعلن رابين في ٢٦ تموز ان حكومته رفضت كافة الاقتراحات المصرية المتعلقة بالاتفاق المصري حول سيناء جملة وتفصيلا ، وتأكيده مرة اخرى ان المفاوضات ستكون طويلة واشتراطه لنجاحها صدور إعلان مصري رسمي ينص على « ان استخدام القوة لم يعد له مكان في بنية العلاقات المصرية الاسرائيلية » ، وان جميع الخلافات في الاراء بين البلدين يجب ان تسوى بسلام وعن طريق المفاوضات » . (٣) تصريح شمعون بيريز — وزير الدفاع الاسرائيلي — بأن المقترحات الاسرائيلية الاخيرة التي جرى نقلها الى مصر بواسطة الولايات المتحدة هي « مقترحاتنا النهائية » وهذا يعني « اننا لن نتقدم بمزيد من التنازلات » لاننا « ذهبنا بعيدا وبعيدا جدا في هذا الميدان » كذلك اتهم بيريز مصر — عبر هذه الحملة التصعيدية — باثارة المصاعب الضخمة في وجه الوصول الى الاتفاقية الجزئية « حتى انه

يحق لنا ان نتساءل ما اذا كانت مصر تهتم بالاتفاق فعلا » لان المقترحات المصرية تتجاهل تماما مطالب اسرائيل و« وتطلب منا الكثير بدون ان تقدم شيئا في مقابل ذلك » . كما اتهم بيريز مصر بتعليق الامال على اثارة التوتر بين الولايات المتحدة واسرائيل على أمل الحصول على تنازلات جديدة نتيجة للضغط الامريكي . وأكد بيريز ان السادات يرتكب خطأ كبيرا اذا كان يعتقد انه سيحقق هدفه هذا . ولخص الوزير الاسرائيلي الاحتمالات التي يمكن ان تنشأ نتيجة فشل المحاولات الجارية حاليا للوصول الى تسوية جزئية مع مصر بقوله : اما ان تستأنف الاشتباكات او يبقى الوضع القائم على حاله او تحدث تغيرات سياسية في مصر تؤدي الى اعادة نظر جديدة في الوضع .

أما الجانب الامريكي فقد شارك أيضا في حملة التصعيد هذه اذ أعلن كيسنجر في مؤتمر صحفي بأن الهوة بين الموقفين المصري والاسرائيلي ما زالت هائلة وان « فوارق كبيرة » ما زالت تفصل بين الطرفين . لذلك استنتج بأنه من السابق لاوانه القول ما اذا كان سيتم التوصل الى اتفاق جزئي ام لا لان مواقف الطرفين « متباعدة الان حول مسائل اساسية وجدية » . أما الرئيس فورد فقد خفف قليلا من حدة تصريحات كيسنجر بدعوته كل من مصر واسرائيل الى اظهار مقدار كبير من « الاعتدال والمرونة » لتحقيق تقدم في المساعي السلمية . وألمح الرئيس الامريكي الى ضرورة تحقيق مثل هذا التقدم خوفا من حدوث مجابهة امريكية سوفياتية نتيجة اندلاع حرب جديدة في الشرق الاوسط .

الجدير بالاشارة هنا ان انباء اخذت تتوارد خلال الاسبوع الثاني من شهر آب تقول بأن تحولا قد طرأ على الموقف التفاوضي المصري باتجاه الاقتراب من الخطوط العريضة للموقف الاسرائيلي والمقترحات التي ينطوي عليها والتي وصفها بيريز بأنها نهائية كما مر معنا . فقد ذكرت مصادر اسرائيلية ان مقترحات مصر الجديدة — التي وصلت الى الحكومة الاسرائيلية عبر الولايات المتحدة — قدمت بعض الاستجابة لمطالب اسرائيل خاصة فيما يتعلق بالحملات العربية الاقتصادية والدعائية ضد الدولة الصهيونية . كذلك ذكرت المصادر الاسرائيلية ان « المقترحات المصرية الاخيرة عكست تحولا بارزا نحو التقارب مع المفهوم الاسرائيلي على الرغم من استمرار وجود ثغرات مهمة بين الطرفين والتي لا بد من سدها » . وترددت انباء كذلك حول احتمال عودة كيسنجر الى المنطقة للقيام بجولة دبلوماسية جديدة لابرام الاتفاق الجزئي ، قبل نهاية شهر آب . وبهذا الصدد ذكر بيريز ان اسرائيل « مهتمة بايجاد تسوية مع سوريا شريطة ألا تمس هذه التسوية اية مستوطنة اسرائيلية في مرتفعات الجولان او تؤدي الى الانسحاب منها » . كذلك ذكرت الانباء الصحفية ان المقترحات المصرية المقدمة الى اسرائيل تنطوي على النقاط التالية : (١) تقوم مصر بوضع كتيبتين في الطرف الغربي من الممرات الاستراتيجية في سيناء بدون ايراد اي ذكر للطرف الشرقي من الممرات وهو الطرف الذي تصر اسرائيل على الاحتفاظ به . (٢) توافق مصر على ممر أضيق مما كانت تطالب به يصل الممرات الاستراتيجية بحقول البترول بأبو رديس . (٣) توافق مصر على وجود امريكي في مراكز المراقبة المصرية والاسرائيلية على طرفي الممرات وتتجاهل الوجود الاسرائيلي في بعض هذه المراكز (هنا تذكر الانباء ان اسرائيل مصرة على ادارة مراكز المراقبة بنفسها حتى مع توفر العنصر الامريكي فيها). (٤) توافق مصر على وجود اسرائيلي ومحطات مراقبة اسرائيلية على مرتفعات ممر الجدي . أما على الجانب المصري فقد ذكرت صحيفة الاهرام ان كيسنجر متفائل باحتمال التوصل الى اتفاق جديد لفصل القوات في سيناء في اواخر هذا الشهر . كما توقعت ان يزور الوزير الامريكي المنطقة قريبا لانجاز الاتفاق قبل انعقاد مؤتمر الدول غير المنحازة في ٢٤ آب في البيرو . ودعمت الاهرام نباها بالقول ان الولايات المتحدة تدرس مسألة تعويض اسرائيل الخسائر التي ستتكبدها نتيجة انسحابها من خطها الدفاعي الحالي ومن حقول النفط في أبو رديس على ان تغطي التعويضات تكاليف اقامة خطوط دفاعية اسرائيلية جديدة بعد الانسحاب .

ومن الملاحظ انه مع طرح كل هذه الاخبار قيد التداول ظهرت تصريحات امريكية تشير الى موضوع كان قد طرح سابقا ثم سحب من التداول وهو موضوع قيام الخبراء الامريكيين بالاشراف على محطات المراقبة المتقدمة في جبهة سيناء . فقد

اشار الرئيس فورد الى أن ارسال الولايات المتحدة جنودها وخبراءها الى سيناء للقيام بهذه المهمة هو أمر وارد جدا . كما أعلن سلبسكو من استعداد حكومة بلاده لدرس أية اقتراحات بتكليف كادرات امريكية للذهاب الى سيناء لحمل المسؤوليات المذكورة سابقا .

وكجزء من الاخذ والرد الجاري حول مسألة التسوية الجزئية قام امين عام هيئة الامم بزيارة للقاهرة في الاسبوع الاخير من شهر تموز حيث اجرى مباحثات مع الرئيس السادات وكبار المسؤولين في القاهرة . وعند وصوله شدد فالدهايم على خطورة الموقف في الشرق الاوسط بسبب عدم التوصل الى حل شامل ونهائي للمشكلة . كما رحب بالجهود الهادفة الى تحقيق اتفاق جديد للفصل بين القوات في سيناء وعبر عن توقعه بأن الاشهر الثلاثة المقبلة « ستسفر عن تقدم حقيقي نحو سلام نهائي في المنطقة » واشار الامين العام الى اعتماد معالجة ازمة الشرق الاوسط معالجة ناجحة على مؤتمر جنيف . وعلى اثر محادثاته مع الرئيس السادات ذكر فالدهايم ان مباحثاته كانت « بناءة للغاية » وامتدح قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس لتسوية النزاع الاسرائيلي على اسس سليمة . وأوضح فالدهايم بأنه لا ينوي زيارة اسرائيل في الوقت الحاضر .

التطور الهام الآخر على الصعيد الدولي الذي يمس القضية الفلسطينية هو الحملة الكبيرة التي جرت في أوساط دول العالم الثالث لطرد اسرائيل — او تعليق عضويتها على أقل تعديل — من الجمعية العامة لهيئة الامم . وقد ظهرت بوادر هذه الحملة في مؤتمر المرأة الذي انعقد في المكسيك منذ فترة قصيرة حيث صدر قرار يدين الصهيونية بصراحة ووضوح . وقد عارضت كل دول اوروبا الغربية بالاضافة الى الولايات المتحدة وكندا واليابان طبعا وبعض دول العالم الثالث المرتبطة مباشرة بالامبريالية الامريكية والتابعة لها . مع ذلك فقد أجرز قرار الادانة الاكثرية اللازمة لتبنيه بفضل اتجاه السواد الاعظم من دول العالم الثالث نحو وضع الصهيونية في موضع الحركات العنصرية وتشبيهها بالمؤسسات القائمة على التمييز ضد السود في جنوب افريقيا . بعد هذا النجاح انتقلت هذه الحملة الى المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في جدة في منتصف شهر تموز . وقد تقدمت كل من سوريا ومنظمة التحرير بمشروع قرار يدعو الدول الاسلامية لتأييد فكرة طرد اسرائيل من الامم المتحدة والعمل على تنفيذها . وقرر المؤتمر تكوين لجنة دائمة مؤلفة من ممثلي ١٣ دولة من الدول الاعضاء تسمى لجنة القدس مهمتها متابعة تنفيذ القرارات التي يتخذها المؤتمر الاسلامي حول فلسطين والتي تتخذها الهيئات الدولية المؤيدة لمواقف المؤتمر في هذا الشأن . ودعا البيان الذي صدر عن المؤتمر الدول الاعضاء للعمل في المحافل الدولية والامم المتحدة على طرد اسرائيل من المنظمة الدولية . كما طالب مجددا الدول الاعضاء التي لا تزال لها علاقات سياسية او ثقافية او اقتصادية مع اسرائيل بقطع هذه العلاقات . وجدد المؤتمر تأكيده على ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وطالب الدول الاعضاء بتنفيذ قرارات المؤتمرات الاسلامية السابقة حول قضية فلسطين . كذلك أعلن المؤتمر تمسك المسلمين بمدينة القدس وعزم حكوماتهم الاكيد على العمل من اجل تحريرها واعادة السيادة العربية عليها مع الاصرار على الا تكون القدس موضع أية مساومات او تنازلات مع ضرورة تقديم الدعم المالي اللازم لتدعيم الوجود العربي الاسلامي في المدينة المقدسة . قرر المؤتمر ايضا مساندته الكاملة والفعالة للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع لاسترجاع حقوقه الوطنية في فلسطين وممارسة حقه في السيادة على ارضه واقامة سلطته الوطنية المستقلة . هذا بالاضافة الى تقديم الدعم الفعال لدول المواجهة لاسترجاع كل الاراضي المحتلة بكل الوسائل المتاحة . وأكد المؤتمر ان السلام العادل والدائم في فلسطين والشرق الاوسط لا يمكن ان يتم التوصل اليه الا على اساس انسحاب اسرائيل الكامل من كل الاراضي العربية المحتلة وممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الكاملة .

بعد هذين النجاحين على صعيد الحملة لطرد اسرائيل من هيئة الامم المتحدة تقدمت الولايات المتحدة في محاولة للوقوف في وجه هذه النجاحات واجهاضها بكافة الطرق . على سبيل المثال حذر كيسنجر في شهر تموز دول العالم الثالث من ان

بلاده ستعيد النظر في مساهمتها المالية في موازنة الامم المتحدة اذا استمرت الدول المذكورة في تحويل « المنظمة الدولية الى مكان للمواجهة بدلا من ان تكون مكانا للتفاهم بين الامم » . واتهم كيسنجر دول العالم الثالث بسوء استخدام الامم المتحدة عن طريق ما أسماه « بعمليات التصويت المتحيزة » التي تؤدي « الى نتائج غير عادلة » اعتمادا على « خطط اعتباطية » ولم يخف كيسنجر سبب انزعاجه من الاكثرية التابعة للعالم الثالث في الجمعية العامة اذ قال انه اذا فقدت الدول الكبرى ، وخصوصا تلك التي تقدم الدعم المالي الاساسي لهيئة الامم (أي الولايات المتحدة) ، ثقتها في المنظمة تصبح الجمعية العامة مهددة بالزوال وبفقدان التأثير المعنوي الذي تتمتع به . وفي الوقت نفسه اتخذ مجلس الشيوخ الامريكي قرارا انتقد فيه بشدة الجهود المبذولة لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية . وهدد القرار باعادة النظر في كافة التزامات الولايات المتحدة تجاه دول العالم الثالث اذا جرى طرد اسرائيل من المنظمة الدولية . هذا بالاضافة الى اعادة النظر في موضوع استمرار الولايات المتحدة عضوا في المنظمة . أما الحكومة الاسرائيلية فقد هددت على لسان وزير خارجيتها بأنه في حال تعليق عضوية اسرائيل في هيئة الامم فان جميع نشاطات المنظمة الدولية في اسرائيل ستتوقف . مما يعني : (أ) كف اسرائيل عن التقيد بقرارات هيئة الامم المتعلقة بالمنطقة ، (ب) تأثر اتفاقات فك الارتباط مع مصر وسوريا على اعتبار ان الامم المتحدة هي طريق أصيل في هذه الاتفاقات ، (ج) تأثر مؤتمر جنيف واحتمالات انعقاده على اعتبار انه قائم ضمن اطار هيئة الامم وبرئاسة أمينها العام ، (د) تأثر مساعدات هيئة الامم الى « اللاجئين الفلسطينيين » عبر الانروا في الاراضي المحتلة .

ويبدو انه كان لهذه الحملة الامريكية — الاسرائيلية المضادة تأثيرها في كبح التعبئة الجارية لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية . وقد ظهر تأثير الحملة المضادة في الاوساط الحاكمة المصرية وبعض الدول الافريقية كما تبين ذلك جليا في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في أواخر شهر تموز في كمبالا عاصمة اوغندا . استنادا الى ما جرى في مؤتمر المرأة في المكسيك ومؤتمر الدول الاسلامية كانت كل الدلائل تشير الى ان مؤتمر قمة دول منظمة الوحدة الافريقية سيدعو بصراحة وبصورة مباشرة الى طرد اسرائيل من الامم المتحدة وحتى الى فرض العقوبات عليها الى أن تنسحب من الاراضي العربية المحتلة وتعترف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . في الواقع اتفق وزراء خارجية الدول الافريقية في اجتماعاتهم التحضيرية لمؤتمر القمة على رفع توصية الى الرؤساء بطرد اسرائيل من هيئة الامم (او تعليق عضويتها على اقل تعديل) . غير ان الموقف المصري الذي عبر عنه الرئيس السادات في المؤتمر لم يترك مجالا امام مؤتمر القمة لاقرار توصية وزراء الخارجية . وجدير بالاشارة ان السادات كان قد قال في مؤتمر صحفي عقده في الخرطوم ، أنه « اذا كنا نطالب اسرائيل بتنفيذ قرارات الامم المتحدة فيجب ان تكون اسرائيل في الامم المتحدة حتى تنفيذ هذه القرارات » كما أكد السادات « ان وجود اسرائيل في الامم المتحدة وتنفيذها قرارات المنظمة الدولية أجدى من طردها حتى لا تتحلل من كل شيء » . وقد كرر الرئيس السادات هذا الموقف في مؤتمر القمة مما جعل اي قرار افريقي بطرد اسرائيل سيبدو « ملكيا اكثر من الملك » ومزاودا على الدولة صاحبة العلاقة المباشرة بالنزاع مع اسرائيل . لذلك لم يخرج المؤتمر الا بقرار مائع يطلب من كل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية اتخاذ الاجراءات الملائمة لتعزيز الضغط على اسرائيل داخل الامم المتحدة ووكالاتها بما في ذلك امكان حرمان اسرائيل من عضويتها في هذه الوكالات . وحتى هذا القرار المائع خضع لتحفظات عدد من الدول الافريقية بحجة الموقف المصري المذكور . من جهة اخرى أكد المؤتمر مساندته الكاملة والفعالة للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع لاسترجاع حقوقه الوطنية وحقه في العودة الى وطنه فلسطين في تقرير مصيره واقامة سلطته الوطنية المستقلة .

على صعيد آخر قام الرئيس المكسيكي بزيارة كل من القاهرة وعمان وتل ابيب خلال جولة يجريها في الدول الاسيوية — الافريقية . وأعلن الرئيس المكسيكي خلال وجوده في القاهرة اعتراف بلاده بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية وبمنظمة التحرير الفلسطينية وضرورة استعادة الاراضي العربية

المحتلة وتنفيذ كل قرارات هيئة الامم باعتبار ان كل هذه الاشياء هي الاساس الذي لا يمكن ان تقوم بدونه أية تسوية لمشكلة الشرق الاوسط.كما وعد بنقل وجهة النظر هذه الى الزعماء الاسرائيليين . وعند انتقاله الىهناك دعا السلطات الاسرائيليةالى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والى ادراك ان حصولها على حدود آمنة يتوقف على حل القضية الفلسطينية . وعلى اثر مشاوراته مع رابين أعلن الرئيس المكسيكي بأنه قرر ارسال وزير خارجيته الى القاهرة على أمل تحقيق تقدم في المحادثات بين مصر واسرائيل حول التسوية الجزئية في سيناء . ولم يعرف شيء بعد عسن نتائج هذه الوساطة الجديدة والمفاجئة .

أخيرا هناك بعض التفصيلات التي لا بد من الاشارة اليها بسرعة وهي تتلخص بالنقاط التالية : (١) برزت حملة قوية داخل مجلس الشيوخ الامريكي استهدفت الاتفاق الذي جرى التوصل اليه بين الحكومة الامريكية والملك حسين لتزويد الاردن بـ ١٤ بطارية من صواريخ هوك المضادة للطائرات بالاضافة الى مجموعة اخرى من الاسلحة ذات الطابع الدفاعي . وقد سحب فورد عرضه بتزويد الاردن بهذه الاسلحة مما حدا بالسلطات الاردنية التهديد بالسعي للحصول على الاسلحة المطلوبة من « مصادر اخرى » . (٢) في منتصف شهر تموز شنت اجهزة الاعلام السوفياتية حملة قوية على الصحف المصرية متهمة اياها بتعمد تشويه سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط واثارة النعرات المناوئة ضد السوفيات في الاوساط العربية . واتهم الجانب السوفياتي الصحافة المصرية « بالانضمام الى جوقة الدعاية الامبريالية والصهيونية » . على سبيل المثال أعربت البرافدا عن استياء الاتحاد السوفياتي من تعليقات الصحف المصريسة التي تتعمد التشكيك بقيمة التعاون الاقتصادي المصري السوفياتي مذكرة بدور الاسلحة السوفياتية وأهميتها في حرب تشرين ١٩٧٣ وفي بنيان القوة العربية الحالية . (٣) طلبت الحكومة الكندية من هيئة الامم تأجيل انعقاد المؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة الذي كان سينعقد في تورنتو . والسبب وراء هذا الطلب رغبة مراقبين عن منظمة التحرير حضور المؤتمر . الا ان لجنة المؤتمرات في الامم المتحدة رفضت الطلب الكندي وقررت نقل مقر المؤتمر من تورنتو الى جنيف وعقده في التاريخ المحدد له سابقا.

(٣) المناطق المحتلة

عدا عن تواصل النضال العسكري الفلسطيني في المناطق المحتلة طوال سنوات الاحتلال السابقة، برزت في السنوات الاخيرة ـ على وجه التحديد ـ اشكال نضالية هامة تعتمد على المبادرات الجماهيرية واشراك اوسع الفئات الشعبية في النضال ضد الاحتلال ومقاومة سياساته البغيضة . وما تشهده المناطق المحتلة في هذه الايام من تكثيف وتصعيد للكفاح المسلح ، ما هو الا نتيجة طبيعية لتحسس الجماهير الرازحة تحت الاحتلال لمسؤولياتها الوطنية ، بعد ان نزلت الى مواجهة المحتلين في الشارع عبر المظاهرة والاعتصام والاضراب والمسيرات وغيرها من طرائق النضال المتبعة .

لقد جاء تعدد اشكال النضال في السنوات الاخيرة بعد ان ظل لسنوات يقتصر على الكفاح المسلح كشكل نضالي وحيد ، تطورا هاما في مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني بحيث اتسع المجال لكافة ابناء الشعب للمساهمة في دحر الاحتلال عبر اشكال النضال المتاحة .

وشهدت المناطق المحتلة في الفترة الاخيرة مثلين بارزين في هذا المجال . الاول هو الاعتصام عن الطعام الذي اعلنه الموقوفون الاداريون في سجون الاحتلال وتضامن المعتقلين السياسيين معهم . وقد الهب الاعتصام هذا اعمق المشاعر لدى الجماهير الفلسطينية ليس داخل الوطن المحتل فحسب وانما خارج الوطن . والثاني الاجراء الذي اقدمت عليه سلطات الاحتلال بتقسيم الحرم الابراهيمي في الخليل بحيث اصبح جزء من الحرم يخص اليهود واخر للمسلمين . وقد اثار هذا الاجراء الاحتلالي بدوره اعمق المشاعر لدى ابناء الشعب الفلسطيني وقاد ردود فعل واسعة شملت كافة مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة وامتدت الى ردود فعل رسمية على الصعيد العربي .

اضراب المعتقلين عن الطعام

اعلن المعتقلون الاداريون في سجن نابلس اضرابا مفتوحا عن الطعام احتجاجا على مواصلة سلطات الاحتلال الاسرائيلية توقيفهم لمدة تزيد عن السنة دون ان تقدمهم الى المحاكمة . وفي اليوم الذي بدأ فيه المعتقلون اضرابهم قام وفد يمثل امهات وذوي المعتقلين الاداريين في مدينة نابلس بمقابلة الحاكم العسكري للمدينة ، وقدم له مذكرة حول استمرار توقيف ابنائهن دون تقديمهم للمحاكمة . وقد جاء في المذكرة كما نشرتها صحيفة الشعب (٧٥/٧/١١) التأكيد على النقطتين التاليتين :

١ ـ لقد مضى على المعتقلين مدة تقارب الخمسة عشر شهرا وانه خلال هذه المدة كان جواب السلطات المعنية عن تكرار المراجعات بشأن المعتقلين ان التحقيق لم ينته بعد .

٢ ـ « ان بقاء ازواجنا وابنائنا داخل السجن لا يخدم السلام في هذه المنطقة على الاطلاق . ولا شك ان السلام القائم على العدل هو رغبتنا ورغبة الكثيرين من ابناء الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي » .

وفي الوقت الذي اخذت فيه سلطات الاحتلال تتكتم خبر اعتصام المعتقلين واضرابهم عن الطعام، كان خبر هذا الاعتصام يسري بين كافة ابناء الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة . واخذت ردود الفعل تتوالى من مختلف المناطق والاتجاهات .

ففي يوم ٧٥/٧/١٧ اعتصم في دار البلدية بنابلس وفد من امهات وزوجات المعتقلين الاداريين في سجن نابلس المركزي . واجتمعن مع السيد عادل الشكعة نائب رئيس البلدية للمطالبةبمساعدة ابنائهن الذين يواصلون اضرابهم عن الطعام منذ ثمانية ايام . وجاء في معرض مطالبتهن بتدخل البلدية قولهن « اننا نطالب ان ندخل نحن وعائلاتنا السجن مع اقاربنا المعتقلين او ان يتم اطلاق سراحهم » . وحملن الامم المتحدة وسكرتيرها العام مسؤولية ما سيحدث لابنائهن وازواجهن المعتقلين . وناشدن الصليب الاحمر بالعمل السريع على اطلاق سراح الموقوفين . وكان وفد من هؤلاء النسوة قد اجتمع قبل ذلك مع رئيس البلدية في

نابلس الحاج معزوز المصري وطالبته التدخل في الموضوع . فقدمت البلدية على اثر ذلك طلب السماح لوفد من المجلس البلدي بالاجتماع مع وزير الدفاع الاسرائيلي او الحاكم العسكري العام للضفة الغربية لدراسة هذا الموضوع . غير ان المجلس البلدي الى ذلك الحين لم يتلق ردا على طلبه هذا (الفجر ١٨/٧/١٩٧٥) .

وعندما دخل اضراب الموقوفين يومه العاشر اتصل مكتب المحامية فليتسيا لانغر بالصليب الاحمر الدولي لطلب تدخله في الامر . فكان جواب الصليب بان المضربين يتلقون جرعات من الطعام السائل بصورة قسرية .

وقد اوردت صحيفة الشعب كشفا باسماء الموقوفين الاداريين المضربين عن الطعام موزعا على عدة سجون هي كما يلي :

١ ـ سجن كفار يونا : يعقوب فراج ، فاروق السلفيتي ، محمد ابو غربية ، الشاعر خليل توما . وقد جددت مدة توقيفهم ٦ أشهر اخرى بعد ان مضى على اعتقالهم حتى ذلك التاريخ ١٥ شهرا .

٢ ـ سجن الخليل : عطاالله رشماوي ، محمد سعادة ، عبد المجيد حمدان . جدد لهم في ٢٠/٧/١٩٧٥ لمدة ستة اشهر اخرى بعد ان مضى على اعتقالهم ١٥ شهرا . اما خليل رشماوي وداود نصر فقد جدد لهما التوقيف لمدة ثلاثة اشهر من التاريخ نفسه بعد ان مضى على توقيفهما ١٠ اشهر . اما مصطفى ابو سنينة وسالم جابر فلم يعرف المصير الاداري لكل منهما . وكذلك الامر لم يعرف مصير الموقوفين الاداريين من قطاع غزة وهم : محمد عاشور ، زويد العجة ، عياد العابدة ، زويد عليان ، عثمان ابو عيسى .

٣ ـ سجن رام الله : خضر العالم ، عبدالله البعيرات ، عبد الحميد ابو الحمص ، عبد الريماوي ، تيسير العاروري ، غسان حرب ، عدنان داغر ، حسين الطويل ، صلاح زهران ، عادل برغوثي ومحمد برغوثي . ولم يعرف المصير الاداري لهؤلاء جميعا .

٤ ـ سجن نابلس : خلدون عبد الحق ، عباس عبد الحق ، لبيب فخر الدين ، الدكتور فرحان ابو ايل ، عبد الباسط الخياط ، جمال فريتخ ، راجح غنيم ، احمد دحلول ، زهير عمرة ومحمد بغدادي . (الشعب ٢٢/٧/١٩٧٥) .

وعلم فيما بعد ان سلطات الحكم العسكري جددت اعتقال الموقوفين الاداريين في سجن نابلس لمدة ستة اشهر اخرى ابتداء من ٢٠/٧/١٩٧٥ بعد ان مضى على اعتقالهم اكثر من خمسة عشر شهرا . (الفجر ٢٣/٧/١٩٧٥) .

الا ان تجديد فترة التوقيف لم يوقف المعتقلين عن مواصلتهم الاضراب عن الطعام . وقد نشرت « الفجر » بتاريخ ٢٦/٧/١٩٧٥ انهم ما زالوا مضربين عن الطعام الامر الذي ادى الى تدهور صحتهم . وقد ادى ذلك الى قيام الهيئات النسائية والنقابات المهنية والاندية والغرف التجارية بتقديم مذكرة احتجاج على استمرار الاعتقال وتجديده وطالبت بالافراج عنهم او تقديمهم الى المحاكمة .

وانتقل اعتصام زوجات وامهات واخوات المعتقلين المضربين عن الطعام في سجون اسرائيل الى بناية المجلس الاسلامي بالقدس يوم ٢٩/٧/١٩٧٥ . وقد اصدر رئيس الهيئة الاسلامية نداء الى وزير الشرطة طالب فيه بتدخله السريع للبت في مصير هؤلاء المعتقلين والافراج عنهم . وورد في النداء كما نشرته صحيفة الفجر يوم ٣٠/٧/١٩٧٥ « ... لقد اعتصمت هؤلاء السيدات في بناية المجلس الاسلامي يوم امس لذلك فانني اطالب بتدخلكم السريع . امل ان امس النتائج الحاسمة للبت في مصير هؤلاء المعتقلين والافراج عنهم » . وقد بعث رئيس الهيئة الاسلامية بنسخ عن هذا النداء الى كل من وزير الدفاع الاسرائيلي والحاكم العسكري العام للضفة الغربية ومدير مكتب جمعية الصليب الاحمر الدولي .

من ناحية اخرى قدم رئيس بلدية نابلس احتجاجا الى الحاكم العسكري بعد ان منعت السلطات مقابلة الاهالي لذويهم المعتقلين بعد مضي حوالي عشرين يوما على اضرابهم وبعد ان ساءت صحة العديدين منهم ونقلوا الى المستشفيات . (الفجر ٣١/٧/١٩٧٥) . غير ان وزير الدفاع الاسرائيلي لم يستجب لنداء رئيس بلدية نابلس باطلاق سراح الموقوفين الاداريين او محاكمتهم بصفة عاجلة . (الشعب ٥/٨/١٩٧٥) . وفي وقت لاحق ذكرت

وكالة الصحافة الفرنسية ان المعتقلين الاداريين الذين بدأوا اضرابا عن الطعام في سجن نابلس قد وافقوا في صباح يوم ١٩٧٥/٨/٦ على وضع حد لاضرابهم الذي بدأ منذ يوم ١٩٧٥/٧/١١ . وقالت الوكالة ان وقف الاضراب قد تم بعد وعد قدمه شمعون بيرس وزير الدفاع الاسرائيلي الى رئيس بلدية نابلس بان تعيد اللجنة الخاصة بحث حالة المعتقلين خلال ١٥ يوما .

وخلال فترة اضراب الموقوفين عن الطعام ، واضافة الى التضامن الشامل معهم من قبل جماهير الارض المحتلة ، امتدت الحملة التضامنية هذه لتشمل مناطق التجمعات الفلسطينية خارج الارض المحتلة . ففي عمان دعت لجنة الدفاع عن المعتقلين الى اعتصام في مقر لجنة انقاذ القدس ، وطير المجتمعون برقيات احتجاج من هناك الى الامم المتحدة والهيئات الدولية المعنية .

وفي بيروت دعت لجنة الدفاع عن المعتقلين والاتحادات الشعبية الفلسطينية الى اعتصام في مقر الامم المتحدة حيث ابرقت ايضا الى المؤسسات الدولية المعنية ببرقيات احتجاج على مواصلة العدو لسياساته التعسفية ضد ابناء الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وخاصة المعتقلين منهم .

وفي دمشق كذلك دعت منظمة التحرير الفلسطينية الى مؤتمر صحفي اعلنت فيه تضامنها مع المعتقلين ونددت بسياسات الاحتلال وفضحت اساليبه ومحاولاته لترويض الجماهير الفلسطينية وقهر ارادتها الوطنية .

تهويد الحرم الابراهيمي

منذ مدة طويلة ومحاولات العدو وخاصة مستوطنيه في كريات اربع تتواصل للاستيلاء على الحرم الابراهيمي واضرحة الانبياء في مدينة الخليل . واستطاع المستوطنون اليهود من خلال التأييد الرسمي لهم من قبل سلطات الاحتلال اقامة الشعائر الدينية في الحرم في بادىء الامر ، ثم اخذوا رويدا رويدا بالاستيلاء على جانب من الحرم لاقامة الشعائر والصلوات فيه ، كما خصصوا ركنا منه للاحتفاظ بمكتبة دينية .

غير ان محاولات اليهود للاستيلاء على الحرم الابراهيمي تصاعدت في الفترة الاخيرة، حيث رفعوا المذكرات واقاموا المظاهرات والاعتصامات ، واكثروا من التعديات على المصلين المسلمين . وكانت اخر محاولة لهم في هذا النطاق الاعتصام الذي بدأه عدد من المستوطنين اليهود في الحرم الابراهيمي يوم ١٩٧٥/٧/٢٦ ولم تخرجهم منه الا قوات الشرطة في اليوم التالي . وفي يوم ١٩٧٥/٧/٣١ قام وزير الدفاع الاسرائيلي بزيارة للخليل وللمستوطنة المجاورة كريات اربع حيث اطلع من المستوطنين على رغبتهم في الاستيلاء على الحرم الابراهيمي وتوسيع المستوطنة وبناء الحي اليهودي في الخليل . وفي الجلسة التالية للحكومة عرض وزير الدفاع مقترحاته لتقسيم الحرم الابراهيمي فاقرت الحكومة اقتراحه . وصدر بيان رسمي اذاعه وزير الاديان الاسرائيلي يقول ان « التدبير الجديد يقوم على مبدأ التساوي في الحقوق دون تمييز » (ر.ا.ت. ١٩٧٥/٨/٧) .

ولقد كان لهذا الاجراء الاسرائيلي بدوره اوسع اثر واعمقه لدى الجماهير الفلسطينية داخل الوطن المحتل وخارجه . ففي الضفة الغربية قامت البلديات بارسال برقيات احتجاج الى وزير الدفاع على ذلك الاجراء .

لم يتوقف الاحتجاج بالطبع عند رفع المذكرات وبرقيات الاحتجاج سواء من البلديات او المجلس الاسلامي الاعلى في القدس ، بل امتد ليشمل قطاعات واسعة من الجماهير الشعبية . ففي مدينة الخليل قام المصلون الذين ادوا صلاتهم يوم ١٩٧٥/٨/٩ في الحرم الابراهيمي نفسه ، بمظاهرة عنيفة في شوارع الخليل احتجاجا على سلطات الاحتلال واجراءاتها المتعلقة بالحرم . وقد اعلن التلفزيون الاسرائيلي في حينه ، ان قوات الشرطة التي تدخلت لتفريق المتظاهرين بالقوة اوقفت ٢٠ متظاهرا ، وان عدة اشخاص اصيبوا بجراح اثناء تبادل المتظاهرين الحجارة مع رجال الشرطة والسيارات العسكرية الاسرائيلية ، وقالت وكالة الصحافة الفرنسية التي اوردت الخبر ، ان المصلين توجهوا من الحرم الى ساحة البلدة وهم يهتفون بشعارات معادية لاسرائيل ، وان عدة مئات من المواطنين انضموا اليهم ، الامر الذي دفع سلطات الاحتلال الى ارسال جنود اضافيين الى مدينة الخليل بعد ان تصاعد التوتر فيها على اثر الاشتباك والاعتقالات .

واوردت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) فيما بعد تقريرا من الضفة الغربية جاء فيه ، ان قرى ومدن الضفة تستعد لاعلان الاضراب يوم ١٥/٨/ ١٩٧٥ بعد صلاة الجمعة ، وذلك احتجاجا على قرار سلطات الاحتلال المتعلق بالحرم الابراهيمي . وقال التقرير ان الدوائر العسكرية الاسرائيلية تعرب عن خشيتها في ان تتحول التظاهرات التي ينظمها المواطنون الفلسطينيون الى تحركات مشابهة للانتفاضة التي حدثت عشية عرض القضية الفلسطينية في الدورة التاسعة والعشرين لهيئة الامم المتحدة. كما تخشى الدوائر الاسرائيلية من تصعيد الموقف وتطويره الى ما أسمته « باضرابات خطيرة » . وقالت (وفا) ان المجلس الاسلامي الاعلى في القدس اصدر اوامره الى جميع ائمة المساجد والخطباء بتخصيص خطبة الجمعة لموضوع « التدنيس » . كما اقترح عدد من اعيان الضفة الغربية القيام بمسيرة الى الخليل والتظاهر امام الحرم الابراهيمي .

وذكرت صحيفة معاريف الاسرائيلية ان المسؤولين عن الامن استدعوا اعيان الضفة الغربية وابلغوهم بان قوات الامن لن تسمح باي خروج على النظام العام .

واضاف تقرير « وفا » يقول ان الانباء الواردة من الضفة الغربية تؤكد ان جو القلق والتوتر يسود مدن الضفة الغربية وان سلطات الاحتلال اتخذت اجراءات امن مشددة لمواجهة التحرك الشعبي المتوقع تعاظمه ، كما حذرت المواطنين من المشاركة في الاضراب المقرر وحذرت التجار من اغلاق محلاتهم والا تعرضوا لاقصى العقوبات.

وكما سبق ان ذكرنا فان ردود الفعل تعددت نطاق الضفة الغربية لتشمل مختلف الجماهير والمؤسسات الفلسطينية والعربية خارج الوطن المحتل .

ففي عمان بعث رئيس الوزراء الاردني ببرقيات احتجاج على الاجراء الاسرائيلي الى الامم المتحدة، كما دعت الحكومة الاردنية الى عقد اجتماع عاجل لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، وبعثت بطلبها هذا الى الامين العام للمؤتمر الاسلامي بجدة . وقام الامين العام للمؤتمر الاسلامي باتصالاته مع الدول الاسلامية فقر الرأي على عقد اجتماع للجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر والمكونة من ١٣ دولة عربية واسلامية .

وفي القاهرة بعثت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بناء على طلب الاردن الى الدول العربية الاعضاء بمذكرات تتضمن طلب الحكومة الاردنية عقد مؤتمر طارىء لوزراء خارجية الدول الاسلامية كما تطالب باتخاذ موقف عربي موحد لدعم الطلب الاردني . وتلقى رئيس الحكومة الاردنية برقية من الامين العام للمؤتمر الاسلامي يقترح فيها عقد اجتماع تمهيدي عاجل للاعداد لمؤتمر وزراء الخارجية في العاصمة الاردنية . فوافقت الحكومة الاردنية على الاقتراح . الا ان منظمة التحرير الفلسطينية ابلغت الامين العام للمؤتمر الاسلامي رفضها عقد اجتماع لجنة القدس في عمان وطالبت بعقد الاجتماع في دمشق او القاهرة او جدة ،وذلك بسبب موقف النظام الاردني من مقررات الرباط . فتقرر اخيرا عقده في جده يوم ١٨/٨/١٩٧٥ .

تدهور صحة المطران كبوجي

اوردت الاذاعة الاسرائيلية يوم ٢٨/٧/١٩٧٥ نبأ نقلته عن طبيب عربي من القدس زار المطران كبوجي في سجنه مؤخرا فقالت : « ان كبوجي يعاني من خطر الاصابة بالشلل اذا ما بقي سجينا » . وبعد ذلك بايام قليلة اوردت صحيفة الضفة الغربية ان المطران قد اعلن اضرابا عن الطعام ابتداء من يوم ٢/٨/١٩٧٥ ، احتجاجا على المعاملة السيئة التي يلقاها في المعتقل ، حيث يعيش في زنزانة ضيقة رطبة لا يدخلها النور بعيدا عن بقية المعتقلين السياسيين .

ونشرت صحيفة الشعب يوم ٧٥/٧/٢٩ تقريرا عن صحة المطران وضعه المحامي علي زاهر الذي قام بزيارة المطران بناء على تكليف من بطريركية الروم الكاثوليك بالقدس . وجاء في التقرير ان المحامي توصل الى الحقائق التالية :

١ ــ لا تزال حالة المطران الصحية تدعو الى القلق ولا تزال رجلاه متورمتان ويشعر بالم في ظهره بالعمود الفقري . ورغم مرور اسبوع على التقرير الذي وضعه الطبيب الاخصائي انطوان طرزي وجاء فيه بان المطران مهدد بالشلل اذا لم يعالج بسرعة ، ورغم ان التقرير سلم الى طبيب السجن كوهن الذي درس الطب في الجامعة

الكاثوليكية في بيروت ، فانه لم يجر للمطران تصوير باشعة اكس ولم يتوفر له العلاج اللازم .

٢ ــ لا يزال المطران يعيش في غرفة الممر ... ولا يسمح له بالبقاء مع السجناء السياسيين العرب الموجودين في القسم رغم مطالبته بوضعه معهم .

٣ ــ كتب المطران عدة رسائل الى ادارة السجون العامة والى ادارة سجن الرملة شارحا وضعه الصحي ومحملا اياهم مسؤولية تدهور صحته ولم يتلق اي جواب حتى التاريخ المذكور .

٤ ــ يطالب المطران بنقله حتى يكون مسجونا في دير كما تقتضي القوانين الكنسية او حتى في اي بيت خاص اسوة مثلا برئيس عصبة الدفاع اليهودي الذي تم سجنه في نيويورك قبل عدة اشهر .

٥ ــ بعد الاطلاع على الخبر الذي نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت يوم ١٩٧٥/٧/٢٨ على رأس صفحتها الاخيرة وتدعي فيه على لسان المطران بان صحته جيدة وليست له اية ادعاءات ، تبين ان هذا الخبر مليء بالتلفيق والكذب . فالمطران لا يعيش مع السجناء السياسيين العرب ولم يجر ان استقبلهم في مقابلة خاصة كما تدعي الصحيفة الاسرائيلية ، وهو موجود في غرفته طوال الليل والنهار عدا ساعتين ونصف الساعة في الصباح . وهو ليس حرا في التجوال طوال اليوم كما تدعي الصحيفة . والمطران ليس هو الذي اختار غرفة الممر كما تدعي الصحيفة ، بل انه طالب صراحة بنقله منها ، وانه لا يقوم بالتمارين الرياضية وصحته لا تسمح له بذلك قطعيا . كما ان الصحيفة تضرب عرض الحائط بالتقرير الطبي الذي وضعه طبيب اخصائي وتدعي صراحة بان هذا التقرير والنشر المجدد عن صحة المطران ما هو الا جزء من حملة واسعة تستهدف اطلاق سراحه . ومع ان قضية اطلاق سراحه قضية هامة ويطالب جميع الوطنيين باطلاق سراحه فعلا وذلك من قبل ان يصاب بهذه الامراض الخطيرة . الا ان الامر الهام اليوم هو ان يعالج المطران وعلى جناح السرعة (الشعب ١٩٧٥/٧/٣١) .

وقد ادى تواتر الانباء عن تدهور صحة المطران كبوجي في السجن الى قلق شعبي عام وخوف على حياته . وقد زاد هذا القلق التقرير الطبي الذي نشرته الصحف والذي يشير الى ان المطران اصبح مهددا بالاصابة بالشلل العام . وقد وردت هذه المشاعر عبر مطالبة تقدم بها رؤساء بلديات بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا الى سلطات الاحتلال للافراج الفوري عن المطران المعتقل والذي يقضي محكومية مدتها ١٢ عاما .

عيسى الشعيبي

(٤) اسرائيليات

تزايد احتمالات توقيع اتفاقية جديدة في سيناء

تميزت التصريحات والتعليقات الاسرائيلية ، في الاسبوع الاخير من الشهر الماضي ، حول امكانية التوصل الى تسوية جزئية اخرى في سيناء بالتشاؤم . ولكن في الاسبوع الاول من الشهر الحالي حدث العكس وتحولت النغمة الى التفاؤل المشوب ببعض الحذر . وظهر اكثر من دليل على ان المفاوضات بين مصر واسرائيل تقترب من مرحلة التوصل الى اتفاق .

ففي ٧٥/٧/٢٤ رفضت اسرائيل على لسان رئيس حكومتها خارطة مصر « المضسادة » ، التي اعتبرت ردا على خارطة اسرائيل « الاخيرة » ، والتي كانت قد قدمت لمصر في ٧٥/٧/١٤ . ولكن رغم ذلك استمرت المفاوضات ، وفي ٧٥/٧/٢٨ سلم السفير الاميركي هرمان ايلتس الحكومة المصرية خارطة اسرائيلية « ثانية » . وفي ٧٥/٨/٣ نقل السفير ايلتس الرد المصري الى فورد وكيسنجر في بلغراد حيث كانا هناك ، بعد أن حضرا مؤتمر هلسنكي . وفي ٧٥/٨/٥ نقل السفير الاسرائيلي في واشنطن سمحه دينتس الرد المصري الى حكومته ، وعلى الاثر اجتمع الفريق الوزاري المفاوض (رابين ، آلون ، بيريس) في مكتب رئيس الحكومة بتسحاق رابين في تل ابيب ، بتاريخ ٧٥/٨/٧ ، لمناقشة الرد المصري . وذكرت مصادر حكومية بعد الاجتماع لمراسل اذاعة اسرائيل للشؤون السياسية ، شالوم كينال ، ان « الموقف المصري يقترب من نواح عديدة حتى من الموقف الاسرائيلي نفسه » (ر.أ.أ. ، ٧٥/٨/٨).

دلائل توحي بقرب عقد اتفاق

نشرت اجهزة الاعلام الاسرائيلية خلال الاسبوعين الماضيين المزيد من التفاصيل والتعليقات حول نقاط الخلاف والالتقاء في المقترحات المضادة والايضاحات والاستيضاحات المتبادلة ، بين الطرفين المصري والاسرائيلي ، حول التسوية الجزئية في سيناء . ورغم الحذر الذي يميز التصريحات الاسرائيلية حول امكانية عقد الاتفاق ، رغم الحديث عن ان الخلافات ما زالت قائمة بين الطرفين حول نقاط حيوية ، ظهرت في الايام الاخيرة عدة دلائل توحي بأن عقد الاتفاق بات قريبا وبعد أن صرح رابين في حزيران الماضي ، ان المفاوضات حول تسوية جزئية في سيناء قد تستمر لمدة نصف سنة اخرى ، أعلن وزير الدفاع بيريس في ٧٥/٧/٢٩ ان « المفاوضات حول تسوية جزئية دخلت مراحلها الاخيرة . واذا لم تنجح هذه المفاوضات الان فسيكون من الصعب ان تبقى على قيد الحياة » (دافار ، ٧٥/٧/٣٠) .

وفي ٧٥/٨/١٠ صرح رابين نفسه في المؤتمر الصحفي الذي عقد في ختام زيارة الرئيس المكسيكي اتشيفريا الى اسرائيل ان تقدما قد احرز في الاسابيع الاخيرة في المفاوضات حول تسوية جزئية في سيناء ، رغم انه « ما زالت هناك فروق في مواقف الطرفين يجري العمل على ازالتها » (را ، ٧٥/٨/١١) .

ولوحظ ان التصريحات الرسمية والتعليقات الصحفية الاسرائيلية كانت تستعمل سابقا تعبير « هوة واسعة » بدلا من تعبير « فروق » الذي تستخدمه حاليا .

وكان احد المعلقين في صحيفة دافار شبه الرسمية قد ذكر ان « هناك دلائل على اننا وصلنا الى المحطة الاخيرة في مفاوضات التسوية الجزئية ، وهو ما وجد تعبيرا عنه في التصريحات الاخيرة الصادرة عن الفريق الاسرائيلي المفاوض ... ان الوضع الحزبي اليوم يمكّن من المصادقة على المقترحات الاخيرة للحكومة الاسرائيلية » (حغاي ايشد — دافار ، ٧٥/٨/١) .

وذكرت المصادر الاسرائيلية ، اثناء انعقاد مؤتمر هلسنكي ، ان فورد وكيسنجر « يظهران نبرة جديدة من التفاؤل حول امكانية عقد اتفاقية جزئية في سيناء » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٨/٤) . وأعلن أيضا ان الولايات المتحدة « وافقت للمرة الاولى منذ فشل مهمة كيسنجر في اذار

الماضي على دعوة وفد رسمي اسرائيلي الى واشنطن للتباحث في مسائل العون الامني والاقتصادي لاسرائيل » (هآرتس ، ٧٥/٨/٤). وكانت اجهزة الاعلام الاسرائيلية قد نشرت سابقا ان الولايات المتحدة اشترطت هذه الدعوة بنجاح التسوية الجزئية . وقد سافر هذا الوفد فعلا الى الولايات المتحدة في ٧٥/٨/١٠ (را ، ١١ /٧٥/٨) .

وذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان مباحثات الوفد الاسرائيلي في واشنطن ستشتمل على موضوع تمويل اقامة خط دفاعي جديد ، بعد الانسحاب من سيناء ، وعلى تعويض اسرائيل عن خسارة نفط حقول ابو رديس (المصدر نفسه) .

وبالاضافة الى الدلائل المذكورة ، هناك دلائل اخرى منها حديث المصادر الاسرائيلية عن عزم الدكتور كيسنجر القدوم الى المنطقة في ٧٥/٨/٢٠، وذلك بعد ان أعلن سابقا انه لن يحضر الى المنطقة الا اذا وصلت احتمالات النجاح في تحقيق تسوية جزئية الى نسبة ٩٠ ٪ . ومن ناحية ثانية، ذكر مراسل صحيفة هآرتس في واشنطن ان اسرائيل « وافقت على فكرة قبول التسوية الجزئية مقابل عدم طردها من الامم المتحدة » (دان مرغليت — هآرتس ، ٧٥/٧/٢٩) . ومن المعروف ان موقف مصر من هذا الموضوع في مؤتمر كمبالا ينسجم مع هذه « الفكرة » . ومن بين الدلائل التي قد تشير الى قرب احتمال الوصول الى تسوية جزئية ، ان اجهزة الاعلام الاسرائيلية وصفت الرد المصري الاخير ، الذي نقله السفير ايلتس في ٧٥/٨/٣ الى كيسنجر في بلغراد ، على انه « مخفف » ، على الرغم من ان هذه الاجهزة نقلت عن الاهرام تصريحا للرئيس السادات ، صدر بعد ذلك الرد ، مفاده انه لم يحدث اي تغيير في الموقف المصري وان مصر لن توافق على عقد اتفاق بدون الانسحاب من الممرات وابو رديس واجيروزاليم بوست ، ٧٥/٨/٥) .

ولعل من دلائل قرب التوصل الى اتفاق ايضا، ان كتلة ليكود المعارضة طلبت في ٧٥/٨/١٠ عقد اجتماع عاجل للكنيست الاسرائيلي على الرغم من عطلته الصيفية ، لمناقشة موضوع التسوية الجزئية مع مصر . وقد وجهت هذه الدعوة بعد اجتماع الحكومة الاسرائيلية الذي قدم فيه كلا من رابين وبيريس والون تقارير حول اخر ما وصلت اليه المفاوضات حول هذا الموضوع . وكانت الحكومة قد اصدرت في نهاية الاجتماع بيانا اعلنت فيه أن « الفريق المفاوض سيستمر في المفاوضات » (را ، ٧٥/٨/١١) . وذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان رئيس الحكومة سيجتمع في اليوم التالي (٧٥/٨/١١) بلجنة الخارجية والامن في الكنيست ، لتقديم تقرير حول الموضوع . وعلم ان كتلة ليكود طلبت عقد الاجتماع العاجل بحجة « عدم تزويدها بمعلومات موثوقة » حول اخر التطورات بشأن التسوية الجزئية (المصدر نفسه) .

اقتراحات مصر قبل « التخفيف »

نشرت المصادر الاسرائيلية مزيدا من التفاصيل حول « خارطة مصر » المقدمة في ٧٥/٧/٢٤ ، وهي الخارطة التي رفضتها اسرائيل « في مجملها » ، ثم قيل انها « خففت » من قبل مصر في ردها الذي نقله السفير الاميركي ايلتس الى كيسنجر في ٧٥/٨/٣ .

وذكر احد المعلقين ان اسرائيل رفضت الخارطة المصرية للاسباب التالية : (١) ان خط الانسحاب الاسرائيلي في الخارطة المصرية اعمق من الخط الذي اقترحته اسرائيل . (٢) خط الحدود داخل المنطقة العازلة الذي اقترحته مصر اعمق الى جهة الشرق مما اقترحته اسرائيل، (٣) يضع الاقتراح المصري علامات سؤال حول مسألة نقاط المراقبة سواء من حيث مواقعها او من يشغلها ، فمصر ترفض وجود اسرائيليين فيها وتوافق على وجود اميركي محدود هناك (يهوشاع طيرة — هآرتس ، ٧٥/٧/٢٧ .

وقال معلق اخر ان مصر ، في اقتراحها الاخير، ترفض التواجد الاميركي في اجهزة الانذار وتريد تعميق خط الانسحاب الاسرائيلي نحو الشرق ، بينما تريد تقديم خط تقدم جيشها نحو الاتجاه نفسه (حفاي ايشد — دافار ، ٧٥/٧/٢٧) .

وذكر مراسل في واشنطن ان مصر « لا تريد فقط انسحاب الجيش الاسرائيلي الى الشرق ولكنها تريد ايضا تقديم جيشها ، ليس فقط في كل المنطقة العازلة القائمة حاليا الى مسافة كبيرة الى الشرق

منها » (شموئيل سيفف ــ معاريف ، ٧/٣١/ ٧٥) .

واضاف مراسل اخر ان مصر تسعى لتحقيق ما يلي : (١) توسيع الممر البري من خليج السويس الى حقول ابو رديس اكثر مما اقترحت اسرائيل ، وهذا يعني انسحابا اسرائيليا مسافة ٧ ــ ١٥ كم من الخليج . (٢) الانسحاب مسافة ٤٠ كم في شمال سيناء ، وهذا ما اقترحته اسرائيل في اذار الماضي ، ولكنها تراجعت عنه لانها اقترحت ذلك في هينه ، مقابل السيطرة على نصف الممرات. (٣) واغفت مصر على تواجد فنيين اسرائيليين فقط في ام خشيبه ، اما نقاط المراقبة الاربعة الاخرى فوافقت على أن يكون فيها اميركيون فقط (دان مرغليت ــ هآرتس ، ٧٥/٨/١) .

وتسب البعض (اريئيل غيناي ــ يديعوت احرونوت ، ٧٥/٨/١) الى مصر مجموعة اخرى من الطلبات ، منها تقديم قواتها مسافة ٨ كم الى الشرق من المنطقة العازلة القائمة حاليا ، وبحيث تحدد هذه المنطقة في الممرات بشكل لا يمكن معه الدفاع عن مطار رفيديم ، ويضعف الخط الدفاعي الاسرائيلي بكامله. اما بالنسبة لاجهزة الانذار فتريد مصر بقاء محطة انذار واحدة في ام خشيبه تحت العلم الاميركي ، بدون ان يشترك في تشغيلها خبراء اسرائيليون ، بل فقط عدد محدود من الخبراء الاميركيين . واما محطات المراقبة المصرية الثلاث في الممرات فتريد مصر ان يشغلها المصريون وحدهم .

ولكن المصادر الاسرائيلية ، على أي حال ، لا تتحدث عن « التجفيف » الذي طرأ على موقف مصر الاخير .

خارطة اسرائيلية بعد « الاخيرة »

بالرغم من ان اسرائيل اعلنت ان مقترحاتها المقدمة الى مصر في ٧٥/٧/٤ هي « الاخيرة » ، فقد تبين انها لم تكن الاخيرة فعلا ، اذ ان مقترحات جديدة قدمت بعدها . وعلق على ذلك مراسل في واشنطن بقوله ان اسرائيل كانت قد أعدت خارطتين في آن واحد ، الاولى للمساومة وتقترح انسحاب القوات الاسرائيلية حتى مسافة ٥ كم من الطرف الشرقي للممرات . ولما رفضت مصر هذه الخارطة قدمت لها الخارطة الثانية التي تقترح انسحابا اسرائيليا اعمق (دان مرغليت ــ هآرتس ، ٧٥/٧/٢٨) .

واما بخصوص مدى عمق هذا الانسحاب الاسرائيلي في الخارطة الثانية ، فقد ذكر أن الفريق الاسرائيلي المفاوض وافق على أن تبقى القوات الاسرائيلية في مساحة عمقها ١٫٥ كم في ممر الجدي، واخرى عمقها ٣٠٠ م فقط في ممر المتلا (يوسف حاريف ــ معاريف ، ٧٥/٨/١) .

اخطاء رابين

في معرض الحديث عن تغير الخرائط الاسرائيلية وجه نقد الى رئيس الحكومة يتسحاق رابين واتهم انه وقع في اخطاء اوجبت تعديل المقترحات التي قدمها الى واشنطن . فقد ذكر احد المراسلين ان رابين اخطأ عندما التقى مع الرئيس فورد ووافق على تقدم القوات المصرية في المنطقة العازلة حاليا مقابل بقاء القوات الاسرائيلية في جزء من الممرات، «الامر الذي عرض رابين الى نقد شديد في القدس»، لان تقدم القوات المصرية لا يعني فقط أن مصر ستربح ١٠ كم بل سيكون ذلك بمثابة الغاء لمبدأ نزع سلاح كل منطقة تخليها اسرائيل ، وسيكون سابقة في المستقبل . واضاف المراسل « ان رابين اضطر بعد ذلك ان يرسل مستشاره العسكري افرام بوزان الى واشنطن سرا لتعديل الخارطة التي كان قد اقترحها .. وفي هذه الخارطة [الجديدة] طلبت اسرائيل البقاء في مناطق واسعة في الممرات ، ولكن الولايات المتحدة رفضت تسليم هذه الخريطة الى مصر » (دان مرغليت ــ هآرتس ، ٧٥/٨/١) . واعلن البعض ان الولايات المتحدة تضغط بشدة على اسرائيل وتقول « ان السادات تعب من المماطلة الاسرائيلية » (المصدر نفسه) .

وانتقد احدهم يتسحاق رابين لانه اخطأ في تقدير الرئيس فورد ، اذ عندما اقترح وزير الدفاع شمعون بيريس التواجد الاميركي في اجهزة المراقبة رد رابين ان الولايات المتحدة لن توافق على ذلك . وبناء عليه ، قرر ان يقترح خارطة انسحاب « كريمة » بشرط ان يتواجد خبراء اميركيون في اجهزة المراقبة ، ظنا منه أن الولايات المتحدة سترفض الاقتراح ، ولكنه اكتشف ــ بعد فوات الاوان ــ ان « فورد مستعد لان يدفع غاليا

مقابل عقد اتفاق التسوية الجزئية » (شموئيل سيفف ــ معاريف ، ٧٥/٨/٣) .

واشارت مصادر معينة ان بعض الوزراء ، وخاصة يسرائيل غليلي (عضو كتلة احدوت هعفوداه في حزب العمل) يتحفظ على الوجود الاميركي في أجهزة المراقبة وذلك لاعتبارين : (١) الخشية من أن يصبح ذلك مجرد سابقة ، فيطلب الشيء نفسه من اسرائيل في حال الانسحاب في الجولان او في الضفة الغربية ، مقابل وضع قوات مراقبة اميركية (يوسف حاريف ــ معاريف، ٧٥/٨/١) . (٢) « اذا كان الاتراك قادرون على طرد الاميركيين ، واذا كان الفيتناميون قد فعلوا ذلك ، فان العرب قادرون على طردهم من أي مكان يوضعون فيه » (اوري دان ــ معاريف ، ٧٥/٧/٣١) .

غير أن رابين تعرض للنقد لاسباب اخرى ايضا، لخصت على النحو التالي : (١) صرح للتلفزيون الاسرائيلي انه يرفض المقترحات المصرية قبل أن يسلم السفير سمحا دينتس رد اسرائيل عليها الى كيسنجر ، وبهذا خلق الانطباع لدى الرأي العام الاميركي ان اسرائيل عنيدة . (٢) في الوقت الذي قال فيه كيسنجر في احاديث خاصة ان اسرائيل تخلت عن معظم شروطها ، صرح رابين ان الاتفاق لن يتم الا بالمفاوضات المباشرة ، وهذا ايضا قوى الانطباع حول تصلب اسرائيل . واما السادات فيرفض بدون ان يقول « لا » ، مما يظهره كمعتدل . لذلك يجب ان يستبدل رابين في مجال التصريحات بالون وبيريس ، اللذين يقولان الشيء نفسه بلغة اكثر ايجابية . (٣) اخطأت حكومة اسرائيل عندما تنازلت ووافقت على قبول التسوية مقابل عدم طردها من الامم المتحدة ، وكذلك (٤) عندما تنازلت عن مبدأ جعل كل منطقة تخليها منزوعة السلاح (دان مرغليت ــ هآرتس ، ٧٥/٧/٢٩) .

الخلاف الداخلي مستمر

يفهم من التعليقات والانباء الواردة من اسرائيل ان الخلاف الداخلي هناك حول قبول او رفض التسوية الجزئية لا يزال قائما ، ليس بين الكتل والاحزاب فقط ، بل بين اعضاء الحزب نفسه في الكتلة نفسها وهو موجود ايضا بين وزراء الحكومة الائتلافية . ويعتقد بعض المراسلين ان الفريق الاسرائيلي المفاوض لن يحصل على موافقة اكثرية الوزراء على اقتراحاته اذا «تمادى» في التنازلات (يوئيل ماركوس ــ هآرتس ، ٧٥/٨/٤) . والاراء ليست موحدة في المعراخ (حزب العمل ــ حزب مبام) ، ولا في حزب العمل نفسه وحتى ليس داخل الكتل الثلاث التي يتألف منها . فعلى سبيل المثال ، ينتمي كل من يسرائيل غليلي ويغئال الون الى كتلة احدوت هعفوداه في حزب العمل ، ولكن الاول يوصف بانه « صقر » بينما يوصف الثاني على أنه « حمامة » . وفي كتلة ليكود المعارضة حاول بعض الاعضاء القياديين في حزب الاحرار دفع الكتلة الى التخلي عن المبدأ الذي تبناه وهو « لا انسحاب بدون معاهدة سلام » ولكنهم فشلوا . وذهب احدهم ، وهو النائب ابراهام كاتس « الى حد الحديث عن امكانية اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية » (شلومو نكديمون ــ يديعوت احرونوت ، ٧٥/٨/١) ، وفي معسكر المتدينين يقال ان جماعة « حمائمية » تعمل على تنظيم نفسها لتكون وزنا مضادا لجماعة ايمونيم المتطرفة . واما القوى السياسية التي تطلق على نفسها اسم « معسكر السلام » ، والتي تمثل جانبا صغيرا من المجتمع الاسرائيلي ، مثل جماعة ياعد وموكيد و« بقايا » حركة حقوق المواطن وهاعولام هازيه ، وغيرها ، فتنشط من اجل الموافقة على التسوية الجزئية وتنادي بالحل الشامل المتمثل باقامة دولة فلسطينية والانسحاب مقابل الاعتراف باسرائيل . وفي ٧٥/٧/٢٧ عقد بعض هؤلاء ندوة في بيت سوكولوف في تل ابيب اشترك فيها كلا من البروفيسور يشعياهو ليبوفيتش واوري افنيري والجنرال المتقاعد يوسف جيفع ، فدعا الاول الدول الكبرى لفرض حل في المنطقة « لان ذلك هو الحل الوحيد الكفيل بمنع حدوث كارثة في الشرق الاوسط » (هآرتس ، ٧٥/٧/٢٨). كذلك طالب افنيري باقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بينما طالب الجنرال جيفع بالانسحاب مقابل السلام (المصدر نفسه).

أما بالنسبة للرأي العام الاسرائيلي فقد اجرت صحيفة يديعوت احرونوت (٧٥/٨/١) استقصاءا اظهرت نتيجته ان ٤٥٫٨ ٪ ، من بين الذين اشتركوا في الاستفتاء ، يؤيدون التسوية الجزئية

القائمة على أساس وقف اطلاق النار لمدة ٣ــ٤ سنوات وموقع اسرائيلي في السفوح الشرقية للممرات واستمرار الدعم الاميركي . واما نسبة المعارضين فكانت ٢٩ر٥ ٪ . وقد عارض الوجود الاميركي في اجهزة المراقبة ٤٤ر٥ ٪ ووافق عليه ٣٩ر١ ٪ . ولم يكن لدى الباقين رأي بخصوص الموضوعين .

ومن الجدير بالذكر ان ابا ايبن وزير الخارجية السابق ، وهو من قادة مباي في حزب العمل ، دعا مؤخرا الى وجوب التوصل الى تسوية جزئية في سيناء ، « لان السؤال الان ليس ما هو حسن وما هو شر بالنسبة لنا ، بل السؤال ما هو اهون الشرين ؟ اننا نشبه شخصا قفز من الطائرة ولا يستطيع العودة لها ، والمهم هو الوصول الى الارض بدون كسر اعضاء الجسم » (معاريف ، ٧٥/٨/٤) .

استمرار التطلع الى الاتحاد السوفييتي

منذ بدأ الحديث عن « ضغوط » اميركية تمارس على اسرائيل لحملها على الموافقة على تسوية جزئية في سيناء ، ارتفعت من حين لآخر اصوات تدعو الى اشراك السوفييت ايضا في التسوية ، حفاظا على مصالح اسرائيل وخشية ان « تنفرد » اميركا بها . وعلق بعضهم على الموقف الاسرائيلي بقوله : « ان سياسة اسرائيل تهدف الى تأجيل الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ . واحدى الطرق لتجميد مسألة الحدود النهائية هي ايجاد طريق لاشراك السوفييت ايضا في المرحلة الحالية من التسويات الجزئية ، وتمكينهم من تجديد العلاقات الدبلوماسية معنا . ان الولايات المتحدة ستفرض علينا ان آجلا او عاجلا الاشتراك السوفييتي في حل الازمة ، ولكن عندها لن نستفيد من التواجد السوفييتي . لذلك يجب علينا اقتراح وضع قوات سوفييتية ــ اميركية بالاضافة الى قوات الامم المتحدة في اطار التسويات الجزئية مع مصر وسوريا (حفاي ايشد ــ داڤار ، ٧٥/٨/٤) .

وكان معلق اخر قد اشار قبل ذلك الى هذا الموضوع بقوله : « ان سياسة اسرائيل هي التوصل الى تسوية جزئية بهدف الاستقرار ومنع الحرب في السنوات القليلة القادمة . ومن يريد ذلك عليه ان يعلم ، انه يجب ان تكون هناك تسوية جزئية موازية مع سوريا باشتراك السوفييت النشط . ان التسوية مع مصر مرهونة بالولايات المتحدة وبها مرهون العون العسكري والاقتصادي ، [ولكن] هناك ثلاثة اشياء مرهونة بالاتحاد السوفييتي وهي : الحرب والسلام والهجرة ... ان الاميركيين يعلمون ان الوضع قد يتردى الى انفجار جديد بدون تسوية مع سوريا برعاية سوفييتية وبدون تقدم نحو الحل الشامل ... والتسوية الجزئية في سيناء هي مصلحة اميركية ليس اقل مما هي مصلحة مصرية ، واكثر مما هي مصلحة اسرائيلية »... (هليل دانتسيغ ــ داڤار ، ٧٥/٨/١) .

وقسم البعض دول الشرق الاوسط الى « ركيزتين : الركيزة الجنوبية وهي ركيزة الولايات المتحدة المؤلفة من القاهرة ــ الرياض ــ طهران ، والركيزة الشمالية وهي السوفييتية ، المؤلفة من سوريا والعراق بالاضافة الى م.ت.ف. ... واسرائيل تقف بين الركيزتين المتنافستين ، ولذلك عليها أن تحافظ على مكانة متوازنة بينهما بقدر الامكان وخاصة بين الدولتين الكبيرتين الوصيتين عليهما ، فهذا قد يحسن وضعنا في المنطقة ، وقد يحسن امكانيات الهجرة الى اسرائيل ... » (المصدر نفسه) .

سوريا بعد مصر

رغم ان الجهود مركزة الان على التسوية الجزئية مع مصر ، يستفاد من التصريحات والتعليقات الاسرائيلية انه من غير المستبعد ان تكون الخطوة التالية ، في حال نجاح التسوية في سيناء ، اجراء مفاوضات مع سوريا بهدف الوصول الى تسوية مماثلة في الجولان . وقد صرح وزير الدفاع بيريس انه « بعد التوصل الى اتفاق حول التسوية الجزئية مع مصر سنأخذ اسرائيل في الحسبان تسوية جزئية مع سوريا ، تضمن لاسرائيل السيطرة على المرتفعات الاستراتيجية ، وبدون ان تعرض المستوطنات للخطر » (جيروزاليم بوست ، ٧٥/٨/٥) .

وصرح وزير الخارجية السابق ابا ايبن « ان كل من يعتقد ان الهدوء سيسود في المنطقة بعد تحقيق اتفاق حول تسوية جزئية مع مصر سيكون واهما ، لانه بعد هذا الاتفاق ستبقى كل اسس

الخلاف مع العالم العربي على ما كانت عليه » (معاريف ، ٧٥/٨/٤) . وقد قال ايبن ذلك في معرض دعوته للتوصل الى تسوية جزئية في سيناء .

وفي الوقت نفسه واصلت اجهزة الاعلام الاسرائيلية الحديث عن انه بعد عقد الاتفاق مع مصر » سيكون هناك ضغط على اسرائيل من اجل الانسحاب في الجولان » (يهوشاع حلميش — داغار ، ٧٥/٧/٢٨) .

يوسف حمدان

[٢]

مخطط جديد لمصادرة الاف الدونمات من الاراضي العربية تنفيذا لسياسة تهويد الجليل

صادقت الحكومة الاسرائيلية ، قبل اكثر من شهرين ، على خطة رئيسية لاعادة توزيع السكان اليهود في اسرائيل ، الذين يفترض ان يصل عددهم بموجبها الى خمسة ملايين نسمة في سنة ١٩٩٢، منهم ٤ر١٨٠ر٠٠٠ من اليهود . اما المبدأ الموجه لهذه الخطة فهو خفض عدد السكان اليهود في مركز البلد وزيادتهم في الشمال والجنوب ، وخاصة في القدس (معاريف ، ٧٥/٥/١٩) . والبند الرئيسي في هذه الخطة هو تهويد منطقة الجليل ، التي تعيش بها اكثرية عربية حتى الان ، وذلك بواسطة مصادرة المزيد من اراضي العرب هناك واقامة المستوطنات اليهودية عليها . وبحسب هذه الخطة ستزيد نسبة السكان اليهود في الجليل بالمقارنة مع مجموع سكان اسرائيل اليوم من ٧ر٩ ٪ او ٤ر١٢ ٪ في سنة ١٩٩٢ ، بحيث تصبح نسبتهم في تلك السنة ٥٩ ٪ من سكان الجليل . ويفترض ان يكون أساس الزيادة ، بحسب الخطة، في الجليل الغربي ، حيث تبلغ نسبة السكان اليهود هناك ٣٧ ٪ فقط ، بحيث يتوقع ارتفاع هذه النسبة الى ٤٧ ٪ . كذلك تطرقت الخطة الى وضع الناصرة العليا ، التي يفترض ان يصل عدد سكانها ، في سنة ١٩٩١ ، الى ٤٤ الف يهودي (المصدر نفسه) .

ليست هذه هي الخطة الاولى التي تضعها المؤسسات الاسرائيلية لتهويد واستيطان الجليل، فقد سبقها عدة خطط ومشاريع — منها ما نفذ ومنها ما بقي حبرا على ورق حتى هذا اليوم ، الا ان المميز لها هو أنها تعبر عن الموقف الرسمي للحكومة الحالية تجاه مسألة تهويد الجليل، التي أصبحت قضية الاستيطان الاولى ، داخل اسرائيل، التي تتبناها كل حكومة جديدة منذ عهد اشكول . «فقد بدأت قصة تهويد الجليل منذ مطلع الستينات، وكان احد الاشخاص البارزين الذين دعموها ليفي أشكول ، رئيس حكومة اسرائيل انذاك » (ملحق داغار ، ٧٥/٣/١٤) . اما السبب الرئيسي في اثارة هذه المسألة ، في الماضي والحاضر ، فهو وجود اقلية يهودية في الجليل ، مقابل اكثرية عربية ، بالمقارنة مع مجموع كل من السكان اليهود والعرب في اسرائيل . « ففي سنة ١٩٦١ وصل عدد سكان الجليل الى ٢٣٧ الف نسمة وبلغت نسبتهم بين مجموع السكان في اسرائيل ٥ر١٥ ٪ ، بينما وصل عددهم في سنة ١٩٧٢ الى ٤٧٣ الف نسمة ، ولكن نسبتهم بين سائر السكان انخفضت قليلا . اما نسبة اليهود سكان الجليل فقد انخفضت من ٥٨ ٪ الى ٥٢ ٪ [خلال هذه الفترة] . وقد نجحت فقط كرميئيل والناصرة العليا ومغدال هاعيمك في زيادة عدد سكانها ، اما باقي المستوطنات فما زالت تتعثر في مكانها اكثر من عشر سنين . أي ان هناك خطرا على وجود اكثرية يهودية في الجليل . ويتساءل بعض الاشخاص وبينهم رئيس قسم الاستيطان في المنظمة الصهيونية ، الدكتور رعنان فايتس ، كيف يمكن تجنب خطر ان يصبح

الجليل بمثابة [امتداد] لجنوب لبنان اكثر من كونه شمال اسرائيل بعد بضع سنوات ؟ » (المصدر نفسه) .

وتحدث وزير الاسكان الاسرائيلي ابراهام عوفر (في حديث مع ملحق دافار ، ١٩٧٤/٩/١٣) عن سياسة حكومته ازاء مسألة تهويد الجليل ، قائلا : « ليس سرا ان رغبة الحكومة تتمثل في وجود اكثرية يهودية في كل منطقة من مناطق البلد. وبالنسبة للوضع في الجليل فان نسبة سكانه اليهود تصل اليوم الى ٥٤ ٪ مقابل ٤٦ ٪ من العرب . واذا لم نخصص اهتماما كبيرا لزيادة ومضاعفة عدد السكان في هذه المنطقة ، فهناك خوف كبير من أن يتحول [المستوطنون اليهود] خلال زمن قصير الى اقلية بين سكان الجليل ، وذلك بسبب التكاثر الطبيعي بين السكان العرب » . ويواصل عوفر حديثه قائلا : « يجب علينا مضاعفة عدد السكان اليهود في الجليل الذين يبلغ عددهم اليوم نحو ربع مليون شخص ، لكي يصل الى نصف مليون خلال عشر سنين » . كذلك اشار عوفر الى انه ينوي تقديم مشروع بناء الى الحكومة للمصادقة عليه ، يرتكز على مضاعفة نسبة البناء في الجليل وزيادتها من ١٢ ٪ الى ٢٥ ٪ في السنة ، من مجموع اعمال البناء في كافة انحاء اسرائيل (ومن الجدير بالذكر ان وزير الاسكان عوفر يصنف كـ « حمامة » ويعارض الاستيطان في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧) . وقبل اعلان عوفر هذا بنحو شهرين ، اعلن مدير قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية يحيئيل ادموني ، ان الوكالة وضعت خطة لاسكان ١٥ الف عائلة في الجليل خلال السنوات الخمس المقبلة ، واقامة ٦ — ٧ مستوطنات جديدة في المنطقة (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٧/١٤) .

المشاكل الامنية والاقتصادية والاجتماعية تعيق خطط تهويد الجليل .

يتزايد الحديث بعد كل عملية فدائية في الجليل، خاصة من قبل المسؤولين الاسرائيليين عن اهمية تهويد الجليل ، « ففي كل مكان في شمال البلد تعرض له المخربون ، قدم وزراء ورؤساء مؤسسات واعضاء كنيست ، ووعد الجميع بتقوية الاستيطان في الجليل . وفي كل مكان طالب رؤساء السلطات المحلية باضافة مساكن ، واقامة مصانع ، وفي الاساس زيادة عدد السكان من اجل تقوية المستوطنات ، خاصة مستوطنات الحدود »(يهودا اريئيل — هآرتس ، ٧٥/٧/١١) . غير انه يبدو ان هذه التصريحات والوعود لم تجد نفعا ، ولم تردع الكثير من اليهود عن ترك الجليل والتوجه للسكن في مناطق اخرى في اسرائيل اكثر امانا ، الامر الذي تتجنب مختلف وسائل الاعلام في اسرائيل نشره . وعندما تتجرأ وتقوم بذلك ، تكتفي بالاشارة الى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية محاولة الايحاء كأن هذه المشاكل هي السبب الوحيد وراء عملية النزوح هذه . وقد جاء في الانباء بعد عملية كريات شمونه (الخالصة) ان عددا من العائلات قد نزحت عن هذه المستوطنة . واعلن ابراهام الوني رئيس بلدية كريات شمونه في ذلك الحين ، ان نحو ١٥٠ عائلة قد نزحت من المستوطنة خلال ثلاثة اشهر ، ومعظمها من العائلات القديمة في المكان ، الا ان النائب يوسي ساريد ، وهو من سكان البلدة ،اعلن أن عدد العائلات النازحة يصل الى ٥٠٠ عائلة . « ويعتقد ساريد ان المشكلة الامنية والخوف من عمليات الفدائيين ، تقلق سكان كريات شمونه » (هآرتس، ١٩٧٥/٢/٣) .

ومن ناحية ثانية ، من الواضح ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، وخاصة مشاكل السكن والعمل والتعليم ، تؤثر على عملية تهويد الجليل. وتختلف حدة هذه المشاكل بين مستوطنة واخرى في الجليل ، بحسب نوعية السكان اليهود واصلهم . « ومن ناحية عملية يواجه المخططون ثلاثة قضايا أساسية تتطلب الحسم : (١) كيف يمكن تأمين عمل لعشرات المستوطنات الزراعية في جبال الجليل ، خاصة لسكان الجيل الثاني في هذه المستوطنات ، الذين لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على الزراعة كمصدر لاعالتهم ، بسبب النقص في الارض والمياه . (٢) كيف يمكن جذب السكان الى بعض مدن الاعمار التي تعاني من نزوح المثقفين واصحاب الكفاءات ، وتجمع [العائلات التي تعيش] على الاعانات الاجتماعية . (٣) كيف يمكن اضافة مستوطنات في الاماكن الخالية ، من اجل خلق استمرارية اقليمية من الاستيطان المدني والزراعي في الجليل كله » (يوفال

اليتسور ـ معاريف ، ١٨/٥/١٩٧٥) . ويعمل المسؤولون عن الاستيطان في الجليل ، على ايجاد حلول لهذه القضايا بواسطة تنشيط البناء ، وايجاد حلول لمشاكل التعليم ، واضافة وحدات زراعية الى المستوطنات ، ثم اقامة صناعات مختلفة لايجاد اماكن عمل للسكان اليهود . الا انه يبدو ان تلك الحلول لم تكن كافية . فبالنسبة لمشاكل السكن « جرى مؤخرا بحث بين ادارة وزارة الاسكان وبين رؤساء مدن الاعماز في الجليل ، بشأن زيادة البناء في الشمال . ودار الحديث خلال هذا البحث حول زيادة نسبة البناء التي تخصصها وزارة الاسكان للجليل من ١٦٪ الى ٣٢٪ ... كذلك كانت وزارة المعارف والثقافة قد وعدت منذ سنين بتقوية شبكة التعليم في الجليل بواسطة احضار معلمين جيدين ، يمكنهم السكن في المنطقة نفسها . الا انه لم يحدث تقدم في هذا الموضوع ، وربما بسبب مشاكل السكن » (يهودا اريئيل ـ هآرتس ١١/٧/١٩٧٥) . اما بالنسبة لاقامة المصانع ، « فقد بدأت تظهر في معلوت ، شلومي ، كرمئيل ومحانايم المباني الصناعية ، وينتظر انتقال المصانع اليها . ولكن هل ستتوفر لها الطاقة البشرية الكافية للانتاج ، او انه سيتكرر ما حدث في مصنع جيبور (للجوارب) في معلوت ، الذي اقيم من اجل سكان معلوت ، ويعمل فيه اساسا ابناء القرى العربية . واية قيمة ستكون لهذه المصانع اذا لم يمكن خبراؤها في المنطقة ؟ » (المصدر نفسه) .

تهويد الجليل على حساب مصادرة الاراضي العربية

تعتزم الحكومة الاسرائيلية القيام بجولة جديدة من مصادرة الاراضي العربية ، لاقامة مستوطنات جديدة عليها او لتسليمها للمستوطنات القائمة لتوسيع رقعة اراضيها ، بهدف تنفيذ خططها الخاصة بتهويد الجليل . وعلم ، عند البحث في عمليات المصادرة المقترحة ، ان الجنرال المتقاعد مئير زوريا مدير مديرية عقارات اسرائيل ، اضطر مؤخرا الى فض جلسة لجنة مصادرة الاراضي القطرية التي يرئسها والتابعة لوزارة المالية ، وذلك على اثر خلاف شديد بين المديرية وبين مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية شموئيل طوليدانو ، حول حجم المصادرة (معاريف ودافار ، ١٦/٦/١٩٧٥) . « ونظرا لفض الجلسة فان الموضوع سيحال على الحكومة لاتخاذ قرار بشأنه » . وذكر ان « الخلاف نابع من المخطط الجديد الذي وضعته مديرية عقارات اسرائيل لمصادرة الاف الدونمات من الاراضي [العربية] ، خصوصا في منطقة الناصرة العليا وكرمئيل وصفد ، من اجل تطوير هذه المدن ضمن مخطط استيطان الجليل . وفي الجلسة التي جرى فضها ، اكد زوريا انه لا يمكن تنفيذ مخطط استيطان الجليل بدون مصادرة اراض . اما طوليدانو فقد رد عليه بقوله ان مصادرة الاراضي بالحجم الذي قررته مديرية عقارات اسرائيل ، ستكون له انعكاسات سياسية واقتصادية بعيدة المدى . لذلك لا يحق لهذه اللجنة ان تقرر في هذا الامر الذي هو من اختصاص الحكومة » . وتقرر بالتالي احالة امر المصادرة الى الحكومة (المصدر نفسه) . كذلك وقع خلاف بين اعضاء كتلة المعراخ في الكنيست اثر البحث في موضوع مصادرة الاراضي في الجليل . وقد اشار وزير المالية ، الذي اشترك في النقاش ، الى ضرورة تنفيذ المصادرة ، واضاف انه بعد الانتهاء من وضع الخطة بكاملها في وزارة المالية والحكومة ، ستعرض ايضا على كتلة المعراخ في الكنيست . ويبدو ان التخوف من ردة فعل السكان العرب في الجليل ، كان مصدر تحفظ بعض المشتركين في النقاش على مخطط المصادرة (دافار ، ١٦/٦/١٩٧٥) .

وعلم ، من جهة اخرى ، ان القرى العربية التي ستتعرض اراضيها للمصادرة هي الرينة ، كفركنا ، دير حنا ، يانوح ، كسرى ، سخنين ، عرابة ، جولس وبركا وغيرها ، وتقع معظم هذه القرى في وسط الجليل . وتقدر مساحة الاراضي التي تعتزم السلطات مصادرتها بخمسة الاف حتى عشرة الاف دونم ، « رغم ان المطلوب في هذه المرحلة هو نحو ٣٠ الف دونم » لتنفيذ خطة تهويد الجليل باكملها (تسفي البليخ ـ دافار ، ٣١/٧/١٩٧٥) . ويظهر ان هناك هدفين لعملية المصادرة هذه ، اولهما توسيع الاستيطان اليهودي في الجليل ، وثانيهما ، نقل بعض المصانع العسكرية من مركز البلد الى مناطق بعيدة في الشمال ، ثم توسيع مشاريع صناعية قائمة واقامة مناطق وقرى صناعية جديدة (المصدر نفسه) .

ومن المعروف ان السلطات الاسرائيلية كانت قد صادرت في الماضي مساحات كبيرة من الاراضي التي يملكها العرب ، تنفيذا لسياسة تهويد الجليل . فبعد حرب ١٩٥٦ صادرت السلطات نحو ١٢٠٠ دونم من اراضي الناصرة لاقامة مدينة الناصرة العليا عليها ، وكذلك صادرت في سنة ١٩٦١ نحو ٢٠٠٠ دونم من الاراضي الغربية الواقعة في سهل البطوف والتابعة لقريتي عرابة وسخنين ، لاستعمالها في مشروع تحويل مياه نهر الاردن . وفي اواخر السنة نفسها صادرت مساحاته ٥١٠٠ دونم من الاراضي التابعة لقرى دير الاسد والبعنة ونحف الواقعة في مركز الجليل على الطريق الرئيسية عكا — صفد ، وذلك لاقامة مدينة كرميئيل عليها . وهذا عدا عن الاراضي التي استولت عليها اسرائيل خلال حرب ١٩٤٨ وبعدها، ثم صادرتها ، من معظم القرى العربية في الجليل. ويبدو ان الحكومة الحالية ماضية في سياسة المصادرة هذه ، رغم ما اثارته في الماضي من سخط واستنكار شديدين بين العرب .

وفي اطار تقوية الاستيطان في الجليل ، اعلن ايضا ان وزارة الزراعة وقسم الاستيطان في الوكالة اليهودية قد شنا مؤخرا حملة قوية « للقضاء على وباء تأجير الاراضي والبساتين [من قبل اليهود] للبدو والفلاحين العرب في الجليل الغربي » « معاريف ، ١٩٧٥/٧/٣ » . وقد اعلن مدير قضاء الجليل في الوكالة اليهودية اهرون نحماني ان دائرته ارسلت تعميمات لجميع المستوطنات تحذرهم بها « بأن تأجير الاراضي الوطنية للعرب وتسليمهم البساتين من اجل تظليها وتسويقها يعارض القانون وانظمة المؤسسات الموطنة والحركات الاستيطانية » . وكانت حكومة اسرائيل قد عملت في السابق على سن قانون يمنع المستوطنين اليهود من تأجير اراضيهم للعرب او السماح لهم باستغلالها ، تحت طائلة مصادرة حقوقهم في تلك الاراضي . ووصف اعضاء بعض المستوطنات في الجليل ، الذين يعارضون تأجير الارض للبدو والعرب في الجليل الغربي ، هذه الظاهرة ، الشائعة في الاساس في منطقة طبريا وضواحيها ، بانها خلقت « منطقة استيطان للعرب » ، وانها ظاهرة « سلبية جدا » يمكن ان تضر بالاستيطان اليهودي في الجليل ، واشاروا الى ان هذه الظاهرة تتمثل في تأجير الاف الدونمات في الجليل للبدو والعرب من قريتي سخنين وعرابة (المصدر نفسه) . وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه الاراضي كانت ملكا لابناء هذه القرى نفسها في الماضي .

محاولة اعادة اهالي قريتي اقرت وكفر برعم الى بيوتهم

في الوقت الذي يدور فيه الحديث حول مخطط مصادرة جديد للاراضي العربية ، بدأت ترد الاخبار حول احتمال سماح الحكومة الاسرائيلية بعودة اهالي قريتي اقرت وكفر برعم الى قراهم . وكانت قوات الجيش الاسرائيلي قد طردت اهالي القريتين من منازلهم بعد احتلال قراهم سنة ١٩٤٨، ولا زالوا يعيشون كلاجئين في القرى المجاورة في الجليل ، خاصة في قريتي الجش والرامة . ان قصة نضال اهالي هاتين القريتين للسماح لهم بالعودة الى منازلهم معروفة منذ قيام اسرائيل ، وخاصة خلال حكم غولدا مئير . الا ان طلباتهم هذه كانت ترفض دائما . وكانت الحكومة السابقة قد اتخذت قرارا في شهر تموز ١٩٧٢ يقضي بعدم السماح لاهالي القريتين بالعودة الى منازلهم ، لان ذلك سيؤدي الى خلق سابقة خطيرة في اسرائيل ، بسبب وجود الكثير من القرى التي هجرها سكانها في سنة ١٩٤٨ ، والذين لا زالت اعداد منهم تعيش في قرى اخرى داخل فلسطين مثل سخماتا ، البروة ، الكويكات ، عين حوض ، وام الزينات وغيرها . ويبدو ان هناك اتجاها داخل الحكومة الحالية يطالب بالسماح لهؤلاء العرب بالعودة الى قراهم ، بشرط ان يتخلوا عن المطالبة باراضيهم التي كانوا يملكونها قبل قيام اسرائيل ، والتي سلمت للمستوطنات المجاورة . ويدعم هذا الاتجاه نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية الاسرائيلي يغئال الون ، الذي قدم مشروع قرار الى الحكومة يقضي بالموافقة على عودة سكان القريتين . « ولكن هذا القرار ينطبق فقط على اولئك الذين لم يستوطنوا حتى الان بصورة متفق عليها مع الاوساط الحكومية » (رأ١ ، ١٩٧٥/٧/٢٦) . وهناك مشروع قرار اخر ، وهو مشروع الوزيرين موشي كول وشلومو روزن ، يدعو الى السماح لعرب اقرت وكفر برعم بالعودة الى القريتين ، دون اية شروط

مسبقة . ومع ان الحكومة لم تتخذ حتى الان قرارا رسميا بشأن اعادة اولئك السكان يظهر ان هذا القرار اصبح شبه مؤكد ، بعدما اقتنعت الحكومة على ما يبدو بأنهم لا يشكلون « خطرا على الامن » ، وان عودتهم لا يمكن ان تخلق سابقة في اسرائيل . وقد علق مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، شموئيل طوليدانو ، على هذه المسألة بقوله : « هناك حديث عن ٢٢ قرية مهجورة ، قد يطالب سكانها السابقون بالعودة اليها . والواقع انه لا توجد ٢٢ قرية مهجورة على غرار اقرت وكفر برعم ... اذ ان معظمها قد دمر كليا ، وفي جزء منها مساكن لليهود ومستوطنات يهودية ، وليس بالامكان المقارنة بين قرية اقرت او كفر برعم وبين قرية ابيدت ولم تعد قائمة وسكانها غير موجودين . هناك ٦ — ٧ قرى من هذا النوع فقط ، اي انها لا تزال قائمة وسكانها يعيشون في اسرائيل » (المصدر نفسه) .

اما بالنسبة لموقف اهالي القريتين فيبدو انهم موافقون على العودة الى قراهم والتخلي عن اراضيهم . وعلق احد سكان كفر برعم ، ايوب مطانس (في حديث مع داغار ، ١٩٧٥/٧/٣١) على هذا الاقتراح بقوله « اننا نعرف ان اراضينا (١٢ الف دونم بحسب قوله) قد وزعت بين الكيبوتسات والمستوطنات في المنطقة لذا لن نستطيع الاعتماد على الزراعة ، لذلك ، يجب الا تخشى هذه المستوطنات والكيبوتسات من سلبها الاراضي التي تقوم بزراعتها ... سننشيء قرية سكنية تعتمد على الصناعة البسيطة ، خاصة وان معظم سكانها مقاولون وعمال بناء او موظفون ... » . الا ان هذا الوعد من جانب الاهالي ، بعدم المطالبة باراضيهم ، لم يقنع على ما يبدو جميع سكان المستوطنات اليهودية المجاورة ، مثل شومره ، زرعيت ، ابن مناحم وغورين ، الذين اجتمعوا من اجل البحث في الخطوات التي ينبغي عليهم اتخاذها لمنع عودة اهالي القريتين (هآرتس ، ١٩٧٥/٧/٣١) . وعلم ان شركة مكوروت للمياه قد قامت بمد خط انابيب مياه لقريتي اقرت وكفر برعم بتصديق من مكتب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، الامر الذي اثار غضب سكان المستوطنات المجاورة (داغار ، ١٩٧٥/٨/١) .

امتصاص نقمة العرب

يبدو ان هناك تفسيرين لموقف الحكومة الاسرائيلية التي قد تسمح بعودة اهالي قريتي اقرت وكفر برعم ، بعد نضالهم الطويل الذي استمر بدون انقطاع منذ قيام اسرائيل . والتفسير الاول هو ان السلطات ترغب في امتصاص نقمة السكان العرب في الجليل على عملية المصادرة المتوقعة ، التي ستؤدي بدون شك الى اثارة موجة من السخط والاستنكار بين العرب في اسرائيل ، والى تأزم في العلاقات القائمة بينهم وبين السلطات الاسرائيلية ، الامر الذي يخشاه المسؤولون عن القطاع العربي .

اما التفسير الثاني فهو ان الحكومة الاسرائيلية لم تعد قادرة على معارضة طلب سكان القريتين ، الذين كسبوا تأييدا كبيرا بين الرأي العام ، وداخل الكنيست ايضا ، بحيث لا تستطيع تجاهل هذه القضية بعد الان كما فعلت الحكومات السابقة .

حنه شاهين

[٣]

اسرائيل تنشط لاحباط محاولات طردها من الامم المتحدة

تصدر موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، خلال الاسبوعين الماضيين ، العناوين الرئيسية ونشرات الاخبار والتعليقات ، والتصريحات الرسمية وشبه الرسمية في كافة انحاء العالم تقريبا . ومنذ ان اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عن نيتها في العمل على طرد اسرائيل وبادرت بنشاط ديبلوماسي واسع ، في مؤتمر جده ومؤتمر منظمة الوحدة الافريقية في كمبالا ، لم تتوقف ردود الفعل الاسرائيلية الرسمية وغير الرسمية ، وكذلك ردود الفعل العالمية المؤيدة والمعارضة ، على موقف منظمة التحرير هذا .

كان اول من حذر من خطوة م.ت.ف. في اعقاب تصريح فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، وزير الاعلام الاسرائيلي السابق اهرون ياريف الذي اعلن انه « رغم كل الشكوك التي لدي بالنسبة لمنظمة الامم المتحدة بصفة عامة ، ونظرتها لاسرائيل بصفة خاصة ، اعتقد ان طردنا من الامم المتحدة امر يتوجب علينا معارضته . لقد دخلنا الامم المتحدة كدولة ذات سيادة وكعضو متساو في الحقوق في المنظمة ، ويجب علينا الحفاظ على هذا من خلال مبدأ كوننا دولة مستقلة وذات سيادة » (را ، ١٩٧٥/٧/١٤) .

اما رئيس حكومة اسرائيل يتسحاق رابين فقد علق على هذه الخطوة بقوله ان « المقصود هو ابعاد اسرائيل عن جلسات الجمعية العمومية ، لان طردنا من الامم المتحدة يتطلب قرارا من مجلس الامن ، الذي لن يتخذ قرارا كهذا . اما اذا تبلورت اغلبية في الجمعية العمومية تؤيد تعليق عضويتنا في هذه الجمعية ، فستفقد الامم المتحدة عندئذ ما تبقى لها من هيبة كمنظمة دولية » (را ، ١٩٧٥/٧/١١) .

تهديد بنسف التسويات السياسية

على الرغم من أن قادة وزعماء اسرائيل سواء كانوا في الحكومة او في المعارضة ، يدركون تماما ان اسرائيل لم تلتزم في السابق بقرارات المنظمة الدولية ، حذر يغئال الون وزير الخارجية « انه اذا تمكن اعداؤنا العرب من تحقيق هدفهم في المساس بمكانة اسرائيل في الامم المتحدة ، فعلى شعوب العالم ان لا تنتظر منا ان نقبل هذا بصمت ، [ونتيجة لهذا] لن نكترث بقرارات الامم المتحدة ولن نتعاون معها ... كما ان تعليق عضوية اسرائيل او المساس بحقها في الجمعية العمومية ، سيكون بمثابة تعليق للامم المتحدة نفسها ، بالنسبة لما يتعلق بالتسوية في المنطقة » (معاريف ، ١٩٧٥/٧/٢٤) .

ان التهديد بنسف التسويات الجزئية ، ووقف المفاوضات مع الدول العربية ، اذا علقت عضوية اسرائيل في الجمعية العمومية ، كانت النغمة التي ركز الاسرائيليون عليها للتأثير على مواقف بعض الدول العربية المعنية بتسويات جزئية منفردة . وحول هذا الموضوع تحدث النائب شموئيل حاريش بقوله « ان تعليق عضويتنا في الجمعية العمومية سيؤدي الى وقف المفاوضات مع الدول العربية على اساس قراري ٢٤٢ و ٣٣٨ ، والغاء مؤتمر جنيف ، وعلينا ان نقنع اميركا ، بصفتها طرفا اساسيا في التسوية ، لكي توضح للعرب والدول الاخرى ، ان تعليق عضوية اسرائيل في الامم المتحدة سيؤدي الى ترك الولايات المتحدة مقعدها في المنظمة » (المصدر نفسه) .

وعلى هذا الوتر نفسه عزف ايضا يوسف تكواع ، سفير اسرائيل في الامم المتحدة سابقا والمستشار الخاص لوزير الخارجية حاليا بقوله : « بالنسبة لاحتمال انسحابنا من الامم المتحدة ، يجب ان نتساءل ما اذا كان اشتراكنا في هذه المؤسسة يثقل علينا ، وما اذا كانت عضوية اسرائيل في هذه المنظمة تعرقل خطواتنا في السياسة الخارجية ، والجواب لا ... قبل اعوام عديدة مضت كان باستطاعة الامم المتحدة ان تؤثر علينا ، او ان تضغط علينا ، اما الان فاننا لا نعتبر الامم المتحدة مؤسسة تستطيع التأثير على سياستنا الخارجية ». واقترح تكواع « تعليق موافقة اسرائيل بالتوقيع على تسوية جزئية اخرى مع مصر ، طالما لم يتم

اسقاط موضوع عضوية اسرائيل في الامم المتحدة » (رأ ، ١٩٧٥/٨/٢) .

وتطرقت بعض الدوائر والشخصيات الاسرائيلية الى الاجراءات التي ينبغي على اسرائيل اتخاذها عند طردها من الامم المتحدة او تعليق عضويتها ، فاعلن اهرون ياريف انه « لا ينبغي على اسرائيل ان تهدد باتخاذ اجراءات معينة ، واعتقد اننا مطالبون بان نشرح لماذا لا يجب ان يتم شيء من هذا القبيل لانه يناقض المبادىء التي تقوم عليها منظمة الامم المتحدة » (رأ ، ١٩٧٥/٧/١٤) .

أما يوسف تكواع فقد اقترح « انه في حال نجاح العرب بمبادرتهم يتوجب علينا ان نستغل الفرصة لتصفية بعض الحسابات . لقد فرض علينا ، مثلا ، الاطار الحالي لمؤتمر جنيف ، وهذه حقيقة تاريخية . كنا دائما نريد مفاوضات مباشرة ، وكنا دائما نعارض اشتراك الدول العربية في جبهة واحدة تقف امامنا في المفاوضات ، كما كنا نعارض دائما في الاشتراك بمفاوضات سلمية مع الدول الكبرى . واعتقد انه من الافضل ان نبدل هذه الشروط وكذلك اطار مؤتمر جنيف حيث المفاوضات مع الدول العربية . لقد فرضت علينا التسويات المتعلقة بقوات الامم المتحدة ، فاسرائيل لم تبادر بفكرة دخول هذه القوات ، كذلك ليس سيئا ان تقوم اسرائيل كنتيجة لتعليق عضويتها في الامم المتحدة باعادة ترتيب علاقاتنا مع هذه القوات » (دافار ، ١٩٧٥/٨/١) . ولسبب ما ينسى تكواع ان اسرائيل هي التي تهتم عادة اكثر من غيرها بتجديد فترات عمل هذه القوات في المنطقة .

اما النائب شموئيل تامير (من ليكود) فقد علق على امكانية طرد اسرائيل من الامم المتحدة بقوله : « ان طرد اسرائيل من الامم المتحدة هو بمثابة وضعها خارج القانون الدولي » (معاريف ، ٢٤/٧/١٩٧٥) .

لقد اطلقت التصريحات الاسرائيلية الرسمية التي اشرنا لها ، والتي تهدد بوقف المفاوضات ، في اعقاب مؤتمر جدة واستمرت طوال الفترة التي انعقد خلالها مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية في كمبالا — وركزت كلها على التهديد بوقف المفاوضات وتعليق موافقة اسرائيل على التسوية الجزئية .

ومن هنا لوحظ (كما ورد في اجهزة الاعلام الاسرائيلية) ان حماس الوفد المصري لطرد اسرائيل قد فتر في مؤتمر كمبالا ، مما جعل هذا الوفد يقدم مشروع قرار للمؤتمر بهذا الشأن قبل ان تحدد وفود الدول المشتركة فيه موقفها من مشروع قرار طرد اسرائيل الذي اقترحته م.ت.ف وتبنته ليبيا . ومشروع القرار المصري ، وان كان قد طالب بتعليق عضوية اسرائيل في الامم المتحدة ، شجع في الوقت نفسه دولا افريقية عديدة على رفض مشروع القرار الليبي ، كما شجع دولا اخرى على رفض المشروعين . وقد اعتبرت معظم الوفود مشروع القرار المصري مشروعا معاكسا .

ولاحظت صحيفة دافار (١٩٧٥/٨/٣) شبه الرسمية ان وسائل الاعلام المصرية تتخذ جانب الحذر ، بما يختص بتعليق عضوية اسرائيل ، وتحاول في الواقع ان تبرر دوافع الدول الافريقية — زائير ، غابون ، كينيا ، اثيوبيا ، ليبيريا وسيراليون — التي عارضت المشروعين في كمبالا . كما ان عددا من المعلقين المصريين ، وبينهم رئيس تحرير صحيفة الاهرام القاهرية اوضحوا يوم ١٩٧٥/٨/٢ ان هناك اسبابا وجيهة للتفكير مرتين في مشروع تعليق عضوية اسرائيل ، لان هذا قد يؤدي الى عدم التزام واحترام اسرائيل لقرارات المنظمة ، وقد يجعل اسرائيل تحصل على تأييد عالمي واسع ، او قد ينتهي الامر بفشل عربي ذريع في التصويت . ومع ذلك يقول بعض المسؤولين المصريين ان التهديد بتعليق العضوية لبقي قائما ، اذا لم تتحقق تسوية جزئية مع مصر في المستقبل القريب .

« لقد كان القرار الذي اتخذه مؤتمر كمبالا انجازا اكبر بكثير من قرار الزعماء الاشتراكيين في ستوكهولم ، ففي اوروبا اعلنت دول السوق الاوروبية المشتركة معارضتها للمشروع العربي ، اما في افريقيا فقد فشلت الدبلوماسية العربية بسبب الاختلاف حول مشروع طرد اسرائيل او تعليق عضويتها » (معاريف ، ١٩٧٥/٨/٣) .

حملة اعلامية واسعة

في اطار الحملة الاعلامية الواسعة التي تقوم بها اسرائيل لمواجهة الجهود العربية لطردها من الامم المتحدة او تعليق عضويتها فيها ، « اوفد رئيس الحكومة يتسحاق رابين يوم ١٩٧٥/٨/١

وزير الصحة فكتور شمطوف (من ميام) للقيام بجولة في عدد من دول اميركا الجنوبية وذلك لشرح موقف اسرائيل من طردها من الامم المتحدة ، ولكسب تأثير بعض هذه الدول ضد المشروع ... وسيزور شمطوف كولومبيا ، بوليفيا ، البرازيل ، اوروغواي وباراغواي » (دافار ، ١٩٧٥/٨/٣).

ولم تقتصر الحملة الاسرائيلية على ايفاد الوزير شمطوف بل شملت ايضا معظم المؤسسات والهيئات اليهودية في اميركا وبريطانيا التي اخذت تقوم باتصالات مع نواب في البرلمانات لكسب التأييد ضد مشروع الطرد او تعليق العضوية .

كذلك يبدو ان اسرائيل تنوي في اطار هذه الحملة القيام بحملة ديبلوماسية واعلامية ضد الدكتور فالدهايم ، « وذلك لتصرفه المستغرب لانه حتى الان لم يتخذ في اية مناسبة موقفا ضد المشروع العربي » (هآرتس ، ١٩٧٥/٧/٢٩) .

وعلى الصعيد الاسرائيلي الداخلي قام النائب ميخا حاريش بارسال مذكرة الى رئيس الحكومة يطالبه فيها « ان يعقد فورا جلسة للجنة السياسية للمعراخ (التجمع) لتحديد سياسة لمواجهة النوايا العربية الرامية الى طرد اسرائيل من الامم المتحدة » وجاء في المذكرة انه اذا علقت عضوية اسرائيل في الامم المتحدة فعلا بناء على طلب الدول العربية ، فان الامر يحتاج الى تغيير جوهري في سياسة اسرائيل تجاه الامم المتحدة ومؤسساتها » (هآرتس ، ١٩٧٥/٧/٢٩) .

ومن ناحية ثانية ، اجرى معهد البحوث الاجتماعية التطبيقية التابعة للجامعة العبرية في القدس استفتاء لمعرفة موقف الاسرائيليين من محاولات طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، اظهرت نتيجته ان ٦٨٪ من الذين اشتركوا في الاستفتاء « واثقون من ان الولايات المتحدة ستساعدنا في حال قيام العرب بمحاولة لطردنا من الامم المتحدة . ٥٨٪ يعتقدون انه حتى اذا ابعد الوفد الاسرائيلي من الجمعية العمومية المقبلة ، فلا ينبغي ان تنسحب اسرائيل من المنظمة . ٤٢٪ يعتقدون بوجوب الانسحاب من الامم المتحدة في مثل هذه الحالة بشكل تظاهري . ٥٢٪ يعتقدون ان طرد اسرائيل من الامم المتحدة امر مستحيل . ٢٤٪ لا يعتمدون كثيرا على دعم الولايات المتحدة . ٨ ٪ لا يعتمدون اطلاقا على الولايات المتحدة » (زا ، ١٩٧٥/٨/١) .

ان احدا لم يفاجأ بالموقف الاميركي واستخفافه بقرار مؤتمر الدول الاسلامية في جده . وبانت اسس هذا الموقف عندما أعلن « ان عددا من اعضاء الكونغرس الاميركي ينوي تقديم مشروع قرار بشأن موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة لبحثه . واعلن حتى الان ١٢٦ عضوا من الكونغرس عن تأييدهم لمشروع القرار بشأن المعارضة الشديدة لطرد اسرائيل او تعليق عضويتها ، ولا شك ان مشروع القرار الذي يدعو الولايات المتحدة لاعادة النظر في علاقاتها بالامم المتحدة في حال تعليق عضوية اسرائيل ، سيحظى بأغلبية كبيرة في الكونغرس . وقد قدم المشروع توماس اونيل زعيم الكتلة الديمقراطية ، وهي كتلة الاغلبية . وقال اونيل ان اسرائيل موفورة الحظ ، بسبب المشاعر المؤيدة لها ، ذلك انها الحليف الديمقراطي للولايات المتحدة » (زا ، ٧٥/٧/٣١) .

أما وزير الخارجية الدكتور هنري كيسنجر فقد علق على هذا الموضوع بقوله : « من المحتمل ان تتخذ الجمعية العمومية قرارا بشأن طرد اسرائيل . ثم ربط كيسنجر الموضوع باستعراض عام للتطورات التي تهدد استمرار وجود الامم المتحدة كجهاز مهمته المحافظة على السلام في العالم . واضاف انه اذا « استولت » الجمعية العمومية على صلاحيات لم تمنح لها بموجب ميثاق الامم المتحدة لتعليق عضوية او طرد دول اعضاء ، فان هذا قد يهدد وجود الامم المتحدة نفسها » (دافار ، ١٩٧٥/٧/٢٠) .

كذلك « وقع ٢٣٢ من مجموع ٤٣٥ عضوا من مجلس النواب الاميركي يوم ٧٥/٨/١ على مذكرة تحذر من طرد اسرائيل من الامم المتحدة . وقد دعت المذكرة الولايات المتحدة الى اتخاذ خطوات ضد هذا العمل ، ويعتقد ان هذه المبادرة ستحظى خلال فترة قصيرة بتأييد مائة نائب اخر . كما ان مشروع قرار سيطرح للتصويت في مجلس النواب بعد الاجازة الصيفية ، وكان المجلس قد اتخذ قرارا يشجب طرد اسرائيل من الامم المتحدة . وقدم عدد من الشيوخ اقتراحا بمنع

المساعدات المالية عن الامم المتحدة التي تطرد من بين صفوفها عضوا دائما كاسرائيل متجاوزة بهذا القانون » (هآرتس ، ٧٥/٨/٣) .

وأشارت بعض المصادر الاسرائيلية الى « ان واشنطن أبدت ارتياحها من مؤتمر كمبالا الذي لم يتبن مطالب العرب بطرد اسرائيل او تعليق عضويتها ، بل اكتفى بمناشدة الدول العربية لزيادة الضغط على اسرائيل في الامم المتحدة والمؤسسات التابعة لها ، وذلك وفقا للمشروع المصري » (المصدر نفسه) .

ردود فعل عالمية

كان للدعوة الى طرد اسرائيل من الامم المتحدة ردود فعل في كافة انحاء العالم ، كما أشرنا ، فاعلن على سبيل المثال رئيس الحكومة البريطانية هارولد ويلسون ردا على سؤال مراسل اذاعة اسرائيل « ان بلاده ستعارض طرد او تعليق عضوية اسرائيل ، وليس كما فعلت تجاه جنوب افريقيا ... » .

وعلق احد كبار موظفي وزارة الخارجية الدانماركية على الموضوع بقوله « قد يكون هذا القرار نهاية الامم المتحدة » (راا ، ٧٥/٧/٣١).

« ... ونفى مصدر فرنسي مسؤول في هلسنكي الانباء القائلة ان دول السوق الاوروبية المشتركة تندد بمحاولات طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، وقال المصدر ان هذا الموضوع لم يبحث حتى الان » (المصدر نفسه) .

وجاء في بيان رئيس حكومة السويد « ان محاولة طرد اسرائيل من الامم المتحدة ستكون مخالفة لميثاق الامم المتحدة ، كما قد يؤدي هذا الامر الى نتائج خطيرة جدا في المستقبل . واكد أن هذه الخطوة ستكون في غير صالح السلام والاستقرار في الشرق الاوسط . والتزم [رئيس الحكومة] باسم الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بالعمل على احباط المؤامرة العربية . ويعني هذا ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي تحكم في بريطانيا ، المانيا الغربية ، النروج ، هولندا ، الدانمارك والسويد ستبذل جهودا من اجل احباط المؤامرة العربية ، ولن تكتفي هذه الدول بالامتناع عن التصويت ، كما كان متبعا في الماضي ... وهذا الامر قد يحول دون ركوب السوفييت العربة العربية ، خاصة بعد ان ظهر من موقف الوفد المصري انه ضد طرد اسرائيل » (دافار ، ٧٥/٨/٣) .

وأعلنت حكومة استراليا يوم ٧٥/٨/١ انها ستعارض بشدة كل المحاولات الهادفة الى طرد اسرائيل من الجمعية العمومية ومن المؤسسات الاخرى التابعة للامم المتحدة . وصرح وزير خارجية استراليا « بأن بلاده أيدت دائما عضوية اسرائيل في منظمة الامم المتحدة ، وان حكومته قلقة من محاولات طرد اسرائيل ، لان الامر قد يمس بقدرة المنظمة على القيام بدور بناء في المحافظة على السلام في الشرق الاوسط ... كما أعلنت حكومة نيوزيلندا عن معارضتها لطرد اسرائيل » (المصدر نفسه) .

الحملة الاسرائيلية المضادة

نتيجة للحملة التي شنتها اسرائيل ضد محاولات طردها من الامم المتحدة ، حصلت على وعود وبيانات من دول مختلفة ، تندد بمحاولة الطرد وتعد بالعمل والتصويت لصالحها ليس في نطاق مؤتمر الاممية الاشتراكية فقط بل كدول منفردة ، بما في ذلك ، استخدام نفوذها في دول العالم الثالث. وقد شجع هذا الامر يتسحاق رابين لان يكون اكثر تطرفا ويطالب بأن تلتزم تلك الدول بموقف معين لمنع مناقشة الموضوع في الجمعية العمومية.

ان هذا الانجاز في ستوكهولم ، يعتبر صغيرا اذا ما قورن « بالانجازات » في كمبالا « فقد عبر موظفون في القدس عن ارتياحهم لقيام عدد من الدول الافريقية برفض تعليق عضوية اسرائيل في الامم المتحدة ، وقالوا اننا سعداء لمعرفة ان عددا من الدول الافريقية اظهرت حكمة سياسية » (راا ، ٧٥/٨/١) .

ليست هذه انجازات اسرائيلية بقدر ما هي انجازات اميركية ، بمساعدة بعض الدول العربية ، لصالح اسرائيل ، « فانجازات » كمبالا لم تكن على الاطلاق بفعل النشاط الدبلوماسي الاسرائيلي ، اذ ليس لمعظم الدول الافريقية علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، ولكن خطوات ومشاريع دول عربية ومراهنتها وتبريراتها جعلت الدول الافريقية الاخرى تختار الطريق الاسهل وهي رفض مشروع طرد اسرائيل او تعليق عضويتها والاكتفاء بمناشدة الدول العربية لزيادة الضغط عليها .

مكرم يونس

[٤]

الصناعة العسكرية الاسرائيلية توسع نشاطها

عملت اسرائيل ، منذ فترة غير قصيرة ، على بناء قاعدة لصناعة حربية ، كأحد المصادر لتزويد جيشها بالسلاح والذخائر والمعدات اللازمة . وعملت في الوقت نفسه ، على اقامة عدد من مراكز وهيئات ومعاهد البحوث التي وصل عددها سنة ١٩٧٢ الى ٤٨ معهدا ومركزا وذلك لتطوير أسلحتها وذخائرها ، او ملاءمتها لمسارح العمليات في الشرق الاوسط . ومن بين مؤسسات البحث والمعاهد التي تقوم بالابحاث العسكرية معهد وايزمان في رحوفوت ، الذي يعمل ايضا في مجال البحوث الذرية ، ومصلحة تطوير وسائل القتال «رفائيل» ، ومعهد الهندسة التطبيقية «التخنيون» في حيفا وغيرها. وقد توصلت الصناعة العسكرية الاسرائيلية حتى الان — حسب ادعاءات الاسرائيليين — الى انتاج وتطوير اكثر من ٥٠٠ نوع من الاسلحة والذخائر المختلفة ، تغطي نحو ٣٠ ٪ من حاجتها .

وكانت الصناعة الحربية قد بدأت نشاطها بصناعة الاسلحة والذخائر الخفيفة كالبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية والهاونات ، ثم اخذت تصنع ، او تعدل بعض القذائف الصاروخية وتصنع بعض المعدات الاخرى كالعربات المصفحة والزوارق الحربية والطائرات ، التي تقوم بتجميعها او بنائها .

وهناك اكثر من سبب يدفع الاسرائيليين الى الاهتمام بالانتاج الحربي ، الذي تقدم بقفزات كبيرة ، من حيث الكمية والنوعية ، خصوصا بعد الحظر الفرنسي على تزويد اسرائيل بالاسلحة في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ . وخلال حرب تشرين ١٩٧٣ ، اتضح للاسرائيليين ان انتاجهم الحربي غير قادر على تعويض الخسائر الضخمة ، التي تعرضت لها قواتهم في الحرب ، او على امداد القوات المحاربة بالذخائر اللازمة لمتابعة حرب طويلة ، بحيث اقتنعوا ان مصيرهم أصبح مرهونا بالدعم الاميركي ، مع ما يمكن ان تمارسه اميركا من ضغط تسليحي على اسرائيل ، وذلك بالاضافة الى ارتفاع تكاليف الجسر الجوي ، مع ما يمكن ان يواجهه من عقبات في حالة تجدد القتال — وكل هذه الاعتبارات تدفع الاسرائيليين الى تطوير وتوسيع صناعاتهم الحربية المستقلة .

ان اهتمام اسرائيل بصناعتها الحربية يعكس رغبتها في خلق النواة اللازمة لتطوير الانتاج الحربي في المستقبل ، وذلك لتخفيف حجم الدعم الاميركي المطلوب ، وتوفير جزء من العملة الصعبة، بل والحصول على مبالغ منها بواسطة بيع منتجاتها في الخارج . كذلك يساهم هذا النشاط في تطوير الاسلحة والمعدات ، ويزيد من قدرة اسرائيل على اصلاح الاسلحة وصيانتها خلال الحرب ، ويجعل من الممكن الافادة بسرعة من الاسلحة التي يتم الاستيلاء عليها .

وتعتمد اسرائيل في صناعتها الحربية بمدى كبير على الدعم والمعونة الخارجية ، سواء كان ذلك من ناحية التمويل او الفنيين او الخبرات الفنية. ففي مجال تغطية التكاليف تعتمد اسرائيل على دعم الشركات العالمية ، وخصوصا الاميركية . ويشكل رأس المال الاميركي في الصناعات الالكترونية ، مثلا ، نسبة تصل الى ٦٠ ٪ ، وهذا اضافة الى الدعم المالي الذي تقدمه المنظمات الصهيونية العالمية . كما وان معظم الابحاث العلمية التي تجري في اسرائيل يتم تنفيذها بتمويل خارجي . ففي عام ١٩٧١ ، مثلا، قام ٤٨ معهدا ومركزا بوضع ٢٦٦ تصميما لصناعات حربية مختلفة بتمويل اميركي . كذلك تقوم حاليا كلية هندسة الطيران في التخنيون ، باجراء ٤٠ بحثا بتمويل خارجي (دافار ، ٧٥/١/٢٨) . والهدف من هذه الابحاث تحسين شبكة السيطرة والمراقبة في الطائرة ، وتقصير مدة تدريب الطيارين ، وتحسين جهاز قيادة الطائرات الذي يعفي الطيار من كثير من المهام (دافار ، ٧٥/٣/٥) . كذلك يقوم التخنيون ايضا بابحاث لتحسين اجهزة التصويب في الطائرات المقاتلة .

وعلى صعيد الخبرات الفنية ، وبالرغم من ان الصناعات الجوية تستوعب جميع خريجي معهد

الهندسة التطبيقية (التخنيون) ، مثلا ، الذي تخرج منه حتى الان نحو ٧٠٠ مهندس يعمل ٨٠ ٪ منهم في الصناعة الجوية ، ويبدو ان الصناعة الجوية لا تزال تواجه نقصا كبيرا في الفنيين وذلك « بسبب الهبوط المقلق في عدد الطلاب الثانويين الذين يلتحقون بكلية هندسة الطيران ... ولان ١٠٠ — ١٥٠ خريجا لا يكفون لسد الحاجة في المستقبل » (هآرتس ، ٧٥/٥/١٢) . وفي حين ان الحاجة لكل هؤلاء الخريجين كبيرة ، فقد بدا اقل من ٧٠ تلميذا دراستهم هذه السنة ، ويتوقع ان يتخرج ٧٠ ٪ منهم فقط ، رغم أن الكلية تستطيع استيعاب ١٤٠ طالبا (المصدر نفسه). لذا فان الصناعة الحربية الاسرائيلية تعتمد ، الى حد كبير ، على الفنيين والاختصاصيين والخبراء الاجانب الذين يتم التعاقد معهم للعمل في اسرائيل ، وفق عقود قصيرة او طويلة الامد ، بغية زيادة المعرفة العلمية والخبرة الفنية وتعليم وتدريب الفنيين والاختصاصيين الاسرائيليين .

وفي مجال المعونة الفنية تعتمد اسرائيل على الولايات المتحدة بصورة اساسية ، وذلك بالحصول على تصاميم اسلحة امريكية معينة وانتاجها في اسرائيل ، بعد ادخال بعض التعديلات عليها . ونذكر على سبيل المثال زورق « دفور » وهو « نموذج مطور عن النموذج الامريكي الاصل ، الذي اشتراه سلاح البحرية من الولايات المتحدة ، التي قدمت المعونة الفنية لتطوير الطراز الاسرائيلي منه ... » (معاريف ، ٧٥/٢/٥) ، وكذلك صاروخ جو — جو « شفرير » الذي « اعتمدت اسرائيل عند صناعته على الصاروخ الامريكي جو — جو سايدويندر » (معاريف ، ٧٥/٥/١٢) . وهناك ايضا اسلوب اخر ، وهو شراء مصانع او وحدات انتاجية كاملة ونقلها الى اسرائيل مثل المصنع الذي ينتج طائرة رجال الاعمال « وستد ويند ١١٢٤ » ، وشراء شركة الكتروسبيس التي تصنع لاجهزة اتصال عسكرية . ولم تنجح اسرائيل في بناء طائرة مقاتلة الا بعد أن قدمت لها امريكا الدعم الفني المطلوب ، بما في ذلك المحرك الذي يصنع بكامله في امريكا ، وبعد أن سرقت تصاميم هيكل طائرة الميراج .

الاهتمام بالصناعة الجوية

تعتبر الصناعة الجوية اكبر مؤسسات الصناعة الحربية الاسرائيلية ، ولها ١٤ مصنعا منتشرة في جميع ارجاء البلاد (دافار ، ٧٥/٧/٢٢) . وتقوم الصناعة الجوية بانتاج الطلبات لحساب وزارة الدفاع بكل فروعها ، وتقيم دورات تدريبية لتأهيل الفنيين ، وتنوي توسيع القوة البشرية العاملة فيها حتى ١٨ الف عامل خلال بضعة اشهر (معاريف ، ٧٥/٣/١٢) . ويبلغ حجم الانتاج في الصناعة الجوية حاليا نحو ٢٠٠ مليون دولار سنويا علاوة على القيمة الاضافية التي تصل الى ٥٠ ٪ . وتنتج هذه الصناعة عدة أصناف من المعدات والاسلحة البرية والبحرية والجوية ، من اهمها العربات المصفحة والزوارق والطائرات العسكرية والمدنية وصواريخ سطح — سطح وجو — جو ، ووضع تصاميم الطائرات والمعدات الجديدة والتعديلات المقترح ادخالها على الطائرات الموجودة وصناعة بعض محركات الطائرات العمودية (هآرتس ، ٧٥/٥/١٢) . كذلك تنتج هذه الصناعة وسائل مساعدة لسلاح المدرعات ، بناء على طلب مستعجل من الجيش ، من ضمنها سلسلة من قنابل البنادق التي بدأ انتاجها فعلا ، وأنواع من صواريخ المدفعية ، ومحرك لصاروخ سطح — سطح يبلغ مداه ٤٠ كم ، أي ضعف مدى صاروخ غبريئيل تقريبا (معاريف ، ٧٥/٤/٢٣) . وذكر مدير الصناعة الجوية ، المهندس شور ، بأن « الصناعة الجوية قادرة على تزويد جيش الدفاع الاسرائيلي بمعظم حاجياته من السلاح والذخيرة ، شرط ان تكون هناك خطط طويلة المدى وميزانيات لسنوات عديدة ، ليتم التخطيط والانتاج بشكل منهجي » . واضاف بأن « هناك بعض الانواع التي تضاعف الانتاج فيها ... وقد اقيمت بعد الحرب وحدات انتاج جديدة وقطاع جديد يعنى بتطوير امكانيات انتاج الانواع المتطورة من الذخيرة . وذكر ايضا « ان الصناعة الجوية تبذل الجهود في [تصنيع] جميع انواع المعدات والصواريخ ... وليس هناك صاروخ او قذيفة صاروخية تنتج في البلاد لا تشترك فيها هذه الصناعة » . وفي السنة المالية ١٩٧٤ ارتفع تصدير منتجات هذه الصناعة بنسبة ٥٠ ٪ عن السنة التي سبقتها . وهناك طلبات للتصدير تبلغ قيمتها ١٢٠ مليون دولار بالاضافة الى اتفاقيات اخرى للتصدير ستوقع قريبا (المصدر نفسه) .

وتأتي الصناعات الالكترونية والمعدنية بعد الصناعة الجوية من حيث الحجم اذ يبلغ عدد عمالها نحو ٦ الاف عامل وفني . وتأمل اسرائيل ان ترتفع صادراتها من هذه المنتجات التي تقدر ثمنها بمئات الملايين من الليرات . والمعروف ان « رفائيل » هي اكبر هيئة للتطوير والبحث العسكري في اسرائيل ، والمشروع الرئيسي الذي قامت به هو انتاج الصاروخ جو — جو « شفرير » ، الذي يستخدمه سلاح الجو الاسرائيلي . وتعمل « رفائيل » ايضا في انتاج ذخائر الطائرات والالات الحاسبة وشبكات القتال الالكترونية واجهزة اتصال خاصة ومواد متفجرة (دافار ، ٧٥/٦/٧) .

اهم المنتجات الحربية

تعتبر طائرة كفير من أهم المنتجات الحربية التي اعلن عنها حتى الان ، وهي تركيب لمحرك الفانتوم (جي أي ٧٩) على هيكل طائرة الميراج ف — ٥. وكفير طائرة اعتراضية مقاتلة تصل سرعتها الى ٢٫٢ ماك ، ويدعي الاسرائيليون انها تفوق الفانتوم في قدرتها على خوض المعارك الجوية ، وبانها تستطيع مواجهة الميراج ف — ١ وطائرة الويغان السويدية والميغ ٢١ المعدلة بسهولة . وذكر ايضا بان احدى الانواع المتقدمة منها اشتركت في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . ويبلغ ثمن الطائرة الواحدة ٤ ملايين دولار (هآرتس ، ٧٤/٤/١٥) .

لم تنشر الصناعة الجوية او سلاح الجو الاسرائيليين تفاصيل كاملة عن الطائرة الجديدة من حيث مهامها ، حمولتها مداها وما شابه ذلك . كذلك لم تنشر تفاصيل عن موعد البدء بانتاجها وعدد الطائرات التي تم صنعها حتى الان ، والعدد الذي استلمه سلاح الجو او العدد الذي اوصى عليه (المصدر نفسه) . واعلن موشي ارنس ، الذي كان يشغل مدير قسم الهندسة في الصناعة الجوية ، ان قدرة اسرائيل على انتاج طائرة كفير تفوق قدرة مصانع اوروبية مشابهة (معاريف ، ٧٥/٧/٢) . وذكرت مجلة الصناعة الجوية بياعف (٧٥/٧/٢) ان طائرة كفير غير قادرة على نقل حمولة تفوق حمولة الميراج ٥ — ج لان قوة الدفع القصوى للكفير تزيد بطن واحد عن الميراج ٥ — ج ، بالاضافة الى أن ابعاد الطائرتين متشابهة . ومن هنا يمكن الافتراض ان كفير تستطيع الاقلاع بحمولة اربعة اطنان مربوطة على سبعة نقاط تعليق خارجية . ونشرت بمحانيه ، مجلة الجيش الاسرائيلي الاسبوعية (٧٥/٤/٧) المقارنة التالية بين كفير وبين منافساتها :

	كفير	ف — ١٦ الاميركية	ميراج اف — ١ (أي) الفرنسية	ميغ ٢٣ السوفييتية
السرعة	٢٫٢	٢٫٢	٢٫٣	٢٫٣ ماك
الوزن	٦٥٠٠	٧٤٩٠	٩٥٠٠	١٥٠٠٠ كغم
الارتفاع الاقصى	أكثر من ٥٠ الف قدم	٦٠ الف قدم	٦٥ الف قدم	أكثر من ٦٠ الف قدم
قوة المحرك	١٤٠٥	١١٠٥	١٥٠٢	١٥ طنا
السعر	٤ ملايين دولار	٦٫٧ مليون دولار	٧ ملايين دولار	؟

واذا كان انتاج طائرة كفير يدل على ان اسرائيل قادرة على التوصل الى الاستقلال في جزء لا يستهان به من هذا النوع من السلاح ، كانتاج هيكل الطائرة والشبكات الالكترونية ، ينبغي ان تتذكر ان الطائرة مزودة بمحرك اميركي ، ولولا موافقة ومساعدة الولايات المتحدة لوجدت اسرائيل صعوبة كبيرة في انتاج هذه الطائرة ، بل ربما فشلت في ذلك ، لان الدول الكبرى فقط هي التي تستطيع ان تنتج طائراتها بشكل مستقل (هآرتس ، ٧٥/٤/١٥) .

وبالاضافة الى طائرة كفير ، تستعد الصناعة الجوية لانتاج اربع طائرات عرفه شهريا . وتستطيع هذه الطائرة الاقلاع والهبوط من مدرجات قصيرة ، ولاقت نجاحا كبيرا في دول اميركا

اللاتينية ، وخصوصا النموذج العسكري منها . وقد عقدت الصناعة الجوية حتى الان اتفاقيات لبيع ٤٠ طائرة من هذا النوع . ويبلغ ثمن الطائرة الواحدة ٧٥٠ ـ ٨٥٠ الف دولار (دافـــار ، ٧٥/٦/٣٠) .

كذلك عرضت الصناعة الجوية في مصانعها في اللد طائرة رجال الاعمال النفاثة الجديدة « وست ويند ١١٢٤ » ، وهي نموذج متطور للطائـــرة السابقة ١١٢٣ ، التي حققت نجاحا في السوق العالمي . ويبلغ ثمن الطائرة الواحدة ٧٥ر١ مليون دولار مقابل ١٨ر١ مليون دولار للنموذج السابق . وستنتج الصناعة الجوية من النموذج الجديد ١٨ طائرة في هذه السنة و١٨ اخرى سنة ١٩٧٦ و٢٤ سنة ١٩٧٧ و٢٦ سنة ١٩٧٨ . ويبلغ المدى الاقصى لهذه الطائرة ٤٢٣٠ كم وتحمل ١٠ ركاب بما فـــي ذلك الملاحين (هآرتس ، ٧٥/٥/٥) .

كذلك تسلم سلاح البحرية نموذجا متطورا من الزوارق من طراز « دفور » ، التي تم بناؤهـــا في مصانع الصناعة الجوية في بئر السبـــع . ويستخدم هذا الزورق لحراسة السواحل وللهجوم ، وهو مسلح بمدفعي ٢٠ ملم بالاضافة الى عدد من الرشاشات ويبلغ طول الطراز الاسرائيلي المعدل نحو ٢٠ مترا وسرعته القصوى ٢٤ عقدة فـــي الساعة ، وهو مزود بمحرك ديزل ، ومبني بشكل يجعله ذو قدرة كبيرة على المناورة والتهرب اذا لزم الامر (معاريف ، ٧٥/٢/٥) . وتبذل الجهود حاليا لتقصير مدة بناء قوارب « ريشف » بنصف سنة . ويبلغ ثمن القارب الواحد من هذا النوع نحو ٤٠ مليون ليرة اسرائيلية وثمن شبكة الاسلحة التي يزود بها مبلغا مشابها (معاريف ، ٧٥/٢/١٩) .

وانتجت الصناعة الاسرائيلية ايضا مصفحة حربية ، اطلق عليها اسم « رابي » ، وتقـــوم هذه المصفحة بعدة مهام ، منها نقل الجنـــود واخلاء الجرحى ، واعمـــال الدوريـــة ، وعمليات العصابات ومهـــام اخرى اثناء القتال . وتتسع العربة الجديدة لثمانية جنود ويمكن تسليحها بمدفع غير مرتد او مدفعين ٢٠ ملم او عدد من البنادق الرشاشة عيـــار ٧ر١٢ و٧ر٢٢ ملم ، ويبلـــغ سمك جدران الهيكل ٥ ملم من الفولاذ . ويسهل نقل هـــذه العربة بواسطة الطائرات بسبب وزنها الخفيف نسبيا ، كما ويمكن تغيير تسليحها بناء على طلب الزبائن . ويذكر ان اسرائيل حصلت على عقود كبيرة لبيع هذه المصفحة ، التي كانت قد عرضت في معرض باريس قبل بضعة شهور . كذلك عرضت في المعرض ايضا طائرة رجـــال الاعمال « وست ويند ١١٢٤ » وطائرة عرفه ، ولم توافق فرنسا على عرض طائرة كفير احتجاجا على استخدام تصاميم هيكل الميراج لدى بنـــاء هيكل هذه الطائرة . وعرض في معرض بـــاريس ايضا نموذج من شبكة انذار الكترونية ، بيـــع منها حتى الان بما قيمته ٦ ملايين دولار ، وحاسب صغير لتوجيه الطائرات يثبت في مقصورة القيادة الى جانب الطيار ويساعده على حساب معطيات الاقلاع والطيران . وعرض ايضا جهاز يثبت في قبعات الطيارين ويساعدهم على تحديد لحظـــة القاء القنابل ، وقبعات للطيارين ورجال المدرعات ، مصنوعة من الالياف الزجاجية وجهـــاز قيادة اوتوماتيكي يقوم بمعظم مهام قيادة الطائـــرة ، بحيث يجعل الطيار يتفرغ للمهام الاساسيـــة . وعرضت ايضا نماذج مختلفة لصواريخ جو ـ جو من طراز « شفرير » (معاريف ، ٧٥/٥/٢٨) .

آفاق الصناعة الحربية الاسرائيلية

بالرغم من تزايد الانتاج الحربي الاسرائيلي ، والجهود المبذولة لتصدير هذه المنتجـــات فـــان اسرائيل قد فشلت ، حتى الان ، في تحقيق الاكتفاء الذاتي من حيث النوعية والكمية ولا تزال مضطرة للاعتماد على الولايات المتحدة وذلـــك بسبـــب الصعوبات الفنية والمالية والنقص في القـــوة البشرية وعدم وجود قاعدة صناعية متينة وواسعة . ان انتاج طائرة هجومية حديثة ، مثلا ، يستلزم قاعدة صناعية متشعبة قادرة على انتاج عشرات الاف الاجزاء اللازمة لمثل هذه الطائرة ، ويحتاج ايضا الى التكنولوجيا المتقدمة والعصرية فـــي اكثر من مجال ، ويستلزم تأهيل قاعدة كبيرة من العمال والفنيين .

وتتمثل الصعوبات الاخرى التي تواجهها اسرائيل في احجام اصحاب رؤوس الاموال عن استثمـــار اموالهم في اسرائيل ، خصوصا بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، واحجام الفنيين الاجانب عن القدوم

اليها ، ونقص المواد الخام وارتفاع اسعارها، وتقلص شبكة علاقاتها بدول العالم واغلاق أسواق كثيرة في وجهها واشتداد المنافسة العالمية في هذا المجال . ولكن بالرغم من ذلك فانه لا يجوز الاستخفاف بما حققه العدو من انجازات في هذا المضمار .

سمير جريس

[٥]

الاقتصاد الاسرائيلي يواجه مشاكل ملحة
احتمال اعلان حالة الطوارىء الاقتصادية في حال عدم وصول المساعدات الاميركية

يواجه الاقتصاد الاسرائيلي خلال هذه الفترة عدة مشاكل اقتصادية ملحة ، تتطلب ايجاد حلول سريعة لها . ويلاحظ ان هذه القضايا تستأثر باهتمام معظم الدوائر الاقتصادية والمسؤولين في اسرائيل ، وذلك لما لها من اثر بعيد المدى على مستقبل الاقتصاد الاسرائيلي وتطوره ، وامكانات خروجه من الازمات الحالية المسيطرة عليه. ويمكن تلخيص هذه القضايا على النحو التالي: (١) البدء بتطبيق الاصلاح في الضرائب المباشرة والاستعداد لفرض ضريبة القيمة الاضافية ، (٢) البحث في مسألة دفع علاوة غلاء المعيشة وتمديد اتفاقيات الاجور ، (٣) التخفيض النظري في قيمة الليرة الاسرائيلية ، (٤) بدء سريان مفعول الاتفاق التجاري بين اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة، (٥) مستقبل المساعدات الاقتصادية من الولايات المتحدة .

البدء بتطبيق قوانين الاصلاح في الضرائب المباشرة

صادق الكنيست بتاريخ ١٩٧٥/٧/١١ على قوانين الاصلاح في الضرائب المباشرة ، وذلك في القراءتين الثانية والثالثة ، وتقرر البدء بتطبيقها ابتداءا من اول تموز الحالي . ويلاحظ ان البحث في هذه القوانين ، سواء في الكنيست أو في اللجنة المالية التابعة له ، تم بسرعة ومن خلال تجاوز بعض الاجراءات المتبعة عند سن قوانين كهذه ، لان وزير المالية اراد البدء بتطبيقها ابتداء من أول هذا الشهر . وبرزت خلال البحث في القوانين عدة نقاط خلاف ، خاصة بسبب اعتراضات الهستدروت وارباب العمل ، تمت في نهاية الامر تسويتها ، رغم استياء بعض الاوساط . وكانت اعتراضات الهستدروت قد تلخصت في مطالبتها بتنفيذ الاصلاح الضريبي بشكل لا يمس معه بالدخل الصافي للعاملين ، وكذلك عدم فرض ضريبة على نفقات السفر الى مكان العمل في السيارات العمومية ، ثم تشكيل وحدة خاصة في وزارة المالية لتعميق جباية الضرائب والامتناع عن فرض ضريبة القيمة الاضافية خلال هذه السنة (يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٥/٧/١٣) . أما اعتراضات أرباب العمل فقد اقتصرت على عدم الموافقة على ضريبة أرباح رأس المال ، حسب ما جاء في توصيات لجنة بن ـ شاحار . الا ان اللجنة المالية التابعة للكنيست ، توصلت الى تسويات بشأن هذه الامور ، قبل طرح مشاريع القوانين على الكنيست للتصديق عليها ، فقررت « الاعتراف » بنفقات الهاتف والسيارات وعدم فرض ضريبة عليها ، بالنسبة للعاملين المستقلين فقط (وبنسبة محدودة لارباب العمل) . وكذلك وافقت اللجنة المالية على وجوب المحافظة على الدخل الصافي للعاملين ، بعد البدء بتطبيق الاصلاح ، وذلك لحين تجديد اتفاقات الاجور بعد نصف سنة ، الامر الذي أصرت عليه الهستدروت بشدة . وقررت اللجنة ايضا ادخال تسهيلات على ضريبة تحسين العقارات ، بالنسبة لشراء مسكن جديد بعد بيع مسكن قديم ، بحيث يكون البائع معفيا من دفع ضريبة تحسين في مثل هذه الحالة (دافار ، ١٩٧٥/٧/٩) . كذلك تم التوصل الى تسوية بين وزارة المالية

وبين ارباب العمل بشأن ضريبة ارباح رأس المال ، تفرض بموجبها ضريبة على الارباح الناتجة عن بيع الممتلكات والاراضي والاسهم وانواع أخرى من الاموال غير المنقولة ، بنسبة أقل من النسبة المقترحة لضريبة الدخل في مستويات الدخل المرتفع (معاريف ، ١٩٧٥/٧/٢) .

بعد التصديق على قوانين الاصلاح الضريبي ، قررت وزارة المالية والهستدروت تأليف لجنة متابعة مشتركة للاشراف على تطبيق الاصلاح والمحافظة على مستوى الدخل الصافي للمأجورين وتعميق جباية الضرائب . وقد تحدث رئيس لجنة الضرائب في الهستدروت يهوشواع هوشتشينا عن مهمة هذه اللجنة بقوله : « تتمثل مهمة اللجنة في دراسة ملاءمة ما يتم تنفيذه في مجال اصلاح الضرائب مع النوايا الحقيقية لهذا الاصلاح ، ودراسة الظواهر التي تتناقض مع المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية من اجل بلورة المواقف » (دافار ، ١٩٧٥/٧/١٥) .

اهمية الاصلاح الاقتصادية والاجتماعية

رغم الارتياح الذي عم اوساطا عديدة في اسرائيل ، بعد نشر تقرير بن ـ شاحار بشأن الاصلاح في الضرائب المباشرة ، ظهر اثناء عملية سن قوانين الاصلاح ، ان هناك الكثير من التحفظات والاعتراضات حول بنود مختلفة ، بين فئات عدة ، كانت تستفيد ماديا من الوضع القائم في مجال الضرائب . ولوحظ ان هناك تحركا بين صفوف هذه الفئات للضغط على الحكومة من أجل الحصول على مكاسب معينة في مجال تخفيف الضرائب . وكانت أولى هذه الفئات الصحافيون ، الذين خططوا لاعلان الاضراب في أواخر هذا الشهر ، اذا لم تستجب مطاليبهم بشأن اعفائهم من دفع ضريبة على نفقات الهاتف والسيارة (معاريف ، ١٩٧٥/٧/٩) . وعلق الدكتور امير برنشاع ، المستشار لشؤون الضرائب في الهستدروت ، على هذه الظاهرة بقوله انه اتضح خلال الإنسابيع الاخيرة ان عدد المأجورين الذين سينخفض اجرهم الصافي نتيجة الاصلاح اكبر مما كان متوقعا ، حيث تقدر نسبتهم الان بـ ١٠ ـ ١٥٪ من مجموع العاملين . كذلك اشار برنشاع الى ظاهرة اخرى ، وهي ان اولئك العاملين الذين كانوا على استعداد للقبول بالاصلاح في شهر اذار الماضي ، لم يشعروا بتأثيره الخاص عليهم ، والان يشعرون بالظلم بالمقارنة مع جماعات اخرى من العاملين (ل. دافيد ـ دافار ، ١٩٧٥/٧/١١) .

ووصف وزير المالية يهوشواع رابينوفيتش تصرف هذه الفئات بقوله : « حدث هجوم من قبل « المفجوعين » ، وجناس كبير من أجل تخليد « الخطأ الخاص » [بهم] . ولو انتظرنا ، ولم نقر هذه القوانين ، لما بقي من الاصلاح شيء » (في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٧/١٨) . واعلن رابينوفيتش ايضا ان كل من له اعتراض او شكاوى ، باستطاعته التوجه الى لجنة المتابعة ، التي تتمثل مهمتها في البحث والتوجيه باصلاح الخطأ ، وتساءل عن سبب تصرف هذه الفئات ما دام دخلها الصافي سيبقى على حاله . كذلك اعلن وزير المالية ان الحكومة والقطاع العام والبلديات والمؤسسات والهستدروت ستعمل على المحافظة على الدخل الصافي للعاملين فيها ، ولن يكون بوسع ارباب العمل المستقلين الا التصرف على هذا النحو (المصدر نفسه) .

ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان الفائدة المالية من وراء الاصلاح في الضرائب المباشرة محدودة جدا ، خاصة على المدى القريب ، سواء بالنسبة للجمهور او بالنسبة لخزينة اسرائيل . وبحسب اقوال وزير المالية رابينوفيتش (في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٧/١٨) ستخسر خزينة اسرائيل مبلغ مليار ليرة سنويا نتيجة الاصلاح ، لذا فان وزارة المالية جادة في الاعداد لفرض ضريبة القيمة الاضافية لكي تعوض عن خسارتها في الضرائب المباشرة . وكان وزير المالية قد اعلن ان « ضريبة القيمة الاضافية ستفرض خلال هذه السنة ، في مطلع تشرين الاول ١٩٧٥ . لم اقل ابدا انه سيحدث تخفيض في عبء الضرائب . ففي وضع اسرائيل لا يمكن ان يحدث هذا . هناك وجهان للعملة ـ تسهيل في الضرائب المباشرة نتيجة الاصلاح ، ثم ضريبة القيمة الاضافية . لن يخفف العبء » (المصدر نفسه) . اما على المدى البعيد فمن المفروض ان يؤدي تعميق جباية الضرائب ، وهو احد اهداف الاصلاح ، الى تغطية خسارة خزينة اسرائيل بسبب هذا الاصلاح .

ويبدو ايضا ان اهمية الاصلاح محدودة بالنسبة للجمهور ، خاصة تلك الطبقة الفقيرة التي كانت تستفيد ، على اي حال ، من الاعفاء في دفع الضرائب ، لذا فان وضعها الان لن يتغير كثيرا ، بل ربما يزداد سوءا « لان المال الذي يمنح للجمهور بيد واحدة ، يجب ان يؤخذ منه باليد الاخرى ، سواء من اجل تغطية الميزانية او من اجل منع تضخم مالي اخر . ولكن هذا المال سيؤخذ خاصة من اولئك الذين لم يحصلوا عليه، وذلك بواسطة تقليص الخدمات ، التي يحتاجها محدودو الامكانات . وبدلا من فرض ضريبة مباشرة على اولئك الذين يتوفر لديهم المال ، ستفرض ضريبة غير مباشرة على الخدمات والمواد الاستهلاكية الضرورية » (آشر منيف — دافار ، ١٩٧٥/٦/١٧) . لذا فان الاصلاح قد يؤدي الى زيادة الثغرات الاجتماعية القائمة في اسرائيل ، بدلا من تقليصها .

ويبقى السؤال المطروح : هل يمكن ان يساهم الاصلاح في الضرائب المباشرة ، في حل مشاكل اسرائيل الاقتصادية — ابتداء من التضخم المالي والعجز في ميزان المدفوعات ، وانتهاء بانتاجية العمل وتقوية الصناعة ؟ يعتقد الكثيرون ، في هذا المجال ، ان قلة اهمية الاصلاح « كامنة في عدم قدرته على شفاء الامراض الاساسية في الاقتصاد الاسرائيلي ، اذ لن يغير توزيع الدخل القومي ، وهناك شك فيما اذا كان سيحقق الهدف المحدود المتمثل في تخفيف العبء عن اصحاب الدخل المتوسط .

« ان اسلوب الحساب الجديد — قاعدة واسعة مع نسب [الضريبة] اقل — لن يؤدي الى زيادة الانتاج المنخفض في الصناعة ، ولن يزيد من فائدة ومستوى ادارتها ولا البحث والتطوير ولن يحسن علاقات العمل ، وبالطبع لن يستطيع اصلاح الهوة بين الخدمات والانتاج . وفي احسن الحالات يستطيع الاصلاح ان يسهل الامور التنظيمية ، وربما يساعد بذلك على تحصيل ضريبة حقيقية » (تيدي برويس — دافار ، ١٩٧٥/٧/١٠) . الا ان هناك من يخالف هذا الرأي ، خاصة بالنسبة لتاثير الاصلاح على انتاجية العمل . فقد ذكر مدير معهد انتاجية العمل بسرائيل ميدان (في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٧/٩) ان « تخفيض نسبة الضريبة ، سيمكن الادارات من منح اجور مقابل الجهد والتفوق ، كذلك فان الدخل الصافي الذي سيبقى للعامل سيكون حافزا بالنسبة له لزيادة انتاجه » . بينما يرى يعقوب ارنون ، مدير دائرة ضريبة الدخل سابقا « اننا نعيش في فترة صعبة جدا . ويمكن ان نصل الى وضع نجد فيه حلولا مثالية لمشاكل مهمة ... ولكن هذه لن توفر لنا الحل لمشكلتنا الاساسية الحقيقية في هذه الفترة — وهي العجز في ميزان المدفوعات » (دافار ، ١٩٧٥/٧/١٥) . ويشارك ارنون في رأيه هذا معلق اخر ، بقوله : « ان الاصلاح ليس الخلاص كله . وربما احسن وزير المالية صنعا باعلانه ان « الطرف الاخر » للاصلاح — هو ضريبة القيمة الاضافية ، التي تعتبر خطوة مكملة وضرورية » (هـ. يوسطوس — معاريف ، ١٩٧٥/٧/٤) . ويتساءل البعض فيما اذا كانت سترافق هذا الاصلاح خطوات اخرى لحل المشاكل الاقتصادية في اسرائيل ؟ « ان الابقار المقدسة التي وعدنا وزير المالية بذبحها ، موجودة في حقل الاخطاء نفسه ، التي جاء الاصلاح من اجلها ... وليست هناك حاجة الى التأكيد ، ما هي المشكلة الاساسية في الاقتصاد ، الذي يبلغ العجز في ميزان المدفوعات فيه من ٣ — ٣٫٥ مليار دولار ... ، ونسبة الانتاج داخله اقل من نسبة الانتاج في معظم الدول الاوروبية الصناعية » (المصدر نفسه) .

توصيات لجنة زوسمان بشأن علاوة غلاء المعيشة

تجري مفاوضات الان بين الحكومة واتحاد الصناعيين من جهة وبين الهستدروت من جهة اخرى ، حول مبالغ علاوة غلاء المعيشة التي ينبغي دفعها خلال هذا الشهر ، ثم تجديد اتفاقيات الاجور لنصف سنة اخرى . وكان وزير المالية قد عين لجنة من الخبراء تمثل الحكومة والهستدروت واتحاد الصناعيين ، برئاسة دكتور تسفي زوسمان مدير دائرة البحث في بنك اسرائيل وعضوية كل من يوسف الشيخ ودكتور امير برناع ودافيد غولومب ودكتور بن عامي تسوكرمان ، لدراسة هذه المسالة وتقديم توصيات بشأن تعيين انظمة ثابتة لدفع علاوة غلاء المعيشة خلال كل سنة . « وظهرت الحاجة الى تعيين مثل هذه

اللجنة ، بعد نشر تقرير بن ــ شاحار ، الذي اوصى بفرض ضريبة دخل عادية على علاوة غلاء المعيشة ، كما تفرض على الدخل . ونتيجة لذلك، اصبح واضحا انه يجب ايجاد طريقة جديدة لحساب علاوة الغلاء » (يتسحاق ديشن ــ معاريف ، ١٩٧٥/٧/٧) . وقد اصبحت هذه الحاجة ملحة بعد اعلان وزير المالية « بانه لن يوافق على دفع علاوة غلاء كاملة على مجمل الغلاء في الاقتصاد ، وخاصة ذلك الناتج عن الخطوات الاقتصادية الطارئة وغلاء الاستيراد . ويرى [وزير المالية] ان دفع علاوة غلاء معيشة كاملة سيقوي من سرعة التضخم المالي ... » (المصدر نفسه) . اما الموعد المقرر لدفع علاوة غلاء المعيشة فهو ١٥ تموز ، وعلى هذا الاساس قدمت توصيات لجنة الخبراء .

جاء في مقدمة التوصيات التي قدمتها لجنة زوسمان ان علاوة غلاء المعيشة هي الاداة الوحيدة ، التي يمكن بواسطتها الحفاظ على اتفاقيات الاجور لعدة سنوات في فترة تضخم مالي، وذلك دون اجراء مفاوضات غير منقطعة حول الاجور ، خلال فترة سريان مفعول هذه الاتفاقيات، وبدون ان تنص على ضرورة دفع تعويض مسبق على ارتفاع الاسعار غير المتوقع في هذه الاتفاقيات. واوضحت التوصيات التي اشتمل عليها التقرير أيضا ان علاوة غلاء المعيشة ليست حسنة يتقدمها ارباب العمل والحكومة الى الهستدروت « لان الاجر الحقيقي للعاملين حسب اتفاقيات العمل كان سينخفض بسبب التضخم المالي السريع ، الامر الذي يدفع العاملين الى المطالبة بتجديد هذه الاتفاقيات . وبما ان ارباب العمل لا يسرهم تجديدها ، فان الطريق الوحيدة لمنع الوصول الى وضع كهذا هي الحفاظ على الاجر الحقيقي للعامل بواسطة علاوة الغلاء . أن علاوة الغلاء تمكن اذن من الحفاظ على اتفاقيات الأجور حتى في فترة التضخم المالي ، ولذلك تعتمد عليها الحكومة وارباب العمل » (ابراهام كوشنير ــ دافار ، ١٩٧٥/٧/١١) . وتتلخص توصيات لجنة زوسمان بشأن الطريقة الجديدة لدفع علاوة غلاء المعيشة على النحو التالي : (١) تدفع علاوة غلاء المعيشة بنسبة ٧٠٪ من ارتفاع جدول الاسعار للمستهلك ، (٢) تدفع العلاوة لمدة نصف سنة ، شرط ان يرتفع الجدول خلال هذه الفترة باكثر من خمسة بالمئة ، (٣) يلغى « الحد الاعلى » للاجور المتبع لدفع علاوة الغلاء ، بصورة تدريجية (المصدر نفسه) .

وقد تبنت وزارة المالية توصيات لجنة زوسمان بكاملها ، ويدور البحث الان حول دفع علاوة غلاء المعيشة حسب هذه التوصيات . وكان وزير المالية رابينوفيتش قد اعلن (في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٧/١٨) ان دفع علاوة غلاء المعيشة سيتم حسب توصيات لجنة زوسمان ، « اي بين ٩ ــ ١٠٪ ، على حد اعلى من الاجور يبلغ ٣٥٠٠ ليرة. وسيتم الغاء هذا الحد الاعلى تدريجيا ، بحيث تسري علاوة غلاء المعيشة على الاجر كله » . واضاف رابينوفيتش ان هذه العلاوة ستخضع لضريبة الدخل حسب قوانين الاصلاح الضريبي .

أما بالنسبة لتمديد اتفاقات الاجور فما زال البحث دائرا بين الحكومة والهستدروت وارباب العمل بشأن تمديدها لنصف سنة اخرى ، اي حتى مطلع كانون الثاني ١٩٧٦ ، ويبدو ان هناك اتفاقا بهذا الشأن ، رغم ان البعض ، ومنهم وزير المواصلات غاد يعقوبي (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٧/١٣) ، يطالب بتمديدها لسنة كاملة . وقد اعلن وزير المالية انه ينوي تأليف لجنة من الخبراء لدراسة تركيب الاجور ، واخرى لدراسة مشاكل العمالة في اسرائيل .

رغم اصرار وزير المالية على تطبيق توصيات لجنة زوسمان ، فان دفع علاوة غلاء المعيشة في الظروف الحالية يسبب ضررا كبيرا للاقتصاد الاسرائيلي ، لانه سيزيد الدخل الصافي للعاملين الامر الذي سيؤدي الى زيادة الاستهلاك الفردي ، في الوقت الذي يدعو فيه الجميع الى تقليص هذا الاستهلاك وخفض مستوى المعيشة . وتطرق يعقوب ارنون ، مدير دائرة ضريبة الدخل سابقا ، الى هذا الموضوع بقوله : « يبدو لي ان دفع علاوة غلاء المعيشة بنسبة ١٠٪ على دخل شامل يبلغ ٣٥٠٠ ليرة شهريا ، سيؤدي الى زيادة الدخل القائم بنحو مليارَي ليرة سنويا ، والدخل الصافي بنحو مليار ونصف المليار ليرة ، بالاضافة الى مليار ونصف مليار ليرة نتيجة الاصلاح في الضرائب. ان زيادة الدخل هذه غير ملائمة لمطالب الامة

المتمثلة في تقليل تعلقنا بالاوساط الخارجية » (دامار ، ١٩٧٥/٧/١٥) . ويضيف ارتون قائلا ان « حاجة الساعة تتطلب تحسين موقفنا في المستقبل في المجال الاقتصادي تجاه العالم الكبير ، من اجل تحسين احتمالات صمودنا بنجاح اكبر امام كل ضغط وكل ضائقة تحل بنا في السنين المقبلة . والطريق نحو تحقيق هذا الهدف لا يؤدي الى دفع علاوة غلاء معيشة في تموز ١٩٧٥ . واذا لم يكن امامنا خيار فينبغي الاكتفاء بدفع هذه العلاوة للطبقات الفقيرة فقط » (المصدر نفسه) .

فك ارتباط الليرة بالدولار بصورة تدريجية

من اكثر من شهر على قرار الحكومة الاسرائيلية بشأن تخفيض قيمة الليرة بنسبة ٢٪ (انظر « قضايا اسرائيلية » ، العدد ١٢ (١٩) ، ١٩٧٥/٦/٢٦ ، ص ٣٨٩ — ٣٩٥) ولا زالت التعليقات والتفسيرات حول هذا القرار مستمرة ، خاصة وان هناك احتمالا لاجراء تخفيض اخر في قيمة الليرة بين لحظة واخرى . ويبدو ان الهدف الاساسي من وراء عملية التخفيض التدريجية هذه هو فك ارتباط الليرة بالدولار بصورة نهائية . « فطالما كانت قيمة الدولار في انخفاض فضلت الحكومة الاسرائيلية عدم تحريك اي ساكن من اجل الغاء الارتباط بين الليرة والدولار . وهكذا حققت تخفيضا في قيمة الليرة بالنسبة لاوروبا واليابان ، بدون ان تكون هناك حاجة لان يعلن وزير المالية ذلك . ولكن قيمة الدولار بدأت تتحسن ، وفي كل مرة ارتفعت فيها هذه القيمة ادى الامر الى تعويم الليرة الاسرائيلية تجاه اوروبا واليابان . ولقد تضررت الصادرات الاسرائيلية نتيجة ذلك ، وكانت هناك حاجة الى زيادة حوافز التصدير » (شاؤول افران — معاريف ١٩٧٥/٦/١٩) . واتضح اخيرا لوزارة المالية بانه لا يمكن الاستمرار في وضع كهذا ، خاصة بعد الارتباط بالسوق الاوروبية المشتركة . « وبما ان اوساط وزارة المالية لا زالت تخشى فك ارتباط الليرة بالدولار بصورة كاملة ، فقد اقترحت التخفيض التدريجي في قيمتها . وبهذه الطريقة يمكن معرفة ما اذا كان الارتباط بالدولار خلال كل شهر هو لمصلحة الليرة الاسرائيلية . واذا اتضح انه لم يكن لمصلحتها — يمكن عندئذ معادلتها بواسطة اجراء تخفيض بسيط في قيمتها » (المصدر نفسه) . وعبر وزير المالية رابينوفيتش الهدف من وراء هذه الطريقة بقوله (في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٦/١٩) : « انني اعارض اجراء عمليات تخفيض كبيرة في قيمة الليرة تؤدي الى زعزعة الاقتصاد والمجتمع في آن واحد . واعتقد ان الطريقة الجديدة تمنحنا افضل اداة من اجل تشجيع الصادرات وتنظيم مستوى الاسعار بيننا وبين الدول التي نصدر لها » .

وكان من المفروض ، حسب قرار الحكومة ، اجراء تخفيض اخر في قيمة الليرة خلال الاسبوعين الماضيين ، الا انه يبدو ان اوساط وزارة المالية قررت الانتظار حتى يتم الانتهاء من بحث مسألة غلاء المعيشة وتمديد اتفاقيات الاجور (ابراهام كوشنير — دامار ، ١٩٧٥/٧/٢٠) .

بدء سريان مفعول الاتفاق التجاري بين اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة

بدأ في أول تموز الحالي سريان مفعول الاتفاق التجاري مع السوق الاوروبية المشتركة ، الذي وقعته اسرائيل والسوق خلال شهر ايار الماضي (انظر « قضايا اسرائيلية » ، العدد ١١ (١٨) ، ١٩٧٥/٦/١٢ ، ص ٣٦٤ — ٣٧١) . وبهذه المناسبة اعلن مدير عام وزارة التجارة والصناعة ، دكتور موشي مندلباوم ، ان الاتفاق مع السوق سيفتح فرصا جديدة امام الاقتصاد الاسرائيلي ، اذ سيكون بالامكان زيادة حجم الصادرات الاسرائيلية الى اوروبا بنسبة ٢٥٪ سنويا خلال السنوات الاربع او الخمس المقبلة ، بينما لا تتعدى نسبة الاستيراد من السوق ٥٪ سنويا فقط . وبهذه الطريقة يمكن تقليص الثغرة في الميزان التجاري بين اسرائيل والسوق » (دامار ، ١٩٧٥/٧/١) . ولكن رغم هذا التفاؤل ، هناك خوف من ان يؤدي انكشاف الصناعة الاسرائيلية امام المنتوجات الاوروبية ، الى « زوال » بعض فروعها بسبب عدم قدرتها على المنافسة . « فمن جهة واحدة يفتح الاتفاق مع السوق ، الاسواق الاوروبية امام الصناعات الاسرائيلية ذات المبادرة والقدرة ، بينما يكشف مصانع اخرى امام المنافسة القوية التي يمكن ان تؤدي الى اغلاقها » (دامار ، ١٩٧٥/٧/١) .

بارليف : سنعلن حالة الطوارىء الاقتصادية

ان ما يثقل على الاقتصاد الاسرائيلي بشكل خاص في هذه الفترة ، هو عدم الوضوح بالنسبة للمساعدات المالية الاميركية التي تطالب بها اسرائيل . ويبدو ان هناك قضايا اقتصادية كثيرة لا زالت معلقة بانتظار وصول هذه المساعدات ، منها العجز في ميزان المدفوعات الذي يبلغ نحو ٣ر٥ مليار دولار ، ثم العجز في الميزانية الاسرائيلية البالغ حتى الان نحو ٤ مليارات ليرة . لذلك اعلن وزير التجارة والصناعة حاييم بارليف « ان اسرائيل ستضطر الى اعلان حالة الطوارىء الاقتصادية ، اذا لم نحصل من الولايات المتحدة على مبلغ ٥ر٢ مليار دولار ، كما طلبنا ، وكما اخذنا بالحسبان في الميزانية والسياسة الاقتصادية لهذه السنة » واضاف بارليف ان احتمال الحصول على هذا المبلغ او ما يقاربه متعلق بامكانية تحقيق اتفاق سياسي حسب مضمون السياسة الاميركية . « ان امكانية اضطرارنا الى الانتقال الى سياسة طوارىء اقتصادية ليست نظرية ، ويمكن ان يطرح هذا الامر خلال بضعة اشهر . ويتمثل ذلك في خفض عنيف في مستوى الاستهلاك ، وفرض نظام عمل جدي ومنع (الاضرابات العمالية) والمنح الخاصة » (معاريف ، ١٩٧٥/٧/٩) .

وسواء اعلنت حالة الطوارىء الاقتصادية في اسرائيل او لم تعلن ، فان وضعها الاقتصادي يتعلق الان بمدى كبير بوضعها السياسي ، الامر الذي يدفعها في كل مرة الى اتباع اجراءات اقتصادية داخلية لتخفيض حدة ازماتها . الا ان الدوائر الاقتصادية في اسرائيل تدرك جيدا ان هذه الاجراءات غير كافية لاخراجها نهائيا من ازمتها الاقتصادية ، وبدون الحصول على المساعدات الاميركية تكون هذه الاجراءات عديمة الجدوى احيانا .

حنه شاهين

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

النشاط الفدائي في داخل الارض المحتلة والاعتداءات العسكرية الاسرائيلية عبر الحدود في جنوب لبنان

واصلت طلائع الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة عملياتها ضد الكيان الصهيوني . ففي ١٩٧٥/٧/١٨ جرت في الجليل الاعلى معركة عنيفة بين الفدائيين والقوات الاسرائيلية استمرت (٩) ساعات من الساعة (٠٣٠) فجرا وحتى (١١٠٣٠) ظهرا ، واستخدمت فيها البنادق والرشاشات والقنابل اليدوية ومدافع الهاون (النهار ١٩/٧/١٩٧٥) . وكان بيان عسكري فلسطيني قد صرح ان مجموعة الشهيد (يوسف كلوسه) العاملة داخل الارض المحتلة اقتحمت مستعمرة (المطلة) من الناحية الغربية واخذت عددا من الرهائن ووزعت منشورات باللغات العربية والعبرية والانكليزية داخل شوارع المستعمرة تطالب بالافراج عن (٢٠) مناضلا من بينهم المطران ايلاريون كبوجي . وقد تمكن ثوارنا الانسحاب مع الرهائن الى البساتين خارج المستعمرة في انتظار اجابة العدو على مطالبهم . الا ان العدو زج قوات كبيرة تساندها طائرات الهليوكبتر مع عدد كبير من آلياته لمحاصرة ثوارنا . فدارت معركة عنيفة استخدم فيها ثوارنا الاسلحة الرشاشة الصاروخية والقنابل اليدوية واستمرت حتى الساعة الثانية عشر ظهرا شوهدت خلالها النيران تندلع في منطقة القتال . وفي بيروت اعلن الناطق الفلسطيني عن استشهاد ثلاثة فدائيين في العملية . (المصدر نفسه) .

وفي تل ابيب قال ناطق بلسان الجيش الاسرائيلي ان القوات الاسرائيلية قتلت ثلاثة فدائيين عبروا الحدود في الجليل الاعلى . واضاف الناطق قائلا بأن جنديا اسرائيليا واحدا اصيب بجروح في المعركة التي دارت على مقربة من المطلة . وذكر الناطق ان الفدائيين كانوا مسلحين ببنادق اتوماتيكية وقنابل يدوية ومتفجرات وكانوا يحملون منشورات تطالب بالافراج عن فدائيين محتجزين في السجون الاسرائيلية (المصدر نفسه) . واثناء الاشتباك تعرضت قرى كفر كلا وعديسه وبليدا لقصف مدفعي اسرائيلي مما ادى الى وقوع بعض الاضرار (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٥/٧/١٩ كشفت حركة فتح في مؤتمر صحفي عقدته في بيروت تفاصيل عملية جديدة كان متوقعا ان تجري يوم الجمعة ١٩٧٥/٧/١٨ في مطار اللد . وقال ناطق بلسان حركة « فتح » ان « المحاولة التي حاولت القيام بها مجموعة تابعة لحركتنا لم تنجح هذه المرة ». الا ان المصدر نفسه قال « لكننا سندخل مطار اللد في المرة المقبلة او المرة التي بعدها » . ثم قال « ان مجرد وصول الثوار الى ابنية المطار هو عمل ضخم في حد ذاته بسبب اجراءات الامن المضروبة حول المطار ». ثم ابرز مغلف يحوي تفاصيل العملية داخل المطار. (النهار ١٩٧٥/٧/٢٠) .

وتجدر الاشارة ان مصادر اسرائيلية قد اعلنت يوم ١٩٧٥/٧/١٩ ان شرطيين من حرس الحدود كانا قرب الحاجز على مدخل المطار قاما بالقاء القبض على شخصين عربيين بعد الاشتباه بهما لادعائهما بانهما انما يجيدان فقط اللغتين الفرنسية والانكليزية . وتقول المصادر نفسها ان الشرطيين عندما اشتبها بالشخصين طلبا من احدهما دخول غرفة التفتيش ولما طلب منه ابراز هويته ، عندها اتضح انهما من نابلس . وعلى الفور تم تفتيشهما بدقة حيث عثر بحوزتهما على عبوة ناسفة كانت مخبأة على جسم احدهما . وعلى الفور استدعي خبير المتفجرات الذي ابطل مفعول العبوة . وقال قائد حرس الحدود في المطار انه لو نجح العربيان بتنفيذ مهمتهما لوقعت فاجعة كبيرة . (رأ — ٨٦٧ — ١٩٧٥/٧/٢١) . وفي ١٩٧٥/٧/٢٠ كشفت الشرطة الاسرائيلية النقاب عن العملية وقالت « ان الفدائيين قدما من مدينة نابلس في الضفة

الغربية المحتلة وان احدهما يعمل في شركة للسياحة في نابلس ويعرف المطار جيدا » . وزادت « ان الفدائيين كانا ينويان القيام بهجوم كبير على صالة المسافرين في المطار . وقد وصل الفدائيان في سيارة اجرة الى مطعم قرب المطار ومن هناك اقتربا مشيا على الاقدام نحو المبنى الرئيسي للمطار ، غير ان منظرهما اثار ريبة شرطية في نقطة المراقبة . وظهر من التحقيق ان كلا من الفدائيين كان يحمل شحنة متفجرة ملتصقة بجسده . (النهار ١٩٧٥/٧/٢١) .

وفي ١٩٧٥/٧/٢٠ وقع انفجار في خزان للمياه الساخنة يعمل على الغاز في منزل سكني في القدس ، نجم عنه اصابة عدة اشخاص ، كما لحقت اضرار بالطوابق الثالث والرابع والخامس من المبنى رقم (١١٥) في شارع اولتسمان في كريات يوئيل في القدس . ويبدو ان الانفجار وقع في الطابق الرابع . (راجع ٨٦٧ — ٧/٢١/ ١٩٧٥) . وفي اعقاب الحادث ، اعلنت بلدية القدس انها ستؤمن السكن لجميع السكان الذين تضرروا نتيجة الانفجار . وفي ١٩٧٥/٧/١٩ ذكرت مصادر اسرائيلية ان قنبلة يدوية القيت على دورية تابعة لحرس الحدود ، ولم تقع اصابات . (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٥/٧/٢٠ قالت الشرطة الاسرائيلية في تل ابيب ان الفدائيين وضعوا عبوة ناسفة زنتها (١٠٠) غرام تقريبا ، قرب منزل سكني في أزور في تل ابيب وان العبوة وضعت في علبة اغذية محفوظة هذا وقالت الشرطة ان التحقيق الذي اجري اثبت ان العملية كانت عملية تخريبية نفذتها منظمة معادية . وقالت هذه المصادر انها افرجت عن (١٦) شخصا من المعتقلين الاربعة والعشرين الذين تم اعتقالهم يوم الجمعة (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٥/٧/٢١ أعلنت حركة المقاومة في بيروت ان الفدائيين الفلسطينيين دمروا احدى البنايات السكنية التابعة لوزارة الاسكان قرب تل ابيب وذلك بوضع عبوات ناسفة شديدة الانفجار مما ادى الى اصابة عدد من افراد العدو اصابات مختلفة . (النهار ١٩٧٥/٧/٢٢) .

وفي تل ابيب قالت مصادر الامن والجيش في ١٩٧٥/٧/٢١ انه تم اكتشاف (٣) شبكات تخريب عربية واعتقال افرادها في الايام القليلة الماضية في الضفة الغربية المحتلة . وقال ناطق عسكري اسرائيلي ان احدى هذه المجموعات وهي تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مؤلفة من تسعة رجال اكتشفت في منطقة طولكرم واعتقل افرادها بعدما اعترف ثلاثة منهم بوضع دراجة هوائية ملغومة في منتجع ناتانيا الساحلي الاسبوع الماضي . وقالت مصادر الجيش والامن ايضا انه اكتشفت شبكة ثانية تابعة لفتح في نابلس في اعقاب توقيف رجلين في مطار اللد يوم ١٩٧٥/٧/١٨ . ثم اضافت هذه المصادر ان المعلومات التي توافرت نتيجة عمليات التفتيش الاخيرة والاعتقالات في الضفة الغربية كشفت خططا لخطف جنود اسرائيليين للاستيلاء على اسلحتهم . وكان ذكر عن وقوع عمليتي خطف من مثل هذه العمليات عام ١٩٧٣ . وقد قتل في احداهما جندي اسرائيلي ونزع منه سلاحه . (المصدر نفسه) .

ومن جهة اخرى قالت صحيفة « معاريف » الاسرائيلية ان الخلية التابعة لفتح في نابلس ادرجت ضمن عملياتها القيام باختطاف الجنود الاسرائيليين . وزادت الصحيفة ان هذه الخطط كانت تستفيد من واقع ان الغالبية الكبرى من الجنود الاسرائيليين الذين يحصلون على اجازات ينتقلون في البلاد بطريقة (الاوتوستوب) . ولمزيد من تسهيل عملياتها كانت المجموعة الفدائية تعتزم استخدام سيارات مزودة بارقام اسرائيلية مزورة . وكان الهدف من تنفيذ هذه العمليات هو قتل الجنود المخطوفين او استخدامهم كرهائن او الاستيلاء على اسلحتهم في اي شكل (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٥/٧/٢٣ دخلت قوة اسرائيلية بلدة « كفر كلا » في قضاء مرجعيون ، فاستقبلها المواطنون بالرصاص . وقد دارت معركة في شوارع وازقة القرية استمرت نحو ساعتين اصيب خلالها عدد غير قليل من جنود العدو ، وحضرت على الفور طائرات الهليوكبتر واخذتهم . واعترف العدو بسقوط قتيل و (٦) جرحى بين جنودهم على ايدي الاهالي . وفي اثناء الاشتباك حال الجيش اللبناني دون تطويق البلدة فقصف تجمعا للعدو وافشل محاولته . واسفر الاعتداء عن نسف منزلين وجرح امرأة وطفل وخطف (٧) مواطنين من البلدة . واثناء الاشتباك اقام الاسرائيليون

جاجزا على طريق داخل الاراضي اللبنانية واطلقوا النار على شاحنة تنقل تبغا فاصابوا سائقها واثنين كانا فيها . (النهار ـ ١٩٧٥/٧/٢٤) .

وفي بيروت صرح ناطق لبناني بما يلي : « في الساعة (٠١١٠) من فجر ١٩٧٥/٧/٢٣ عبرت قوات معادية الحدود الجنوبية الى خراج بلدة كفركلا ووادي هورا في قضاء مرجعيون المتاخمة للاراضي المحتلة .

وفي الساعة (٠١٣٠) تصدت مدفعيتنا لنقاط تجمع العدو واحبطت محاولاته المتكررة لتمشيط كامل القرية والمنطقة . وقد ردت مدفعيته طوال ساعتين بقصف مرابضنا ومواقعنا المتقدمة . توقف الاشتباك في الساعة (٠٢٣٠) . وقد هبطت طوافة على مسرح الاشتباكات لنقل عدد من جرحاه . وانسحب العدو تاركا وراءه بعض المتاع والاغراض . وأسفر الاشتباك عن جرح امرأة وطفل وخطف (٦) مواطنين ونسف منزلين (المصدر نفسه) .

وفي تل ابيب قالت مصادر الجيش الاسرائيلي ان قوة اسرائيلية دخلت الحدود اللبنانية ٧/٢٣/ ١٩٧٥ واحتجزت (٧) اشخاص في معركة مع الفدائيين جرت قرب الحدود . وقال الناطق ان جنديا قتل وان ستة آخرين جرحوا في الاشتباك الذي وقع في قرية كفركلا (المصدر نفسه) .

وفي بيروت ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان الناطق الفلسطيني أصدر بلاغين عسكريين عن عمليتين للثوار الفلسطينيين في داخل الارض المحتلة . ففي العملية الاولى نصب ثوارنا من المجموعات المقاتلة كمينا لدوريات العدو على الطريق الرئيسي بين عكا وصفد . واثناء مرور احدى السيارات العسكرية المحملة بالجنود في الساعة (٢٠٠٠) من يوم ١٩٧٥/٧/٢٢ فاجأها ثوارنا بالاسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية وتمكنوا من تدمير السيارة وقتل وجرح عدد من أفراد العدو . أما في العملية الثانية قام ثوارنا بوضع عبوة حارقة مؤقتة داخل مبنى بريد بلدة دورا في قضاء الخليل على رغم الاجراءات الامنية الواسعة التي يتخذها العدو داخل البلدة . وقد انفجرت في الوقت المحدد لها في الساعة (٢٢٣٠) من يوم ١٩٧٥/٧/٢٣ وادى انفجارها الى تدمير الباب الرئيسي للمبنى واصابة محتوياته باضرار كما اشتعلت النيران فيه (النهار ، ١٩٧٥/٧/٢٦) .

وفي اسرائيل قامت قوات الشرطة يوم الخميس ١٩٧٥/٧/٢٤ بدوريات وحملات تفتيش مشددة في « ريشيون لتسيون » ووضعت حواجز في كل مداخل المدينة وفتشت سيارات الركاب . كما عملت دوريات مدرعة من الشرطة والمشاة وبعضها بالالبسة المدنية . وقد جرت العملية ضمن نطاق السياسة الجديدة التي اعتمدها اللواء الجنوبي للشرطة لقيام قوات كبيرة من الشرطة بعمليات بوليسية خاصة . (ر٠أ٠ف٠ ـ ٨٧١ ـ ٧/٢٥/ باذى . (ر٠أ٠ف٠ ـ ٨٧٥ ـ ١٩٧٥/٧/٣٠) .

وضمن نطاق حملات فحص مدى يقظة سائقي شركة باصات (ايجيد) وضع رجال الشرطة عبوات ناسفة زائفة في الباصات وتصرفوا تصرفا مشبوها للاطلاع على مدى يقظة السائقين . وبعد وضع المواد الناسفة الزائفة ، رصد رجال الشرطة وضباط الامن تصرفات سائقي الباصات .

وفي وقت لاحق قدمت شكاوى الى محكمة التعاونية الداخلية ضد اربعة سواقين لم يفتشوا باصاتهم وفرضت غرامات بقيمة (٢٥٠) ليرة على كل سائق وذلك بموجب قرار امانة سر ايجيد . (ر٠أ٠ف٠ ـ ٨٧٣ ـ ١٩٧٥/٧/٢٧) .

وفي اسرائيل قالت مصادر الشرطة في ٧/٢٩/ ١٩٧٥ ان خمس عيارات نارية أطلقت خلال الليل على مقهى محلي في قرية أم الفحم ولم يصب أحد باذى .

وفي الساعة (٠٥١٥) من صباح ١٩٧٥/٧/٣٠ أطلقت قذيفة بازوكا من الاراضي اللبنانية باتجاه دورية تابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي كانت في الاراضي الواقعة غربي المطلة ولم تقع اصابات وردت الدورية على مصدر النيران بالمثل . (المصدر نفسه) .

وفي القدس انفجرت عبوة ناسفة صغيرة يوم الخميس ١٩٧٥/٧/٣١ حوالى الساعة (٠٩٤٥) في محطة باصات (ايجيد) وأدى الانفجار الى وقوع اضرار طفيفة ولم يصب أحد باذى .

وقد ذكر شاهد عيان ، انه كان هناك كيس نايلون عليه عنوان (العمال) وضع على أحد مقاعد

رصيف الباصات المتجهة الى بئر السبع . وكانت هناك سيدة اشتبهت بالكيس فاستدعت سائق الباص الذي شاهد العبوة في داخله . وعلى الفور تم استدعاء الشرطة . فابعدت جميع الركاب والجمهور ، كما ابعدت الباصات القريبة من مكان الكيس . وعندما كان خبير متفجرات الشرطة في طريقه الى المكان ، انفجرت العبوة والحقت ضررا كبيرا بالمقعد . (ر.ا.ت. — ٨٧٦ — ١٩٧٥/٧/٣١) .

وفي القدس قالت مصادر عسكرية اسرائيلية في ١٩٧٥/٧/٣٠ ان فريقا من سكان قلندية العرب (شمال القدس) اعتقلوا بتهمة تشكيل خلية تابعة لحركة فتح . وذكرت المصادر ان بين الاعمال التي اتهم الفريق بتنفيذها القاء قنبلة يدوية على سيارة ركاب كبيرة كانت تقل سياحا في قرية العيزرية قرب القدس في شهر كانون الاول الماضي . وقالت مصادر الشرطة انها تشتبه في ان يكون الفريق قام بست عمليات فدائية أخرى .

وكانت مصادر الشرطة قد ذكرت في ١٩٧٥/٧/٢١ انه تم اعتقال افراد ثلاث شبكات عربية في الضفة الغربية .

ومن جهة اخرى قالت الشرطة الإسرائيلية ان (٣٥) عربيا اعتقلوا ليلة الثلاثاء ١٩٧٥/٧/٢٩ بعد شجار بين العرب واليهود في مغارة الكفيلا في الخليل . (النهار ، ١٩٧٥/٧/٣١) .

وفي ١٩٧٥/٨/١ قالت الشرطة في تل ابيب انها اعتقلت شبكة فدائية عربية بقيادة فتاة في الرابعة والعشرين من العمر . واضافت انه تم اعتقال افراد الشبكة السبعة وبينهم زعيمتها وجميعهم من عرب اسرائيل . وان اكثريتهم من الطلاب تم تجنيدهم في الشبكة التابعة لفتح اثناء وجودهم في اوروبا . (النهار ، ١٩٧٥/٨/٢) .

وفي بيروت دها تصريح ادلى به عربي عواد امين المكتب التنفيذي للجبهة الوطنية الفلسطينية في ١٩٧٥/٨/٣ الى تشديد التضامن مع المناضلين المحكومين والمعتقلين في اسرائيل الذين يواصلون اضرابهم عن الطعام لليوم الثالث والعشرين الامر الذي ادى الى تدهور حالتهم الصحية واشتداد الخطر على حياتهم . (النهار ، ١٩٧٥/٨/٤) .

وفي بيروت ايضا قالت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) بتاريخ ١٩٧٥/٨/٣ ان المطران ايلاريون كبوجي المسجون في اسرائيل أعلن اضرابا عن الطعام في سجنه اعتبارا من ١٩٧٥/٨/١ احتجاجا على سوء معاملته . (المصدر نفسه) .

وفي تل ابيب قال ناطق عسكري اسرائيلي في ١٩٧٥/٨/٤ ان جنديا اسرائيليا وفدائيا عربيا قتلا في معركة جرت في ساعة مبكرة بين دورية اسرائيلية ودورية فدائيين في منطقة جبل منور ويقع المكان على بعد (٣) كيلومتر شمال شرقي كيبوتس ادميت في الجليل الاعلى . واضاف ان جنديين اسرائيليين آخرين جرحا في هذه المعركة بينما اسر العضوان الاخران في المجموعة الفدائية التي كانت مؤلفة من ثلاثة أفراد .

وقال مراسل النهار في بنت جبيل ان دورية اسرائيلية تكبدت اصابات عدة في اشتباك مع مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين بين تبريخا وادميت المحتلتين على الساحل الغربي من الجليل الى الغرب من مروحين وان فدائيا سقط في المعركة. ووزعت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) بيانا جاء فيه « ان المعركة استمرت ١٦ ساعة وان جنديين اسرائيليين قتلا فيها كما استشهد مقاتل فلسطيني واسر اثنان وجرح واحد أعاده رفاقه الى قاعدتهم (النهار ، ١٩٧٥/٨/٥) .

وفي فجر ١٩٧٥/٨/٥ تعرضت منطقة صور لاعتداء اسرائيلي واسع برا وبحرا وجوا . فقد قامت زوارق اسرائيلية بعملية انزال في منطقة (البص) غطتها بقصف مدفعي كثيف استهدف المواقع العسكرية اللبنانية ايضا ، فسقطت قذيفتان في ثكنة (بنوا بركات) العسكرية في صور فقتلت (٤) ضباط لبنانيين . هذا وردت المدفعية اللبنانية على القصف المدفعي الاسرائيلي بقصف مماكس مركز كما تصدى الفدائيون والاهلين لقوة الكوماندوس الاسرائيلية التي نزلت من البحر حيث دارت معارك في شوارع المدينة سقط فيها (٦) مدنيين وطفل . وبعد الظهر اغارت الطائرات الاسرائيلية على مخيم البرغلية ومنطقة برج رحال وقصفت بقنابلها وصواريخها المنطقة فاصيب (٥٠) منزلا كما وقعت (٥) ضحايا بينها طفلان كما أصيب من جراء القصف في المنطقة عشرات الجرحى . (النهار ، ١٩٧٥/٨/٦) . وفي تل ابيب أعلن وزير الدفاع

الاسرائيلي يسمعون بيريس في مساء ١٩٧٥/٨/٥ « ان العمليات الاسرائيلية داخل الاراضي اللبنانية ليست موجهة ضد الشعب اللبناني ولا ضد جيشه أو حكومته او سيادته » . (المصدر نفسه) .

ومن جهة اخرى صرح ناطق عسكري اسرائيلي ان الفدائيين اللذين أسرا ليل ١٩٧٥/٨/٣ على الحدود اللبنانية كانا يقيمان في القدس الشرقية وانتقلا منها الى الاردن ولبنان حيث انضما الى حركة (فتح) . (المصدر نفسه) .

وفي فجر ١٩٧٥/٨/٧ دخلت قوتان اسرائيليتان الى بلدة حانين قضاء بنت جبيل وبلدة طلوسه في قضاء مرجعيون . ففي حانين نسفت منزلا وخطفت صاحبه . وفي هذه الاثناء كانت قوات اخرى من داخل الاراضي المحتلة تقصف بالمدفعية بعيدة المدى وادي الصالحاني وتضرب بالرشاشات مدار قرية (راميه) وخراجها طوال ثلاث ساعات . وكانت القوة الاسرائيلية قد خطفت ايضا خمسة مواطنين أعادتهم فيما بعد بعدما ساروا مكبلي الايدي مسافة كيلومتر خارج البلدة . (النهار ، ١٩٧٥/٨/٨) .

وفي طلوسه دخلت قوة اسرائيلية اخرى القرية في منتصف ليل ١٩٧٥/٨/٧ من الجهتين الشمالية والجنوبية للبلدة بعد اطلاق القوة الاسرائيلية النار بغزارة من أسلحتها الاتوماتيكية . وعلى اثر دخول القوة بدأ الجنود الاسرائيليون يقتحمون المنازل واحدا واحدا ويفتشونها . ثم غادروا القرية بعد ان اصطحبوا معهم مختار القرية وشاب من شبابها حيث أطلقوا سراحهما قرب الحدود . (المصدر نفسه) .

وفي بيروت صرح ناطق عسكري لبناني ان أحد مراكز الجيش المتقدمة في قطاع الدفاع الغربي تعرض في الساعة (٠١٢٥) فجر ١٩٧٥/٨/٧ لقذيفتي (أر.بي.جي) ولنيران أسلحة رشاشة وبعض القذائف المتفجرة من داخل الاراضي المحتلة ، فرد المركز على النار بالمثل لمدة عشرين دقيقة ولم تقع اصابات وفي الوقت نفسه تسللت قوة معادية الى قرية حانين الحدودية ونسفت منزلا واصطحبت صاحبه معها الى الارض المحتلة . كما تعرضت بعض الاودية والمرتفعات على امتداد الحدود الجنوبية لعدد من القذائف المضيئة والمتفجرة ، ولم يسجل وقوع خسائر (المصدر نفسه) .

وفي تل ابيب قال ناطق عسكري اسرائيلي ان ثلاث حرائق نشبت ليل الاربعاء ١٩٧٥/٨/٧ على الحدود اللبنانية مع الاراضي المحتلة ولم تقع خسائر في الارواح . واضاف ان وحدة اسرائيلية دخلت الاراضي اللبنانية بحثا عن فدائيين في قريتي حانين وطلوسه الواقعتين على بعد (٥) كيلومترات من الحدود . ونسف أفراد الوحدة في قرية حانين منزلا عرف صاحبه بتعاونه مع الفدائيين .

وذكر الناطق ان دوريتين اسرائيليتين في قطاعي مرغاليوت والمطلة تعرضتا لقذائف البازوكا ونيران الاسلحة الاتوماتيكية . وقال ان القوات الاسرائيلية ردت على النار بالمثل ولم تقع اية خسائر . (المصدر نفسه) .

ومن جهة أخرى قامت وحدات فلسطينية بتاريخ ١٩٧٥/٨/٧ بعمليات جريئة استهدفت اهدافا عسكرية ومقرات قيادة اسرائيلية في الاراضي المحتلة ردا على قصف العدو لمخيمات اللاجئين في منطقة صور .

فقد أذاعت القيادة العامة لقوات الصاعقة العمليات التالية :

١ ـ في الساعة (٢٢) من صباح ١٩٧٥/٨/٧ قامت مجموعة من الفدائيين بمهاجمة مقر القيادة العسكرية في مستعمرة المطله بالقذائف الصاروخية والاسلحة الفردية مدعومة برمايات الصواريخ الثقيلة مما ادى الى تدمير مقر القيادة وعلى اثر دفع العدو بقوات كبيرة لتطويق المجموعة حيث وقعت معركة دامت (٣) ساعات دمر للعدو خلالها دبابة واحدة واليتان نصف مجنزرتين وعربة جيب عسكرية بقيت لكها داخل الاراضي اللبنانية بعد الساعة ٠٨٠٠ .

٢ ـ وفي الساعة (١٠٥) من صباح ١٩٧٥/٨/٧ قامت مجموعة اخرى بمهاجمة احد مكامن العدو في منطقة زرعيت في الجليل الغربي مما ادى الى مقتل جميع أفراد الكمين المعادي ويقدر عددهم بثمانية . وعلى اثر اشتباك هذه المجموعة مع مكامن العدو المجاورة ، اذ دفع العدو بقواته لتطويق المجموعة فدارت معركة استمرت نصف ساعة تكبد العدو فيها خسائر

كبيرة . وقد استمرت عملية اخلاء الخسائر من قبل العدو في ارض المعركة حتى الساعة السابعة صباحا ، في حين تامت قوة معادية اخرى بتفتيش قرية حانين والاراضي المحيطة بها بحثا عن افراد المجموعة الفدائية .

٣ ـ وفي الساعة (٠٣٠٠) من صباح ٧/٨/ ١٩٧٥ قامت مجموعة ثالثة بمهاجمة مستعمرة مرحليون / هونين واشتبكت مع قوات العدو داخل المستعمرة ودمرت مقر قيادته . وعلى الاثر دفع العدو بقواته الى داخل الاراضي اللبنانية محاولا تطويق المجموعة الفدائية ، ومن ثم دخلت القوة الاسرائيلية قرية طلوسه بحثا عن افراد المجموعة الفدائية . وقد اعترف العدو في نشرته الاخبارية الساعة ٧،٣٠ والساعة ٨،٣٠ من صباح يوم ١٩٧٥/٨/٧ بجرأة هذه العمليات الثلاث وببسالة الفدائيين ، خاصة وانهم تمكنوا من اقتحام سياج الامن الاسرائيلي . كما اعترف بمعارك المواجهة كلها من دون ذكر خسائره . (المصدر نفسه) .

وفي دمشق قال ناطق باسم المقاومة في ٨/١٢/ ١٩٧٥ في بيان نقلته وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) أن احدى مجموعات الداخل زرعت عبوات ناسفة في مبنى يقيم فيه مستوطنون اسرائيليون جدد في المنطقة الشرقية من تل ابيب . وقد ادى انفجار العبوات الى الحاق اضرار بالغة بالمبنى واصابة عدد غير معروف من الاسرائيليين .

وقال الناطق في بلاغ آخر ان احد الفدائيين الفلسطينيين القى قنبلة يدوية مساء الخميس ١٩٧٥/٨/٨ على دورية اسرائيلية داخل بلدة عاقر في وادي الصرار ادى الى قتل وجرح جميع افراد الدورية .

الرائد الطيار جسين عويضة

ملحق

الاعتـــداء على صور
في ضوء الاختيـــارات اللبنـــانية

استشهاد الضباط اللبنانيين الاربعة في ثكنة بنوا بركات في جنوب لبنان ، قرب مدينة صور ، يعيد هذه المرة سياسات لبنان الرسمية الدفاعية، بطريقة مختلفة من حيث الخطورة، للبحث والتقرير في الاوساط اللبنانية والعربية والفلسطينية . هذه المرة كان الشهداء الاربعة برتب عسكرية عالية وانتماءات لبنانية متفرقة ومكان اصابتهم ، وهذا كثير الاهمية ، كان في ثكنة بعيدا عن مناطق الحدود المتوترة والخطرة حيث يمكن الاعتداء والتعرض لمواقع دوريات الجيش اللبناني المتنقلة على قاعدة « الخطأ الاسرائيلي غير المقصود » . كما أن التصويب والتهديف الاسرائيلي ظهر دقيقا ومقصودا حد الخطورة الجدية . وبالقذائف نفسها أصيب مناخ ووجهة السياسات اللبنانية الداخلية ، من المسألة الفلسطينية في لبنان ، والدفاعية الوطنية ، في وقت لم تقو فيه بعد على الاختيار او التوكل . والاختيار اللبناني محكوم اما صوب اعادة صياغة مهمات الجيش اللبناني واعتماد سياسة دفاعية وطنية تلتحق عمليا بقاعدة العمل الفلسطيني الوطني المعادي للمؤسسات الاسرائيلية العدوانية الحالية ، وهو اختيار صعب جدا ومحكوم بأيديولوجية اليمين اللبناني المرتبطة بالرأسمالية وسوقها وهي ايديولوجية متخاذلة وطنيا ، وهو اختيار صعب كذلك لانه محكوم بسياسة لبنانية تقليدية تعتمد الحياد في المسائل العربية الوطنية وتلتحق في الوقت نفسه بما يطرحه الداخل العربي حيث السوق الاقوى للرأسماليتين اللبنانيتين التجارية المصرفية والصناعية . ولا يبقى أمام لبنان الرسمي الا الاستمرار في الاختيار الاخر وهو التوكل صوب سياسات « ان قوة لبنان تكمن في ضعفه » وان الطريق البرية السورية « ليست أقصر الطرق » — خصوصا بعد اعادة فتح قناة السويس للملاحة — لوصول الرأسماليتين اللبنانيتين الى اسواقها في الداخل العربي حيث المصلحة الاقتصادية لهاتين الرأسماليتين وحيث القاعدة العربية التي تقوم عليها سياسات التخاذل الوطني للقوى اللبنانية اليمينية الشعبية والرسمية . يضاف الى هذا ان التصويب الاسرائيلي في قلب ثكنة بنوا بركات قرب صور جاء في مناخ متوتر يحيط بطبيعة المهمات المعقودة للمؤسسات العسكرية اللبنانية . فقد بدأت بعض القوى اللبنانية ، المعنية وطنيا ويوميا بالاعتداءات الاسرائيلية ، تخطو تجربة جديدة وجدية خارج هذا التوتر نفسه ، على شكل استقلال مسلح ومنظم في الدفاع الوطني ، وكانت هذه التجربة الجديدة قد بدأت بصمود بلدة كفركلا وبعدها ظهور الحرس الشعبي في بلدة كفركلا وما يبدو انه مقاومة لبنانية شعبية ، مستقلة عن المؤسسات اللبنانية الدفاعية ، التحقت بطريق النضال الفلسطيني الوطني الاطول . واهمية هذه المقاومة الشعبية اللبنانية المستقلة هي أنها تحمل السلاح ضد العدوان الاسرائيلي خارج المؤسسات العربية الرسمية مما سيحررها من قيود كثيرة ، كما أنها امتداد لاحزاب عقائدية لها تجاربها الطويلة في التنظيم والعمل الشعبي . كل هذه الخصائص ستعفي المقاومة الفلسطينية من بعض الاخطار في الاوساط اللبنانية الشعبية والرسمية . مهما يكن فالثابت حتى الان هو أن التصويب الاسرائيلي في قلب ثكنة بنوا بركات اراد ترسيخ الاستمرار في السياسات اللبنانية اللادفاعية عن طريق عودة المؤسسات الاسرائيلية العدوانية الى اعتماد سياسات « اليد الطويلة والعصا الغليظة » العدوانية القمعية والمعادية للشعوب العربية عموما والشعب الفلسطيني خصوصا ، وهي السياسة المقياس ، في حال التخلي عنها نهائيا في الساحة اللبنانية الفلسطينية ، لمدى فرص التحول في السياسة الاسرائيلية في موضوع التعايش الديمقراطي في المنطقة. والثابت أيضا ان التصويب الاسرائيلي سيزيد من التعقيدات للوجود الفلسطيني وعلاقاته اللبنانية الشعبية ، وهو ما اتضح في استشهاد الفدائيين الاربعة في الخيمة المنفردة قرب شاطىء صور الشرقي عند مخيم البص للفلسطينيين. لقد تأكد نزول القوات الاسرائيلية على طريق تدخل ضمن السيادة اللبنانية الكاملة ، كما يجب

الفكر اليميني اللبناني القول ، وتأكد ان موقع الخيمة ، قرب بيت عبد الرحمن الخليل ، رئيس بلدية صور وشقيق كاظم الخليل الوزير السابق، لم يكن هدفا عسكريا غالي الثمن يحتاج زخم العملية الاسرائيلية وحجمها . بل الادق من ذلك ان المسافة السياسية بين المقاومة الفلسطينية وسلطة آل الخليل ، وهي سلطة تقوم على قاعدة الاقطاع السياسي والمحاربة بسبب المنافع والخدمات الفردية ، هي التي كانت الهدف . ولقد سبق ان جرت محاولة لتوتير هذه العلاقات بحوادث اعتداء على شخص عبد الرحمن الخليل نفسه ، وهذا أكثر خطرا من استعداء وتحريض الدولة والاجهزة التي ضعفا ما تبقى من أجهزتها مع دخول سلطة المقاومة الفلسطينية . ففي الوقت الذي حلت فيه المقاومة الفلسطينية في اواخر الستينات على سلطات اقطاعية لبنانية قوية في الريف اللبناني الجنوبي ، حيث العلاقات الاقطاعية هي السائدة في الريف تاريخيا ، بقيت المقاومة الفلسطينية غير راغبة وغير قادرة على اضعاف سلطات الاقطاع اللبناني بسلطات شعبية وطنية وديمقراطية عن طريق الاختيار الثوري في التعامل والتسليح والتنظيم ، في هذا الوقت كانت قوى الاقطاع وقوى السلطة الرسمية تحاصر المناخ الذي اوجدته المقاومة حتى لا يتمكن من التغيير والتبديل السياسي . صحيح ان ايجاد تعقيدات شعبية للوجود الفلسطيني في جنوب لبنان اكثر خطورة من التعقيدات مع الدولة او منه في أي مكان اخر من لبنان ، غير أن المقاومة الفلسطينية ربما تكون قد استطاعت منذ مدة حل معادلة الاعتداءات الاسرائيلية التي تقوم على اكمال دور القوى اليمينية المعادية وعلى توتير علاقات المقاومة الفلسطينية مع فئات من الشعب اللبناني على قاعدة ضرب مصالح هذه الفئات الاقتصادية ووجودها البشري بدعوى احتضان الوجود الفلسطيني المسلح . فلقد بدأ الفكر الوطني المعادي للعدوانية الاسرائيلية يسود في اوساط غالبية كبيرة من الشعب اللبناني ولم يعد الفكر المتخاذل والمحايد قادرا على اعتماد قاعدة باستثناء بعض التحريضات الطائفية التي بدأت تنهزم بدورها . لكن أخطر ما يواجهه الفكر الوطني المعادي للعدوانية الاسرائيلية هو امكانية ان يثبت لبنان الرسمي في اعتماد سياسات في معالجة الوجود الفلسطيني الوطني في لبنان على قاعدة بعض السياسات العربية التي تسعى لاجل الحاق الفلسطينيين والحركة اللبنانية الشعبية بسياسات تتخلى عن المكاسب التي حققتها في تثبيت سلطة منظمة التحرير الفلسطينية كسلطة وطنية لمعالجة المسألة الفلسطينية وتحقيق سلطة الشعب الفلسطيني الديمقراطية وتدعوها لتقبل سياسات تعيد من جديد اقتسام الشعب الفلسطيني ومصادرة حقوقه الوطنية بين الاسرائيليين والاردنيين بدعوى أن اميركة واسرائيل ترفضان التعامل في هذه المرحلة مع منظمة التحرير الفلسطينية . ان اختيار لبنان الرسمي التمسك بسياساته اللادفاعية على قاعدة بعض السياسات العربية سيضعف الموقف الفلسطيني ويجعل من احتمالات تفشيل السياسات الاسرائيلية المعادية للشعوب العربية عموما والشعب الفلسطيني خصوصا غير ممكنة من دون حرب جديدة تكون حرب الانتصار للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وليس حرب استعادة بعض الاراضي العربية .

ناشي طه

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧/١٥ — ١٩٧٥/٨/١٥

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	المصدر: تاريخه
١	٧/١٥	١٤٠٠	رام الله	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير سيارة مدير بنك لئومي واصابة سيارات اخرى باضرار	—	—	—	٧٥/٢٢٦	٧/١٦
٢	٧/١٥	٢٠٠٠	الخالصة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		اصابة واشعال النيران في تجمع آليات ومعسكر للعدو	—	—	—	٧٥/٢٢٧	٧/١٦
٣	٧/١٨	٣٠٣٠	المطلة	اقتحام	أسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غيرمحدد		حجز عدد من الرهائن واصابة عدد من المواقع في المستعمرة واشعال النيران فيها	٣	—	—	٧٥/٢٢٨	٧/١٨
٤	٧/٢٠	١٤٠٠	القدس/حي كريات يوفيل(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير ثلاثة طوابق من مبنى سكني لمخابرات العدو وتصدعه وتدميره واعطاب عدد من السيارات وقطع الاتصال الهاتفي والتيار الكهربائي عن المنطقة	—	—	—	٧٥/٢٢٩	٧/٢٠
٥	٧/١٩	—	نابلس	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	٥	—	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	٧٥/٢٣٠	٧/٢٠
٦	٧/١٨	١١٠٣٠	يازور/الرملة — تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير جزء كبير من مبنى لوزارة الاسكان الصهيونية	—	—	—	٧٥/٢٣١	٧/٢٠
٧	٧/٢٢	—	القدس/حي موشيرم	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوات وأبطل مفعولها	—	—	—	٧٥/٢٣٢	٧/٢٣

٨	٧/٢٢	١٤٠٠	نحال كوريم/شرقي عكا	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في آلاف الهكتارات الحرشية وامتدادها لمعسكر للدروع	—	—	٧٥/٢٣٣	٧/٢٣
٩	٧/٢٢	٢٠٤٠٠	بين عكا وصفد	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		تدمير سيارة دورية للعدو وقتل وجرح من فيها	—	—	٧٥/٢٣٤	٧/٢٥
١٠	٧/٢٣	٢٢٤٣٠	دورا/الخليل	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		تدمير الباب الرئيسي لمبنى البريد واصابة محتوياته باضرار واشعال النيران فيه	—	—	٧٥/٢٣٥	٧/٢٥
١١	٧/٢٥	٢٢٤١٥	بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في عدة اقسام من مصنع للاقمشة	—	—	٧٥/٢٣٦	٧/٢٦
١٢	٧/٢٥	١٦٤٠٠	كيبوتس عنيت/شرق بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في أحد المخازن الرئيسية وامتدادها لمخازن مجاورة	—	—	٧٥/٢٣٧	٧/٢٦
١٣	٧/٣١	١٠٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير واصابة عدد من الباصات في المحطة المركزية	—	—	٧٥/٢٣٨	٧/٣١
١٤	٨/ ١	١٤٤٣٠	بيت لحم	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		تدمير أجزاء من مبنى البلدية	—	—	٧٥/٢٣٩	٨/ ١
١٥	٨/ ٣	٠٤٤٥	ادميت وايلون	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		—	١	٢	٧٥/٢٤٠	٨/ ٤
١٦	٨/ ٥	٦٤٠٠	الخالصة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	٧٥/٢٤٢	٨/ ٥
١٧	٨/ ٣	٨٤٣٠	رويسة الرمثا	هجوم	أسلحة رشاشة وصاروخية	غيرمحدد		اصابة معسكر غشكول ومرصد معاد باضرار	—	—	٧٥/٢٤٣	٨/ ٥
١٨	٨/ ٥	١٤٣٠	موقعا الشحل وسدانة/شبعا	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير دبابة وناقلة جنود تصف مجنزرة وتدمير عربة مدفع ١٠٦ ومربض رشاش	—	—	٧٥/٢٤٤	٨/ ٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١٩	٨/ ٥	٢٢٫٣٠	الخالصة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	٧٥/٢٤٥	٨/ ٥
٢٠	٨/١٠	٦٫٤٥	ديمونا/النقب	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	تدمير جزء كبير من باص لشركة ايجد واصابة من فيه	—	—	—	٧٥/٢٤٦	٨/١٠
٢١	٨/ ٥	١٥٫٠٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	— ١	تم اكتشاف العبوة أسفل سيارة عسكرية وعند محاولة ابطال مفعولها انفجرت وأصابت السيارة بأضرار	—	—	—	٧٥/٢٤٧	٨/١٠
٢٢	٨/ ٢	٩٫٠٠	ميجان ميخائيل/ بين حيفا وتل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدفق مئات الاطنان من النفط خارج الانبوب وتعطيل حركة السير ثماني ساعات	—	—	—	٧٥/٢٤٨	٨/١٠
٢٣	٨/ ٣	—	الجولان/قرب جسر بنات يعقوب(٢)	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	٧٥/٢٤٩	٨/١٠
٢٤	٨/١٠	٧٫٠٠	ايلات	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة بعض آلات التنقيب بأضرار داخل منجم النحاس (ايما)	—	—	—	٧٥/٢٥٠	٨/١٠
٢٥	٨/١٠	٢٠٫٠٠	اسدوم/جنوب البحر الميت	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة ايجد وقتل وجرح معظم ركابه	—	—	—	٧٥/٢٥١	٨/١١

٢٦ — ٨/١٢	٧٤١٥	تل ابيب(٣)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى سكني للمستوطنين الجدد بأضرار بالغة	—	—	—	٧٥/٢٥٢	٨/١٢
٢٧ — ٧ /٨	—	عاقر/اللد	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة معظم أفراد دورية للعدو بين قتيل وجريح	—	—	—	٧٥/٢٥٣	٨/١٢
٢٨ — ٨ /٨	—	بيت جالا	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	حرق منزل أحد سماسرة بيع الاراضي	—	—	—	٧٥/٢٥٣	٨/١٢
٢٩ — ٨/١٢	٠٤١٥	محولا	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة مركز الامداد في المستعمرة واحدى المنشآت العسكرية	—	—	—	٧٥/٢٥٤	٨/١٢

---

١ — ادعى العدو بأن الانفجار قد وقع من جراء انفجار خزان للمياه الساخنة والحق اضرارا بالغة بثلاث طبقات من مبنى سكني . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٨٦٧ ، صفحة ٣٨١ ، بتاريخ ١٩٧٥/٧/٢١).

٢ — ادعى العدو بأن الشاحنة العسكرية قد تدهورت وأصيب ٢٤ جنديا بجروح . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٨٧٩ ، صفحة ٨٦ ، بتاريخ ١٩٧٥/٨/٤) .

٣ — اعترف العدو بحادث الانفجار ، الا انه ادعى بأن سببه نزاع حول نفقة احدى الزوجات . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٨٨٦ ، صفحة ٢٤٣ ، بتاريخ ١٩٧٥/٨/١٢) .

ملاحظة : تصدر البلاغات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧/١٥ — ١٩٧٥/٨/١٥

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	٧/١٥	—	رام الله	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة مدير فرع بنك لئومي بأضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٦٣ص٢٨٨	٧/١٦
٢	٧/١٥	—	الخالصة	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	لم تقع أية أضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٦٣ص٢٨٨	٧/١٦
٣	٧/١٨	١٤١٠	المطلة	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	١	اشتعال النيران في البساتين المجاورة	٣	—	—	ن٠ عدد٨٦٦ص٣٤٩	٧/١٩
٤	٧/١٩	—	—	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	—	لم يصب أحد من أفراد دورية حرس الحدود	—	—	—	ن٠ عدد٨٦٧ص٣٨٤	٧/٢١
٥	٧/١٨	—	ازور	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة منزل سكني بأضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٦٧ص٣٨٤	٧/٢١
٦	٧/٣٠	٥٤١٥	المطلة	قصف	قذيفة بازوكا	—	—	لم تقع أية أضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٧٥ص٥٧٧	٧/٣٠
٧	٧/٣١	—	مرجليون	كمين	أسلحة رشاشة	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠ عدد٨٧٦ص٦٠٣	٧/٣١
٨	٧/٣١	١٠٤٥	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة ولكن انفجرت قبل ابطال مفعولها وأصابت باص بأضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٧٦ص٦٠٤	٧/٣١
٩	٨/ ٤	١٢٠٠	ادميت	اشتباك	أسلحة رشاشة	١	٢	—	١	—	٢	ن٠ عدد٨٧٩ص٩١	٨/ ٤
١٠	٨/ ٥	—	الخالصة	قصف	قذائف كاتيوشا	—	٢	لم تقع أية أضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٨٢ص١٥٩	٨/ ٧
١١	٨/١٠	—	ديمونا	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة باص لشركة ايجد بأضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٨٥ص٢٢٤	٨/١١
١٢	٨/١٢	—	ميخولاه	قصف	قذائف كاتيوشا	—	—	لم تقع أية اضرار	—	—	—	ن٠ عدد٨٨٧ص٢٦٥	٨/١٣

ن٠ نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

خارطة تبين المواقع التي نفذت فيها العمليات العسكرية الوارد نصها في الجدول

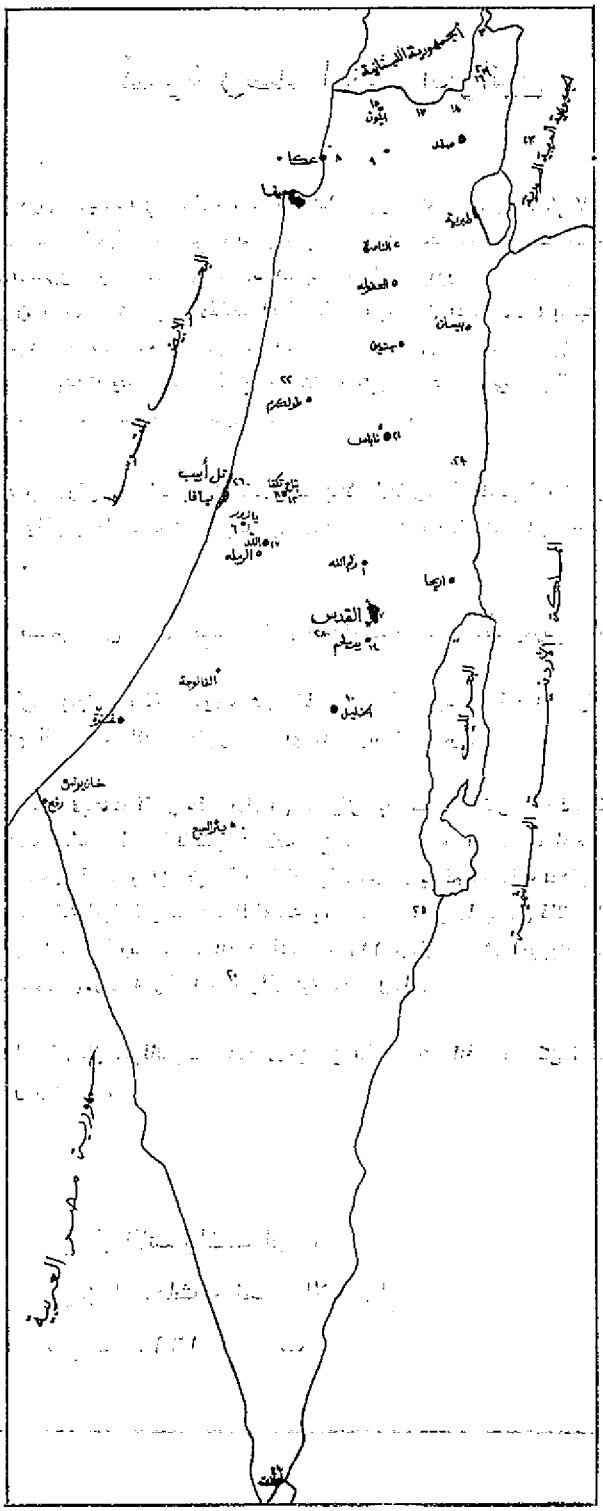

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبـــار .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . أما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى، يضاف اليها أجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل.ل. ، في أوروبة ١٥٠ ل.ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل.ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

البنك الشعبي

في خدمة المقـــاولات الصغيرة والمتوسطة

93 فرعـــا في أكثر من 60 مدينـــة

البنـــوك	العنـــاوين
البنك الشعبي المركزي	46 شارع الجيش الملكي ، الدار البيضاء
البنك الشعبي لطنجة	شارع محمد الخامس ، طنجـة
البنك الشعبي لوجـدة	34 شارع الدرفوفي ، وجـدة
البنك الشعبي للرباط	29 شارع علال بن عبدالله ، الرباط
البنك الشعبي لفـاس	شارع محمد الخامس طريق رقم 1 ، فاس
البنك الشعبي لمكنـاس	17 شارع محمد الخامس ، مكنـاس
البنك الشعبي للدار البيضاء	48 شارع الجيش الملكي ، الدار البيضاء
البنك الشعبي المركزي لمراكش	شارع مولاي اسماعيل ، مراكش
البنك الشعبي لاكادير	شارع الحسن الثاني ، أكادير
البنك الشعبي المركزي للناضور	شارع الجامعة العربية ، الناضور
البنك الشعبي المركزي للحسيمة	41 شارع محمد الخامس ، الحسيمة
البنك الشعبي لآسفي	ساحة محمد الخامس ، آسفي
البنك الشعبي المركزي لورزازات	شارع محمد الخامس ، ورزازات

ma marchandise est périssable ! je veux qu'elle arrive plus vite !

je veux que mon frêt arrive intact !

je choisis Royal Air Maroc

la compagnie qui me procure toutes les satisfactions à des prix très abordables.

Royal Air Maroc
met à ma disposition :

ses Bœings,
son réseau d'agences au Maroc
son réseau d'agences en Europe
son réseau de correspondants
dans le reste du monde.

royal air maroc

LIGNES INTERNATIONALES DU MAROC

البنك العربي للمغرب

في خـــدمتـــكم

بنك جديد جمـــع خبرة بنـــكين كبيرين :

البنك العربي المحدود ــ من الشرق العربي

البنك الشعبي المركزي ــ من المغرب العربي

أسس البنكان البنك الجديد برأس مال قدره عشرة ملايين درهم

خطوة كبيرة في توحيد الاقتصاد العربي يدا بيد ويد الله مع الجماعة .

البنك العربي للمغرب : عمله النقود والاعمال المصرفية على جميع أنواعها .

ان الاقتصاد الحديث مبني على التخطيط والتخطيط يحتاج للدراسات والاستشارات .

فبـــادروا الى البنك العربي للمغرب

الذي يقدم لكم المشـــورة والتوجيـــه

البنك العربي للمغرب : له شبكة من الاتصالات العالمية مع البنوك والمؤسسات المالية كلها تحت تصرفكم .

البنك العربي للمغرب :

الادارة العـــامة : 174 شارع محمد الخامس ــ الدار البيضاء
تلكس 22942
صندوق بريد 810 ، الدار البيضاء
هاتف : 27.39.58

فرع الدار البيضاء : شارع محمد الخامس وناصية حسن الصغير
تلكس رقم 22942
هاتف : 53، 52، 26.31.51
صندوق بريد 810 ، الدار البيضاء

فرع الربـــــاط : 2 شارع علال بن عبد الله
تلكس رقم 31032
هاتف : 263.14 263.19
263.27
صندوق بريدد 440 ، الرباط

العـــنوان البرقي : عربمغرب ARABMAROC

مصبرات لحلو

CONSERVERIES LAHLOU

الدار البيضاء ــ المملكة المغربية

زنقة موسى بن نصير ــ اغادير

هاتف ٢٣٤٣ ــ ٢٦٣٥

تلكس : ٨١٠٤١ ــ تلغراف : الحلو اغادير

- تصبير سمك في العلب ــ سردين ــ ماكريل ــ طون .
- ماركة بانوراما ــ اسكوت .
- تصبير في نفس مكان الصيد .
- سمك طري .

الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني متفتح

مجلة شهرية جامعة - تصدرها
المؤسسة العامة للصحافة
في الجمهورية العربية الليبية

رئيس التحرير : محمد علي الشويهدي

يشترك في تحريرها نخبة من كبار المفكرين والكتاب والشعراء العرب

نحو ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحوي مجموعة من المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية والاقتصادية والعلمية ، إلى جانب الأبواب الثابتة من شعر وقصة وفنون .

ثمن العدد ليبيا ١٠٠ درهم • ج م ع ١٠٠ مليم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الكويت ١٥٠ فلسا • الاردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ١٥٠ فلسا • ريال ونصف • السعودية : ريال ونصف • ابوظبي : درهمان • مسقط ٢٠٠ بيسه • قطر : ريال ونصف • السودان ١٠٠ مليم • الجزائر : دينار ان تونس ١٠٠ مليم • المغرب : درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلسا • اليمن ١٠٠ بقشة

الاشتراك السنوي في الجمهورية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي ، وخارج الجمهورية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

العنوان مجلة « الثقافة العربية » ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ج.ع.ل.

- العلوم الحديثة ذات الصبغة الاستراتيجية والادارية العليا.
- الأخبار والتعليقات من أعرق المصادر ومن مختلف الاتجاهات.
- خبرات الحروب - عرض وتلخيص كتاب جديد .... الخ ...

صدر العدد الأول لعام ١٩٧٥ وفيه تطالع

● مفهوم الدفاع الوطني.	اللواء عبد الله حبيشي
● الحرب والحضارة.	الدكتور حرب فرزات.
● الصراع القرطاجي الروماني في المتوسط الغربي.	الأستاذ محمد محفل.
● اتخاذ القرار في اطر النماذج الرياضية.	الدكتور صباح الدين البقيعي.
● الادارة والمهارات والقوى القيادية.	الدكتور محمد عدنان النجار.
● مفهوم الاستعمار الاستيطاني.	الدكتور جورج جبور.
● مشاريع ميكرو للهجرة والاستيطان اليهودي.	الدكتورة فريدة قاسمية.
● قرارات حظر تصدير الاسلحة الحربية.	الدكتور عادل الزعيم.
● الكمون الحربي للدولة.	البروفسور كلاوس كنور.

مجلة فصلية تصدر عن كلية القيادة والأركان في الجيش العربي السوري

تباع في المكتبات الكبرى

السياسة الدولية

صدر حديثا

المجلد السنوى

لعام ١٩٧٤

مرجع هام للعاملين فى الحقل السياسى والسلك الدبلوماسى وأجهزة الإعلام

١٠٠٠ صفحة

١٥٠ قرشا

تطلب المجلدات السنوية للسنوات السابقة من قسم الاشتراكات - بمؤسسة الأهرام شارع الجلاء - القاهرة

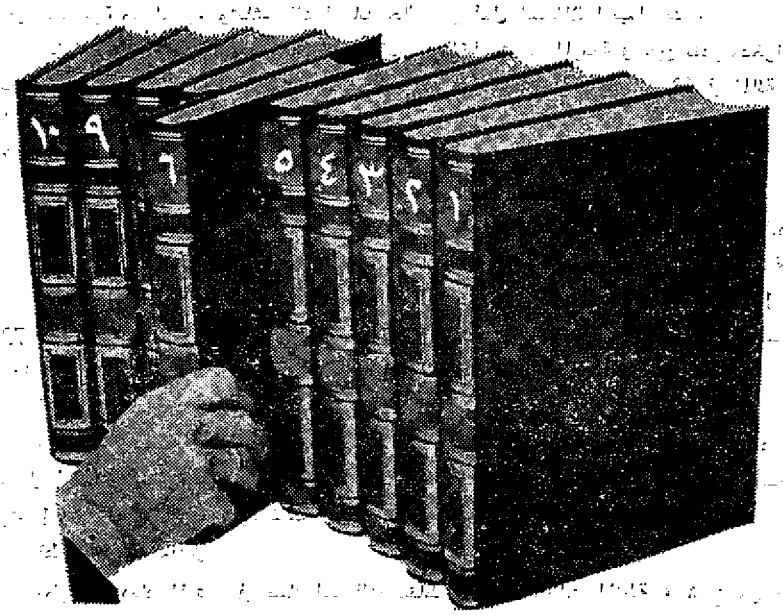

المكتب الشريف للفوسفاط

نظرة مجملة حول المكتب الشريف للفوسفاط

أنشىء المكتب الشريف للفوسفاط سنة 1920 في شكل مؤسسة تابعة للدولة ذات صبغة صناعية وتجارية تتمتع بتنظيم يسمح لها ان تتصرف بنفس الفعالية والمرونة التي تتمتع بها كبريات المؤسسات الحرة .

ويسير المكتب مدير عام معين بموجب ظهير كما يراقب من طرف مجلس اداري مركب من عدة وزراء يرأسه الوزير الاول .

1) مناجم الفوسفاط

هناك منجمان هامان : منجم اولاد عبدون ومنجم غنطور . أما الاول ، وهو من أهم المناجم في العالم ، فيحتوي على :

— منطقة خريبكة — وادي زم ، التي تستغل حاليا .

— منطقة سيدي حجاج غربا ، وسيشرع في استغلالها سنة 1980 .

وأما منجم غنطور فيحتوي هو الآخر من الغرب الى الشرق على :

— منطقة اليوسفية التي تستغل حاليا .

— منطقة ابن جرير التي سيشرع في استغلالها سنة 1977 .

وهناك مناطق فوسفاطية اخرى أكثر تجزيئا نجد احداها بمسكالة جنوب الناحية الواقعة بين الصويرة ومراكش. وتباشر الدراسات حاليا من أجل استغلالها فيما بعد .

وينتشر مجموع هذه المناجم على عدة آلاف من الكيلومترات المربعة في حين تقدر مدخراتها بعدة مليارات من الاطنان . وتمثل المناجم المغربية حسب التقديرات حوالى 60 في المائة من المدخرات العالمية المعروفة .

2) موانىء الشحن

الدار البيضاء

ان ما يقرب من ثلاثة ارباع من الكميات المصدرة من الفوسفاط يقع شحنها بميناء الدار البيضاء . وتبلغ طاقة الخزن في هذا الميناء حاليا 400.000 طن موزعة على أنواع اربعة .

ولقد بدأ التجهيز العصري بميناء الدار البيضاء خلال التخطيط الخماسي 1968 — 1972 وسيستمر طوال الحقبة 1973 — 1977 ويدار هذا الجهاز في مجموعه بواسطة عداد كهربائي . وسترتفع قدرة الشحن من 10 الى 25 مليون طن سنويا .

آسفي

يرتكز رواج ميناء آسفي في اغلبه على تصدير فوسفاط اليوسفية وعلى واردات وصادرات معمل أسمدة كيماويات المغرب ، وقريبا على واردات وصادرات معامل المغرب فوسفور رقم 1 و2 وقد تقرر رفع قدرة شحن ميناء آسفي الى 10 ملايين طن في السنة .

تطلعات المستقبل

نظرا للازدياد المرتفع في صادرات الفوسفاط خلال السنوات المقبلة ، شرع من الان في تشييد ميناء فوسفاطي جديد ثالث بناحية دكالة قرب مدينة الجديدة بجرف الاصفر وذلك

نظرا لانميناءي الدار البيضاء وآسفي سيلغيان قدرتهما القصوى في السنوات العشر القادمة، وحرصا على تمكين تحقيق المعامل المستقبلية الخاصة بتحويل الفوسفاط (المغرب فوسفور رقم 3 وما سيتبعه) .

3) السياسة الاجتماعية

بذل المسؤولون عن المكتب ، منذ الحصول على الاستقلال سنة 1956 ، جهودا مستمرة لتحقيق الرفع من المستوى الاجتماعي لمختلف فئات المستخدمين وعائلاتهم .

وتحتوي التجهيزات ذات الصبغة الاجتماعية التي شيدها المكتب تدريجيا منذ تأسيسه ، وخاصة في غضون الخمس عشرة سنة الاخيرة ، على منازل ومستشفيات ومصحات ومدارس ومخيمات صيفية وتعاونيات ونوادي وتجهيزات رياضية كاملة وخزانات ومساجد وقاعات للمسرح والسينما .

4) التكوين المهني

كان المكتب الشريف للفوسفاط الى نهاية دجنبر 1972 يضم 13.343 عونا ، وأصبح يضم في نهاية 1974 15.600 عونا .

وباعتبار أهمية هذه الاعداد وتطور التقنيات الحديثة ، فانه ليس من العسير ادراك الاسباب التي أدت بالمكتب الى سن سياسة محكمة في ميدان التكوين المهني ووضعها في مقدمة الصفوف من أسبقياته . وهكذا ، أنشأت مصالح مكلفة بوضع هذه السياسة وتطبيقها مما جعل المكتب يتوفر في الوقت الراهن على :

- مصلحة للتكوين المهني واستكمال التكوين لفائدة التقنيين والاطر المسيرة والعمال المؤهلين ؛
- مصلحة لاستكمال تكوين الاطر السامية .

5) المنجزات المتوقعة في التخطيط الانمائي 1973/77

الاستخـــراج

سترتفع الكميات المستخرجة من 16،5 مليون طن سنة 1972 الى 23،9 مليون طن سنة 1977 ، أي ما يعادل ازديادا سنويا بنسبة 7،8 في المائة .

المبيعـــات

نظرا للتطور المتوقع في الطلب العالمي من الفوسفاط والاسمدة الفوسفاطية ، قام المكتب بتحديد هدف يرمي الى رفع مبيعاته الاجمالية من 14،16 مليون طن سنة 1972 الى 26 مليون طن في سنة 1977 ، أي ما يعادل ارتفاعا يقدر بـ 13 في المائة .

وستظل الصادرات أهم هذه المبيعات (22،6 مليون طن سنة 1977)، غير ان المبيعات على الصعيد المحلي ستعرف ارتفاعا أسرع اذا ما أخذنا بعين الاعتبار النسبة المائوية . اذ ستنتقل هذه الكميات من 670.000 طن سنة 1973 الى 4 ملايين طن في سنة 1977 .

استثمار الفوسفاط وتقييمه

ان الارتفاع السريع الذي تعرفه مبيعات المكتب على الصعيد المحلي كما يتبين ذلك مما سبق ، لراجع الى السياسة المتبعة في الاستثمار المحلي للفوسفاط المرتكزة على :

- انشاء وحدتين لصنع الحامض الفوسفوريك هما المغرب فوسفور رقم 1 والمغرب فوسفور رقم 2 اللذين سيبلغ انتاجهما الاجمالي مليون طن في السنة من P 205 ستصدر جميعها . أما انتاجهما فسيبدأ في غضون النصف الثاني من سنة 1975 بالنسبة للمعمل الاول وفي بداية سنة 1977 للمعمل الثاني .
- مضاعفة قدرة شركة كيماويات المغرب ثلاث مرات ، هذه الشركة التي أصبحت تتعاطى صناعة الاسمدة المركبة زيادة على الاسمدة الفوسفاطية .

الطريق

مجلة الثقافة التقدمية والفكر المتحرر

تجدونها في مطلع كل شهر في جميع المكتبات

اشتراككم في الطريق مساهمة في نشر الفكر والثقافة التقدميين ومتابعة الانتاج في الميادين النظرية في الاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ والنقد والادب والفنون والتربية

بالارتباط مع الحركة التحررية والثورية في لبنان والاقطار العربية والعالم

الاشتراك السنوي : ٦ دنانير في العراق والخليج العربي

٤٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية

٢٥ ل.ل. أو ما يعادلها

٢٠ ل.ل. للطلاب

١٠٠ ل.ل. للدوائر الرسمية والمؤسسات

٣٥ ل.ل. في كافة البلدان العربية والاجنبية .

سعر النسخة : ٢٥٠ قرشا لبنانيا او ما يعادلها

- تقبل الاشتراكات في مكاتب المجلة : بيروت ، كورنيش بشارة الخوري ، بناية جراب ص.ب ٩١٢٠ ، هاتف ٢٣١٩٧٧

وفي مكتبة دار الفارابي ، بيروت ، بناية سيتي سنتر ، هاتف ٢٥٥٤٩٨

- **تحرر الحوالات البريدية والمصرفية باسم مجلة الطريق حساب المجلة لدى بنك ليتكس ٣١٢٥٨٦**

الأقلام

مجلة فكرية عامة تصدرها شهرياً وزارة الاعلام / بغداد

الاقلام مجلة الأدب العربي الجديد

اقرأ في كل عدد قصائد وقصصاً ودراسات
لأبرز أدباء العربية إضافة الى رسائل
ثقافية تغطي النشاطات الإبداعية في
العالم والوطن العربي
والعراق

سعر النسخة

العراق	١٠٠ فلس
لبنان	ليرة لبنانية
مصر	١٠ مليم مصري
السودان	١٠ مليم سوداني
البحرين	١٠٠ فلس بحريني
الكويت	١٥٠ فلساً كويتياً
تونس	٢٠٠ فلس تونسي

المراسلات : العراق / بغداد / وزارة الاعلام - مجلة الاقلام

عندما تفكر في العمل التجاري والمصرفي فكر في

البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

الإدارة العامة : جدة ص.ب (٣٥٥٥) هاتف (٣٢٥٨٠) - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤

Telex 40102 NCBFORX SJ

مواقع فروع البنك الاهلي التجاري داخل المملكة

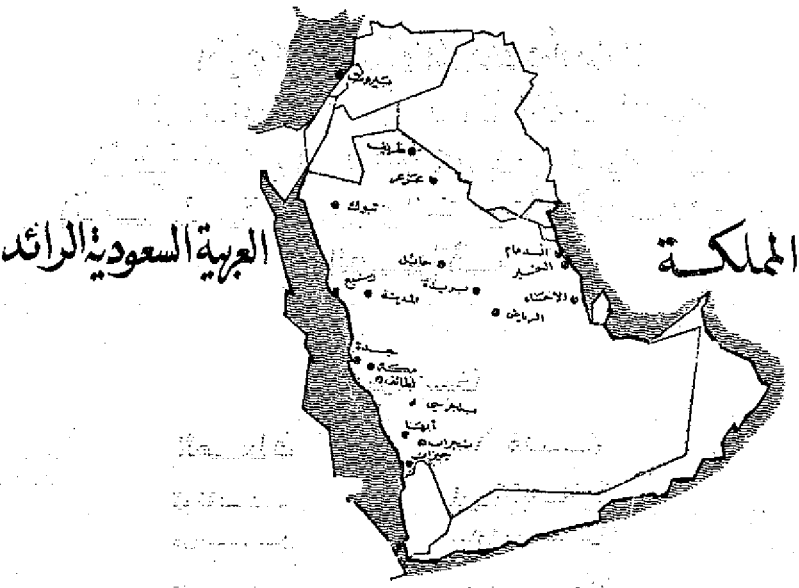

بنك المملكة العربية السعودية الرائد

- ooo البنك الذي يعرف البلاد معرفة افضل .
- ooo تجده في كل مكان ليساعدك من البداية .
- o علاقات وثيقة مع مراسلين في جميع انحاء العالم .
- o شبكة عريضة من الفروع الداخلية .
- o مؤسسات مالية شقيقة: البنك الغربي الاوربي:

لوكسمبرج - بروكسل - فرانكفورت

بسم الله الرحمن الرحيم

Abu Dhabi National Oil Co. شركة بترول ابوظبي الوطنية

Cable : "ADNOC" برقياً . ادنوك

P. O. Box 898 - ABU DHABI ص.ب ٨٩٨ - ابوظبي

Tel : 45600 تلفون : ٤٥٦٠٠

مصفاة ابو ظبي التابعة لشركة بترول ابو ظبي الوطنية

تباشر العمل في العام القادم

تعتبر مصفاة أم النار من أهم المشاريع الصناعية التي تتولى شركة بترول أبو ظبي الوطنية مهمة تنفيذها في الوقت الحاضر . وتقع المصفاة على جزيرة أم النار التي تبعد ٢٥ كم عن مدينة ابو ظبي . وتبلغ تكاليف هذا المشروع حوالي ٤٠ مليون دولار وسيساهم في سد حاجات البلاد الاستهلاكية من الوقود كما انه سيتيح العمل لاكثر من ٣٠٠ شخص بين فني وعامل ، هذا الى جانب انه سيخلق الكوادر الوطنية من ابناء الامارات العربية المتحدة والتي تتدرب الان على أعمال المصافي ، مصفاة الزرقاء بالاردن ومصفاة النصر بالاسكندرية .

تتألف مصفاة أم النار من عدة وحدات للتكرير والتحسين فهي تحتوي على انبوب قطره ٨ بوصة وطوله ١٢٥ كم يضخ فيه البترول الخام من حقول الانتاج الى موقع المصفاة وتحتوي المصفاة على وحدة للتكرير المبدأي للنفط الخام طاقتها ١٥،٦٠٠ برميل في اليوم وهناك وحدة تنقية البنزين والكيروسين وهناك أيضا وحدة انتاج الغاز . وبالاضافة الى هذه الوحدات ، هناك وحدات للخدمات مثل تنقية مياه البحر لتوليد البخار وكذلك التوربينات لتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل المصفاة علاوة على خدمات الهواء المضغوط الآلات الدقيقة ومياه التبريد ، هذا بالاضافة الى الورش والمخازن اللازمة للقيام بصيانة الآلات والمعدات على أكمل وجه .

ومن المنتظر ان يبدأ انتاج مصفاة أم النار مع مطلع العام القادم .

الشركة المغربية للملاحة

رأس مال التجاري : ١١٨،٠٨٨،٠٠٠ درهم
المركز التجاري : ٢٨ شارع ليلى ، الدار البيضاء
تلفون : (٥ خطوط) ٩١ـ٤١ـ٢٤
تلكس : ٢١٧٥٩ ـ ٢١٠٣٩ ـ ٢١٧٠٤

انها السلاح الوطني البحري للمغرب

أهم نشـــاطاتها :

- **النقـل البحـري بخـطوط منتظمـــة**
- **النقـل لمسـافات بعيـــدة** Tramping
- **نقـل الركـاب**
- **تأجـــير بـــواخـر**
- **تـأمين واســـتيداع**
- **تنسيق البضـــائع**
- **ســـــــياحة**

وكالات استيداع الشركة

- الدار البيضاء : ٢٢٥ جادة محمد الخامس
  هاتف : ٢٢٢٠٠٦
  تلكس : ٢١٠٨٠ ـ ٢٢٩٢٦
- طنجـــــة : ٣٤ شارع عبدالله المازي
  هاتف : (٠٩) ٣٢٦٤٩
  تلكس : ٣٢٠٤٦
- اغـــــادير : بنجا أم مرجا ـ شارع محمد الخامس
  هاتف : (٠٨٢) ٢٤٥٢ ـ ٢٤٤٦ ـ ٢٦٤٦
  تلكس : ٨١٨٥٢
- صـــــــافي : ٩ ، شـــارع البريد
  هاتف : (٠٤٦) ٢٣٧٧
  تلكس : ٧١٧١٥

وكالة السفريات

- الدار البيضاء : ٤٣ جـــادة F. A. R.
  هاتف : ٧٥٠٥٠ ـ ٧٥١٠٦
  تلكس : ٢٢٩٢٥

البنك المغربي للتجارة الخارجية

يضـــع تحـــت تصرفـــكم :

— احدى أهم شـــبكة الوكالات في المغرب

— وكالة في باريس ، ٣٧ شارع كومارتان ، باريس ٩

تلفون : ٢١ ٤٤ / ٤٥ ٧٦ ٧٣ .

تلكس : F ١٦٤ — ٦٨

— وكالة في طنجه ، المنطقة الحرة

— مكتب تمثيل في بيروت

— دائرة دراسات وعلاقات خارجية مكلف بتقديم جميـــع المعلومات والدراسات الاقتصادية والاحصاءات عن المغرب ويؤمن علاقات عملكم مع الصناعيين، المستوردين والمصدرين المغـــاربة .

البنـــك المغربي للتجـــارة الخارجية

٢٤١ ، شارع محمد الخامس ، الدار البيضاء

تلكس : CREREB 21.975/21.079/21.938

مكتب التسويق والتصدير

مدبّر ومصدر المنتجات الجيدة
مثل :

الحوامض
والمنواكيز
والمصبرات
والخضر
والسقط

OFFICE DE
COMMERCIALISATION
ET D'EXPORTATION

مركزه :
45 شارع المسلحة الملكية
ص.ب 259
الدار البيضاء — المغرب
الهاتف : 03—241